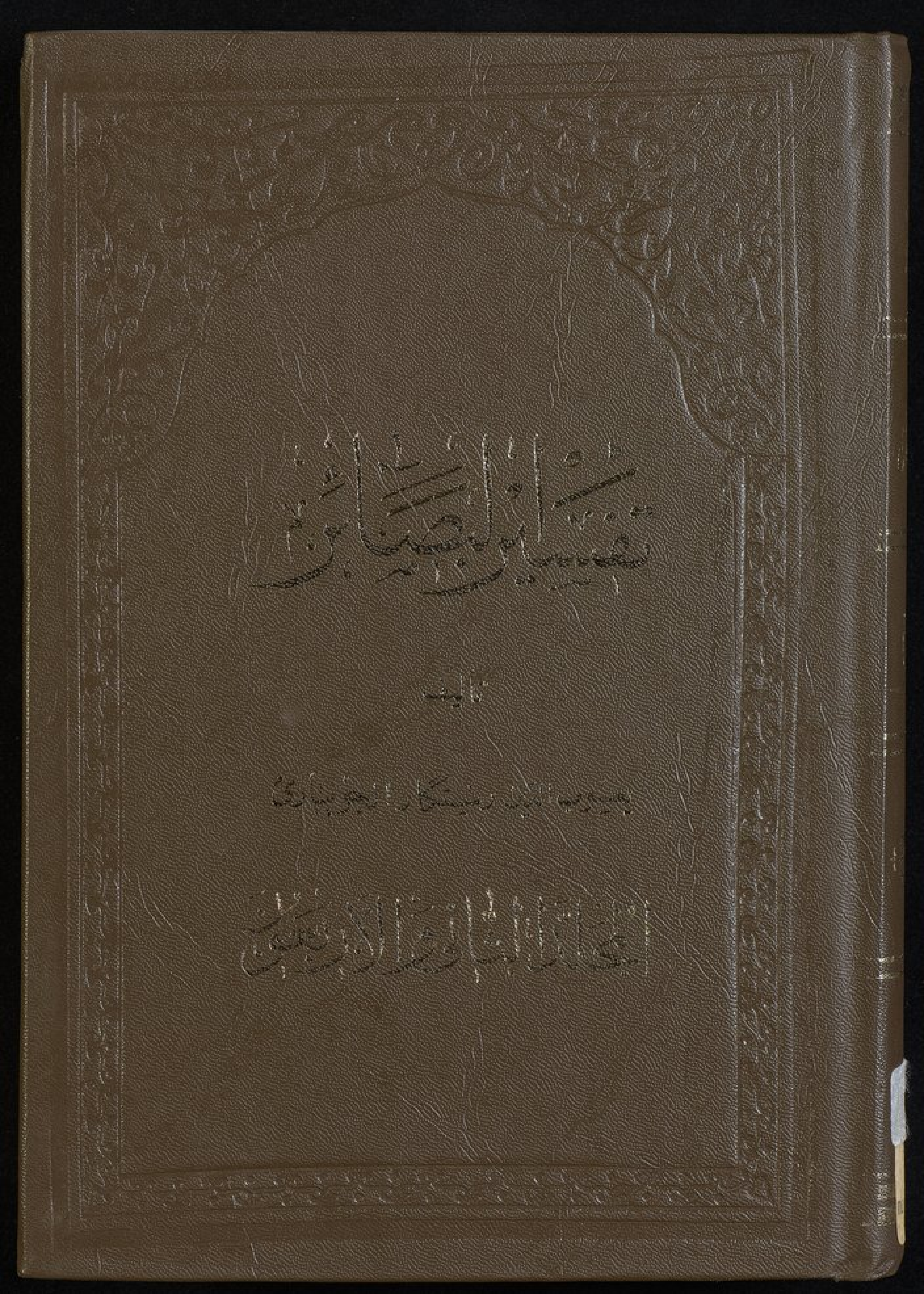

مختصر البصائر
تأليف
حسن بن سليمان الحلي


PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592114

Juybari

المجلد الثاني والأربعون

من كتاب

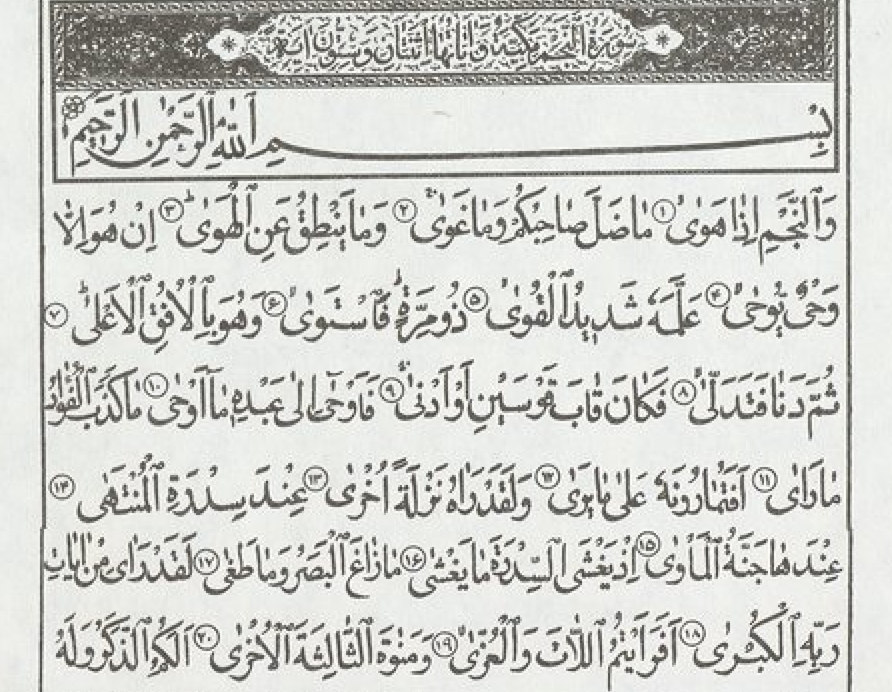
تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

١٣٩٩ هـ ق = ١٣٥٧ هـ ش

ايران - قم مطبعة فيض



سورة النجم مكية وآياتها اثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والنجم إذا هوى ١ ما ضل صاحبكم وما غوى ٢ وما ينطق عن الهوى ٣ إن هو إلا
وحي يوحى ٤ علمه شديد القوى ٥ ذو مرة فاستوى ٦ وهو بالأفق الأعلى ٧
ثم دنا فتدلى ٨ فكان قاب قوسين أو أدنى ٩ فأوحى إلى عبده ما أوحى ١٠ ما كذب الفؤاد
ما رأى ١١ أفتمارونه على ما يرى ١٢ ولقد رآه نزلة أخرى ١٣ عند سدرة المنتهى ١٤
عندها جنة المأوى ١٥ إذ يغشى السدرة ما يغشى ١٦ ما زاغ البصر وما طغى ١٧ لقد رأى من آيات
ربه الكبرى ١٨ أفرأيتم اللات والعزى ١٩ ومناة الثالثة الأخرى ٢٠ ألكم الذكر وله
الأنثى ٢١ تلك إذا قسمة ضيزى ٢٢ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله

بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ٢٣
أم للإنسان ما تمنى ٢٤ فلله الآخرة والأولى ٢٥ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ٢٦ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة
ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ٢٧ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن
لا يغني من الحق شيئا ٢٨ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيوة الدنيا ٢٩ ذلك مبلغهم
من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ٣٠ ولله ما في السموات
وما في الأرض ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ٣١ الذين يجتنبون
كبئر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض
وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ٣٢ أفرأيت الذي
تولى ٣٣ وأعطى قليلا وأكدى ٣٤ أعنده علم الغيب فهو يرى ٣٥ أم لم ينبأ بما في صحف موسى ٣٦
وإبرهيم الذي وفى ٣٧ ألا تزر وازرة وزر أخرى ٣٨ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ٣٩ وأن
سعيه سوف يرى ٤٠ ثم يجزيه الجزاء الأوفى ٤١ وأن إلى ربك المنتهى ٤٢ وأنه هو أضحك وأبكى ٤٣

وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾
وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ
عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى
﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ
﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾



قد جاءكم بصائر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها
الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ، تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ، وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن يزيد ابن خليفة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من كان يدمن قراءة « والنّجم » في كل يوم أو في كل ليلة عاش محموداً بين الناس ، وكان مغفوراً له ، وكان محبّباً بين الناس .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار .

وذلك لأن من قرأها متدبّراً فيها علم انّ أحسن ما يوجب المدح والثناء بين الناس هو الاحسان بهم إبتغاء لوجه الله تعالى ، يمكن أن يستفاد ذلك من قوله تعالى : « ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى » النجم : ٣١) .

حيث انّ من جزاء الحسنى هو كون المرء بين الناس محموداً .

قال الله تعالى : « للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير » النحل : ٣٠) .

وعلم انّ خير سبب المغفرة للمعصيّة الصغيرة الاتية من غير إصرار هو هو الاجتناب عن المعاصي الكبيرة والذنوب الشنيعة . .

وهو المستفاد من قوله تعالى : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللّمم انّ ربك واسع المغفرة » النجم : ٣٢) .

قال الله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم » النساء : ٣١) .

وعلم انّ من موجبات حب الناس للمرء هو اجتنابه عن ثناء نفسه بالفضائل والمكارم وزيادة الخير ومدحها بالطهارة عن المعاصي رئاء .

وهو المستفاد من قوله تعالى : « فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتّقى » النجم : ٣٢) .

وقد وبّخ الله تعالى اليهود لما كانوا يثنون على أنفسهم إذ قال : « ألم تر الى الذين يزكّون أنفسهم ـ اولئك الذين لعنهم الله » النساء : ٤٩ـ٥٢) .

وهذا هو يوسف النبي عليه السلام المعصوم لا يبرىء نفسه فيقول : « وما ابرّىء نفسي انّ النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي » يوسف : ٥٣) ، فكيف لغير المعصومين .

وفي البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : من قرأ هذه السورة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وآله ، ومن كتبها في جلد نمر وعلقها عليه قوى قلبه على كل سلطان دخل عليه .

أقول : روى صدره الطبرسي في المجمع عن ابيّ بن كعب وفيه ما عليه .

وفي البرهان : وقال الصادق عليه السلام : من كتبها على جلد نمر وعلقها عليه قوى بها على كل شيطان ، ولا يخاصم احداً الاّ قهره ، وكان له اليد والقوة باذن الله تعالى .

أقول : وفي سند الروايتين ما لا يخفى على القارىء الخبير ولكن من غير بعيدان يكون من خواص السورة ما جاء فيهما والله تعالى هو أعلم .

وعن ابن مسعود قال : أول سورة أعلمنا النبي صلى الله عليه وآله قراءتها فقرأها في الحرم والمشركون يسمعون .

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة تصديق النبى الكريم ﷺ فيما اخبر به من الوحى عامّة وليلة الاسراء خاصة ، ومن رؤيته المشاهد الربّانية فيها على طريق القسم الربّانى تأكيداً .

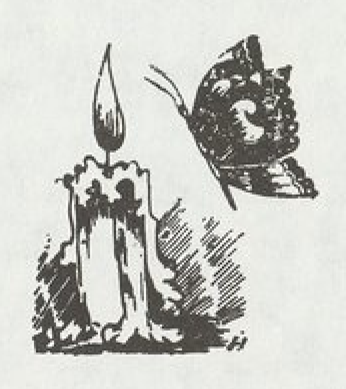
وفى ختامها تقرير وحدة الالسن والمصدر بين دعوة النبى ﷺ ودعوة الانبياء السابقين عليهم السلام ، فليس القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى أوحى الله تعالى الى نبيه الخاتم ﷺ هذا نذير من النذر الاولى .

وفيها تعريض صريح بمعبودات المشركين وعقائدهم وتنديد بهم لما اتخذوا لهم آلهة يعبدونها ويستشفعون بها ويسمّون الملائكة تسمية الانثى وتسفيه لهم على اقامة دينهم على الظن وهوى النفس وإعراضهم عن الحق .

وفيها تقرير لشمول علم الله تعالى وحكمته وإحاطته بأحوال الناس منذ بدء خلقتهم ومعرفته محسنهم ومسيئهم وقدرته على جزاء كل منهم حسب عمله مع التنويه بأصحاب الاعمال الحسنة الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ولايثنون على أنفسهم ولا يمدحونها بالطهارة .

والتنديد الاستطرادى بالذى أعرض عن الدعوة ولم يعط من ماله إلا القليل ثم تباخل وتظاهر بالفقر مطمئناً الى المستقبل كأنما أمر الغيب بيده ، وفيها تقرير لانتهاء مصائر الناس الى الله تعالى ، ونيلهم جزاء اعمالهم من خير أو شر دون

ان يحمل أحد وزر غيره مع التنبيه الى سنن الله تعالى في العالم وآلائه فيه والتذكير بما كان من نكال الله جل وعلا في الطغاة والغابرين أمثال عاد وثمود وقوم نوح عليه السلام وقوم لوط في معرض التدليل على شمول قدرته وتصرّفه ، وكون ما في أيدي الناس من مال وخير إنّما هو من تيسيره ونعمه ، والوعيد والتهديد بمن سلك مسلكهم .



﴿ النـزول ﴾

سورة النجم مكّية ، نزلت بعد سورة التوحيد وقبل سورة عبس وهي السورة الثالثة والعشرون نزولا والثالثة والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على ثنتين وستين آية ، سبقت عليها ٣٣٥ آية نزولا و ٤٧٨٤ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ٣٠٨ كلمة ، وقيـل : ٣٩٠ كلمة و ١٤٠٥ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أنس قال : إنقضّ كوكب على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : انظروا الى هذا الكوكب فمن انقضّ في داره فهو الخليفة من بعدى ، فنظرنا فاذا هو انقضّ في منزل على بن أبيطالب فقال جماعة من الناس : قد غوى محمد في حب علىّ ، فأنزل الله : « ٠١النجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى » .

أقول : رواه جماعة من اعلام العامة :

منهم : ابن المغازلي في (المناقب تحت الرقم : ٣١٨) .

وابن بطريق في (العمدة ص ٤٤) .

وابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج٢ ص٤٤٩) .

والسيوطي في (اللآلىء ج١ ص١٨٥) .

وفي شواهد التنزيل ايضاً باسناده عن ابن عباس قال : كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وآله إذا إنقض كوكب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من إنقض هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي ، فقام فتية من بني هاشم فنظروا فاذا الكوكب قد انقض في منزل علي ، قالوا : يا رسول الله قد غويت في حب علي فأنزل الله تعالى : « والنجم إذا هوى ـ الى قوله ـ وهو بالافق الاعلى » .

رواه الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص١٣١ ط الغري) .

والمير محمد صالح الكشفي الترمذي في (مناقب مرتضوي ص٥٠ ط بمبئي بمطبعة محمدي) .

ثم ذكر أبيات الشافعي في حق الامام أميرالمؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام :

لو ان المرتضى أبدى محله لاضحى الناس طراً سجداً له
كفى في فضل مولانا علي وقوع الشك فيه انه الله
ومات الشافعي وليس يدري علي ربه أم ربه الله

وروى المحدث الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلي في (در بحر المناقب ص ١١٩) عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال : إجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة في العام الذي فتح مكة وقالوا : يا رسول الله من شأن الانبياء إذا استقام أمرهم ان يوصوا إلى وصي أو من يقوم مقامه بعده ويأمر بأمره ويسير في الامة بسيرته ، فقال صلى الله عليه وآله : قد وعدني ربي بذلك أن يبين لي ربي عز وجل من يختاره للامة بعدي ، ومن هو الخليفة على الامة بأنه ينزل من السماء ليعلموا انه الوصي بعدي ، قال :

فلما صلى بهم صلاة العشاء الاخرة في تلك الساعة ونظروا الناس السماء لينظروا ما يكون ، وكانت ليلة مظلمة لا قمر فيها ، وإذا بضوء عظيم قد أضاء المشرق والمغرب ، وقد نزل نجم من السماء الى الارض وجعل يدور على الدور حتى وقف على حجرة علي بن أبيطالب وله شعاع هايل وقد أظل شعاعه الدور وقد فزع الناس وصار على الحجرة ، قال : فجعل الناس يكبرون ويهللون وقالوا:

يا رسول الله نجم قد نزل من السّماء على ذروة حجرة على بن أبيطالب ، قال : هو والله الامام من بعدى والوصيّ القائم بأمرى فأطيعوه ولا تخالفوه ، وقدّموه ولا تتقدّموه ، فهو خليفة الله فى ارضه من بعدى .

قال : فخرج الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وآله فقال واحد من المنافقين : ما تقول فيما يقول فى ابن عمّه إلا بالهوى وقد ركبته الغواية فيه حتى لو تمكّن ان يجعله نبيّاً لفعل ، قال : فنزل جبرئيل عليه‌السلام وقال : يا محمد صلى الله عليه وآله ربك يقرئك السلام ويقول لك :

« بسم الله الرحمن الرحيم والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى » .

أقول : رواه الصدوق فى أماليه وابن شهرآشوب فى المناقب والكراجكى فى كنز الفوائد والبحرانى فى تفسير البرهان والحويزى فى تفسير نور الثقلين ، والمجلسى فى البحار وغيرهم منَ المفسرين والمحدّثين بأسانيد عديدة .

وقال العونى فى ذلك اشعاراً منها :

من صاحب الدار التى إنقضّ لها نجم من الافق فأنكرتم لها
ومن هوى النجم الى حجرته فأنزل الله إذا النجم هوى

ولا يخفى على القارىء الخبير : انّ مكّية السورة لا تنافى ما أوردناه ، من الروايات فتدبّر واغتنم .

والقول بنزول صدرها عندئذ وما سواها مكّية بعيد جداً .

وأما نزول النجم فليس من الامور العاديّة ، فالكلام فيه هو الكلام فى سائر المعجزات للانبياء عليهم السلام .

فى المجمع والجامع لأحكام القرآن والبحار وغيرها :

لما نزل محمد صلى الله عليه وآله من السماء ليلة الاسراء ونزلت سورة النجم أخبر بذلك ، جاء عتبة بن أبى لهب الى النبى صلى الله عليه وآله وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أراد الخروج الى الشام فقال : لآتينّ محمداً فلاوذينّه ، فأتاه فقال : يا محمد أنا كافر بالنجم

إذا هوى وبربّ النجم وبالذى دنا فتدلّى ، ثم تفل فى وجه رسول الله ﷺ وردّ عليه إبنته وطلّقها .

فقال رسول الله ﷺ : « اللهمّ سلّط عليه كلباً من كلابك » وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها وقال : ما أغناك يابن أخى عن هذه الدّعوة ، فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا فى الطريق منزلا فأشرف عليهم راهب من الدّير فقال لهم : انّ هذه ارض مسبعة ، فقال أبو لهب لاصحابه إذ ألقى الله عليه الرعب :

أغيثونا يا معشرقريش هذه الليلة ! فانى اخاف على ابنى دعوة محمّد ، فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وكانت ثلاثمأة واربعين بعيراً وأحدقوا بعتبة ثم جميعهم فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله .

وفى ذلك قال حسّان :

سائل بنى الاصفر إن جئتهم ... ما كان أنباء بنى واشع
لا وسّع الله لـه قبره ... بل ضيّق الله على القاطع
رمى رسول الله من بينهم ... دون قريش رمية القاذع
واستوجب الدّعوة منه بما ... بين للناظر و السامع
فسلّط الله بـه كلبه ... يمشى الهوينا مشية الخادع
والتقمه الرأس بيافوخه ... والنحر منه فقره الجائع
من يرجع العام إلى أهله ... فما أكيل السبع بالراجع
قد كان هـذا لـكم عبرة ... للسّيد المتبوع لا التابع

وفى أسباب النزول للواحدى عن مجاهد وابن زيد : نزلت : « أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى » فى الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وآله على دينه فعيّره بعض المشركين ، وقال : لم تركت دين الاشياخ وضللتهم وزعمت انّهم فى النار ؟

قال : انّى خشيت عذاب الله فضمن لـه ان هو أعطاه شيئاً من ماله و رجع

الى شر كه أن يتحمل عنه عذاب الله سبحانه وتعالى فأعطى الذى عاتبه بعض ماكان ضمن له ثم ّ بخل ومنعه فأنزل الله تعالى هذه الاية .

وفيه : عن ابن عباس والسّدى والكلبى والمسيّب بن شريك : نزلت فى عثمان ابن عفان كان يتصدّق وينفق فى الخير فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن أبى سرح : ماهذا الذى تصنع ؟ يوشك ان لايبقى لك شيئاً فقال عثمان : ان لى ذنوباً وخطايا وانّى أطلب بما أصنع رضا الله سبحانه وأرجو عفوه ، فقال له عبد الله :

أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمّل عنك ذنوبك كلها ، فأعطاه واشهد عليه وأمسك عن بعض ماكان يصنع من الصدقة ، فأنزل الله تبارك وتعالى ، « أفرأيت الذى تولّى وأعطى قليلا وأكدى » .

وقيل : نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل : فى أبى جهل وقيل فى النضربن الحرث .

وفى الجامع لاحكام القرآن : وذكر مقاتل بن سليمان : ان هذه الاية : « الذين يجتنبون كبائر الاثم » الخ ، نزلت فى رجل كان يسمّى نبهان التمار ، كان له حانوت يبيع فيه تمراً فجاءته امرأة تشترى منه تمراً ، فقال لها : ان داخل الدكان ماهو خير من هذا فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان .

فأتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ! مامن شيء يصنعه الرجل إلاّ وقد فعلته إلاّ الجماع ، فقال : « لعل زوجها غاز » فنزلت هذه الاية .

وفى شواهد التنزيل : باسناده عن إبن عباس قال : أضحك عليّاً وحمزة وجعفراً يوم بدر من الكفار بقتلهم آباءهم وأبكى كفّار مكّة فى النار حين قتلوا .

وفى أسباب النزول : للواحدى عن عائشة قالت : مرّ رسول الله ﷺ بقوم يضحكون فقال : لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بقوله : « وانّه هو أضحك وأبكى » فرجع اليهم فقال : ما خطوت أربعين خطوة حتى أتانى جبرئيل عليه السلام فقال : إئت هؤلاء وقل لهم : انّ الله عزّ

وجل يقول : « وانّه هو أضحك وأبكى » .

وفى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : لما نزلت هذه الاية على النبى ﷺ : « أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون » فما رؤى النبى بعدها ضاحكا حتى ذهب من الدنيا .

وفى أسباب النزول : للسيوطى عن إبن عباس قال : كانوا يمرّون على رسول الله ﷺ وهو يصلّى شامخين فنزلت : « وأنتم سامدون » .

وفى تفسير المراغى : وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى أن أوّل سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) فسجد رسول الله ﷺ وسجد الناس كلّهم إلاّ رجلا رأيته أخذ كفّاً من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو اميّة بن خلف .

أقول: وهذه مردودة وداخلة فى موضوعات العامّة . .

وذلك لانّ أول سورة أنزلت فيها سجدة (العلق) بالاتّفاق .

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو « هوى » وسائر الايات بالامالة اللطيفة وهى بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب ، وقرأ حمزة بالامالة المفرطة ، والباقون بالتفخيم للالف ، وقرء أبو جعفر « ما كذّب » بالتشديد والباقون بالتخفيف ، وقرء حمزة « أفتمرونه » ثلاثياً ، فالمعنى : افتجحدونه ، والباقون « أفتمارونه » بالالف فمعناه : أتجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما علمه وشاهده من الايات الكبرى وقرء على عليه السلام « جنّه المأوى » بالهاء يريد جنّ عليه فأجنّه الله أى ستره ، وقرء حمزة « ما زاغ البصر » بالامالة ، وقرء ابن عبّاس ومجاهد « اللات » بتشديد التّاء والباقون بالتخفيف ، وقرء ابن كثير « ومنآءة » بالمدّ والهمزة والباقون « مناة » بغير همزة ولا مدّ وقرء ابن كثير « ضئزاء » بالهمزة والباقون « ضيزى » بغير همزة

وقرء حمزة « كبير الاثم » بالافراد والباقون « كبائر الاثم » بالجمع ، وقرأ نافع « عادلّؤلى » مهموزة ساكنة والباقون « عاداً الاولى » منوّنة مهموزة غير مدغمة وقرأ عاصم وحمزة « وثمود فما ابقى » بغير تنوين والباقون « وثموداً » بالتنوين .

﴿ الوقف والوصل ووجههما ﴾

« هوى لا » لجواب القسم الاتى «غوى ج » للاية مع العطف على جواب القسم « عن الهوى ط » لتمام الكلام « يوحى لا » لربط الكلام بما قبله « القوى لا » لما تقدّم « ذو مرة ط » لتمام الصفة « فاستوى لا » لانّ الواو للحال « الاعلى ط » « فتدلى لا » لان مابعده من تمام المقصود « أو أدنى ج » وإن اتفقت الجملتان لانّ ضمير «فأوحى» الله لا للنبى ، « ما أُوحى ط» لتمام الكلام « اخرى لا » « المأوى ط» لانّ عامل « إذ » «زاغ البصر» فلا وقف على « ما يغشى » « العزى لا » للعطف الاتى « من سلطان ط » لتمام الكلام « الانفس ج » لاحتمال الواو الحال والاستئناف «الهدى ط » لانّ « أم » ابتداء استفهام انكار « ما تمنى ز» لتناهى الاستفهام والوصل أولى للفاء وإتصال المعنى ، « من علم ط » لتمام الكلام « الا الظنّ ج » لاختلاف الجملتين « شيئاً ج » لما تقدّم « الدنيا ط » لتمام الكلام « من العلم ط » لذلك « الارض لا » للتعليل الاتى « بالحسنى ج » لانّ الموصول الاتى يصلح أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف وبدلا من « الذين أحسنوا » ، « اللمم ط » لتمام الكلام « المغفرة ط » لذلك « امّهاتكم ج » «أنفسكم ط » « تولى لا » للعطف « موسى لا » لما تقدم « وفّى لا » للمنبأ عنه « ما سعى لا » للعطف « يرى ص » لوقوع العارض بين المعطوف على « الاوفى لا» « المنتهى لا » « ابكى لا » « احيا لا » « الانثى لا » لذكر مبدأ النشأة الاولى « تمنى ص » لما مرّ « الاخرى لا » للعطف « أقنى لا»

« الشعرى لا » « الاولى لا » « أبقى لا » كل ذلك للعطف ، « من قبل ط » لتمام الكلام « أطغى ط » لان المؤتفكة منصوب بما بعدها « أهوى لا » « ما غشى ج » لابتداء الاستفهام مع الفاء و« تتمارى ط » لتمام الكلام « الاولى ط » كما تقدم « الازفة ج » للاستيناف والحال و« تعجبون لا » « تبكون لا » للحال الاتى .



﴿ اللـغـة ﴾

١٩ ـ الوحي ـ ١٦٥٢

وحي يحي وحياً ـ من باب ضرب ـ : أشار وبعث وألهم وألقى إلى غيره .

أصل الوحي : الاعلام الخفيّ ويجيىء لما يأتي :

١ ـ يقال : وحىالله كذا إلى أحد عباده : قذفهفيقلبه وألهمهإيّاه ، ويكون ذلك في اليقظة أو في المنام .

٢ ـ يقال : وحى الله كذا إلى من يصطفيه من عباده : ألقاه إليه وبلّغه إيّاه على لسان بعض ملائكته أو بلا واسطة ، قال تعالى : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » النجم : ١٠) .

وقال تعالى: « ولاتعجل بالقرآن من قبلأنيقضى إليكوحيه » طه : ١١٤) .

وحيه : إلقاؤه اليه بوساطة الملك .

٣ ـ الوحي يطلق على الموحى وهو من إطلاق المصدر على المفعول .

قال تعالى : « قل إنما انذركم بالوحي » الانبياء : ٤٥) .

أوحى إيحاء يجيىء لما يأتي :

حسبما دلّ عليه قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من ورائي حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليّ حكيم وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » الشورى : ٥١ ـ ٥٢) .

١ ـ يقال : أوحى : اشار وأومأ وبعث ، تقول : أوحيت إليه أن إئتني .

٢ ـ يقال : اوحى اليه كذا : أسرّه إليه وأخفاه عن غيره ويجرى هذا فى الوسوسة بالشرّ تكون من الشيطان ومن يجرى مجراه لانها تكون فى خفاء .

قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبىّ عدوّاً شياطين الانس والجنّ يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ـ وانّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم » الانعام : ١١٢ ـ ١٢١) .

الايحاء هنا : الوسوسة بالشر وذلك بالوسواس المشار اليه بقوله : « من شرّ الوسواس الخنّاس » الناس : ٤) .

وقال رسول الله ﷺ : « وان للشيطان لمّة الخير» .

٣ ـ يقال : أوحى الله إلى بعض خلقه شيئاً : الهمه إيّاه ، ويكون هذا لغير العاقل من الحيوان أو يهديه الله لما يصدر عنه من فعل فيه حياته وصلاحه .

قال تعالى : « وأوحى ربّك إلى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً » النحل : ٦٨) .

وقد يكون فيه دقّة وحذق ، وقد يعبّر عن هذا بالتسخير .

٤ ـ يقال : أوحى الله الى السماء والارض والجماد كذا : سخّره لها وأجراه عليها ، كأنما ألقى اليها امراً فامتثلته .

قال تعالى : « فقضاهنّ سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء امرها » فصّلت : ١٢) الوحى هنا للتسخير اى سخّر كل سماء لما يراد منها .

٥ ـ يقال : اوحى الله الى من يصطفيه من عباده أمراً : القاه اليه وبلّغه إياه وهذا الوحى يكون للملائكة وللرسل من البشر يكون بوساطة الملك وقد يكون بغير وسيط كأن يقع بالالهام أو بالرؤيا ، أو يسمع كلاماً من غير حرف ولاصوت وقد يكون لغير الرسل من البشر بوساطة رسول منهم .

قال تعالى : « إذيوحى ربك الى ـ الملائكة انى معكم » الانفال : ١٢) .

وقال : « إنّا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده » النساء : ١٦٣) .

وقال: « وجعلناهم ائمّة يهدون بأمـرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات » الانبياء: ٧٣).

وقال: « وأوحينا الى امّ موسى ان إرضعيه » القصـص: ٧)، الايحاء: هنا: الالهام.

وقال: « وإذ أوحينا الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى » المائدة: ١١١).

الايحاء هنا: الاعلام بوساطة الرسل.

وحـّاه توحية ـ مـن باب التفعيل ـ: عجـّله. توحاه توحياً ـ استعجل وأسرع، **وتواحوا** تواحياً: وحّى بعضهم بعضاً.

استوحاه إستيحاء: حركه واستصرخه ودعاه ليرسله الوحـى: الصوت يكون فى الناس وغيرهم، الوحى: السيد الكبير، الوحى: النار، الوحى الملك وحاة الرعد: الصوت الممدود الخفىّ.

فى المفردات: اصل الوَحى: الاشارة السريعة وليتضمّن السرعة، قيـل: أمر وحى، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التركيب وباشارة ببعض الجوارح وبالكتابة وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا: « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبّحوا بكرة وعشياً » فقد قيل: رمز وقيل: اعتبار وقيل: كتب.

ويقال للكلمة الالهية التى تلقى الى انبياءه وأولياءه وحى، وذلك اضرب حسبما دلّ عليه قوله: « وما كان لبشر أن يكلّمه الله الاّ وحياً ـ الى قوله ـ باذنه ما يشاء ».

وذلك إمّا برسول مشاهد ترى ذاته ويسمع كلامه: كتبليغ جبرئيل عليه السلام للنبى فى صورة معيّنة، وإمّا بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله.

وإمّا بالقاء فى الرّوع كما ذكر ﷺ: « ان روح القدس نفث فى روعى».

وإما بالهام نحو: « وأوحينا الى امّ موسى ان ارضعيه »،

وإمّا بتسخير نحو قوله : « وأوحى ربّك الى النحل » .

أوبمنام كما قال صلى الله عليه وآله : « إنقطع الوحى وبقيت المبشّرات رؤيا المؤمن » .

فالالهام والتسخير والمنام دلّ عليه قوله : « إلاّ وحياً » وسماع الكلام معاينة دلّ عليه قوله : « أو من وراء حجاب » وتبليغ جبرئيل فى صورة معيّنة دلّ عليه قوله : « أو يرسل رسولا فيوحى » .

وفى النهاية : وفى حديث الحارث الاعور : « قال علقمة : قرأت القرآن فى سنتين ، فقال الحارث : القرآن هيّن الوحى أشدّ منه » أراد بالقرآن القراءة وبالوحى الكتابة والخطّ .

وانما المفهوم من كلام الحارث عند الاصحاب شيء تقوله الشيعة : انّه أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وآله شيء فخصّ به أهل البيت .



٣٥ـ الدنو و الدنيـا ـ ٤٩٤

دنا منه يدنو دنوا ودناوة واوىّ ـ من باب نصر، نحو دعا ـ : قرب .

الدنو : القرب بالذات أو بالحكم ، ويستعمل فى المكان والزمان والمنزلة فهو دان .

قال الله تعالى : « ثم دنا فتدلّى » النجم : ٨) .

وقال : « وجنى الجنتين دان » الرحمن : ٥٤) أى قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع ولا يردّ أيديهم عنه شيء .

وادنى : اكثر دنوا وهو اسم تفضيل جمعه ادان وأدنون .

قال تعالى : « فكان قاب قوسين أو أدنى » النجم : ٩) .

وقال : « غلبت الروم فى أدنى الارض » الروم : ٢ ـ ٣) .

والادنون : أقرب العشيرة نسباً .

ويعبّر بالادنى تارة عن الاقل فيقابل بالاكثر، قال تعالى : « ولا ادنى من ذلك ولا أكثر إلاّ هو معهم أينما كانوا » المجادلة : ٧) .

وقال : « انّ ربّك يعلم انّك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه » المزمّل : ٢٠) .

وفى الحديث : « ادنى من صداقها » اى اقل من مهرها .

وفى حديث الجنّة : « وانما فيهم ادنى » اى اقل رتبة .

ويعبّر تارة عن الاصغر فيقابل بالاكبر نحو قوله تعالى : « ولنذيقنّهم من

العذاب الادنى دون العذاب الاكبر » السجدة : ٢١) .

وتارة عن الارذل فيقابل بالخير كقوله تعالى : « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير » البقرة ٦١) .

الدنىّ : الساقط والضعيف والخسيس ، الدنيّة : خصلة ذميمة .

وفى الحديث : « ان المنيّة قبل الدنيّة » يعنى الموت خير للانسان من الاتيان بخصلة مذمومة .

الدنّية: النقيصة، الدنيء : حقيرالقدر ويقابل بهالسيء يقال:دنيءبيّن الدنائة .

الدنيا: مؤنّث الادنى جمعها دنى ، الدنيا : مقابل الاخرة سميت بذلك لقربها وتقدمها عليها ودنائتها ونقص نعمتها تجاه نعم الاخرة .

والدنيا : صفة الحياة وهى التى تسبق الاخرى وقد يحذف الموصوف ، وجاء لفظ الدّنيا مراداً بها مؤنّث ادنى بمعنى اقرب فيقابل بالاقصى كقوله تعالى : « إذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى » الانفال : ٤٢) .

وقال : « انّا زيّنا السّماء الدنيا بزينة الكواكب » الصافات : ٦) ، لقربها من ساكنى الارض .

وجائت بمعنى الحياة التى تسبق الاخرى فتعبّر عن الاول ويقابل بالاخر قال: « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزى فى الحياة الدنيا » البقرة : ٨٥) .

وقال : « خسر الدنيا والآخرة » الحج : ١١) .

دنى يدنى دنا ودناية ـ من باب علم نحو رضى ـ : صار دنيا .

دنّاه تدنية : قرّبه ، وفى الامور : تتبّع صغيرها و كبيرها .

دانى القيد مداناة : ضيّقه وبين الامرين : قارب .

تدنى تدنّيا : دنا قليلا قليلا ، تدانى القوم : قرب بعضهم من بعض ، ادّنى : اقترب ، استدناه : طلب منه الدنوّ .

فى الصحاح : الدنيا نقيض الآخرة ، قال سيبويه : إنقلبت واوها ياء ، لان

ُفعلى إذا كانت إسماً من ذوات الواو أبدلت واوها ياء كما ابدلت الواو مكان الياء في فعلى فادخلوها عليها في فعلى ليتكافيا في التغيير .

وفى النهاية : فى الحديث : « إذا أكلتم سمّوا الله ودنّوا وسمّتوا » أى اذا بدأتم بالاكل كلوا مما بين أيديكم وقرب منكم ثمّ ادعوا للمطعم بالبركة .

وفى حديث الحج : « الجمرة الدنيا » أى القريبة الى منى .

وفى اللسان : دنت الشمس للغروب وأدنت : قربت ، والعذاب الادنى كلما يعذّب به فى الدنيا .

وفى المحكم : دنا : طلب أمراً خسيساً ، قال تعالى : « أتستبدلون الذى هو أدنى » أى أخس .



٢٨ - التدلى و الدلو - ٤٨٧

دلى يدلى دلى يائى - من باب علم ، نحو رضى - : تحيّر وتواضع .

تدلّى به تدلّيا : اذا قرب بعد علو .

قال الله تعالى : « ثم دنا فتدلّى » النجم : ٨) مع اختلاف بين اللغويين فى كونه يائيّاً أو واويّاً .

وفى حديث : « تطأطأت لكم تطأطؤ الدّلاء » أى تواضعت لكم وتطامنت كما يفعل المستقى بالدلو .

دلا زيد فلاناً من سطح بحبل يدلوه دلوا واوى - من باب نصر ، نحو دعا - : ارسله فتدلى .

تدلى : انحطّ ونزل من علو الى أسفل ، تدلى الثمر من الشجر : استرسل وتعلّق ، ويقال : أدلى دلوه : انزلها فى البئر يستقى بها .

الدلو : وعاء يخرج به الماء من البئر وغيرها ، وجمعه القلّة : أدل اصله : ادلو فأبدلت الواوياء لوقوعها طرفاً بعدضمّة ثم حذفت وجمعه الكثرة : دلاء ودلى ودلىّ ودلى الدّلاة : دلو صغيرة جمعها : دلوات .

قال تعالى : « فأدلى دلوه » يوسف : ١٩) .

وأدلى بمال الى الحاكم : دفعه اليه ، قال تعالى : « ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام » البقرة : ١٨٨) أى لا تدفعوا أموالكم الى الحكام

على سبيل الرشوة .

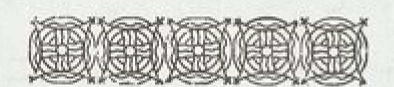
وأدلى برحمه : توسّل بقرابته وبحجّته : احضرها واحتجّ بها ، دلاّه بغرور: اطمعه في غير مطمع ، أو دلاّه من دلّله : بمعنى جرّأه على ما لا ينبغي .

قال تعالى : « فدلاّهما بغرور » الاعراف : ٢٢) ، دالاه مدالاة : رفق به وداراه . ادلو لي : اسرع .

في المفردات : دلوت الدلو : اذا ارسلتها وأدليتها اى اخرجتها ، قال تعالى « فأدلى دلوه » واستعير للتوصّل الى الشيء .

وفي اللسان : الدلو : السير الرفيق ، وقال الزجاج : معنى « دنا فتدلّى» : قرب وزاد في القرب كما تقول: قددنا فلان منّي وقرب ، دلوت الناقة والابل دلوا سقتها سوقاً رفيقاً رويداً . تدلّى اذا قرب بعدعلو وتدلّى: تواضع وداليته : داريته.

وفي القاموس وشرحه دلوت فلاناً : رفقت به وداريته وصانعته ، ودلوت بفلان اليك : استشفعت به اليك ، ودلي كرضي : تحيّر ، وتدلّى إذا قرب بعد علو وإذا تواضع .



٧٣ ـ القوب ـ ١٢٦٥

قاب يقوب قوبا ـ من باب نصر نحو قال ـ : اذا هرب وقرب فهو ضدّ ، وقاب الارض : حضرها على شبه التقوير ، قاب الطير : فلق بيضه .

القاب : المقدار ، قاب القوس : مابين مقبضه وطرفه .

قال الله تعالى : « قاب قوسين » النجم : ٩) اى طول قوسين أراد طول قابى قوس فقلب فانّ للقوس قوبين ، وقيل : قدر ذراعين وقيل : لاقلب بل المعنى : « قابا من كل قوس » فيكونان قابين أى انّ قوله « قاب قوسين » يساوى « قابى قوس ».

قوّب الرّجل الشيء : قلعه وقوّب الارض : اثّر فيها بالوطء تقوّب الشيء إنقلع من أصله .

انقابت بيضة بيضة بنى فلان عن امرهم : اذا بيّنوه .

اقتاب الشيء اقتيابا : اختاره .

فى اللسان قاب يقوب قوبا : إذا هرب وقاب الرجل : إذا قرب .

وتقول بينهما قاب قوس : قدر قوس ، ولكل قوس قابان وهما ما بين المقبض والسّية .

٧٥ ـ القوس ـ ١٢٦٧

قاس القوم يقوسهم قوسا ـ من باب نصر نحو : قال ـ سبقهم ، وقاس الشيء بغيره وعلى غيره : قدّره على مثاله كقاسه من اليائى قوس الشيخ يقوس قَوَسا ـ من باب علم ـ : انحن ظهره فهواقوس القوس مؤنّثة وقد تذكر وهى آلة نصف دائرة يرمى بها وهى أداة من أدوات الحرب والصيد تتكوّن من عود من الحطب المرن على شكل هلال يتّصل بطرفيه وترمادّة متينة مرنة ويرمى بنبلها الانسان والحيوان .

وكان الرمى بالسهام او النبال من اهم الفنون الحربية لدى العرب وكانوا يقدرون الاطوال بالقوس وقد يرون بها الذراع وقد فسّر بالمعنيين قوله تعالى : « فكان قاب قوسين أو ادنى » النجم : ٩) أى طول قوسين أو طول ذراعين ، الذراع قوس لانه يقاس به .

هذا اذا فسّرنا القاب بالمقدار أما اذا فسّرناه بقاب القوس وهو مابين مقبضه وطرفه فيتعين ان يكون المعنى « قوسين » لا ذراعين .

وقوس قزح : الخطّ المنعطف فى السماء على شكل القوس .

ومقوس بكسر الميم : وعاء القوس .

فى المفردات : الحبل الذى على هيئة قوس فيرسل الخيل من خلفه ، التقوّس الانحناء .

٢٦ - المراء و المماراة - ١٤٢٤

مرى زيد ناقته يمريها مريا - من باب ضرب نحو رمى - : مسح ظهرها وضرعها ليخرج لبنها وتدر، ومرت الريح السحاب : استدرّت، ومرى الشيء : استخرجه .

شبّه به الجدال لان كلاّ من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الاخر ليلزمه الحجّة و كأنّهما يتحالبان : يحلب كلّ منهما صاحبه .

يقال : ماراه في خبره مراء ومماراة : جادله فيه وناظره بردّه عليه وطلب اليه الحجّة عليه اذا كان غير مقنع به شاكّا فيه ، تمارى في الخبر : تشكك وتردّد فيه .

قال الله تعالى : « أفتمارونه على ما يرى » النجم : ١٢) .

وقال : « فلا تمار فيهم الاّ مراءاً ظاهراً » الكهف : ٢٢) .

وفي الحديث : « لا تماروا في القرآن فان مراءاً فيه كفر » .

وقد يضمن معنى التكذيب فيتعدّى بالباء فيقال : تمارى بالخبر .

قال تعالى : « فبأيّ آلاء ربك تتمارى » النجم : ٥٥) .

إمترى في الشيء : شك فيه وقد يضمن معنى التكذيب فيتعدّى بالباء فيقال امترى بالشيء ، قال تعالى : «إنّ هذا ما كنتم به تمترون » الدخان : ٥٠) .

المرية : الشك والتردد في الشيء وهو اسم مصدر من امترى .

قال تعالى : « فلا تك في مرية منه انه الحقّ من ربك » هود : ١٧) .

المريّ : الناقة الكثيرة اللبن ، المرأة الماريّة : بيضاء برّاقة ومارية قبطية

امّ ابراهيم بن رسول الله ﷺ أهداها له المقوقس .

والمريء : رأس المعدة والكرش اللازق بالحلقوم ومنه يدخل الطعام في البطن.

في المفردات : المرية : التردد في الامر وهو أخص من الشك والامتراء ، والمماراة : المحاجّة فيما فيه مرية .

في التهذيب : جمع المرآة : مراء والعوام يقولون في جمعها : مرايا وهو خطأ .

وفي الاساس : مرى الفرس يمري : قام على ثلاث وهو يمسح الارض بالرابعة وهو من احسن أوصافه .

وفي القاموس وشرحه : المرايا : العروق التي تمتلىء وتدر باللبن تمرى به : تزيّن

٢٧ ـ السدرة ـ ٦٨٦

سدر الرجل يسدر سدرا وسدارة ـ من باب علم ـ : تحيّر ، وسدر البعير : تحيّر بصره من شدّة الحرّ فلم يكد يبصر .

سدر الرجل ثوبه يسدره سدرا وسدورا ـ من باب ضرب ـ شقّه وأرسله طولا ، وتسدر بثوبه : اذا تجلّل ، وسدرت المرأة شعرها : أرسلتها ، انسدر يعدو : انحدر واستمرّ ، السادر : المتحيّر والذاهب عن الشيء ترفّعاً عنه والذى لايهتم ولا يبالي بما صنع ، يقال : تكلّم سادرا : غير متثبّت ولا متشتّت في كلامه .

السدير : منبع الماء وسدير النخل : سواده ومجتمعه ، الاسدران : المنكبان وفي حديث الحسن : « يضرب أسدريه » اى عطفيه ومنكبيه يضرب بيديه عليهما .

السدرة : هي شجرة النبق وهي شجرة شائكة لها ثمر فيه حلاوة ولها ورقة عريضة مدوّرة وللثمرة طيب ورائحة يفوح فم آكلها وثياب ملابسها كما يفوح العطر ، ولنوع من السدرة لا شوك لها وليس لها حلاوة وطيب ورائحة كالسابقة .

وجمع السدر: سدرات بسكون الدال وكسرها وفتحها مع كسر السين في الجميع.

قال الله تعالى: « عند سدرة المنتهى ـ إذ يغشى السّدرة ما يغشى » النجم: ١٤ ـ ١٦).

وقال: « في سدر مخضود وطلح منضود » الواقعة: ٢٨ ـ ٢٩).

وفي حديث الاسراء: « ثم رفعت الى سدرة المنتهى ».

وفيه قال ﷺ «رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائماً يسبّح الله عز وجل».

السندرة: مكيال ضخم واسع ومنه قول على عليه السلام: « اكيلكم بالسّيف كيل السندرة ».

في المفردات: السدر: شجر قليل الغناء عند الاكل ولذلك قال تعالى: « وائل وشيء من سدر قليل » وقد يخضد ويستظل به فجعل ذلك مثلا لظلّ الجنة ونعيمها، قال تعالى: « في سدر مخضود » لكثرة غناءه في الاستظلال.

وقوله تعالى: « اذ يغشى السدرة ما يغشى » فأشار الى مكان اختص النبي ﷺ فيه بالافاضة الالهيّة و الآلاء الجسيمة.

وفي النهاية: سدرة المنتهى: شجرة في أقصى الجنّة اليها ينتهي علم الاوّلين والاخرين ولا يتعدّاها.



٤٠ ـ الزيـغ ـ ٦٥٧

زاغ يزيغ زيغا وزيغانا وزيوغاوزيغوغة ـ من باب ضرب نحو باع ـ : مال عن القصد .

قال تعالى:«فلمازاغوا أزاغ الله قلوبهم» الصف:٥) أى مالوا عن القصد والاستقامة.

الازاغة : الامالة فلماصرّوا على الزيغ والانحراف صرف الله قلوبهم وأمالها عن قبول الحق لصرف اختيارهم الى العمى والضلال فلمّا فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك .

وقال تعالى حكاية عن المؤمنين : « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هـديتنا » آل عمران : ٨) أى لا تصرفها عن الحق .

وزاغ البصر : انحرف عن قصد المرئى .

قال تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » النجم : ١٧) أى ما انحرف عن قصد المرئى ، وقال : « ام زاغت عنهم الابصار » ص : ٦٣) أى إنحرفت عن رؤيتهم .

وزاغ البصر:اضطرب و كلّ قال تعالى : « وإذ زاغت الابصار » الاحزاب: ١٠) أى اضطربت و كلّت خوفاً وفزعاً .

زيّغه : عوّجه ، تزيّغت المرأة : تبرّجت وتزينت وتلبست ، تزايغ : تمايل ومنه : تزايغت اسنانه أى تمايلت .

الزاغ : غراب صغير مال الى البياض لا يأكل الجيف جمعه زيغان .

فى المفردات: الزيغ : الميل عن الاستقامة ، والتزايغ : التمايل .

وفى اللسان : زاغت الشمس : مالت وزالت عن أعلى درجات إرتفاعها ، الزيغ الشك والحول والعدول عن الحق ، ومنه : «قتال أهل الزيغ » .

٥١ - اللات - ١٣٨٨

إختلفت اللغويّون في مبدأ اشتقاق اللات فمنهم من قال : انها مشدّدة من لتّ يلتّ لتا بمعنى دقّ ، ومنهم من قـال : انّها واوى من لات يلوت لوتا بمعنى اخبر بغير ما يسئل عنه ومنهم من قال : انّها يائيّ من لات يليت بمعنى كتم وحبس ومنهم من قال : انها من لوى يلوى بمعنى طاف لانهم كانوا يطوفون بهـا ، وغيرها من الاقوال لا دليل لها .

وعلى أى تقدير : ان اللات احد الاصنام الثلاثة التى كانت العرب يقدّسونها فـى الجاهليّة وهـى اللات والعزى ومناة وكانت اللات اشهر هذه الاصنام ذكـر جميعها في قوله تعالى: «أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الاخرى» النجم:١٩-٢٠).

والقائلون بالتشديد قالوا : سميت اللات كذلك لان رجلا كان يلت السويق عندها أى يخلطه فخفّف وجعل إسماً للصنم .

والطائفة الثانية قالوا : انها كانت تمثل الشمس وقـد ذكر اسمها كثيرا فـى النقوش النبطيّة .

وقال الاخرون : انّها كانت معبودة للمشركين الذين يتقرّبون بها الى الله سبحانه زلفى ويطوفون بها .

في المفردات: اللات والعزّى صنمان وأصل اللات : الله فحذفوا منـه الهاء وأدخلوا التاء فيـه وأنّثوه تنبيها على قصوره عن الله تعالـى وجعلوه مختصّا بما يتقرّب به الى الله تعالى فى زعمهم .

٢٢ ـ ضيزى ـ ٩١٤

ضأز يضأز ضأزاً وضازا ـ نحو سئل ـ : منع وجار .

يقال : ضأزت فلاناً عن حقّه : منعته عنه وجرت عليه .

الضيأر : المقتحم فى الامور ، وقسمة ضئوزى وضئازى : جائرة غير عدل .

ضاز الرجل تمرة يضوزها ضَوزاً ـ من باب نصر نحو قال ـ : اكلها ولا كها فى فمه وبلعها ، يقال : ضزت مال فلان : اكلته بالباطل ، بعير ضئوز : أكول .

ضاز الرجل فى الحكم يضيز ضيزا ـ من باب ضرب نحو باع ـ : جار فيه والضيز : الاعوجاج ، والضؤزة من الرجال : الحقير الصغير الشأن .

فترجع الموادّ الثلاثة الى معنى من المنع والمضغ والاقتحام ونحوها ومنه يجىء معنى الجور فى الحكم .

قال الله تعالى: « تلك إذن قسمة ضيزى » النجم : ٢٢) أى ناقصة جائرة وفاسدة :

٦٣ ـ التمنى ـ ١٤٦١

منى الله الشّىء يمنيه منيا ومنوا ـ يأتى من باب ضرب نحو رمى ـ : قدّره منى الله الانسان بحبّها : ابتلاه بحبّها ومناه لك مايسرّك : قدّره لك مايسرّك .

يقال : منيت بكذا و كذا : إبتليت به .

منى الانسان شيئاً وتمنّاه : القى فى قلبه وقوعه وقرّب اليه نيله حتى حدثته نفسه به ويكون ذلك فيما يحبّ ويشتهى ويغلب فى الشّهوات الباطلة .

قال تعالى : « أم للانسان ما تمنّى فللّه الاخرة والاولى » : ٢٤ ـ ٢٥) .

وتمنية الشيطان للانسان ان يوقع فى قلوبهم طول الحياة والنجاة من الحساب قال تعالى: « يعدهم ويمنّيهم ومايعدهم الشيطان إلاّ غروراً » النساء : ١٢٠).

تمنّى الرجل : كذب وأراد وقصد ، وفى رواية : « ما تمنّيت منذ اسلمت » أى ما كذبت . التمنّى : التكذّب تفعّل من منى يمنى إذا قدّر لان الكاذب يقدّر الحديث فى نفسه ثمّ يقوله .

المنية : ما يتمنّى . المتمنّيات : المرغوبات وما يتمنّى من الامور .

المنى : جمع المنية ، قال الامام على عليه السلام : « اشرف الغنى ترك المنى » وهو ما يتمنّاه الانسان ويشتهيه ويقدّر حصوله ، وإنّما كان أشرف لملازمة القناعة المستلزمة لغنى النفس وهو أشرف انواع الغنى ، و « منى الشهوات » : ما تقدر الشهوات حصوله .

المنى : القصد ، والمنى : الموت ، يقال : أنا راض بمنى الله أى قدره من الموت .

المنيّة : الموت ، لانها مقدّرة بوقت مخصوص ، جمعها : منايا .

المنى : الذى يكال به أو يوزن رطلان ، والتثنية : منوان ، والجمع : امناء .

تمنى الرسول أو النبى : رغبته فى نشر دعوته واستتباب ماجاء به ، والشيطان يلقى فى قلوب المدعوّين للايمان ويحال أن لا تتمّ أمنية الرسول أو النبى ، قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى إلاّ إذا تمنّى القى الشيطان فى امنيته » الحج : ٥٢) .

وتجمع الامنيّة على الامانىّ ، قال تعالى : « ليس بأمانيّكم ولا أمانىّ أهل الكتاب » النّساء : ١٢٣) أمانيّهم انّهم لا يعذّبون ولا يحاسبون . . .

منى الرجل أو المرأة : النطفة : قذفها وهبها من فرجه عند ثوران الشهوة بالجماع أوغيره وأمناها، كذلك قال تعالى: « ألم يك نطفة من منىّ يمنى » القيامة:٣٧).

التمنىّ : إذا استدعى وطلب خروج المنى .

مناة : صنم من صخرة كانت بين مكّة والمدينة يعبدها ثقيف وهذيل وخزاعة وغيرهم ، قال تعالى : « أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الاخرى » النجم : ٢٠) والهاء فيها للتأنيث والوقف عليها بالتّاء .

وقيل : كانت صنماً من حجارة في جوف الكعبة .

منى: موضع بمكة سمّى بذلك لما يمنى فيه من الدماء ، أى يراق ويصب أو لان الكبش منى به أى ذبح ، أو هو من قولهم : منى الله عليه الموت أى قدّره لانّ الهدى ينحر هناك .

فى المفردات : المنى : التقدير ، يقال: منى لك الماني : أى قدّر لك المقدر ومنه المنى الذى يوزن به فيما قيل ، والمنى للذى قدّر به الحيوانات ، قال : « ألم يك نطفة من منىّ يمنى ـ من نطفة تمنى » أى تقدّر بالعزّة الالهيّة ما لم يكن منه ، ومنه المنيّة وهو الاجل المقدّر للحيوان .

والتمنّى : تقدير شيء فى النفس وتصويره فيها ، وذلك قد يكون عن تخمين وظن ويكون عن رويّة وبناء على أمل لكن لمّا كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك فأكثر التمنّى تصوّر ما لا حقيقة له .

والامنيّة : الصورة الحاصلة فى النفس من تمنّى الشيء ، ولما كان الكذب تصوّر ما لا حقيقة له وإيراده باللفظ صار التمنّى كالمبدإ للكذب ، فصحّ أن يعبّر عن الكذب بالتمنّى .

وفى النهاية : فيه : « إذا تمنّى أحدكم فليكثر فانّما يسئل ربّه » .

التمنّى : تشهّى حصول الامر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون ، والمعنى : إذا سئل الله حوائجه وفضله فليكثر فانّ فضل الله كثير وخزائنه واسعة .

ومنه حديث الحسن : « ليس الايمان بالتحلّى ولا بالتمنّى ولكن ما وقر فى القلب وصدّقته الاعمال » أى ليس هو بالقول الذى تظهره بلسانك فقط ولكن يجب أن تتبعه معرفة القلب .

وفى الحديث : « البيت المعمور منى مكّة » أى بحذائها فى السماء يقال : دارى منا دار فلان : مقابلها .

ومنه حديث مجاهد : « أن الحرم حرم مناه من السموات السبع و الارضين السبع » أى حذاءه و قصده .

٤٦ - اللمم - ١٣٨٣

لمّ الشيء يلمّه لماً - من باب نصر نحو : مدّ - : جمعه وضمّه وأصلحه ولم يترك منه قليلا ولا كثيراً ،

قال الله تعالى : « وتأكلون التراث أكلا لما » الفجر : ١٩) .

ولمّ الله شعثه : جمع ما تفرّق من اموره وأصلحها وقارب بين شتيت أموره .
يقال: أكل الطعام أكلاً لمّاً أى ذا لمّ أى جامعاً لكل شيء .

وفى الدعاء : « اللهمّ المم به شعثنا » أى ضمّم متفرقتنا .

وفى حديث فاطمة عليها السلام : « فخرجت فى لمّة من نساءها » أى فى جماعة منهنّ .

اللمم : الصغائر من الذنوب . قال الله تعالى : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلاّ الّلمم » النجم : ٣٢) .

وفى الحديث : « انّ الّلمم ما بين الحدّين : حدّ الدنيا وحد الاخرة » أى صغائر الذنوب ليس عليها حدّ فى الدنيا ولا فى الاخرة .

وقال الشاعر : « واىّ عبد لك لا ألمّا » أى لم يرتكب صغيراً بجهالة ثم لم يندم ويستغفر ويتوب فيغفر له .

اللمم : مقاربة الذنب من غير مواقعة فيه . الّلمم : الجنون الخفيف أو طرف من الجنون يقرب من الانسان وفى الخبر : « لابن آدم لمّتان : لمّة من الملك ولمة من الشيطان » و « أصابه من الشيطان لمم » أى مسّ .

وفى الدعاء : « أعوذ بك من كلّ سامة ومن عين لامة » أى ذات لمم وهى

التى تصيب بسوء .

الملمة : النازلة من نوازل الدّهر . والملمّات : الشدائد ، ومنه الحديث القدسى : « ياموسى اتخذنى حصناً للملمّات » .

الالمام : النزول وقد ألمّ به : نزل به .

وفى النهاية : وفى حديث على عليه السلام : « ألا وانّ معاوية قاد لمّة من الغواة » أى جماعة .

١٤ ـ الكدى ـ ١٢٨٧

كدى بالعظم يكدى كدى ـ من باب علم نحو : رضى ـ : غصّ .

كدى الكلب كداً : نشب العظم فى حلقه ، و كدى الجرو : أخذه داء فأصابه منه قىء وسعال لا يبرىء منه حتى يكوى بين عينيه .

كدى المسك: لا ريح فيه ، ومسك كد و كدىّ: لا رائحة له ، يقال : كديت اصابعه : كلّت من الحفر، الكدية : قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس .

كدى يكدى كدياً ـ من باب ضرب نحو : رمى ـ : حبس وشغل وقلّ العطاء وقطع ، أرض كادئة : بطيئة الانبات .

أكدى اكداء : بخل عند السئوال ، يقال : أكدى فلان : أمسك من العطيّة وقطع ، اكدى المطر : قلّ ، اكدى العام : إذا جدب .

يقال : ما اكداك عنّى : ما حبسك وشغلك عنّى ، وأكدى المعدن : لم يتكوّن به جوهر، الكداء : المنع والقطع إسم من اكدى .

قال الله تعالى : « وأعطى قليلا وأكدى » النجم : ٣٤) .

أى قطع عطيته ويؤس من خيره من كدية الرّكية وهو ان يحفر الحافر فيبلغ الكدية وهى الصلابة من حجر أو غيره فلا يعمل معموله شيئاً فييأس .

وفى الدعاء : « وأكدى الطلب » أى تعسّر وتعذّر وانقطع .

في الحديث : « لمّا حفر مر بكدية » وجمعها : كدى نحو مدية ومدى .
كدّى - من باب التفعيل - : سئل فألح في المسئلة فهو مكدّ تكدى : تكلف وتسوّل ، الكادية : شدّ الدهر .

في المفردات: الكدية : صلابة في الارض يقال : حفر فأكدى إذا وصل الى كدية واستعير ذلك للطالب المخفّف والمعطى المقلّ .

٧١ - القنى و القنيا - ١٢٦٣

قنى الرجل يقنى قنا - من باب علم نحو رضي - : رضي وقنى الحياء : ازمه.
قنى الشي يقنيه قنيا - من باب ضرب نحو : رمى - إكتسبه .
يقال : قنى الغنم ونحوها : إتخذها لنفسه لا للتجارة والبيع .
أقناه الله تعالى : أرضاه أو أعطاه القنية - بكسر القاف وضمّها - وهي ما يقتنى مما يدّخره بعد الكفاية ولا يخرج من اليد في الغالب كالحيوان والديار والرياض.
قال الله تعالى : « وانّه هو أغنى وأقنى » النجم : ٤٨) أي امكنه وأعطاه زائداً على ما فيه غناءه مما يدّخره بعد الكفاية .
وقني الانف : إرتفع أعلاه ، إقتنى الحياء : لزمه .
قال عنترة : « فأقنى حياءك لا أباً لك واعلمى » .
قنيت الجارية - على المجهول - : منعت من اللعب مع الصبيان وسترت في البيت.
قاناه : خلطه ووافقه ، قناة الظهر : التي تنتظم الفقار .
القناة : هي الابار التي تحفر في الارض متتابعة ليستخرج ماؤها ويجرى فيها جمعها : قني وقناء وقنوات ، ومنه الحديث : « فيما سقت السماء والقنى العشر » و« الهدهد قنّاء الارض » أي عالم بمواضع الماء منها .
القناة - بكسر القاف - الجزاء و - بالفتح - : الرمح .

في المفردات: « أغنى وأقنى » أي أعطى ما فيه الغنى وتحقيق ذلك انه جعل

له قنية من الرضا والطاعة وذلك اعظم الغنائين وجمع القنية : قنيات .

وفى المجمع : اقنى الرجل بالحنّاء : أى حمّر لحيته بها خضاباً ، ومنه قنى الرجل لحيته بالخضاب تقنية ، والمرأة المقنية قيل : الماشطة التى تتولّى خضاب النساء وخدمتهنّ .

وفى الحديث : « يا ام عطية إذا قنيت الجارية فلا تغلى وجهها بالخزف » .

٣٠ ـ الازف ـ ٣٠

أزف الترحّل يأزف أزفا وازفا ـ من باب علم نحو : أمن ـ : اقترب ودنا .

أزف الرجل : عجل ، آزفة : اعجله ، الازفة : القيامة سميت بذلك لقربها ويوم الازفة هو يوم القيامة .

قال الله تعالى : « أزفت الازفة » النجم : ٥٧) أى دنت القيامة وقربت لان كل ما هو آت فهو قريب وان استبعد الناس مداها .

تآزف : تقارب خطوه ، تآزف القوم : تدانى بعضهم من بعض ، مكان متآزف ضيّق ، ووقت متآزف : ضيّق .

الازوف ـ بالتحريك ـ : سوء الخلق والعيش ، الازفى ـ كسكرى ـ السرعة والنشاط .

فى المفردات: أزف وأفد يتقاربان لكن أزف يقال اعتباراً بضيق وقت القيامة ويقال : أزف الشخوص ، والازف ضيق الوقت وسميت به لقرب كونها وعلى ذلك عبّر عنها بساعة .

قال تعالى : « وانذرهم يوم الازفة » .

٧٥ _ السمود و السمد _ ٧٣٤

سمد يسمد سموداً ــ من باب نصرـ : علا وتكبّر وغنّى ولها وسها ودأب وغفل فهوسامد ، يقال : سمدالرجل: إذا قام رافعاً رأسه ناصباً صدره تكبّراً ، سمد زيد: قام متحيّراً ، وسمد فىالعمل : دأبفيه، اسمدينا بالغناء : الهينا بها ،والسمود يكون حزناً وسروراً ، السمد : السير الدائم .

قال الله تعالى : « وأنتم سامدون » النجم : ٦١) أى مستكبرون ولاهون .

فى المفردات : السّامد : اللاهى الرافع رأسه من قولهم : سمد البعير فى سيره .

وفى النهاية : فى حديث على عليه السلام : « انّه خرج والنّاس ينتظرونه للصلاة قياماً فقال : مالى أراكم سامدين » .

السّامد : المنتصب إذا كان رافعاً رأسه ناصباً صدره أنكر عليهم قيامهم قبل أن يروا امامهم ، وقيل : السامد : القائم فى تحيّر ، ومنه حديث الاخر : « ما هذا السمود » هو من الاول ، وقيل : هو الغفلة والذهاب عن الشيء .

﴿ النحو ﴾

١ ـ (والنجم اذا هوى)

الواو للقسم ، و « النجم » مجرور بها متعلّق بالمحذوف ، و « إذا » ظرف عامله فعل القسم أى أقسم بالنجم وقت هويه ، و « هوى » فعل ماض فاعله الضمير المستتر فيه الراجع الى النجم .

٢ ـ (ما ضل صاحبكم وما غوى)

« ما » حرف نفى ، و «ضلّ » فعل ماض ، و « صاحبكم » فاعل الفعل والجملة المنفيّة جواب القسم ، « وما غوى » عطف عليها .

٣ ـ (وما ينطق عن الهوى)

عطف على جواب القسم ، و « عن » على بابها أى لا يصدر نطقه عن الهوى وقيل : هو : بمعنى الباء .

٤ ـ (ان هو الا وحى يوحى)

« ان » حرف نفى ، والضمير مبتدأ راجع الى ماكان يخبر به النبى ﷺ مما رآه ليلة الاسراء وقيل : الى القرآن الكريم ، « وحى » خبره ، و « يوحى » صفة للوحى على تقدير : يوحى اليه من الله تعالى .

٥ ـ (علمه شديد القوى)

« علّمه » فعل ماض ـ من باب التفعيل ـ الضمير راجع الى الصاحب فى موضع نصب على المفعول به الاول والمفعول الثانى محذوف ، و« شديد القوى » فاعل الفعل والجملة صفة ثانية للوحى أى علّمه إيّاه ، و« القوى » جمع القوّة .

٦ - (ذو مرة فاستوى)

« ذو مرّة » صفة لشديد القوى أو نعت من النبي ﷺ ، والفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب الافتعال وفي فاعله وجوه : الضمير راجع الى الله تعالى بناء على انّ فاعل « علّمه » هو الله تعالى عبّر عنه بشديد القوى ، وقيل: راجع الى جبرئيل عليه السلام على انّ فاعل التعليم هو جبرئيل عليه السلام وقيل: راجع الى النبي ﷺ والاول هو الصّواب .

٧ - (وهو بالافق الاعلى)

الواو للحال « هو » مبتدأ ، « بالافق » متعلّق بمحذوف وهو الخبر ، و« الاعلى » صفة للافق والجملة في موضع نصب على الحال من ضمير « استوى » ويحتمل أن يكون حالا من الصاحب .

٨ - (ثم دنا فتدلى)

« ثم » للتراخي ، « دنا » فعل ماض واويّ نحو: دعا ، وفاعله الضمير المستتر فيه الراجع إلى النبي ﷺ وقيل : إلى جبرئيل ، والفاء للتفريع ومدخولها ماض من باب التفعّل والفاعل هو الفاعل المتقدّم .

٩ - (فكان قاب قوسين أو أدنى)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض ناقص إسمه ضمير مستتر فيه راجع إلى النبي ﷺ ، و« قاب » فعل ماض واوي العين قلبت الواو ألفاً لفتح ما قبلها نحو : قال وفاعله الضمير المستتر فيه راجع إلى النبي ﷺ والجملة في موضع نصب خبر لكان ، و « قوسين » مفعول به لقاب ، و « أو » للابهام أي لو رآه الرائيّ لالتبس عليه مقدار القرب ويحتمل أن تكون بمعنى « بل » و «أدنى» افعل تفضيل على حذف « من » ومدخولها أي أدنى من ذلك حتى سكن روعه .

١٠ - (فأوحى الى عبده ما أوحى)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب الأفعال فاعله الضمير المستتر فيه الراجع إلى الله تعالى ، و« إلى عبده » متعلّق بفعل الايحاء والضمير راجع إلى

النبى ﷺ ، و« ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به ، و « أوحى » صلة على حذف العائد أى أوحاه إليه ، وقيل: مصدريّة ، فالمعنى: فأوحى إلى عبده وحياً.

١١ ـ (ماكذب الفؤاد ما رأى)

« ما » حرف نفى ، و« كذب » فعل ماض ، و « الفؤاد » فاعل الفعل ، و« ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به وقيل : على حذف الجار أى فيما و« رأى » صلة على حذف العائد أى رآه وأبصره.

١٢ ـ (أفتمارونه على ما يرى)

الاستفهام للانكار ، والفاء ، للتفريع ، و« تمارونه » فعل مضارع لخطاب الجمع من باب المفاعلة على حذف اللام وهى الياء لثقل الضمّة عليها فحذفت كسرة ما قبلها ونقلت الضمّة إلى ما قبلها فأصلها « تماريونه » والضمير فى موضع نصب مفعول به ، و« ما » موصولة و« يرى » صلة على حذف العائد أى على الذى يراه محمّد ﷺ ليلة الاسراء ويبصره .

ولا يخفى انّ الرؤية إذا تعدى إلى مفعول واحد فهى بمعنى الابصار ، يقال: رأيت أى أبصرت فلا تكون حينئذ من أفعال القلوب .

١٣ ـ (ولقد رآه نزلة اخرى)

الواو للقسم ، واللام للتوطئة ، و « قد » للتحقيق ، والضمير المستتر فى الفعل راجع إلى النبى ﷺ والضمير البارز فى موضع نصب راجع إلى الموصول المتقدم و « نزلة » منصوب على الظرف أى مرّة اخرى أو رؤية اخرى ، وقيل : منصوب على المصدر فى موضع الحال كأنّه قال : رآه نازلاً نزلة اخرى .

١٤ ـ (عند سدرة المنتهى)

« عند » ظرف لرأى اضيف إلى « سدرة » اضيفت إلى « المنتهى » وإضافة السدرة إلى المنتهى إمّا من إضافة الشىء إلى مكانه كما يقال : أشجار البلدة الفلانية فالمنتهى موضع لايتعدّاه ملك ولا يعلم وراءه أحد وإمّا من إضافة المحل إلى الحال

كما يقال : ظرف المداد أى سدرة هي محل إنتهاء الجنة وإمّامن اضافة الملك إلى مالكه كما يقال : دار زيد أى سدرة المنتهى إليه وهو الله فالاضافة للتشريف نحو : بيت الله .

١٥ - (عندها جنة المأوى)

« عندها » خبر مقدم ، و « جنّة المأوى » مبتدأ مؤخّر والجملة حال من السدرة قيل : ان الالف واللام نابت مناب الضمير أى مأواه

١٦ - (اذ يغشى السدرة ما يغشى)

« إذ » ظرف زمان لرآى و « يغشى » فعل مضارع فاعله الضمير المستترفيه راجع إلى الله تعالى ، و « السدرة » مفعول به و « ما » موصولة فى موضع نصب على المفعول به ، و « يغشى » صلة على حذف العائد .

١٧ - (ما زاغ البصر وما طغى)

« ما » حرف نفى ، و « زاغ » فعل ماض ، و « البصر » فاعل الفعل ، « وما طغى » عطف على ما قبله .

١٨ - (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)

« اللام » للتوطئة تدل على حذف القسم « الكبرى » مفعول لرأى وقيل : نعت لآيات ربه على حذف المفعول أى شيئاً من آيات ربّه . و « من » للتبعيض .

١٩ - (أفرأيتم اللات والعزى)

الهمزة للاستفهام الانكارى ، والفاء للتفريع والفعل ماض لجمع الخطاب ، « اللات » مفعول به الاول ، « والعزّى » عطف على تقدير : أفرأيتم جعلكم اللات والعزى بنات الله فحذف المضاف ثم المضاف اليه تبعاً للمضاف .

وقال إبن الانبارى فى البيان : « ألكم الذكر وله الانثى » مفعول ثان .

٢٠ - (ومناة الثالثة الاخرى)

الواو للعطف ، « مناة » علم لصنم ، و « الثالثة » **نعت** من مناة ، و « الاخرى » تأكيد لأنّ الثالثة لاتكون إلاّ اخرى .

٢١ ـ (ألكم الذكر وله الانثى)

الهمزة إستفهام إنكارى، و « لكم » متعلّق بمحذوف على الخبريّة، و « الذكر » مبتدأ، « وله الانثى » عطف.

٢٢ ـ (تلك اذاً قسمة ضيزى)

« تلك » مبتدأ و « إذاً » ظرف متعلّق بمحذوف، و « قسمة » خبره، و « ضيزى » نعت من « قسمة »، أى تلك القسمة التى قسمتم ـ من نسبة الاناث إلى الله سبحانه وإيثاركم بالبنين ـ قسمة غير عادلة.

٢٣ ـ (ان هى الا أسماء سميتمو ها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

« إن » حرف نفى « هىَ » مبتدأ راجع إلى الاصنام ـ اللات والعزّى ومناة ـ بما هى أصنام، و « أسماء » خبر المبتدأ، « سمّيتموها » فعل ماض لخطاب الجمع من باب التفعيل، ولم تحذف واو الجمع لاتصال الضمير البارز به والضمير فى موضع نصب على المفعول به، و « أنتم » تأكيد لضمير الفعل، « وآباؤكم » عطف على « أنتم » والجملة صفة للاسماء، و « ما أنزل » « ما » حرف نفى، و « إن يتبعون » « إن » حرف نفى ومدخولها فعل مضارع لجمع الغيبة من باب الافتعال، و « ما تهوى الانفس » « ما » حرف نفى و « الانفس » جمع قلّة من النفس، « ولقد جاءهم من ربهم الهدى » الواو للقسم، واللام للتوطئة، و « هم » فى موضع نصب مفعول به، و « الهدى » فاعل الفعل، وقيل : الجملة حاليّة وهى لا تنافى القسم.

٢٤ ـ (أم للانسان ما تمنى)

« أم » منقطعة والاستفهام إنكارىّ، و « للانسان » متعلّق بمحذوف خبر مقدّم و « ما » موصولة مبتدأ مؤخّر، و « تمنّى » فعل ماض من باب التفعّل على حذف العائد أى تمنّاه.

٢٥ - (فلله الاخرة والاولى)

الفاء للتفريع ، و « لله » متعلّق بمحذوف على الخبر ، و « الاخرة » مبتدأ ، و « الاولى » عطف .

٢٦ - (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

« كم » خبريّة تفيد التكثيرمحلّها رفع بالابتداء ، و« لاتغنى شفاعتهم » خبره وضمير الجمع باعتبار معنى الجمع فى « كم » ، و« شيئاً » مفعول به لفعل الاغناء أى لا تغنى شفاعتهم لهؤلاء المشركين عندالله شيئاً من الاغناء فى وقت من الاوقات و« لمن يشاء ويرضى » على حذف المفعول أى لمن يشاء شفاعته ويرضاها لأحد .

٢٧ - (ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى)

« ليسمّون » اللام للتأكيد ومدخولها فعل مضارع لجمع الغيبة من باب التفعيل ، وأصله : يسمّيون ، فثقلت الضمّة على الياء فنقلت إلى الميم بعدحذف كسرها ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين والجملة فى موضع رفع خبر لانّ ، و« الملائكة » مفعول به .

٢٨ - (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً)

« ما » حرف نفى « من » زائدة جاءت للتأكيد و « إن » حرف نفى .

٢٩ - فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل أمر من باب الافعال و« من » موصولة «تولّى» فعل ماض من باب التفعّل صلة الموصول ، و« لم يرد » فعل مضارع من باب الافعال مجزوم بحرف الجحد على حذف عين الفعل لالتقاء الساكنين .

٣٠ - (ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله و هو اعلم بمن اهتدى)

« ذلك » مبتدأ و « مبلغهم » خبره ، و « من العلم » متعلّق بالمبلغ ، وفى « أعلم » وجهان : أحدهما - : على أصلها من التفضيل فى العلم أى هو أعلم من

كل أحد بهذين الصنفين ، ثانيهما ـ : بمعنى عالم .

٣١ ـ (ولله مافى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا الحسنى)

الواو للحال والجملة الاولى حال من فاعل « أعلم » ، والمعنى : انّ ربك هو أعلم بالفريقين : الضالّين والمهتدين والحال انّه يملك مافى السّموات ومافى الارض فكيف يمكن ان لا يعلم بهم وهو مالكهم وتحتمل الواو إستينافاً للدلالة على انّ الامر بالاعراض عنهم لا لاهمالهم وتركهم سدى ، بل الله تعالى يجزى كلا بعمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

« ليجزى » فى اللام وجهان : أحدهما ـ : بمعنى « كى » أى و استقر لله ما فى السموات و ما فى الارض لكى يجزى ـ الخ . ثانيهما ـ : أن تكون لام القسم ، وقيل : على تقدير حفظ ذلك ليجزى وقيل : أعلمكم بملكه وقدرته ليجزى ، و « الذين » فى الموضعين فى موضع نصب على المفعول به ، و « بالحسنى » متعلّق بفعل الجزاء .

٣٢ ـ (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وهو أعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى)

« الذين » فى موضع نصب على البدل من « الذين » فى قوله تعالى : « ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » وقيل : على النعت وقيل : فى موضع رفع على الخبر أى هم الذين ، و « يجتنبون » فعل مضارع لجمع الغيبة من باب الافتعال ، و « كبائر » جمع كبيرة لانتهاء الجمع مفعول به لفعل الاجتناب ، « والفواحش » جمع فاحشة كذلك عطف ، « إلاّ اللمم » الاستثناء منقطع لانّ المعنى : لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر ، و « أجنّة » جمع جنين على جمع القلّة ، « فلا تزكوا » فعل مضارع مجزوم بالنهى من باب التفعيل أصله **تزكّيون** فحذفت النون بحرف النهى وحذفت الياء بثقل الضمّة عليها ونقلها بما قبلها بعد حذف الكسرة من الكاف وإلتقاء الساكنين بين الياء والواو .

٣٣ ـ (افرايت الذى تولى)

الفاء للتفريع ، و« الّذى » فى موضع نصب على المفعول به .

٣٤ ـ (واعطى قليلا واكدى)

الواو للعطف ، و« أعطى » فعل ماض من باب الافعال ، و« قليلا » مفعول به ، « وأكدى » عطف على حذف المفعول أى وأكداه .

٣٥ ـ (اعنده علم الغيب فهو يرى)

الاستفهام إنكارى ، و« عنده » متعلّق بمحذوف على الخبر، و« علم الغيب » مبتدأ والفاء للتفريع ومدخولها مبتدأ ، و « يرى » خبره على حذف المفعول ، أى يراه حاضراً .

٣٦ ـ (ام لم ينبأ بما فى صحف موسى)

فى « أم » وجهان : أحدهما ـ : منقطعة بمعنى « بل والهمزة » ، ثانيهما ـ : أن تكون متّصلة بمعنى « أى » لانّها معادلة للهمزة فى قوله تعالى : « أعنده علم الغيب » و« لم ينبّأ » فعل مضارع مجزوم بحرف الجحد من باب التفعيل ، و « صحف » جمع صحيفة والجمع باعتبار أجزائها وقطعاتها .

٣٧ ـ (وابراهيم الذى وفى)

الواو للعطف ، « إبراهيم » عطف على « موسى » ، « الذى » موصولة و« وفّى » فعل ماض من باب التفعيل صلة الموصول والجملة صفة لابراهيم عليه السلام على حذف المفعول به أى وفّاه .

٣٨ ـ (ألا تزر وازرة وزر اخرى)

فى موضع « ألاّ تزر » وجهان : الجرّ على البدل من « ما » فى قوله تعالى: « أم لم ينبّأ بما فى صحف موسى » والرفع على تقدير مبتدأ ، أى ذلك ألاّ تزر أو انّه لا تزر و« وزر » مفعول به وليس بمصدر كما توهم ورفع الفعل لان « أن » المدغمة بلا مخففة من الثقيلة وإسمها ضمير الشأن والجملة خبرها .

٣٩ ـ (وان ليس للانسان الا ما سعى)

« أن » مخفّفة من الثقيلة على حـذف إسمها و« ليس » الـخ خبرها ، ولها شرطان : أن تقع بعدفعل اليقين ونحوه وأن يكون خبرهاجملة ولا يجوز إفراده إلاّ إذا ذكر الاسم .

٤٠ ـ (وان سعيه سوف يرى)

« سعيه » إسم لحرف التأكيد ، و« سوف يرى » خبرلها « يرى » فعل مضارع مبنى للمفعول وفاعله النيابى ضمير مستتر فيه راجع إلى السعى .

٤١ ـ (ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

« ثمّ » للتراخى لما بين رؤية السعى والجزاء من التراخى ، و« يجزاه» فعل مضارع مبنىّ للمفعول من باب الافعال لتعديته الى المفعولين وفاعله النيابى ضمير مستترفيه راجع إلى الانسان والضمير البارز المتصل راجع إلى السعى أى يجزى الانسان عمله أى بعمله ، و « الجزاء » منصوب على المصدر ، و« الاوفى » نعت من الجزاء وقيل : إنّ « الجزاء » مفعول ليجزاه وليس بمصدر لانّه وصف بالاوفى وذلك من صفة المجزى به لا من صفة الفعل والصواب ما قدّمناه .

٤٢ ـ (وان الى ربك المنتهى)

عطف على السابق واللام نابت مناب الضمير أى منتهاه .

٤٣ ـ (وانه هو أضحك وأبكى)

«هو» ضميرفصل و« أضحك » فعل ماض من باب الافعال فاعله الضميرالمستتر فيه راجع إلى الله على حذف المفعول به ، أى اضحك من شاء و كذلك « أبكى » .

٤٤ ـ (وانه هو امات واحيى) .

عطف على الجملة المتقدمة والكلام هو الكلام .

٤٥ ـ (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى)

عطف على السابقة و « الذكر والانثى » بيان للزوجين .

٤٦ ـ (من نطفة اذا تمنى)

« من نطفة » متعلّق بقوله : « خلق » و « تمنى » فعل مضارع مبنيّ للمفعول، وفاعله النيابي ضمير مستتر فيه راجع إلى النطفة .

٤٧ ـ (و ان عليه النشأة الاخرى)

« عليه » متعلّق بمحذوف خبر لحرف التأكيد ، و « النشأة » إسم لها ، و « الاخرى » نعت للنشأة .

٤٨ ـ (وانه هو أغنى وأقنى)

عطف على السابقة مع جذف المفعول ، أى أغنى من شاء وأعطى القنية من أراد .

٤٩ ـ (وانه هو رب الشعرى)

عطف .

٥٠ ـ (وانه اهلك عاداً الاولى)

عطف و « عاداً » مفعول به ، و « الاولى » صفة لعاد ووصفوا بالاولى لانّ هناك عاداً ثانية هم بعد عاد الاولى .

٥١ ـ (وثموداً فما ابقى)

« ثموداً » منصوب بفعل دلّ عليه « فما أبقى » ، فالتقدير : وأغنى أو أهلك ثموداً فما أبقى وإنّما لم يجز ان يكون منصوباً بأبقى لأَنّ مابعد النفى لا يعمل فيما قبله .

٥٢ ـ (وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى)

عطف على « عاداً » وحذف المضاف إليه فى « من قبل » أى من قبل عاد وثمود ، و « أظلم » خبر لكانوا على تقدير : أظلم وأطغى من عاد وثمود .

٥٣ ـ (والمؤتفكة أهوى)

« المؤتفكة » منصوب لأنّه مفعول به لقوله تعالى : « أهوى » .

٥٤ ـ **(فغشيها ماغشى)**

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب التفعيل والضمير راجع إلى المؤتفكة ويحتمل أن يكون راجعاً الى الأمم السّابقة ، أى قراها ، و « ما » موصولة ، و « غشى » صلة الموصول على تقدير : ما غشاه إياها على حذف المفعولين ، والاول ضمير « ما » والثانى ضمير « المؤتفكة » أو إلى الأمم .

٥٥ ـ **(فبأى آلاء ربك تتمارى)**

الفاء للتفريع والجار والمجرور متعلّق بقوله : « تتمارى » وهو فعل مضارع من باب التفاعل ، و « آلاء » جمع إلى بمعنى النعمة .

٥٦ ـ **(هذا نذير من النذر الاولى)**

« هذا » مبتدأ ، و « نذير » خبره « من النذر » متعلّق بمحذوف وهو جمع النذير ، و « الاولى » نعت منه .

٥٧ ـ **(أزفت الآزفة)**

فعل وفاعل على طريق الاستيناف .

٥٨ ـ **(ليس لها من دون الله كاشفة)**

« لها » متعلّق بمحذوف وهو خبر « ليس » ، و « من دون الله » متعلّق بقوله : « كاشفة » وهى إسم « ليس » وفيها وجهان : أن تكون الهاء فيها للمبالغة كعلاّمة ونسّابة فالمعنى : ليس للآزفة من غير الله كاشف ، وان تكون مصدراً مثل العاقبة والعافية والخائنة ، أى ليس لها من غير الله كشف .

٥٩ ـ **(أفمن هذا الحديث تعجبون)**

الاستفهام توبيخىّ ، والفاء تفريعىّ ، والجار والمجرور متعلّق بقوله : « تعجبون » وهو فعل مضارع لجمع الخطاب ، أى أتعجبون من هذا البيان إنكاراً .

٦٠ ـ **(وتضحكون ولا تبكون)**

عطفان على « تعجبون » أى وتضحكون إستهزاء ولا تبكون إنزجاراً لما فيه من الوعيد والتوبيخ الشديد .

٦١ - (وانتم سامدون)

الواو للحال ، و « أنتم » مبتدأ ، و « سامدون » خبره ، والجملة فى موضع نصب على الحال :

٦٢ - (فاسجدوا لله واعبدوا)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل أمر لخطاب الجمع ، و « لله » متعلّق بقوله : « فاسجدوا » ، و « أعبدوا » عطف على حذف المفعول به أى اعبدوه .



« البيـان »

١ ـ (والنجم اذا هوى)

أقسم الله تعالى بالنجم حين هويّه وسقوطه لما فيه من الايات الدّالّة على القدرة الالهيّة ، ويظهر من التعليق انّ السقوط كان سقوطاً خاصّاً يجلب إليه الانظار.

٢ ـ ما ضل صاحبكم وما غوى)

إن تسئل : انّ الضلال والغواية واحدة فما فائدة قوله تعالى : « ما ضلّ صاحبكم وما غوى » ؟ .

الجواب : انّ بينهما فرقاً ، لانّ الضلال ضد الهدى : وهو الخروج والانحراف عن الصراط المستقيم ، والغى : ضدّ الرشد الذى هو اصابة الواقع ، قيل: قوله تعالى: « ما ضلّ صاحبكم » ردّ على قوم الكفّار القائلين بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله مجنون ، وقوله تعالى : « وما غوى » ردّ على القائلين منهم بأنه صلى الله عليه وآله شاعر ، و« صاحبكم » كناية عن النبىّ صلى الله عليه وآله .

وفى تعرّض عنوان المصاحبة تلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله خبراً وعلمهم بنزاهته صلى الله عليه وآله عمّا نسبوه إليه بالكليّة وفيه إيماء إلى أنّه صاحبكم لبث بينكم معاشراً لكم طول عمره وأنتم أعرف به قد وجدتموه على كمال العقل ورزانة من الرأى وصدق القول ومن كانت هذه صفته لايرمى بالجنون ، والاية هى المقسم عليها تبرئة لمقام النبىّ الكريم صلى الله عليه وآله أن يكون بمظنّة سوء أو بموضع تهمة .

٣ ـ (وما ينطق عن الهوى)

فى إيثار المضارع إستمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى إستمرار النطق عنه

وفيه إيماء بادامة النطق، وقيل: إنّ الاية رد على القائلين من الكفّار: انّ محمداً ﷺ كاهن.

٤ - (ان هو الا وحي يوحى)

«يوحى» صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي

وقيل: إنّ الاية تأكيد لما تقدّم: أي فلا هو ﷺ مجنون ولا شاعر ولا كاهن ولا قوله بقول مجنون ولا بقول شاعر ولا بقول كاهن.

٧ - ٥ (علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى)

بيان لما يوحى الله إلى النبي ﷺ وهو ﷺ في السماء ليلة الاسراء، الافق الاعلى كناية عن السماء، والمعلّم شديد القوى: ذوقوة شديدة هو الله تعالى على ما يظهر من السياق، وخاصّة قوله تعالى: «ثم دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى» وليس في وحي هذه السورة واسطة بين الموحى والموحى اليه، و«ذو مرّة» نعت من النبي ﷺ.

٨ - (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو ادنى)

تعني الايتان شدّة قرب النبي الكريم ﷺ، وغايته وكماله من الله جل وعلا وفي الابهام إيماء إلى نهاية التقرّب إلى الله تعالى ليس وراءه تقرّب ويظهر ذلك من قوله تعالى:

٩ - (فأوحى الى عبده ما اوحى)

العبد هنا كناية عن النبي الكريم ﷺ والتعبير عن رسوله ﷺ بعبده إشارة إلى تحلّيه بحلية العبودية وقيامه بلوازمها وهي وسيلة وحيدة للتقرب إلى الله جل وعلا بحيث إذا كملت كمل.

ولم يذكر الموحى لغاية ظهوره لانّ محمدا ﷺ لا يكون إلاّ عبداً له، والقول: برجوع الضمير إلى ما لم يسبق ذكره ناشيء عن جمود يوجب التوجه إليه جمودات مع إتفاق رجوع ضمير «عبده» إلى الله تعالى ولم يسبق ذكره.

١٠ - **(ما كذب الفؤاد مارای)**

الفؤاد : كناية عن القوّة الواعية المدركة فی الانسان ، وانّ الكذب كما يطلق على القول والحديث الذی يلفظه الانسان كذلك يطلق على خطأ القوة المدركة فيقال: كذبته عينه أی أخطأت فی رؤيتها و كذبه فؤاده أی أخطأ فی ادراكه.

فالاية تنفی الخطأ عن العين والفؤاد ، فمارآه النبی ﷺ ليلة الاسراء من آيات ربه الكبری بعينيه كانت حقاً وصدقاً ولم تكن عن تخيّل ولا عن كذب .

١١ - **(افتمارونه على ما يری)**

إستفهام توبيخیّ على المكذّبين بما أخبرهم به الرّسول ﷺ ممّا رآه ليلة الاسراء من آيات ربه الكبری ، وإحتجاج عليهم بأنّكم أتجادلونه فيما يراه من الاعيان الظاهرة على وجه الارض مثلكم ، فرؤيته آيات ربه الكبری ، وهو بالافق الاعلى كرؤيته الاعيان وهو بالارض بينكم .

١٣ - **(ولقد رآه نزلة اخری)**

تأكيد لصدق النبیّ الكريم ﷺ بما أخبر به على طريق قسم ربّانی وانه لم ير آيات ربه الكبری ليلة الاسراء مرّة واحدة حتی يجوز إحتمال الكذب فی رؤيته ، بل إنما رآها مرتين لايجوز إحتمال الكذب فيها .

١٤ - **(عند سدرة المنتهی)**

ظرف لمرئيّات النبی الكريم ﷺ ليلة الاسراء مرّتين ، وسدرة المنتهی هی التی ينتهی عندها التقدم والشوط لاتطرّق لاحد ورائها ولا يعلمها الاّ الله تعالى ، ويدل على ذلك قوله تعالى : « إذ يغشی السدرة مايغشی » .

١٥ - **(عندها جنة المأوی)**

تقرير لظرف الجنة وتحديد لها .

١٦ - **(اذ يغشی السدرة ما يغشی)**

فی إبهام الغشيان تفخيم وإيثار المضارع لحكاية الحال الماضية إستحضاراً

لصورتها البديعة وإيذاناً باستمرار الغشيان والاحاطة بطريق التجدد.

١٧ - (ما زاغ البصر وما طغى)

تقرير لما رآه النبي ﷺ به آيات ربه الكبرى، ودفع حمل الرؤية على رؤية القلب كما توهّم بعض من لا ذوق له في التفسير، وقلّده بعض الاخرين من غير تدبّر في سياق السورة وفي الروايات الواردة في المقام.

١٨ - (لقد رآى من آيات ربه الكبرى)

إشارة إلى بعض مشاهد النبي الكريم ﷺ مما رآه بالعيان ليلة الاسراء على طريق قسم ربّاني ورفع لما في قوله تعالى: « ما كذب الفؤاد ما رآى » من الابهام حتى توهّم بعض انّ النبيّ ﷺ رآى الله سبحانه تلك الليلة.

١٩ - (افرأيتم اللات والعزى)

توبيخ وتبكيت على طريق الاستفهام، والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ماذكر من شؤون الله تعالى المنافية لتلك الاصنام غاية المنافات على حذف المفعول لدلالة الحال عليه.

٢٠ - (ومناة الثالثة الاخرى)

« الثالثة » صفة تأكيد لانّها لما عطفت عليها علم أنّها ثالثتهما و «الاخرى» صفة ذمّ لها وهي المتأخّرة الوضعيّة المقدار لانّ الاخرى تستعمل في الضعفاء كقوله تعالى: « قالت اخراهم لاولاهم » الاعراف: ٣٨) أي ضعفاؤهم لرؤسائهم.

وقيل: « الاخرى » نعت للعزّى تقديره: أفرأيتم اللات والعزّى الاخرى ومناة الثالثة لانها ثالثة الصنمين في الذكر، وانّما أخّر « الاخرى » رعاية للفواصل.

٢١ - (ألكم الذكر وله الانثى)

توبيخ مبنيّ على التوبيخ الاوّل مشوب بالاستهزاء.

٢٢ - (تلك اذاً قسمة ضيزى)

إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهاميّة الاخيرة.

إن تسئل: لو قيل: « قسمة جائرة أو غير عادلة » بدل « قسمة ضيزى »

لتخلّص من غرابة اللفظ ؟

الجواب : إيثار أغرب اللفظين جائز مراعاة للفواصل وحفاظاً على النظم ، كقوله تعالى : « لينبذنّ في الحطمة » ولم يقل : في جهنّم .

وقوله : سأصليه « سقر » ، وقوله : « فأمّه هاوية » كلها رعاية للفواصل .

٢٣ - (ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

بيان لكونهم جائرين في تلك القسمة ، وتقرير لما كانوا عليه من إتخاذهم الاصنام معبودات من غير دليل وبرهان .

« إن يتبعون إلا الظّن » في الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إيذان بأنّ تعداد قبائحهم إقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم وجهلهم لغيرهم ، وبيان أخطّيئهم فهماً وفقدان استعدادهم من أن يخاطبوا بكلام برهانيّ ، وهم أتباع الظن والهوى ، وفي إيثار المضارع دلالة على استمرار هذا الجهل والاتباع .

« ولقد جاءهم من ربهم الهدى » هذا تأكيد لبطلان إتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان إتباعهما من أىّ شخص كان قبيحاً ، وممّن هداه الله تعالى بارسال الرسول ﷺ وإنزال الكتاب أقبح .

٢٤ - (ام للانسان ما تمنى)

« أم » للانقطاع ومعنى « بل » فيها للانتقال من بيان انّ ماهم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان انّ ذلك ممالا يجدى نفعاً أبداً وفي الاية تلويح بأن اتخاذهم الاصنام آلهة لهم لتمنّيهم بأن يكونوا شفعاء لهم يوم القيامة ولكن لن يشبع أحد بالتمنىّ ولا يملك به شيئاً .

٢٥ - (فلله الآخرة والاولى)

تعليل لانتفاء أن يكون للانسان ما يتمنّاه حتماً ، فاختصاص امور الاخرة والاولى جميعاً به تعالى مقتضى لانتفاء أن يكون للانسان أمر من الامور ، وفي تقديم الاخرة على الاولى وقد كان حسب الاصل هو العكس كما في قوله تعالى :

« وهو الله لا إله إلاّ هو له الحمد فى الاولى والآخرة » القصص : ٧٠)
مراعاة للفواصل .

٣٦ ـ (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

إقناط لهم عمّا علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم من شفاعة الاصنام بطريق الاولويّة ، فالاية سيقت لنفى أن يملك الملائكة من أنفسهم الشفاعة مستغنين فى ذلك عن الله جلّ وعلا كما يروم إليه عبدة الاصنام ، فان الامر إطلاقاً إلى الله تعالى فلايشفع شفيع إلاّ من بعد إذنه له فى الشفاعة ورضاه بها .

قيل : الفرق بين الاذن والرضا انّ الاذن إعلام إرتفاع المانع من قبل الآذن ، والرضا ملائمة نفس الراضي للشيء وعدم إمتناعها ، فربّما تحقق الاذن بشيء مع عدم الرضا ولا يتحقّق رضاً إلاّ مع الاذن بالفعل أو بالقوّة ، والآية تثبت الشفاعة للملائكة فى الجملة : وتقيّد شفاعتهم بالاذن والرضا من الله سبحانه .

٣٧ ـ (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى)

ردّ لقولهم بانوثيّة الملائكة بعد ردّ قولهم بشفاعتهم لهم وهم كافرون .

إن تسئل : كيف يصحّ أن يقال لهم : « لا يؤمنون بالآخرة » مع أنّهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاء عند الله يوم القيامة ويقولون : « وما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى » الزمر : ٣) ؟

الجواب : انّهم لما كانوا لايجزمون بيوم القيامة كانوا يقولون : لاحشر ولاحساب ، فلو كان بعث وجزاء فلنا شفعاء عند الله تعالى .

ويدلّ على ذلك قوله تعالى حكاية عن بعضهم : « وماأظنّ الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربّى انّ لى عنده للحسنى » فصّلت : ٥٠) .

و قيل : فى تعليق التسمية بعدم الايمان بالآخرة إشعار بأنّها فى الشناعة و الفظاعة وإستتباع العقوبة فى الاخرة بحيث لايجترىء عليها إلاّ من لا يؤمن بها رأساً .

٢٨ ـ (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئاً)

تسفيه لهم على إقامة دينهم على أساس الوهم وهوى النفس وإعراضهم عن الهدى والحق الذى جاءهم عن ربّهم ونهى عن إتباع الظن لانه يوجب الوقوع فى الباطل والفساد.

وقال تعالى: «انّ بعض الظنّ إثم» الحجرات: ١٢).

ولا يخفى انّ الآية تنفى حجّية الظن إطلاقاً، وأمّا العمل بالظن فى الاحكام العمليّة فانما هو لقيام دليل عليه يقيّد به إطلاق الآية وتبقى الامور الاعتقادية تحت إطلاق الاية، قيل: وضع الظاهر موضع المضمر فى قوله تعالى: «انّ الظنّ لايغنى» ليجرى الكلام مجرى المثل.

٢٩ ـ (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا)

تفريع على إتباعهم الظنّ وهوى النفس وفى وضع الموصول موضع ضميرهم للتوسّل به إلى وصفهم بما فى حيّز الصلة من الاوصاف القبيحة ولتعليل الحكم بها، أى فأعرض عمن أعرض عن ذكر المفيد للعلم الحق وهو القرآن الكريم المشتمل على بيان الاعتقادات الحقّة المنطوى على تبيان كل شيء من الامور التى يحتاج إليه الانسان فى الدنيا و الاخرة.

وفى ختام الاية تقرير بأنّ حبّهم الدنيا وإرادتهم إيّاها وإستغراقهم فى مطالبها وإنهماكهم فى شهواتها مانعة عن قبولهم الهدى وإيمانهم بالاخرة.

٣٠ ـ (ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى)

إشارة إلى أمر الدنيا وكونه مبلغ علمهم على طريق الاستعارة، فكأنّ العلم يسير الى المعلوم وينتهى إليه و انتهى علمهم فى مسيره إلى الدنيا وبلغها ووقف يسير عندها ولم يتجاوزها ولازم ذلك أن تكون الدنيا هى متعلّق إرادتهم وطلبهم وموطن همّهم وغاية آمالهم لايطمئنّون إلى غيرها ولايقبلون إلاّ عليها.

وتحتمل الاشارة إلى أمر الدين وإنّ الظن هو مبلغ علمهم فى أمر دينهم ، وقوله تعالى : « انّ ربّك هو اعلم ـ الخ » تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله : « هو أعلم » لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين ، وفى تعليل الأمر باعراضه ﷺ عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين على الله تعالى رمز إلى أنّه جل وعلا يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء وفيه من الوعد للمؤمنين والوعيد على المخالفين مما لايخفى .

٣١ ـ (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى)

بيان لكمال قدرته جل وعلا بعد بيان كمال علمه تعالى دلالة على إحاطته سبحانه بجميع الكون وما فيه ، وتقريراً لشمول علمه وحكمته وإحاطته بأحوال الناس منذ بدء خلقتهم ومعرفته محسنهم ومسيئهم وقدرته على جزاء كل منهم حسب عمله ، و وضع اسم « لله » الجلالة وهو الظاهر موضع الضمير للدلالة على كمال العظمة ، وصدر الاية إشارة إلى ملكه تعالى للكل ومعناه قيام الاشياء كلها به تعالى لكونه خالقهم الموجد لهم ، فالملك ناش من الخلق وهو مع ذلك منشأ للتدبير فالجملة دالّة على الخلق والتدبير ، كأنه قيل : « ولله الخلق والتدبير » .

وقوله : « ليجزى الذين أساؤا بما عملوا » اللام للغاية أى له الخلق والتدبير والغرض منه هو جزاء المسيئين بما عصوا ، وجزاء المحسنين بما أطاعوه .

وفى ايثار الموصول تسجيل عليهم بما فى حيّز الصّلة من الاساءة وفيه من تعليق الحكم على الوصف ما لا يخفى .

وقوله : « ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى » كما ذكر وتكرير « يجزى » لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء الذى ملاكه العمل أوّلا ، و التنبيه على تباين الجزائين ثانياً .

وفى الاية تهديد و وعيد للمسيئين و وعد للمحسنين ، وتضمن توكيد تقرير قابليّة الانسان للكسب ومسئوليته عن كسبه ومما لاريب فيه ان هذه التقريرات

والتوكيدات المتكررة مما يفيد فائدة كبيرة في تربية النفس وجعل المرء يفكر قبل إقدامه على أيّ عمل في عواقب ما هو مقدم عليه . .

٣٢ ـ (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى)

في إيثار المضارع مع الموصول دلالة على تجدد الاجتناب ، واستمراره لا مرّة واحدة .

إن تسئل : يمكن الاستظهار من الاية اتّحاد الفواحش مع الكبائر فكيف عطف أحدهما على الاخر والعطف يقتضي المغايرة ؟

تجيب : إذا قلنا : انّ العطف في المقام من باب عطف الخاص على العام فلا يضر بالاستظهار ، وقوله : « انّ ربّك واسع المغفرة » تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أنّ إخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوّه عن الذنب في نفسه ـ ومن هنا يجب ترك الاصرار به ـ بل لسعة المغفرة الربّانيّة ، وفيه إيماء إلى عدم يأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى وتطميعهم في التوبة رجاء المغفرة .

وقوله : « إذ أنشأكم ـ إلى امهاتكم » تقرير لما قبلها من إحاطة علمه تعالى ما ليس للانسان به من العلم وقوله : « فلا تزكّوا أنفسكم » الفاء لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من أنّ عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى لعلمه بصدوره عنكم ، وقوله : « هو أعلم بمن اتقى » مستأنف بياني لتعليل النهي عن التزكية وفي التعبير عن التزكية والتطهير بالتقوى ولم يقل : هو أعلم بمن تزكى الذي يقتضيه الظاهر اشارة إلى أن التقوى هو وسيلة التزكية فمن أراد أن يطهر نفسه ويزكّيها فلا سبيل له إلاّ بالتقوى .

وفي الاية تنويه بأصحاب الاعمال الحسنة الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش وتنديد بعقائد العرب الجاهلية وإتباعهم الظن والهوى وتبجحهم بأنّهم وتزكيّة النفس بغير حق وفيها تلقين جليل في صدد تربية النفس وجعل صاحبها

يعرف حدوده ويعرف انّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية فتنزعه هذه المعرفة عن الخيلاء والغرور وتبعده عن الخداع والتضليل .

٣٣ - ٣٥ (افرايت الذى تولى واعطى قليلا واكدى اعنده علم الغيب فهو يرى)

تنديد بالمتولى المتباخل وتوبيخ عليه لما كان عليه من الاعراض والاكداء.

٣٦ - ٣٧ (ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى)

فى تخصيصهما بالذّكر لاحتمالهما ما لم يتحمله غيرهما من صبر موسى عليه السلام على عبدة العجل وصبر إبراهيم عليه السلام على نار نمرود ويحتمل أن يكون ذلك لانّ المشركين كانوا يدّعون انّهم على شريعة أبيهم إبراهيم عليه السلام وأهل الكتاب كانوا يدّعون انهم متّبعون لما فى التوراة وصحفهما قريبة العهد منهم وجمع الصحف باعتبار كثرة أجزاءه أو باعتبار صاحبيه موسى وابراهيم عليهما السلام وفى تقديم موسى عليه السلام لشهرة كتابه التوراة عندهم ويحتمل أن يكون التقديم لرعاية الفواصل.

٣٨ - (الا تزر وازرة وزر اخرى)

تقرير لما فى صحف موسى وابراهيم عليهما السلام وبيان لقابليّة الانسان للكسب والاختيار والسعى ومسئوليته عن كسبه واختياره واستحقاقه الجزاء على ذلك وفاقاً لما يكون فيه من خير وشرّ ونفع وضر وهدى وضلال وفى هذا من تقوية الوازع الذاتى فيما يباشره الانسان من عمل وفى عواقبه .

٣٩ - (وان ليس للانسان الا ما سعى)

بيان لعدم إنتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه إثر بيان عدم إنتفاعه به من حيث دفع الضرر ، واللام فى قوله تعالى : « للانسان » للملك الحقيقى الذى يقوم بصاحبه قياماً باقياً ببقائه يلازمه ولا يفارقه بالطبع وهو الذى يكتسبه الانسان بصالح العمل أو طالحه من خير أو شرّ وامّا ما يراه الانسان مملوكا لنفسه وهو فى ظرف الاجتماع من مال وبنين وجاه وما إليها من زخارف الحياة الدنيا وزينتها فكل ذلك من الملك الاعتبارى الوهمى الّذى يصاحب

الانسان مادام فى دار الغرور ويودّعه عند الانتقال إلى دار الخلود .

إن تسئل: ومن المعلوم مشروعيّة النيابة فى الصلاة والصوم والحج والزّيارة والصدقة عن الميّت وما إليها من صالح الاعمال المهدى ثوابها إلى الاموات وانّ لهم من ذلك اجراً وهم لم يسعوا فيها وانّ الاية الكريمة تنفى الثواب إلاّ ما باشره الانسان ؟ .

تجيب : انّ سعى غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ، ولكن إذا نوى البدليّة والنيابة عن الميت فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والقائم مقامه ، وللنائب من الاجر تسعة أجزاء وللمنوب عنه جزء واحد ، وقد وردت بذلك روايات كثيرة . . كل ذلك إذا كان النائب والمنوب عنه غيرخارجين عن دائرة الايمان وإلاّ فلن تنفع الصدقة من مات كافراً . .

فكما انّ الله تعالى لا يحمل أحداً مسئولية عمل صدر من غيره فلا ينبغى لاحد أن يحمل شخصاً مسئوليّة عمل صدر من شخص آخر إذا لم يكن له صلة ما بهذا العمل ظاهرة أو باطنة .

٤١ ـ ٤٠ (وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

فى بناء «يرى» للمفعول إشعار بأن هناك من يشاهد العمل وهو غير عامله ، وفى التراخى اشعار بأنّ بين رؤية العمل وجزاءه زماناً فاصلا ، وفى الايتين وعيد شديد للعصاة والكافرين ، ووعد لاهل التقوى واليقين .

٤٤ ـ ٤٢ (وان الى ربك المنتهى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى)

فى الآية الاولى تهديد بليغ للمسىء وحثّ شديد للمحسن وتسلية لقلب النبىّ الكريم ﷺ ، كأنه قيل : لاتحزن أيّها الرسول فانّ كل شىء موجود ينتهى وجوده وآثار وجوده إلى الله تعالى بلاواسطة أو مع الواسطة وليس فى العالم أمر من التدبير والنظام الجارى جزئيّاً او كلّيّاً إلاّ وينتهى إليه جلّ وعلا ، إذ ليس التدبير الجارى بين الأشياء إلاّ الروابط الجارية بينها القائمة بها ، وموجد

الاشياء هو الموجد لروابطها المجرى لها بينها ، فالمنتهى المطلق لكلّ شيء هو الله تعالى ، وفي الآيتين الاخيرتين تقرير لبعض موارد من انتهاء الخلق والتدبير الى الله تعالى .

٤٥ - (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى)

إن تسئل : انّ الله قال : « وانّه خلق » ولم يقل : « وانه هو خلق » كما قال : « وانه هو أضحك وأبكى - وانه هو أمات وأحيى » :

تجيب : لانّ الضحك والبكاء ربّما يتوهّم متوهّم انهما بفعل الانسان ومثلها قوله تعالى : « وانه هو أمات وأحيى » وفي الاماتة والاحياء وإن كان ذلك التوهم بعيداً لكن ربّما يقول به جاهل كما قال من حاجّ إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال : «أنا احيي واميت » فأكد ذلك بذكر الفصل ، وأمّا خلق الذكر والانثى من النطفة فلا يتوهم أحد أن يفعله أحد من الناس فلم يؤكّد بالفصل ، و« الذكر والانثى » بيان للزوجين .

٤٦ - (من نطفة اذا تمنى)

في التعليق ما لايخفى على القارئ الخبير .

٤٧ - (وان عليه النشأة الاخرى)

إشارة إلى الخلقة الاخرى الثانية في الدار الآخرة .

٤٨ - (وانه هو اغنى واقنى)

وذكر « أقنى » بعد «اغنى» من قبيل التعرّض للخاص بعد العام لنفاسته وشرفه هذا بناء على أنّ القنية : هي مايدوم من الاموال ويبقى ببقاء نفسه كالدار والبستان والحيوان وما إليها . . .

٤٩ - ٥٤ (وانه هو رب الشعرى - فغشيها ما غشى)

تقرير لبعض موارد اخر من إنتهاء الخلق والتدبير إلى الله تعالى، وفي الجملة الاخيرة من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه .

٥٥ ـ (فبأى آلاء ربك تتمارى)

تفريع على ما تقدّم ذكره مما ينسب اليه تعالى من النعم والنقم ، أمّا النعم فنعم وأمّا النقم فلما فيها من المزاجر والمواعظ ولما فيها من الدخل فى تكوّن النظم الاتمّ الذى يجرى فى العالم وتنساق بـه الامور فـى مرحلة إستكمال الخلق ورجوع الكل إلى الله تعالى والاستفهام للانكار والخطاب للنبى الكريم ﷺ على طريقة قوله تعالى : « لئن أشركت ليحبطنّ عملك » من باب إيّاك أعنى واسمعى يا جارة ، أو لكل أحد ممن يليق أن يخاطب له ، واسناد فعل التمارى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلّقه .

٥٦ ـ (هذا نذير من النذر الاولى)

وفى التنكير تفخيم .

٥٧ ـ (أزفت الازفة)

« الازفة » كناية عن يوم القيامة حيث تتضمّن معنى القريبة .

٥٨ ـ (ليس لها من دون الله كاشفة)

تأكيد على طريق الوصف ، وقيل : على طريق الحال .

٥٩ ـ ٦١ (أفمن هـذا الحديث تعجبون و تضحكون ولا تبـكـون وأنتم سامدون)

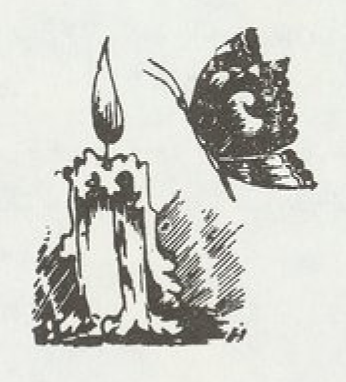
تفريع على ما تقدّم من البيان والاستفهام للتوبيخ والخطاب تنديدى موجّه إلى الكفّار بسبب مقابلتهم نذير الله تعالى وقرآنه بالعجب والضحك والاعراض ، فى حين أن الاولى بهم أن يخافوا ويبكوا من هول ما ينذرون به .

٦٢ ـ (فاسجدوا لله واعبدوا)

تفريع آخر على ما تقدّم من البيان وقيل : الفاء لترتيب موجب الامر على ما تقرّر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقّيه بالايمان

وكمال الخضوع أى وإذا كان الامر كذلك وحال الكفّار كما بيّناه .

« فاسجدوا » ، قيل هذا إلتفات من الخطاب الى الخطاب فكأنّه تعالى قال: أيّها المؤمنون اسجدوا شكراً على الهداية ، واشتغلوا بالعبادة ، ولا تعبدوا غيرالله تعالى ، وقيل : تعميم بعد تخصيص لانّ الخطاب السابق كان للمشركين فقط فعمّ الخطاب لهم وللمؤمنين وقيل: ان الخطابات جميعها للمشركين فقط إستمراراً على الخطاب الموجّه إليهم .



« الاعجاز »

ومن وجوه الاعجاز القرآني هو مناسبة الفاصلة لآيها ومن الفواصل مايجيىء على أنّه بعض الآية وجزء منها بحيث لاتقوم الآيات إلاّ بها ولاتستقلّ هي بمفهوم في غير آياتها . . وذلك كثير في القرآن الكريم ومنه هذه السورة . .

فانظر وتدبّر فيما بدئت به إلى ماقرب منه ختامها من قوله تعالى : « والنجم اذا هوى ـ الى ـ هذا نذير من النذر الاولى » : ١ ـ ٥٦) .

والذى ينظر إليه في مثل هذه الفواصل أن تقع الفاصلة موقعها الذى يقتضبه المعنى أتمّ الاقتضاء . .

وهذه في هذه السورة على أتم صورة وأكملها ولايكون في إقامة الفاصلة على الوجه الذى تتوازن أو تتوازى فيه مع غيرها جور على المعنى من بعيد أو قريب !

كيف وقدرة الله تعالى هي القائمة على هذا وما كان الله جلّ وعلا ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض .

وقد ذهبت البلغاء إلى أنّ إعتدال الفاصلة وإقامتها قد يقدّم على المعنى ، وأمّا الفاصلة في القرآن الكريم عامّة وفي هذه السورة خاصّة ففي أمكن مكان لها حيث يطلبها المعنى قبل أن يحتاج إليها النظم وتستدعيها الفاصلة . .

وانّ ههنا ضرباً آخر من الفاصلة قد جائت به السورة كأنه تعقيب على الاية أو تلخيص لمضمونها أو توكيد لمعناها . . .

وفي هذا الضرب من الفواصل تتجلّى روعة السورة ويبين أحكام نسجها وتلاحم

بنائها على صورة تبهر العقول وتأخذ بمجامع القلوب وقد تصرف القرآن الكريم عامة وهذه السورة خاصّة فى هذا تصرّفاً عجيباً . . . فجاءت بعد الايات كأنّها رجع الصّدى او إجابة الداعى إذا دعا . . فأحياناً يمهد للفاصلة تأتى بـه ممكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها مطمئنّة فى موضعها غير نافرة ولا قلقة متعلّقاً معناها بمعنى الكلام كلّه تعلق الفرع بأصله معانقاً له معانقة الالف لألفه بحيث لولم تكن حيث جائت لاختل المعنى واضطرب . .

فتدبّر فى قوله تعالى : « ما كذب الفؤاد ما رأى ـ لقد رأى من آيات ربّه الكبرى » : ١١ ـ ١٨) .

وفى قوله تعالى : « إن هو إلاّ وحى يوحى ـ هذا نذير من النّذر الاولى » : ٤ ـ ٥٦) .

وفى قوله : « أفرأيتم اللات والعزّى ـ وهوأعلم بمن اهتدى » : ١٩ ـ ٣٠) .

وفى قوله تعالى : « أم لم ينبّأ بما فى صحف موسى ـ فبأىّ آلاء ربّك تتمارى » ٣٦ ـ ٥٥) .

فانّ التدبّر يكشف لك عن إعجاز السورة فى وجه من وجوهها المضيئة المشرقة . . . وكل وجوهها مضيئة مشرقة . . كلّها دلالات قاطعة على أنّ هذا القرآن الكريم ليس من صنع محمد رسول الله ﷺ ولا من تدبيره .

ثم انظر وتدبّر فيما عرضت هذه السورة من صور الجدل والمناظرة ومواقف العبر والعظات ودلائل التعرّف على الله تعالى وشهود قدرته وحكمته وجلاله وعظمته . . . ومن الزواجر والقصص وما اشتملت من تهذيب وتربية وأدب وفنّ لا يبلى جديدها ولا تنضب مواردها ، كل ذلك برهان قاطع على أنّ هذا وحى أوحى الله تعالى إلى محمد رسول الله ﷺ .

وانّ السّورة تثبت الامرين : النبوّة لمحمد ﷺ وانّه ﷺ بما جاء به ليس من تلقاء نفسه ، إذ لو كان منه لكان هو إلهاً أو ما يشبه الاله ، إذ لا يشبه ما جاء به بكلام بشر .

ألبشرامّى بدوىّ أن يحصل من الحياة هذه المعارف المشرقة وتلك المبادىء والاحكام المحكمة ؟ . فتخرجه على ما إعتاد به العلماء والحكماء والشعراء والفصحاء والبلغاء ، وجاء بعلم وحكمة وأدب وفن لم يعرفه الناس ولا يألفوه ؟ .

وقد حدّدت آيات القرآن الكريم بصراحة شخصيّة محمد ﷺ واقرارها بمكانها من الحياة منها قوله : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » التوبة : ١٢٨) .

و « قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ » الكهف : ١١٠) . و « قل سبحان ربّى هل كنت إلاّ بشراً » الاسراء : ٩٣) . و « ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى » النجم : ٢ ـ ٤) .

وانّ النظم الذى جاء عليه القرآن يشهد شهادة قاطعة لاتقبل الجدل **على أنّ** هذا القرآن ليس من عند محمد ﷺ ولا هو من قول بشر لا من حيث انه نظم معجز وحسب بل لانّ الطبيعة البشريّة لأىّ إنسان مهما بلغ من التمام والكمال البشرى هذه الطبيعة لا تتسع لأن تتعلّم غاية العلم والحكمة .

ثم أن تصوغهما فى هذا الاسلوب المبتدع المعجز ثم أن تستنبتهما فى الحياة وتملأبهما مشارق الارض ومغاربها ... انّ ذلك لا يكون لانسان أبداً ...

أمّا الذى يمكن أن يكون فهو ما كان فعلا وهو ان كان القرآن من الله وكانت الدعوة بالقرآن من محمد رسول الله ﷺ .

« إن هو إلا وحى يوحى ـ فأوحى إلى عبده ما أوحى ـ هذا نذير من النذر الاولى » النجم : ٤ ـ ١٠ ـ ٥٦) .



« التكرار »

نشير في المقام إلى صيغ ست عشرة لغة - أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصّيغ التي جاءت في هذه السّورة وفي غيرها من السّور القرآنيّة :

١ - جاءت كلمة (الوحي) بصيغها في القرآن الكريم نحو : ٧٨ مرة :
٢ - « « (الدنو) « « « : ١٣٣ « :
٣ - « « (الدلو) « « « خمس « :
١ - ٢ يوسف : ١٩) ٣- النجم : ٨) ٤- الاعراف: ٢٢) ٥- البقرة : ١٨٨).
٤ - « « (القوب) « « نحو مرة واحدة : النجم: ٩).
٥ - « « (القوس) « « « « « «
٦ - « « (المراء والمماراة) « « عشرين مرة :
٧ - « « (السدر) « « أربع مرّات :
١ - ٢ - النجم : ١٤ - ١٦) ٣ - الواقعة : ٢٨) ٤ - سبأ : ١٦) .
٨ - « « (الزيغ) « « « تسع مرّات :
١ - النجم : ١٧) ٢ - ٣ - آل عمران : ٧ - ٨) ٤ - ٥ - الصف : ٥)
٦ - الاحزاب : ١٠) ٧ - ص : ٦٣) ٨ - سبأ : ١٢) ٩ - التوبة : ١١٧) .
٩ - « « (اللات) « نحو مرتين : ١- النجم: ١٩) ٢- ص: ٣).
١٠- « « (ضيزى) « « مرة واحدة : النجم : ٢٢) .

١١ ـ جاءت كلمة (التمنّى) على صيغها فيه نحو : ٢٢ مرة :

١٢ ـ « « (اللمم) « « « مرتين: النجم:٣٢) والفجر:١٩).

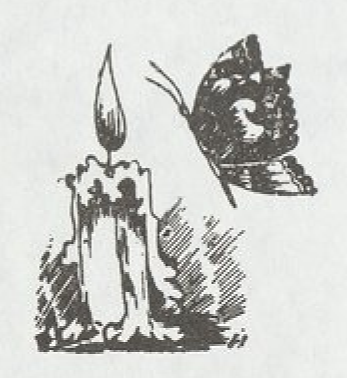
١٣ ـ « « (الكدى) « « « مرّة واحدة : النجم : ٣٤) .

١٤ ـ « « (القنى) « « « مرّة واحدة : النجم : ٤٨) .

١٥ ـ « « (الازف) « « « ثلاث مرّات :

١ ـ ٢ النجم : ٥٧) ٣ ـ غافر : ١٨) .

١٦ ـ « « (السمد) « « « مرّة واحدة : النجم : ٦١) .



﴿ التناسب ﴾

إنّ البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ : التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فانّ هذه السورة نزلت بعد سورة التّوحيد ، ففيها تقرير العقيدة الاسلاميّة بذات الله تعالى وأحديّته وبأنه جلّ وعلا هو الغنى المطلق .

ورجوع ما سواه إليه حدوثاً وبقاء على أنحاء الحوائج ، وبنفي الولد عنه سبحانه ردّاً على من كان يعتقد أنّ لله سبحانه ولداً ، وبنفي تولّده من والد ردّاً على من كان يتّخذ الملائكة أو المسيح أولاداً لله سبحانه ، وبنفي المماثلة ردّاً على من كان يتخذ لله أنداداً ويجعل له شركاء في الخلق والاتجاه والعبادة وما إليها . . .

وجاءت هذه السورة لتصديق النبي الكريم صلى الله عليه وآله فيما أخبر به من الوحي . .

وفيها تعريض صريح بمعبودات المشركين وعقائدهم واتخاذهم آلهة يعبدونها ويستشفعون بها ويسمّون الملائكة تسمية الانثى وتسفيه لهم على إقامة عقائدهم على الظنّ وهوى النفس وإعراضهم عن الحق .

وفيها تقرير لشمول علم الله تعالى وحكمته وإحاطته بأحوال الناس منذ بدء خلقتهم ومعرفته محسنهم ومسيئهم وقدرته على جزاء كل منهم حسب عمله ، ولكل ذلك مساس لغرض سورة التوحيد من قبيل مساس التفصيل للاجمال .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة بما قبلها مصحفاً فبأمور :

١ ـ : لما ختمت سورة الطّور بذكر مهمّة الرسالة من الانذار والصبر تجاه الشدائد في سبيل إبلاغ الرسالة وإنذار الناس ، وكونه صلى الله عليه وآله في حماية الله تعالى بدئت هذه السورة بتصديق ما كان يخبر به النبى صلى الله عليه وآله ، وينذرهم على طريق قسم ربّانىّ

٢ ـ : لما جاءت فى السّابقة تقوّل المشركين فى النبى صلى الله عليه وآله : انّه كاهن ومجنون وشاعر ، جاءت هذه السورة ردّاً عليهم بأنه كيف كاهن أو مجنون أو شاعر وهو صاحبكم عاش بينكم سنين طويلة وهو لا يعرف الكهانة ، ولا عرضه جنون ولا هو شاعر .

٣ ـ لما اشير في السّابقة إلى مقالة المشركين : أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله سحر ومن تلقاء نفسه أشير فى هذه السورة إلى أنّ ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وحى يوحى إليه من الله تعالى .

٤ ـ لما ذكر فى السابقة شرك المشركين « أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون » إجمالا جاء فى هذه السورة تفصيل ذلك .

٥ ـ لما ختمت السابقة بقوله : « وإدبار النجوم » بدئت هذه السورة بقوله : « والنجم إذا هوى » .

وأما الثالثة : فلمّا بدئت السّورة بالقسم بالنجم لما فيه من دلالة واضحة على توحيد خالقه وكمال قدرته وبديع صنعه جائت ببراءة النبى الكريم صلى الله عليه وآله عما كان ينسب المشركون إليه من الجنون والكهانة والشعر وما إليها مما لايليق بقداسة النبوّة ، وبأنّه صلى الله عليه وآله نبىّ يوحى إليه من الله تعالى فى الارض وفى السماء إذ أسرى به إلى السماء وأراه ما رآه ليلة الاسراء من آيات ربه الكبرى ، من آية : ١ ـ ١٨) .

ثم خاطبت المشركين : هذا هو الله القادر المتعال ، وهذا هو نبيّه ، وهذا هو وحيه وتلك آياته ماذا رأيتم من تلك الاصنام يدل على علمها وحكمتها وقدرتها وأنتم تعبدونها وتستشفعون بها ؟ فسكتوا من غير جواب لهم أن يجيبوا عنها من

قوله : « أفرأيتم - إلى - قسمة ضيزى » .

ثم سفّهتهم ووبّختهم على بناءهم عقائدهم على الوهم وهوى النفس بعد ما جاءهم الحق وان تلك الاصنام لاتنفعهم ولاتنيلهم بآمالهم وليست في زمرة الشفعاء فتقبل شفاعتها ولاهم في زمرة الذين تقبل لهم شفاعة الشفعاء فان الملك بيد الله تعالى: من آية:٢٣ـ٢٦).

ثم أشارت إلى إرتكابهم جريمتين كبيرتين :

أحدهما - : نسبة الولد إلى الله تعالى .

ثانيهما - : ان الولد انثى تفضيلا لانفسهم على بارئهم وليس لهم بذلك إلاّ الوهم والتخيّل ، وفرّعت على ذلك باعراض الرسول ﷺ عنهم ، فان من كان أساس عقيدته الوهم وكان هو منهمكاً في شهوات الدنيا ، فهو ساقط عن حدّ التخاطب ، من قوله تعالى : « ان الذين لايؤمنون بالاخرة - وهو أعلم بمن إهتدى » .

ثم أخذت بذكر ما هو ملك له تعالى من السّموات والارض وهو يعلم بما فيها عامة والانسان خاصّة من بدء خلقته إلى النشأة الاخرة ومن كان له ذلك فلا يهمل الانسان وإنّما يجزى المحسن بما أحسن ، والمسيء بما أساء وأشارت إلى بعض أوصاف الفريقين : من آية : ٣١ - ٣٥) .

ثم استشهدت بما جاء في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام على أن لكل عمل جزاء ، وانّ كل عمل سوف يرى وعلى رجوع الخلق والتدبير إلى الله تعالى وقدرته على إهلاك المسيئين في الحياة الدنيا ، وجزائهم بعذاب النار في الاخرة من آية : ٣٦ - ٥٤) .

ثم أخذت بايقاظ الشعور الانساني على طريق إياك أعني واسمعي يا جارة وتذكير بعض ما كان عليه المشركين من رذايل الاخلاق وقبائح الاعمال لئلا يتكررها من أيقظ شعوره بعد ولا يتّخذها من إتّخذ العقل قائداً له ، وختمت بذكر ما ينبغي لكل انسان أن يكون عليه .

النّاسخ و المنسوخ

والمحكم و المتشابه

فى الجامع لأحكام القرآن : قال : قوله تعالى : « فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا » النجم : ٢٩) منسوخ بآية السّيف وهى قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد » الخ التوبة : ٥) .

أقول : ولا يخفى على القارىء الخبير انّ آية النّجم بصدد تأييس النبى ﷺ عن إيمان الذين كانوا يتّخذون الأحجار والاخشاب آلهة لهم ويعبدون عن كون البشر رسولاً من الله تعالى لئلا يتعب نفسه الكريمة على لفيف صمدوا على المرود سفهاً ، ومن ثمّ أشار إلى ذلك بقوله تعالى : « ذلك مبلغهم من العلم انّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله » : ٣٠) .

وفى السورة التالية : « فقالوا أبشراً منّا واحداً نتّبعه ـ ألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر » القمر : ٢٤ ـ ٢٥) .

فمن أين هذا من النسخ .

وفى المجمع : عن إبن عبّاس فى رواية الوالبى قال : انّ هذا « وان ليس للانسان الاّ ماسعى » النجم : ٣٩) منسوخ الحكم فى شريعتنا ، لأنّه سبحانه يقول : « ألحقنا بهم ذرّيّاتهم » الطور : ٢١) .

رفع درجة الذرّيّة وان لم يستحقّوها بأعمالهم .

ونحو هذا قال عكرمة : انّ ذلك لقوم إبراهيم وموسى عليهما السلام ، فأمّا

هذه الامة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم .

ومن قال : انه غيرمنسوخ الحكم قال : الاية تدلّ على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج وهو ان امرأة قالت : يا رسول الله انّ أبي لم يحج قال فحجّي عنه .

أقول: ومن المتفق عليه انّ الخبر لا ينسخ وإنّما آيتا النجم والطور من الاخبار فلا نسخ فيها .

مع ان جهود الآباء إذا كانت في بداية هذا الدين مما يمهد الطريق لهداية الابناء فيعدّ إيمان الابناء مكسباً من مكاسب الاباء أيضاً ولا يوازن إيمان الذريّة وقد مهّد الطريق أمامهم وعدم الموازنة إنّما هو في الكيف لا في الكم ، فترفع الذريّة إلى درجة الاباء تفضّلا على الابناء وتكريماً للاباء وتكملة لنعيمهم في الجنة.

فكل مساع يشير إليه صدر الاية وهو قوله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيّتهم بايمان » : ٢١) .

واما المتشابه فلم أجد كلمات المفسرين أكثر اضطراباً في سورة من السور القرآنية ما وجدته في هذه السّورة ولا يخفى على القارئ الخبير انّ التشابه من امور نسبيّة والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ ـ (والنجم اذا هوى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومجاهد وسفيان : النجم : الثريّا فأقسم الله تعالى بالثريّا اذا سقطت وغابت مع الفجر ، فاللام للعهد .

٢ ـ عن مجاهد أيضاً والفرّاء والضحاك والكلبى : النجم : القرآن فأقسم بالقرآن اذا نزل لانّه كان ينزل نجوماً متفرّقة على رسول الله صلى الله عليه وآله فى ثلاثة وعشرين عاماً .

٣ ـ عن الحسن والجبائى وأهل البصرة : النجم : النجوم السّماوية ، فاللام للجنس ولكن الحسن قال : اذا سقطت وانتثرت فى الفضاء يوم القيامة كقوله تعالى : « وإذا الكواكب انتثرت » الانفطار : ٢) .

وقال الجبائى وأهل البصرة : اذا طلعت وغربت تدل حركاتها وطلوعها وافولها على وحدانيّة الله تعالى .

٤ـ النجم: هو رسول الله صلى الله عليه وآله اذا أرسل وبعث اذا نزل من السماء ليلة الاسراء .

٥ـ عن ابن عباس أيضاً : النجم : الشهاب الّذى يرمى به الشياطين لانّ العرب تسمّيه نجماً ، وقيل : النجوم التى ترجم بها الشياطين وسببه انّ الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وآله رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده فذعر أكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن كان لهم ضريراً كان يخبرهم بالحوادث فسئلوه عنها فقالوا : انظروا البروج الاثنى عشر فان انقضّ منها شيء فهو ذهاب الدنيا فان لم ينقضّ منها شيء

فسيحدث في الدنيا أمر عظيم فاستشعروا ذلك فلمّا بعث رسول الله ﷺ كان هو الامر العظيم الذي استشعروه فأنزل الله تعالى : « والنجم اذا هوى » أي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوّة التي حدثت .

٦ ـ عن السّدي : النجم هنا : الزهرة لانّ قوماً من العرب كانوا يعبدونها .

٧ ـ قيل : النجم هنا : النبت الذي ليس له ساق إذا سقط على الارض .

٨ ـ قيل: النجم: الشعرى اشيرإليه بقوله تعالى : «ربّ الشّعرى »النجم :٤٩) وهو الشعرى اليمانيّة وهي كوكبة مضيئة من الثوابت شرقيّ صورة الجبّار في السّماء .

٩ ـ قيل : النجم : هو النجم القطبي الذي يهتدي به السّائرون ليلا في البرّ والبحر وهو يأخذ دائماً إتجاه الشمال ، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى : « وبالنجم هم يهتدون » .

وهو الذي يأفل ويختفي في ضوء الصبح المشرق . . وإختصاص هذا النجم بالذكر من بين نجوم السماء لانّه من أضوء نجوم السماء وأكثرها صلة بحياة الناس وهداية لهم في السير في ظلمات البر والبحر .

وفي ذلك تنبيه إلى امور :

أحدها ـ : انّ ظهور النبي الكريم ﷺ كان في ظلمة أحاطت بالمجتمع البشري عامّة وبالجزيرة العربيّة خاصّة وانّ ظهوره هذا كان أشبه بالنجم القطبي الذي يرى منه المدلجون في الليل هادياً إذا هم رفعوا رؤسهم الى السّماء ومدّوا أبصارهم اليه .

ثانيها ـ : انّ هذا النجم السّماوي البشري الممثل في النبي الاعظم ﷺ والنور الذي معه لم يهتد به المشركون الاّ قليل منهم وهم الذين رفعوا رؤسهم اليه وطلبوا منه الهدى ، وأمّا الاكثرون فبقوا في ظلمة الجهل والكفر حتى غرب هذا النجم عن افقهم وفاتهم الاهتداء به .

ثالثها ـ : انّ هذا النجم القطبي ـ وان غاب عن الاعين ـ ولكنه قائم في

مقامه العالى حقيقة اذ يراه أهل العالم كافّة ويتوجّه اليه أهل العلم خاصة .

وكذلك النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وان غاب شخصه عن منظر الناس ولكنه قائم فى مقامه المكين يسمع ذكره الرفيع كافّة الناس فى كل وقت ليلا ونهاراً ويؤمن به ويتّبعه خاصّتهم الذين سلمت فطرتهم وقائدهم العقل وهم ليسوا بطلاقة العنان ولم يطأ قلوبهم الشيطان .

رابعها ـ : انّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وان ظهر فى أوّل أمره نجماً لاتكتحل بضوئه الاّ العيون التى تطلبه ولكن أمره سيعظم ويتحوّل الى صبح مشرق يملأ العيون وينعش النفوس ويوقظ الاحياء .. ثمّ لايلبث هذا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلع شمساً ينفذ شعاعها الى الكائنات فيلبس المؤمنون به المتعرّضون لضوئه حللا من النور والجلال على حين تنجحر من ضوئه الهوام والحشرات وتقتل تحت ضربات أشعته الفيروسات والجراثيم ..

خامسها ـ : انّ هؤلاء المشركين الذين لم يهتدوا بضوء النبى صلى الله عليه وآله (نجماً) ولا انتظموا فى ركبه (صبحاً) ولا استقبلوا ضوئه (شمساً) لم يكن مصيرهم إلا كمصير هذه الجراثيم تموت تحت ضربات الشمس وكتلك الهوام والحشرات لايرى لها وجه مادام هذا الضوء قائماً . . . اذ كان كثير منهم الذين عاصروا النبوّة ماتوا ميتة الجراثيم كأبى جهل وأضرابه ...

وكثير منهم انجحروا بين أربعة جدران من بيوتهم الى أن ماتوا حسرة وكمداً دون أن يشعر بهم أحد كأبى لهب وأضرابه . . .

أقول : والرابع من الاقوال هو المروىّ من غير تناف بينه وما ورد فى النزول فتدبّر .

٣ ـ (وما ينطق عن الهوى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن قتادة : أى وما ينطق بالقرآن عن هواه فما يخرج نطقه عن رأيه إنّما هو يوحى من الله تعالى .

٢ ـ عن أبي عبيدة : أى لا يتكلّم فيما يدعوكم إلى الله تعالى وحده وإلى البعث والنشور والجزاء والحساب يوم القيامة أو الى ما يتلو عليكم من القرآن بهواه فعن بمعنى الباء كما جائت الباء بمعنى عن فى قوله تعالى : « فاسئل به خبيراً » أى عنه .

٣ـ قيل: أى وما ينطق محمد صلى الله عليه وآله بما يخبركم ما رآه ليلة الاسراء عن هواه .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٥ ـ (علمه شديد القوى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن الحسن : أى علّم الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله ما علّمه ليلة الاسراء ، فشديد القوى صفة الله تعالى .

٢ ـ قيل : علّم جبرئيل عليه السلام محمداً صلى الله عليه وآله ، فالصفة لجبرئيل عليه السلام .

٣ ـ : قيل : أى علّم الله تعالى القرآن بما هو وحى .

أقول : والاوّل هو الظاهر من السياق المؤيد بقوله تعالى : « فأوحى الى عبده ما أوحى » .

٦ ـ (ذو مرة فاستوى)

فى قوله تعالى : « ذو مرّة » أقوال :

١ ـ عن ابن عباس و قتادة أى ذو خلق حسن ، و ذو منظر وجيه ، صفة لجبرئيل عليه السلام .

٢ ـ عن قتادة أيضاً والكلبى : أى ذو خلق شديد وطويل حسن ومن شدّة خلقه وقوّته اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود فرفعها الى السّماء ثمّ قلبها ومن شدّة صيحته لقوم ثمود هلكوا .

٣ ـ قيل: ذوصحة فى الجسم وسليم من الافات والعيوب ، صفة بجبرئيل عليه السلام .

٤ ـ قيل : أى ذو جلد وصبر وقدرة على حمل هذه الامانة التى كلّف بحملها أبت السّماء والجبال والارض أن يحملنها وأشفقن منها .

٥ ـ عن مجاهد وإبن زيد وسفيان : أي ذو قوّة متينة وهي صفة ثانية لله تعالى.

٦ ـ قيل أي ذو حصافة في عقله ورأيه وهي نعت من النبي صلى الله عليه وآله ، وقيل : لجبرئيل عليه السلام .

٧ ـ عن الجبائي : أي ذو شدّة في جنب الله تعالى ، صفة لجبرئيل عليه السلام وقيل: للنبي صلى الله عليه وآله .

٨ ـ قيل : أي ذو نوع مرور في السّماوات صاعداً ونازلا وذهاباً وإياباً الى أن وطأ موضعاً لم يطأه من خلق الله تعالى أحد غيره فرآى هناك محمد صلى الله عليه وآله ما رآه مرّتين هذه مرّة ومرّة اخرى .

أقول: والاخير هو المؤيد بقوله تعالى : « ولقد راه نزله اخرى » وفي قوله: « فاستوى » أقوال :

١ ـ قيل : أي إرتفع محمد صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء الى أن استقرّ واستقام واعتدل .

٢ ـ عن الحسن : أي استوى الله تعالى على العرش .

٣ ـ : قيل استقام جبرئيل عليه السلام على صورته الاصليّة التي خلق عليها دون صورة دحية كلبي كما ينزل على هذه الصّورة على رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه رسول الله صلى الله عليه وآله مرّتين بهذه الصورة احداهما ليلة الاسراء واخرى بحراء منذ بدء البعثة.

٤ ـ قيل أي أستوى صدر محمد صلى الله عليه وآله ، وقيل : صدر جبرئيل عليه السلام .

٥ ـ عن سعيد بن المسيّب : أي استوى جبرائيل عليه السلام أي ارتفع وعلا الى السّماء بعد ان علّم محمداً صلى الله عليه وآله .

٦ ـ عن الجبائي : أي اعتدل جبرئيل عليه السلام واقفاً في الهواء بعد أن كان ينزل بسرعة ليراه النبي صلى الله عليه وآله .

٧ ـ عن الفرّاء : أي استوى جبرئيل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله بالافق الاعلى يعني السّماء الدنيا ليلة المعراج .

أقول: والاوّل هو الظاهر .

٧ - (وهو بالافق الاعلى)

فى الضمير أقوال :

١ - قيل : راجع الى الله تعالى .

٢ - قيل : راجع الى جبرئيل عليه السلام

٣ - قيل : راجع الى رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله .

أقول: والاخير هو الظاهر .

وفى الافق الاعلى أقوال :

١ - عن قتادة وسفيان : الافق : الذى يأتى منه النهار .

٢ - عن الحسن : أى بافق المشرق الاعلى بينهما وهو فوق جانب المغرب فى صعيد الارض لا فى الهواء وهو بحراء إذ طلع عليه صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام بصورته الاصليّة من المشرق فسدّ الافق الى المغرب .

٣ - عن الربيع : أى السماء الاعلى .

٤ - قيل : أى افق أعلى من السّماء .

أقول: والاخير هو الظاهر .

٨ - (ثم دنا فتدلى)

فى الاية أقوال : - عن الربيع والحسن وقتادة : أى ثم دنا جبرئيل عليه السلام من النبى صلى الله عليه وآله فأكثر القرب شيئاً فشيئاً فى لطف ورفق اذ يأخذ طريقه الى النبى صلى الله عليه وآله بكل قوّته حتى اذا قرب من النبى صلى الله عليه وآله تخفّف من سرعته شيئاً فشيئاً حتى يلتقى به ويكون معه .

فالامتداد الى جهة السفل مأخوذ من الدلو كما يقال: تدلّت الثمرة ودلى فلان رجليه من السرير .

٢ - عن ابن عباس : أى قرب رسول الله ليلة الاسراء من ربّه فزاد القرب فعلا بما لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، فالامتداد الى جهة العلو .

٣ ـ عن إبن عباس ايضاً : أى تدلّى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وآله ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه .

٤ ـ قيل : معنى الاية : نزل محمد صلى الله عليه وآله من العلو ثم اقترب من الارض .

٥ ـ عن الحسن وقتادة وابن الانبارى والجرجانى : أى دنا جبرئيل بعد إستوائه بالافق الارض من الارض فنزل على النبى صلى الله عليه وآله بالوحى .

٦ ـ عن الضّحاك : فتدلى أى هوى للسجود .

٧ ـ قيل : أى قرب جبرئيل فتعلّق بالنبى صلى الله عليه وآله ليعرج به إلى السماوات.

أقول : والثانى هو الظاهر .

٩ ـ (فكان قاب قوسين أو ادنى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن مجاهد وعكرمة وعطاء والزّجاج : أى كان مابين جبرئيل ورسول الله صلى الله عليه وآله قدر قوسين ، والقوس ما يرمى به .

٢ ـ عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وشقيق بن سلمة وأبى اسحق الهمدانى: أى كان بين النبى صلى الله عليه وآله وجبرئيل عليه السلام قدر ذراعين ، والقوس ما يقاس به الشيء والذراع ما يقاس به .

٣ ـ قيل : أى فكان بين النبى صلى الله عليه وآله والملك مابين قوسى الحاجبين من قرب.

٤ ـ عن إبن عباس والفراء : أى فكان قرب محمد صلى الله عليه وآله من ربّه أو أدنى من ذلك ، وقال الزمخشرى : تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين على تقدير مضاف ، وقيل : « أو » بمعنى « بل » قيل : وجبرئيل معه عليه السلام وقيل : لم يكن معه صلى الله عليه وآله هناك جبرئيل عليه السلام .

أقول : **والاخير هو الظاهر** ، والمؤيّد بالروايات الاتية .

١٠ ـ (فأوحى الى عبده ما أوحى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أى فأوحى الله تعالى إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء ما أوحى إليه من أمر الخلافة بعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ ـ عن سعيد بن جبير: أى فأوحى الله تعالى إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله : «ألم يجدك يتيماً فآوى ـ إلى قوله ـ ورفعنا لك ذكرك» .

٣ ـ قيل : أى فأوحى الله على لسان جبرئيل عليه السلام إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله ما أوحى .

٤ ـ قيل : أى أوحى الله إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله : ان الجنّة محرّمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها امّتك .

٥ ـ قيل : أى فأوحى الله إلى عبده جبرئيل عليه السلام ما أوحى .

٦ ـ قيل : أى فأوحى الله الى عبده جبرئيل ما أوحى هو الى محمد صلى الله عليه وآله والى سائر الانبياء عليهم السلام قبله .

٧ ـ عن ابن زيد والربيع والحسن وقتادة وابن عباس : أى فأوحى جبرئيل عليه السلام الى عبد الله محمد صلى الله عليه وآله ما أوحى الله تعالى اليه .

٨ ـ قيل : أى فأوحى الله تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الاسراء سرّاً بسرّ .

٩ ـ قيل : أى فأوحى الله تعالى الى عبده محمد صلى الله عليه وآله الصلاة .

١٠ ـ قيل : هذا وحى مبهم لا نطّلع عليه فتعبّدنا بالايمان به على الجملة .

أقول : و الاوّل هو المؤيد بما أوردناه فى النزول وما يأتى من الروايات الواردة عن طريقى العامّة والشيعة الامامّية الاثنى عشريّة من غير منافاة بينه وبين القول الثانى والرابع والسّابع والثّامن .

١١ ـ (ماكذب الفؤاد ما راى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن إبن مسعود وقتادة وأبى صالح وعائشة : أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذى رآه ، وهو جبرئيل على صورته التى خلقه الله تعالى عليها ، إذ رأى

رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام على صورته الاصليّة مرّة ليلة المعراج و مرّة اخرى في الارض .

٢ ـ عن ابن عباس : أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله مارآه بعينه أى علمه علماً يقيناً بما رآه من الآيات الباهرات ليلة الاسراء كقول إبراهيم عليه السلام « ولكن ليطمئنّ قلبى » وان كان عالماً قبل ذلك .

٣ ـ عن الحسن : أى انّ الذى رآه هو ما رآه من ملكوت الله تعالى وأجناس مقدوراته ورآى جلاله وعظمته .

٤ ـ عن ابن عباس أيضاً : أى ما كذب الفؤاد ما رآى ربّه بقلبه ليلة المعراج وذلك انّ الله تعالى جعل بصره فى فؤاده حتى رآى ربه سبحانه وجعل الله تلك رؤية .

وغيرها من الأقاويل الباردة من موضوعات العامّة لايعتنى بها لظهور فظاعتها على ما فى تفسير الطبرى منها عن سالم مولى معاوية عن عكرمة : انّ محمداً صلى الله عليه وآله رآى ربه بعينه ومن أن الله سبحانه وضع يده بين كتفى نبيه صلى الله عليه وآله فوجد بردها بين ثدييه.

أقول: والثانى هو المؤيد بقوله تعالى: «لقد رآى من آيات ربّه الكبرى» وبروايات آتية ...

١٢ ـ (أفتمارونه على مايرى)

فى الاية أقوال :

١ ـ قيل: أى أفتجادلون محمداً صلى الله عليه وآله ما رآه ليلة الاسراء من آيات ربه الكبرى .

٢ ـ قيل : أفتدفعونه عمّا يرى فعل بمعنى « عن » قاله المبرّد.

٣ ـ قيل : أفتكذّبونه فى معراجه .

٤ ـ قيل : أفتجادلونه فى معجزاته .

أقول: وعلى الاول أكثر المحققين :

١٣ ـ (ولقد رآه نزلة اخرى)

فى الآية أقوال :

١ ـ عن إبن مسعود ومجاهد والربيع : أي ولقد راى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام مرّة اخرى وهو في الملأ الاعلى وله ستمأة جناح يتناثر من ريشه الدرّ والياقوت .

٢ ـ عن إبن عباس : أي ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه بقلبه مرّة اخرى .

٣ ـ قيل : أي ولقد راى جبرئيل عليه السلام ربّه مرّة اخرى .

٤ ـ قيل : أي ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما رآه من آيات ربّه الكبرى مرّة اخرى .

٥ ـ قيل : أي نزل جبرئيل عليه السلام نزولاً اخر ليعرج بالنبي صلى الله عليه وآله إلى السّماوات .

٦ ـ عن ابن مسعود أيضاً : أي راى جبرئيل في رفرف قد ملأ ما بين الارض والسماء .

٧ ـ عن كعب قال : انّ الله قسم رؤيته و كلامه بين موسى ومحد صلى الله عليه وآله فكلّمه موسى مرّتين ورآه محمد صلى الله عليه وآله مرّتين .

أقول : والاخير وهو كما ترى من الفساد واللغو والرابع هو الظاهر .

١٤ ـ (عند سدرة المنتهى)

في الآية أقوال :

١ ـ عن الكلبي ومقاتل : سدرة المنتهى هي شجرة عن يمين العرش فوق السّماء السابعة ينتهي إليها علم كل عالم وعمل كل عامل صالح وعلم كل ملك مقرّب ونبي مرسل ، وقال مقاتل : هي شجرة طوبى .

٢ ـ عن إبن مسعود والضّحاك : وهي التي ينتهي إليها ما يعرج إلى السماء وما يهبط من فوقها من أمر الله تعالى . سميّت بذلك لوقوف ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها اليها ثم تصعد أو تنزل بأمر الله تعالى .

٣ ـ قيل : هي التي تنتهي إليها أرواح الشهداء ، وقيل : ينتهي إليها أعمال المؤمنين فان أعمال الكافرين والفساق تضرب على وجوههم .

٤ ـ قيل : هى التى ينتهى إليها الملائكة .

٥ ـ قيل : هى شجرة النبوّة .

٦ ـ : هى التى ينتهى عندها التقدم أو الشوط .

٧ ـ قيل : السدر : شجر النبق وهى فى السماء السادسة .

٨ ـ عن ابن عباس : هى الّتى ينتهى إليها علم الانبياء و يعزب عملهم عن وراءها .

أقول : والسادس هو المؤيّد بالروايات الآتية ، ويمكن تأييده أيضاً بقوله تعالى : « وانّ إلى ربّك المنتهى » : ٤٢) من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتدبّر .

١٥ ـ (عندها جنة المأوى)

وفيها أقوال :

١ ـ عن ابن عباس وقتادة : أى عند سدرة المنتهى جنّة مأوى لأرواح الشهداء وهى عن يمين العرش .

٢ ـ قيل : هى جنّة البرزخ تأوى إليها أرواح المؤمنين إلى ان يبعثوا .

٣ ـ قيل : هى الجنّة التى آوى اليها آدم عليه السلام الى أن اخرج منها وهى فى السماء السابعة .

٤ ـ قيل : هى المنازل التى يأوى اليها جبرئيل وميكائيل عليهم السلام .

٥ ـ عن مجاهد : هى جنّة المبيت .

٦ ـ قيل : هى منازل الانبياء عليهم السلام .

٧ ـ عن الحسن : هى المنازل التى يصير إليها أهل الجنة من أهل التقوى واليقين وهى تحت العرش فيتنعّمون بنعيمها ويتنسّمون بطيب ريحها .

أقول : والاخير هو المؤيّد بالايات الكريمة من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر فتأمّل .

١٦ ـ (اذ يغشى السدرة ما يغشى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد والضّحاك وابن مسعود ويعقوب إبن زيد ومسروق : أى غشى السدرة فراش مـن ذهب و كأنّ الملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى .

المعنى : ان رسول الله ﷺ رآى جبرئيل عليه السلام على صورته فى حال يغشى فيها السدرة من أمر الله تعالى ، ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها والابهام للتفخيم .

٢ ـ عن الربيع بن أنس : أى غشى السّدرة نور ربّ العزّة والملائكة .

٣ ـ عـن مجاهـد : كأنّ اغصان السدرة لؤلؤاً وياقوتاً أو زبرجداً غشيها فرآها محمد ﷺ .

٤ ـ عن إبن عباس أى غشى الله السدرة بنوره فرآى محمد ﷺ من آيات ربه الكبرى .

٥ ـ عـن الحسن ومقاتل والربيع ايضـاً : أى يغشى السدرة الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشّجر .

٦ ـ عن الحسن ايضاً : أى يغشاها مـن النور والبهاء والحسن والصفاء الـذى يروق الابصار ما ليس لوصفه منتهى ، أى غشيها نور رب العالمين فاستنارت .

٧ ـ عن مجاهد أيضاً : أى حين يغشى السدرة رفرف من طير خضر .

٨ ـ عن أبن عباس أيضاً : أى يغشاها أمر ربّ العزّة ، وقيل : هو تعظيم الامر كأنه قال : إذ يغشى السدرة ما أعلم الله به من دلائل ملكوته .

أقول: والرابع والسادس هما المؤيدان برواية حبيب السجستانى عن أبى جعفر عليه السلام فانتظر .

١٧ ـ (ما زاغ البصر و ما طغى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أى ما عدل يميناً ولا شمالا ولا تجاوز الحدّ الذى رأى .

٢ ـ قيل : أى ما جاوز ما امر به .

٣ ـ قيل : أى لم يمدّ بصره إلى غير ما رأى من الايات .

٤ ـ عن محمد بن كعب القرظى : أى رأى محمد صلى الله عليه وآله جبرئيل فى صورة الملك .

أقول: والاول هو الظاهر ، والقول بأنّ المراد بالابصار رؤيته صلى الله عليه وآله بقلبه لا بجارحة العين غير وجيه جداً .

١٨ ـ (ولقد رأى من آيات ربه الكبرى)

فى الاية أقوال :

١ ـ عن إبن عباس وإبن مسعود : أى رأى الرفرف الاخضر الذى سدّ افق السّماء ، والرفرف هو البساط فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه .

٢ ـ عن ابن زيد ومقاتل والجبائى : أى رأى محمد صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام فى صورته الاصليّة وله ستمأة اجنحة .

٣ ـ قيل أى رأى من عظمة الله تعالى و كبريائه .

٤ ـ عن الضّحاك : أى رأى سدرة المنتهى .

٥ ـ قيل : أى رأى المعراج.

٦ ـ قيل : أى رأى تلك الليلة فى مسراه فى بدءه وعوده .

٧ ـ قيل أى رأى محمد صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء أكبر آيات ربه عند سدرة المنتهى.

اقول: والاخير هو الظاهر مع عدم التنافى بينه وبين أكثر الاقوال الاخر فتدبّر.

١٩ ـ ٢٠ (افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى)

فى الايتين أقوال:

١ ـ عن الجبائى : أى أفرأيتم أيّها الزاعمون : انّ اللات والعزّى ومناة : هنّ بنات الله ، لانّه كان منهم من يقول : انّما نعبد هؤلاء لانّهم بنات الله .

٢ ـ قيل : انّهم زعموا انّ الملائكة بنات الله وصوّروا أصناماً على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقّوا لها أسماء من أسماء الله فقالوا : « اللات » تجاه « الله »

و« العزّى » تجاه « العزيز » و« مناة » تجاه « المنان » .

٣ ـ قيل : كانوا يقولون : ان الملائكة الذين صوروها بصور الاصنام هنّ بنات الله .

اقول: والاقوال متقاربة .

٢٢ ـ (تلك اذاً قسمة ضيزى)

فى المراد من « ضيزى » أقوال :

١ ـ عن قتادة : أى جائرة غير مستوية .

٢ عن سفيان : أى ناقصة غير تامّة .

٣ ـ عن مجاهد : أى قسمة عوجاء .

٤ ـ عن ابن عباس : أى قسمة لا حقّ فيها .

٥ ـ عن إبن زيد : أى قسمة مخالفة .

اقول: يلاحظ فى معنى « ضيزى » الفساد من جهة والنقص من جهة اخرى ولاحظت كلتا الجهتين سيجيىء بيان ذلك فى التفسير والتأويل إنشاء الله تعالى .

٢٤ ـ (ام للانسان ما يتمنى)

فى الانسان أقوال :

١ ـ قيل : نزلت فى النضر بن الحرث .

٢ ـ قيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة .

٣ ـ قيل :يعمّ الانسان الناس كلّهم : المشرك والمسلم .

٤ ـ قيل : اريد بالانسان أشراف المشركين إذ تمنّوا أن يكونوا نبيّاً دون محمد صلى الله عليه وآله .

٥ـ قيل: اريد بالانسان محمدصلى الله عليه وآله والمعنى: أم اشتهى محمدصلى الله عليه وآله ما أعطاه الله تعالى من هذه الكرامة التى أكرمه الله تعالى بها من النبوة والرسالة والاسراء وإرائة أكبر آياته لها وإنزال الوحى إليه فتمنّى ذلك فأعطاه إيّاها ربه وليس الامر كذلك .

٦ ـ قيل : انّ المراد بالانسان عبدة الاصنام .

اقول: والاخير هو ظاهر السّياق .

وفى التمنّى أقوال :

١ ـ قيل : أى يتمنّى هـؤلاء المشركـون بوصـولهم إلى جميع نعم الدنيا وزخارفها .

٢ ـ قيل : أى يتمنّون النيل بجميع نعم الاخرة وحورها وقصورها .

٣ ـ قيل : أى يتمنّى المشركون أن يصلوا إلى شفاعة الملائكة الذين هم أرباب أصنامهم وبنات لله بزعمهم أو يملكوا الوهيّة آلهتهم بهوى نفسه .

٤ ـ قيل : أى كان المشركون يتمنّون أن يطول عمرهم ولا يموتوا وإذا ماتوا فلم يكن بعث ولا نشور .

٥ ـ قيل : أى ألهم ما تمنّون من البنين دون البنات

٦ ـ قيل أى ألهم ما تمنّوا من غير جزاء فى العمل .

اقول: الثالث هو الانسب بظاهر السياق .

٣٦ ـ (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا مـن بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

فى قوله تعالى : « لمن يشاء ويرضى » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أى لا يشفع الملائكة المأذونون فى الشفاعة الاّ لمن يشاء من الانسان ويرضى الله تعالى عنه .

٢ ـ قيل : أى لمن يشاء من الانسان ان يجعل شفيعاً فيشفع لغيره ممن رضى الله تعالى عنه .

٣ ـ قيل : أى لمن يشاء من الانبياء والاولياء فيشفعون لمن يرضى الله تعالى عنه من أهل التوحيد والايمان وصالح العمل .

اقول : والاوّل هو ظاهر السّياق .

٢٨ ـ (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئاً)

في الظن أقوال :

١ ـ قيل : ان المراد بالظن جنس الظن فلا يقوم الظن مقام العلم الذي هو الحق سواء كان من عبدة الاصنام أو من المؤمنين وكان في الاصول الاعتقادية أم في الفروع العملية الا اذا قام دليل على الاخير وان العلم هو التصديق المانع من النقيض ، والظن هو التصديق الراجح ويسمى المرجوح وهماً .

٢ ـ قيل : اريد بالظن بعضه وهو ظن هؤلاء عبدة الاصنام في تسميتهم الاصنام وجعلهم الملائكة بنات الله تعالى اذ قال : « إن هي إلا أسماء ـ ان يتبعون إلا الظن » .

فالحق الذي هو حقيقة الامر يدرك بالعلم واليقين لا بالظن والتخمين .

وقيل : الحق هو الله تعالى بأن الصفات الالهية لا تستخرج بالظنون .

٣ ـ قيل : الظن هنا : التوهم والتصور .

وذلك لان قولهم بانوثية الملائكة كما لم يكن معلوماً لهم كذلك لم يكن مظنوناً إذ لا سبيل إلى ترجيح القول به على خلافه لكنه لما كان عن هوى أنفسهم أثبته الهوى في أنفسهم وزينه لهم فلم يلتفتوا الى خلافه و كلما لاح لهم لائح خلافه أعرضوا عنه وتعلقوا بما يهوونه وبهذه العناية سمي ظناً وهو في الحقيقة تصور ووهم .

والمعنى : ليس لهم بما يقولون في الملائكة من علم قائم على الحق وانما هو وهم من الاوهام .

وقيل : المعنى : ليس لهم بما يقولونه في انكار البعث والحساب والجزاء من برهان ولا لهم من وحي حتى يقولوا ما قالوا .

اقول : وعلى الاول اكثر المحققين .

٢٩ ـ (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا)

فى الموصول « مَن » أقوال :

١ ـ قيل : الاية نزلت فى النضر بن الحارث .

٢ ـ قيل : نزلت فى الوليد بن المغيرة .

٣ ـ يشمل لعبدة الاصنام سبق ذكرهم .

اقول: والاخير يظهر من إتصال السياق .

وفى الذكر أقوال :

١ ـ قيل : الذكر هو القرآن الكريم والمعنى : فاتركهم ولا تعتنى بهم كما انهم تركوا ما جئت بهم من الحق والهدى من ربّهم .

٢ ـ قيل : الذكر هو رسول الله ﷺ ، والمراد بالاعراض عنه ترك اخذهم بما جاء بهم واتّباعهم به .

٣ ـ قيل : أى اعرض عن المقال واقبل على القتال .

٤ ـ : قيل الاعراض عن الذكر كناية عن غفلتهم عن الله تعالى والايمان به جل وعلا وذلك لانّ ذكره تعالى بما يليق بذاته المتعالية من الاسماء والصفات يهدى إلى سائر الحقائق العلميّة فى المبدإ والمعاد .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين وهو المؤيد بظاهر السياق وخاصة ظاهر قوله تعالى : « ولقد جاءهم من ربهم الهدى ـ وهو أعلم بمن اهتدى » .

٣٠ ـ (ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى)

فى المشار اليه قولان :

أحدهما ـ : إشارة إلى أمر الدنيا وكونها أكبر همّهم ومبلغ علمهم وإعراضهم عن امور الاخرة وهذا مبلغ خسيس لا يرضى عنه عاقل لنفسه لانه من طباع البهائم إذ هو يأكل ولاينظر فى العواقب كالانعام اذ ليس لها همّ الاّ الاكل والشرب والنوم والشهوة .

ثانيهما - : إشارة الى أمر الدين على أنّ ظنّهم الملائكة بنات الله سبحانه وتسميتهم تسمية الانثى واتخاذهم الاصنام آلهة لهم وأنها شفعاء لهم عند الله تعالى .

اقول : ولكل وجه .

٣١ - (ولله ما في السموات وما في الارض ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى)

في الاية اقوال :

١ - قيل : إنّ اللام في قوله : « ليجزى » متعلّق بالمعنى الذى دلّ عليه قوله تعالى : « ولله ما في السموات وما في الارض » ، كأنّه قال : هو تعالى مالك ذلك ليجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته .

٢ - قيل : إنّ قوله تعالى : « لله ما في السّموات وما في الارض » معترض في الكلام ، والمعنى : انّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بمن إهتدى ليجزى - الخ .

٣ - قيل : إنّ اللام للعاقبة ، أى ولله ما في السّموات وما في الارض لأن يكون للمسيء السّوى وهى جهنم وللمحسن الحسن وهى الجنة ، أى ان ذلك عاقبة أمر الخلق .

٤ - قيل : إنّ صدر الآية حال من فاعل « أعلم » في الآية السابقة ، فالواو للحال والمعنى : انّ ربّك هو أعلم بالفريقين : الضالّين والمهتدين والحال انه تعالى يملك مافى السّموات ومافى الارض فكيف يمكن ان لايعلم بهم وهو مالكهم .

فاللام في « ليجزى » متعلّق بقوله : « فأعرض عمّن تولّى » الخ والمعنى : أعرض عنهم وكل أمرهم الى الله ليجزيهم كذا وكذا ويجزيك ومن اتّبعك كذا وكذا .

٥ - قيل : قوله تعالى : « ولله مافى السّموات وما في الارض » كلام مستأنف للدلالة على انّ الامر بالاعراض عنهم لا لاهما لهم وتركهم سدى بل الله تعالى يجزى كلا بعمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، فصدر الاية يشير إلى ملكه

تعالى للكل .

ومعناه قيام الاشياء به تعالى لكونه خالقهم الموجد لهم ، فالملك ناشىء من الخلق وهو مع ذلك منشأ للتدبير ، فالجملة دالّة على الخلق والتدبير كأنه قيل : ولله الخلق والتدبير ، فعلى هذا فاللام للغاية والمعنى : له الخلق والتدبير وغاية ذلك والغرض منه ان يجزى الذين أساؤا ـ الخ .

والمراد من الاساءة الكفر والمعصية ، ومن الاحسان الايمان و الطاعة ، والمراد من الحسنى : المثوبة الحسنى .

أقول: والاخير هو الاظهر مع ظهور الواو للحال .

٣٢ ـ (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى)

فى الكبائر اقوال :

١ ـ عن إبن عباس وإبن زيد : هى الشّرك بالله سبحانه على أنحاءه التى نها الله تعالى عنها وحرّمها فيغفرها الله إذا أسلموا .

٢ ـ قيل هى عظائم الذنوب وأشنعها وأفظعها وعلى رأسها الشرك والكفر بالله تعالى وبكتابه ورسوله وباليوم الاخر .

٣ ـ عن مقاتل : الكبيرة : كل ذنب ختم بالنار .

وقال إبن عباس : الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب .

٤ ـ عن سعيد بن جبير ومجاهد : كل ما أو عدالله تعالى فى الاخرة عقاباً وأوجب عليه فى الدّنيا حدّ فهو كبيرة .

٥ ـ عن ابن عباس أيضاً : كل ما نهى الله عنه فهو كبير ، فجميع الذنوب والمعاصى كبائر ، وهو إختيار الطبرسى قدس سره فى الاية التى جائت فى سورة النساء إذ قال : « وإلى هذا ذهب أصحابنا » .

اقول: والاول هو الانسب بظاهر العطف الذى يقتضى المغايرة .

وفى الفواحش أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : الفواحش : الزنا والسّرقة وما يليهما من المنكرات والذنوب والمعاصى . . .

٢ ـ عن مقاتل : الفواحش : الذنوب التى فيها حدود .

٣ ـ قيل : الفواحش من المعاصى ما ظهر منها وما بطن والكبائر هى ما بطن.

٤ ـ قيل : الكبائر والفواحش متّحدة فلا مغايرة بينهما بالعطف .

اقول: والاول هو المروى ويقتضيه العطف ، ولعل الحكمة فى عدم بيان الكبائر أن يجتنب العبد جميع المعاصى .

وفى قوله تعالى : « اللّمم » أقوال :

١ ـ عن زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وإبن عباس : اللّمم : هو الدى المّوابه من الاثم والفواحش فى الجاهليّة قد عفى لهم عنه فلا يؤاخذهم به ، فمعنى : الاّ اللّمم : الاّ ما قد سلف .

٢ ـ عن إبن مسعود وإبن عباس أيضاً والشعبى . اللّمم مقدّمات الزّنا من النظر والغمز واللمس والتقبيل والمشى إليها فان تقدم بفرجها كان زانياً وإلاّ فهو اللّمم.

قال إبن مسعود: « زنى العينين النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشى وإنّما يصدّق ذلك أو يكذّبه الفرج فان تقدم كان زناً وان تأخّر كان لمماً .

٣ ـ عن مجاهد والسدى وإبن عباس أيضاً والحسن والزجاج والزهرى : أى إلا أن يلمّ بها ثم يتوب ، قال الشاعر :

ان تغفر اللّهمّ تغفر جمّاً وأى عبد لك لا ألمّا

فاللّمم : الذى يلمّ بالذنب ثم يدعه من غير عود إليه ثانياً .

٤ ـ عن إبن عباس أيضاً وعكرمة وقتادة وإبن زيد والضحاك وإبن الزبير: اللمم : ما بين الحدّين : حدّ الدنيا وعذاب الآخرة أى ما دون حدّين فكل ذنب ليس فيه حدّ فى الدنيا ولا عذاب الاخرة فهو اللمم .

٥ ـ عن الفرّاء : اللمم : مقاربة الشىء من غير دخول فيه يقال: المّ بالشىء يلمّ

إلماماً : اذا قاربه ولم يدخل .

٦ ـ قيل ارتكاب الصغائر من الذنوب من غير إصرار فيها .

٧ ـ عن سعيد بن المسيّب والسدى : الخطرة من الذنب من غير اتباعها .

قال محمّد بن الحنفيّة : كلّ ما هممت به من خير أو شرّ فهو لمم والدليل على ذلك قوله عليه‌السلام : « أن للشيطان لمّة وللملك لمّة » .

٨ ـ عن نفطويه وعطاء بن أبى رباح : اللمم : عادة النفس حيناً بعد حين .

قال الزجاج : أصل اللمم والالمام : ما يعمله الانسان مرّة بعد مرّة بلاتعمّق فيه وإقامة عليه بل على سبيل الاتفاق فيكون أعم من الصغيرة والكبيرة .

٩ ـ قيل : اللمم هى الصغائر التى لايسلم أحد من الوقوع فيها الاّ من عصمه الله تعالى وحفظه .

١٠ ـ عن الكلبى : قال : اللمم على وجهين :

أحدهما ـ : كلّ ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدّاً فى الدّنيا ولا عذاباً فى الاخرة مالم تبلغ الكبائر والفواحش ، ثانيهما ـ : هو الذنب العظيم الذى يلمّ به الانسان مرّة بعدمرّة فيتوب منه .

١١ ـ قيل : اللمم : النظرة التى تكون فجأة .

١٢ ـ عن الحسن أيضاً : اللمم : الزنا أو السّرقة أو شرب الخمر من غير اعادة فيها فيرتكب مرّة من الكبائر والفواحش ثمّ تاب واستغفر ولا يعود اليها أبداً .

أقول: الثالث والاخير هما المؤيّدان بالروايات الاتية .

وفى قوله تعالى : « إنّ ربّك واسع المغفرة » قولان :

أحدهما ـ عن إبن عباس وإبن زيد : أى لمن تاب من ذنبه صغيره وكبيره واستغفر .

٢ ـ قيل : فيغفر الصغائر باجتناب الكبائر .

أقول: والاول هو الانسب بسياق العموم .

وفى قوله تعالى: « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الارض وإذ أنتم أجنة فى بطون

امهاتكم » أقوال :

١ ـ قيل : أى ان الله تعالى هو أعلم بالكافر والمؤمن والمحسن والمسيء والمطيع والعاصى من انفسكم حين إبتدعكم من الارض فاحدثكم منها وحين انتم اجنّة لم تولد و كنتم فى بطون امّهاتكم .

٢ ـ قيل : أى هو اعلم بكم قبل ان يخلقكم اذ انشأ ابا كم آدم عليه السلام من اديم الارض ، وهو بصير بأحوالكم ، عليم بأقوالكم وافعالكم ، واعلم بكم حين صوّركم فى الارحام .

٣ ـ عن الحسن : اى اعلم من كل نفس ما هى صانعة وإلى ما هى صائرة إذ خلقكم من الارض عند تناول الاغذية المخصوصة التى خلقها من الارض ، واجرى العادة بخلق الاشياء عند ضرب من تركيبها فكأنّه تعالى انشأكم منها ، فأنشأكم من الارض ماجرى عليكم فى بدء خلقكم من الموادّ العنصريّة الى ان تتكوّنوا فى صورة المنىّ وتردوا الارحام .

٤ ـ قيل : أى هو علم ضعفكم وميل طباعكم إلى الّلمم وعلم حين كنتم فى الارحام ما تفعلون إذا خرجتم وإذا علم ذلك منكم قبل وجودكم فكيف لا يعلم ما حصل منكم من حق العقيدة وباطلها ومن صالح العمل وفساده .

وفى قوله تعالى : « فلا تزكّوا أنفسهم » أقوال :

١ ـ قيل : اى لاتعظموا أنفسكم ولا تمدحوها ولا تثنوا عليها بما ليس لها فانّى أعلم منكم بأنفسكم فان ذلك أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع .

٢ ـ قيل : أى لا تزكّوها بما فيها من الخير ليكون اقرب إلى النسك والخشوع وأبعد من الرياء .

٣ ـ عن زيد بن أسلم : اى فلا تشهدوا لأنفسكم بانّها زكيّة بريئة من الذّنوب والمعاصى .

٤ ـ قيل : اريد بالنهى عن التزكية إذا يكون رئاء وإعجاباً بالعمل و الاّ فلا بأس بها ولا تكون منهيّاً عنها .

٥ ـ قيل : إنّ المراد بالنهى عن التز كية هو النهى عن الاطمئنان إلى النفس وعدّها مز كّاة مطهرة غيرمحتاج إلى تز كية وتطهير، فالمعنى : لاتحسبوا أنفسكم مز ّكاة مطهرة فالنهى عن تز كية النفس هنا هو نهى عن إخلاء النفس من مشاعر الاتهام لها بالهوى والنظر اليها نظرة لاترفعها إلى درجة الكمال ، وهذا خداع النفس الذى يزين للمرء سوء عمله ويريد من ذاته انّه أوفى على غاية الاحسان .

قال الله تعالى : « أفمن زيّن له سوء عمله فرآه حسناً » فاطر : ٨) .

فليس المراد منه الكفّ عن طلب مايز كى النفس ويطهرها وانّما تز كية النفس وتطهيرها عن الذنوب أمر مطلوب من كل انسان .

قال الله تعالى : « قد أفلح من تز كّى » الاعلى : ١٤) .

وقال : « قد أفلح من ز كّيها » الشمس : ٩) وانما هى دائماً فى حاجة إلى تز كية وتطهير .

أقول : والاخير هو التحقيق .

وفى قوله تعالى : « هو أعلم بمن اتقى » اقوال :

١ ـ قيل : اى اتقى الشرك والكبائر .

٢ ـ عن الحسن : اى هو اعلم بمن برّ وأطاع وأخلص العمل .

٣ ـ قيل : اى اعلم بمن تز كّى وتطهر منكم قال الله تعالى : « والله يعلم المفسد من المصلح » البقرة : ٢٢٠) .

أقول : والمعانى متقاربة .

٣٣ ـ (أفرأيت الذى تولى)

فى الاية قولان : أحدهما ـ : قيل : أى أفرأيت وأبصرت الذى أعرض عن اتباع الحق والثبات عليه .

ثانيهما ـ قيل اى فاخبرنى عمن أعرض عن الانفاق .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين بل جمهورهم .

٣٤ - **(وأعطى قليلا وأكدى)**

في الاية أقوال :

١ - عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والفرّاء : أى أعطى قليلاً من ماله وامسك بعد ذلك أشد الامساك عن العطيّة وقطع .

٢ - عن المبرّد : أى أعطى قليلاً من الأيام من ماله ثمّ منع منعاً شديداً .

٣ - قيل : أى وأعطى قليلاً من الخير بلسانه ثم أمسك نفسه عن ذلك .

اقول: وعلى الاول اكثر المحققين .

٣٥ - **(اعنده علم الغيب فهو يرى)**

في الاية قولان :

أحدهما - قيل: أى أعند المتحمل عنه علم الغيب فهو يعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه يوم القيامة ويرى حقيقة قوله ووفائه بما وعده .

ثانيهما - قيل : أعند هذا المتحمّل الذى يضمن عن صاحبه وزره ويعذّب مكانه يوم القيامة لو استحق العذاب يوم القيامة ليمسك الصاحب عن اتباع الحق والاعطاء في سبيله علم بما غاب عن الصاحب من مستقبل حاله في الحياة الدنيا فهو يعلم أنّه لو أنفق صاحبه ودام على الانفاق لنفد ماله وابتلى بالفقر .

اقول : وعلى الاوّل اكثر المفسرين .

٣٧ - **(وابراهيم الذى وفى)**

في التوفية أقوال :

١ - عن ابن عباس : أى وفّى ما أرسل به وهو قوله : « الاّ تزر وازرة وزر اخرى » ، وقال : كان الناس قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرّجل بذنب غيره ويأخذون الولى بالولى في القتل والجراحة فيقتل الرجل بأبيه وأخيه وعمه وخاله وابن عمّه وقريبه وزوجته وزوجها وعبده فبلغهم ابراهيم عليه السلام عن الله تعالى : «ان لا تزر وازرة وزر اخرى » .

٢ ـ قيل : أى وفّى ابراهيم عليه السلام طاعة الله تعالى ورسالاته الى خلقه وبلّغ ما امر به وتمّم وأكمل ما اوجب الله عز وجل عليه من كل ما امر وامتحن به .

٣ ـ قيل : أى وفّى بما راى فى المنام من ذبح ابنه اسمعيل .

٤ ـ قيل: اى وفّى ربه جميع شرائع الاسلام فكتب الله تعالى له براءة من النّار.

٥ ـ قيل : أى وفّى بذكر الله تعالى فى جميع حالاته .

٦ ـ قيل : أى وفّى ربّه عمل كل يومه .

٧ ـ قيل : أى بلّغ قومه وأدّى ما امر به اليهم .

٨ ـ عن إبن عباس قال : وفّى إبراهيم عليه السلام بسهام الاسلام كلّها وهى ثلاثون سهما لم يوفّها أحد غيره ، منها عشرة فى سورة براءة وهى قوله تعالى : « انّ الله إشترى من المؤمنين أنفسهم ـ إلى قوله تعالى ـ انّ الله لا يضيع أجر المحسنين » : ١١١ ـ ١٢٠) .

وعشرة فى سورة الاحزاب، وهى قوله تعالى : « انّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ـ إلى قوله تعالى ـ وأعدّ لهم أجراً كريماً » : ٣٥ ـ ٤٤) .

وستّة منها فى سورة المؤمنون من قوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون ـ الى قوله تعالى ـ فانّهم غير ملومين » : ١ ـ ٦) .

وأربعة منها فى سورة المعارج من قوله تعالى : « والّذين يصدّقون بيوم الدين ـ إلى قوله تعالى ـ والّذين هم لفروجهم حافظون » : ٢٦ ـ ٢٩) .

٩ ـ عن سعيد بن جبير وقتادة : أى صدق فى قوله وعمله

١٠ ـ عن أبى بكر الورّاق : أى طالب الله تعالى من ابراهيم عليه السلام بصحة دعواه فابتلاه فى ماله وولده ونفسه فوجده وافياً بذلك .

١١ ـ قيل : أى وفّى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار .

١٢ ـ قيل : أى وفّى ابراهيم عليه السلام لانه كان يقول صباحاً ومساء : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » .

١٣ ـ عن الحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير : أى عمل بما أمر به وفرض

عليه وبلّغ رسالات ربه .

اقول: والاول هو ظاهر سياق الايات المبيّنة التالية من غير تناف بينه وبين سائر الاقوال وخاصّة الثامن منها .

٣٩ - (وأن ليس للانسان الا ماسعى)

فى الانسان قولان :

أحدهما - قيل : هو عامّ يشمل للكافر والمؤمن والعاصى والمطيع .

ثانيهما - : قيل : اريد به الكافر .

أقول: ولكل وجه : أمّا وجه الاوّل فللاطلاق ، وأمّا وجه **الثانى** فلسياق التهديد والتناسب بقوله تعالى : « أم للانسان ما تمنّى » : ٢٤) .

فى السّعى اقوال :

١ - قيل : السعى : العمل يقال : سعى فلان أى عمل على حذف المضاف أى ليس للانسان الاّ ثمرة عمله فى الحياة الدنيا .

٢ - قيل : السعى : أجره لانفسه أى ليس للانسان الاّ أجر ما سعى فيه فكما لايحمل على الانسان وزر غيره كذلك لايحصل له من الأجر إلاّ ما كسب نفسه .

٣ - قيل : اللام للملك والايجاب ، أى فلم يجب للانسان إلاّ ما سعى فاذا تصدّق عنه غيره فليس يجب له شىء إلاّ انّ الله تعالى يتفضل عليه بما لايجب له كما يتفضّل على الاطفال بادخالهم درجة آبائهم .

٤ - عن الربيع بن أنس : يعنى الكافر ، وأمّا المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره .

٥ - قيل هذا : خاصّ فى السيّئة .

٦ - عن ابى بكر الورّاق : « إلاّ ما سعى » : إلاّ ما نوى ، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يبعث الناس يوم القيامة على نيّاتهم » .

اقول: والثالث هو التحقيق .

٤٠ ـ (وان سعيه سوف يرى)

فى الاية اقوال :

١ ـ قيل : اى يرى نتيجة سعيه الصالح بالعزّة والسعادة ، وغنا نفسه بما فى يده وثمرة سعيه الطالح بالذّلة والشقاء ، وفقر نفسه فى الحياة الدنيا .

٢ ـ قيل : أى يريه الله تعالى جزاء سعيه فى الاخرة إن خيراً فخيراً وان شرّاً فشرّاً .

٣ ـ قيل : اى سيعرض عمله يوم القيامة على أهل المحشر فالمؤمنون منهم يطلعون عليه .

٤ ـ قيل : اى يرى سعيه نفسه فى الآخرة .

أقول: والاخير هو الظاهر لذكر الجزاء بعد ذلك إذ قال : « ثم يجزاه الجزاء الاوفى » .

٤٢ ـ (وان الى ربك المنتهى)

فى الاية اقوال:

١ ـ قيل : اى انتهاء جميع الخلق ورجوعهم الى الله تعالى يوم القيامة لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكاً وهو وحده المجازى جميعهم بصالح اعمالهم وطالحها ومحسنهم ومسيئهم .

٢ ـ قيل : اى ينتهى الحساب والثواب والعقاب كلّها الى الله تعالى .

٣ ـ قيل : منه ابتداء المنّة وإليه إنتهاء الامان .

٤ ـ قيل : اى ينتهى الكون وما فيه الى الله تعالى فلا فيه امر من التدبير والخلق والنظام الجارى كلّيا او جزئياً الاّ وهو ينتهى اليه تعالى ، فابتداء الامر والخلق وإنتهاء كلّه يرجع إليه إذ قال : « ألاله الخلق والامر » الاعراف : ٥٤) .

٥ ـ قيل : أى ان الى حساب ربّك منتهاهم .

٦ ـ قيل: أى تنتهى الافكار وآثارها الحسنة والقبيحة اليه تعالى وتقف دونه.

اقول: ان السّياق السابق يؤيد الاول ، والسّياق التالى يؤيد الرابع

وبالاطلاق يمكن الجمع فتدبّر .

٤٣ - (وانه هو اضحك وابكى)

فى الاضحاك والابكاء أقوال :

١ - عن مجاهد والحسن : أى يفرح المؤمنين ويسرهم فى الجنّة ويحزن الكافرين فى النّار .

٢ - قيل : أى يضحك الانسان فى الدنيا تارة ويبكيه تارة اخرى على ما أودع فيه قوّتى الضحك والبكاء . وعن عطاء بن أبى مسلم : يعنى أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك ، والحزن يجلب البكاء .

٣ - قيل : أى أضحك الاشجار بالانوار وأبكى السّحاب بالامطار .

٤ - عن الضحاك : أى أضحك الارض بالنبات وأبكى السّماء بالمطر .

٥ - عن بسام بن عبدالله : أى أضحك الله أسنانهم وأبكا قلوبهم .

٦ - عن محمد بن على الترمذى : أى أضحك المؤمن فى الاخرة وأبكاه فى الدنيا .

٧ - عن سهل بن عبدالله : أى أضحك المطيع بالرحمة وأبكى العاصى بالسخطة .

٨ - قيل : أى أودع الله تعالى فى الانسان غريزة اللذّة والألم والحزن والسرور .

٩ - عن عطاء والجبائى : أى انّه تعالى يوجد فى نفس الانسان أسباب الضحك والبكاء .

١٠ - قيل : أى ان الله تعالى جعل الانسان بحيث يضحك عند أسباب الضحك ويبكى عند أسباب البكاء ونسبة الاضحاك والابكاء إلى الله تعالى باعتبار ما خلقه كذلك ، وأمّا اسباب الضحك فقد توجد باختيار الانسان وفعله كاضحاك بعض الناس بعضهم بالقول والفعل ، وقد توجد من الله تعالى و كذلك فى البكاء كضحك الصبىّ وخاصّة منذ بدء الولادة وبكاءه مثلا .

١١ - قيل : ان الضحك والبكاء من فعل الانسان قال الله تعالى : « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً » فنسب الضحك اليهم .

١٢ - عن الحسن : انّ الله تعالى هو خالق الضحك والبكاء ، وان الضحك

يفتح اسرار الوجه عن سرور وعجب فى القلب فاذا هجم على الانسان منه مالا يمكنه دفعه فهو من فعل الله والبكاء هو جريان الدمع على الخدع عن غم فى القلب ، وربما كان عن فرح يمازجه تذكر حزن فكأنه عن رقّة القلب .

١٣ ـ قيل : انّ الله تعالى خلق ما يسرّ من صالح الاعمال وما يحزن من طالح الاعمال .

١٤ ـ قيل : انّ الله تعالى هو اوجد الضّحك فى الضاحك ، وأوجد البكاء فى الباكى لا غيره .

أقول: والا خير هو الانسب بانتهاء الخلق والتدبير الى الله تعالى على ما بصدده السياق فى المقام .

٤٤ ـ (وانه هو أمات واحيى)

فى الاماتة والاحياء اقوال :

١ ـ قيل : اى انّ الله تعالى قضى اسباب الموت والحياة .

٢ ـ قيل اى امات الكافر بكفره وأحيى المؤمن بايمانه لقوله تعالى : « أو من كان ميتاً فأحييناه » الانعام : ١٢٢) .

٣ ـ عن عطاء : أى ان الله تعالى أمات بعدله وأحيى بفضله .

٤ ـ قيل : أى أمات بالمنع وأحيى بالبذل .

٥ ـ قيل : أى أمات النطفة وأحيى النسمة .

٦ ـ قيل: أى أمات الآباء وأحيى الأبناء .

٧ ـ قيل : يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب .

٨ ـ قيل : أى انام وأيقظ .

٩ ـ قيل : أى امات فى الدنيا وأحيى فى البعث .

١٠ ـ قيل : أى انّه تعالى خلق الموت والحياة فيحيى من يشاء حياته ويميت من يشاء مماته فينفخ الروح فى النطفة الميتة فيجعلها حيّة .

أقول: وعلى الأخير اكثر المحققين .

٤٨ ـ (وانه هو أغنى واقنى)

فى الاغناء والاقناء اقوال :

١ ـ عن إبن عباس : أى اغنى وارضى بما اعطى .

٢ ـ عن ابى صالح : اى اغنى الناس بالاموال واعطاهم القنية وهى اصول المال وما يدّخرونه بعد الكفاية .

٣ ـ عن إبن زيد ومجاهد وقتادة والحسن : اى اغنى المال وموّل فاخدم .

٤ ـ عن سليمان التيمى والاخفش : اى اغنى نفسه وافقر خلقه إليه .

٥ ـ عن إبن زيد ايضاً : اى اغنى من شاء من خلقه وافقر من شاء منهم مستدلا بقوله تعالى : « الله يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر » الرعد : ٢٦) .

٦ ـ عن سفيان : اى اغنى بالقناعة وأقنى بالرضا .

٧ ـ عن إبن كيسان : اقنى اى اولد .

٨ ـ قيل : اى اغنى بالكفاية واعطى بالزيادة وهى ما يدوم من الاموال ويدّخر ويبقى ببقاء نفسه كالدار والبستان والحيوان وما اليها .

أقول : الثانى والثامن هما المتقاربان وعليهما اكثر المفسرين .

٤٩ ـ (وانه هو رب الشعرى)

فى الشعرى كلمات ينبغى ذكرها :

١ ـ عن إبن عباس ومجاهد والسدى وقتادة : ان الشعرى كوكب يدعى الشعرى وهى خلف الجوزاء كانت تعبدها حمير وخزاعة فى الجاهليّة فخالفوا قريشاً فى عبادة الاوثان .

٢ ـ ان اول من عبد الشعرى ابو كبشة احد اجداد النبى الكريم صلى الله عليه وآله من قبل امّه ولذلك كان مشركو قريش يسمّون النبى صلى الله عليه وآله ابن ابى كبشة حين دعاهم إلى الله تعالى وخالف أديانهم وقالوا : ما لقينا من أبى كبشة تشبيهاً له صلى الله عليه وآله به فى مخالفته إيّاهم فى الدين كما خالف أبو كبشة قومه فى عبادة الشعرى إذ قال :

لا أرى شمساً ولا قمراً ولا نجماً تقطع السّماء عرضاً غيرها فليس لشيء مثلها فعبدها .

وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف فى بعض المضايق وعساكر رسول الله ﷺ تمرّ عليه : لقد أمر أمر ابن ابى كبشة وقد كان من لا يعبد الشّعرى من العرب يعظّمها ، ويعتقد تأثيرها فى العالم ، قال الشاعر :

مضى ايلول وارتفع الحرور وأخبت نارها الشعرى العبور

٣ ـ انّ العرب تقول فى خرافاتها :

انّ سهيلاً والشّعرى كانا زوجين فانحدر سهيل فصار يمانياً فاتبعته الشّعرى العبور فعبرت المجرّة فسمّيت العبور وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها فسميت غميصاء لانها أخفى من الاخرى .

٥٠ ـ (وانه أهلك عاداً الاولى)

فى عاد الاولى والاخرى أقوال :

١ ـ قيل : عاد الاولى هم قوم هود النبى عليه السلام وعاد الاخرى إرم بن سام ابن نوح .

٢ ـ عن المبرّد : عاد الاولى قوم كانوا قبل ثمود وسمّوا بالاولى لكونهم وعاد الاخرى هم قوم ثمود .

٣ ـ قيل : عاد الاولى : القدماء لأنهم اولى الامم هلاكاً بعد قوم نوح .

وقيل : وصفت عاد بالاولى لانها متقدّمة زمناً على الامم التى حفظ التاريخ لها ذكراً . . فهى أوّل امّة بعد قوم نوح عليه السلام عن إبن زيد .

٤ ـ عن إبن إسحق : عاد الاولى أهلكت بالريح الصرصر ، والاولى أهلكت بالصيحة .

٥ ـ قيل : عاد الاولى هو عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح ، وعاد الثانية من ولد عاد الاولى .

٦ ـ قيل : إن عاد الاخرى الجبّارون وهم قوم هود عليه السلام .

اقول: عاد الاولى هم قوم هود النبى عليه السلام ووصفوا بالاولى لان هناك عاداً ثانية هم بعد عاد الاولى وسيأتى تحقيق عميق فى العادين فى سورة الفجر إنشاء الله تعالى .

٥٢ - (وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى)

فى الاية أقوال:

١ - قيل : قوله : « هم كانواهم أظلم وأطغى » بيان لشدة طغيان قوم نوح وفرط ظلمهم عليه وذلك لطول مدّة نوح عليه السلام فيهم حتى كان الرجل منهم يأخذ يد إبنه فينطلق إلى نوح عليه السلام فيقول : احذر منه فانّه كذّاب وان أبى قد مشى بى الى هذا وقال لى مثل ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصيّة أبيه فلا تؤثّر دعائه فيه وكانوا يؤذونه وينفرون عنه الناس .

٢ - قيل : أى ان قوم نوح هم أظلم من عاد وأطغى من ثمود .

٣ - قيل : ان عاداً وثمود وقوم نوح كانوا اكفر من مشركى العرب وأطغى فالجملة تعليل وتسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله ، فكأنه تعالى قال له : فاصبر يا محمد صلى الله عليه وآله تجاه كفر قومك وأذاهم إيّاك فان العاقبة لك .

اقول: والاخير هو الا نسب بسياق الا نذار .

٥٣ - (والمؤتفكة اهوى)

فى المؤتفكة قولان :

احدهما - عن قتادة وابن زيد : أى مدائن قوم لوط انقلبت وصار عاليها سافلها وخسف بهم بعد رفعها الى السّماء رفعها جبرئيل عليه السلام ثم أسقطها إلى الارض .

ثانيهما - : المؤتفكة : البصرة وكانت تسمى فى القديم تدمر والمؤتفكة لانّها إئتفكت بأهلها فى أوّل الدّهر، ويقال للبصرة قبّة الاسلام وخزانة العرب ، بناها عتبة بن غزوان فى زمن عمر بن الخطاب سنة سبع عشر من الهجرة وسكنها الناس سنة ثمان عشرة .

والبصرة بالمغرب الاقصى قرب السوس سميت بمن نزلها واختطها من اهل

البصرة عند فتوح تلك البلاد وقدخربت بعد الاربعمأة من الهجرة ولا تكاد تعرف.

اقول: والاخير هو المروىّ.

وقيل : ومن المحتمل ان يكون المراد بالمؤتفكة ما هو اعمّ من قرى قوم لوط وهى كلّ قرية نزل عليها العذاب فباد أهلها فبقيت خربة دائرة معالمها خاوية على عروشها.

اقول: لو لم تكن الرواية الصحيحة فى المقام لكان للاحتمال وجه.

٥٤ - (فغشيها ما غشى)

فى الاية اقوال :

١ - قيل : اى فأحاط الله تعالى بأهل البصرة من العذاب ما احاط بهم والبسهم من العذاب ما البسهم ، بناء على انّ الضمير راجع إلى المؤتفكة فقط والمراد بالمؤتفكة هم اهل البصرة.

٢ - قيل اى وامطر على قوم لوط حجارة من سجيل منضود بناء على أن المراد بالمؤتفكة هم قوم لوط ، عن قتادة وابن زيد.

٣ - قيل : أى فاحاط الله تعالى الامم من عاد وثمود وقوم نوح واهل البصرة بفنون من العذاب ما احاط بهم.

اقول: والاخير هو الانسب بسياق الاطلاق.

٥٥ - (فبأى آلاء ربك تتمارى)

فى الخطاب اقوال :

١ - عن قتادة : اى فبأىّ نعم ربّك يا بنى آدم التى انعمها عليك ترتاب وتشك وتجادل.

٢ - قيل : خطاب للذى تولّى وأعطى قليلا وأكدى.

٣ - قيل خطاب للنبى الكريم صلّى الله عليه وآله من باب ايّاك اعنى واسمعى يا جاره.

٤ - خطاب للمكذبين على سبيل الخطاب لكل فرد.

أقول والاخيرهو الانسب بسياق الانذار ، والمؤيد بقوله تعالى : « افتمارونه

على مايرى » النجم : ١٢) .

٥٦ ـ (هذا نذير من النذر الاولى)

فى الايه اقوال :

١ ـ عن قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب أى : ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم نذير لقومه وكانت النذر الذين قبله نذراً لقومهم كما يقال : هذا واحد من بنى آدم وواحد من الناس .

ووصفه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه من النذر الاولى مع كونه صلى الله عليه وآله وسلم آخر الرسل فانه أنذر كما أنذرت الرسل من قبله وبعث صلى الله عليه وآله وسلم بما بعث الرسل من قبله فانذاره من جنس النذر الاولى التى أرسلها الله تعالى على لسان رسله الاوّلين ، فكأنه قيل : فان أطعتموه أيّها المشركون تفلحوا والاّ يحلُّ بكم ماحلّ بمكذّبى الانبياء السالفة .

٢ ـ عن أبى مالك : أى هذا القرآن الكريم نذير بما أنذرت به فى صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام .

٣ ـ عن الجبائى : أى هذا الذى أنذرتكم به من أخبار الامم الهالكة ايّها المشركون ومن الوقائع التى ذكرت لكم انّى أوقعتها بهم وهلكتهم قبلكم نذير من النذر الاولى .

أقول: والاخير هو الأنسب بظاهر السياق ويمكن تأييده بقوله تعالى : « أفمن هذ الحديث تعجبون » النجم : ٥٩) وبما يأتى فى سورة القمر فتدبّر .

٥٨ ـ (ليس لها من دون الله كاشفة)

فى الآية اقوال :

١ ـ قيل : أى ليس للقيامة من دون الله تعالى ان يؤخرها أو يقدّمها .

٢ ـ قيل : أى لايكشف عنها ولا يبديها أويظهروقتها الاّ الله تعالى فلا يعرف وقت حلولها الاّ الله تعالى فاستعدّوا لها قبل ان تأخذكم بغتة وانتم لاتشعرون ولآت ساعة مندم وجدّوا للعمل قبل حلول الأجل ، فالهاء فيه كالهاء فى العاقبة والباقية ، يقال : مالفلان من باقية اى من بقاء .

٣ - قيل : أى إذا قامت القيامة لايكشفها احدمن آلهة المشركين المكذبين ولا ينجيهم غير الله تعالى وقد سمّيت القيامة غاشية فاذا كانت هى غاشية كان ردّها كشفاً ، فالكاشفة على هـذا نعت مؤنّث لمحذوف اى نفس كاشفة او فرقة كاشفة او حال كاشفة .

٤ - قيل : ان الكاشفة بمعنى كاشف ، فالهاء للمبالغة مثل راوية وداهية .

٥ - عن قتادة والضحاك وعطاء : اى لاتستطيع نفس على ازالة ما فيها من الشدائد والاهوال الاّ ان يكشفها الله تعالى على انّ المراد بالكشف ازالة ما فى القيامة من الشدائد والاهوال .

أقول: وعلى الاخير اكثر المحققين .

٥٩ - (أفمن هذا الحديث تعجبون)

فى الآية اقوال :

١ - قيل : أى أفمن هذا القرآن ونزوله من عندالله على محمدصلى الله عليه وآله و كونه معجزاً تعجبون تكذيباً به وقد جاء كم بما فيه هدايتكم إلى سواء السّبيل وإرشادكم إلى طريق مستقيم .

٢ - قيل أى أفمن هذا الحديث مما تقدم بيانه فى هذه السّورة من الاخبار بما رآه ليلة المعراج والاخبار بما جاء فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السّلام .

٣ - قيل : أى أفمن هذا الحديث مما أخبر بما جاء فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام .

٤ - قيل : أى أفمن هذا الاخبار مما رآه محمد صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء .

اقول: والثانى هو الانسب بعموم السياق لو لم نقل بأنسبيّة الاخير بعود الختم إلى البدو .

٦١ - (وانتم سامدون)

فى معنى السمود أقوال :

١ - عن ابن عباس ومجاهد والضحاك : أى أنتم لاعبون ولاهون عما فيه من العبر والذكر معرضون عن آياته .

٢ ـ عن عكرمة وابن عباس أيضاً : أي مغنّون وذلك انهم اذا سمعوا القرآن تغنّوا ولعبوا حتى لا يسمعوا ولان يشتغلوا الناس عن استماعه ، قال ابن عباس : هذا من لغة اهل اليمن ، وقال عكرمة : السمود : الغناء بلغة حمير يقال : سمّد لنا : غنّ لنا .

٣ ـ عن مجاهد : أي مبرطمون ، وذلك انهم كانوا يمرّون بالنبي ﷺ غضباناً ، ثم انهم كانوا انصفوا من انفسهم وقالوا : لانعجب ولا نضحك ولا نسمد بل ينبغي لنا أن نبكي ونخشع ، البرطمة : الاعراض الذي يتبعه الندم .

٤ ـ عن الضحّاك : أي كانوا يمرّون بالنبي ﷺ شامخين ناصبين رؤسهم متكبّرين .

٥ ـ عن الحسن وقتادة وابن زيد : أي غافلون

٦ ـ عن المبرّد : أي خامدون .

٧ ـ عن الحسن ايضاً أي قائمون قيام القوم قبل أن يجيىء الامام .

٨ ـ قيل : اى جالسون غير مصلّين ولا منتظرين للصلاة .

أقول: جاء للسّمود معان في اللغة ، ولكن الانسب بالسياق هو الاول والثاني والرابع من غير تناف بينها وبين اكثر الاقوال الاخر .

٦٢ - (فاسجدوا لله واعبدوا)

في الخطاب اقوال :

١ ـ قيل: خطاب موجّه إلى المؤمنين حثّاً لهم على عدم الاهتمام بموقف الكفار وما هم فيه من سهو وضحك والاقبال على عبادة الله تعالى والتقرب إليه أي اذا اعترفتم أيّها المؤمنون لله تعالى وحده بالعبوديّة ، فاخضعوا له وحده وأقيموا وظائف العبادة له وحده .

٢ ـ قيل : خطاب موجّه إلى المشركين إستمراراً على الخطاب الموجّه اليهم أي إذا علمتم ايها المشركون صدق ما أخبر به محمد ﷺ وعرفتم إبطال الوهيّة غير الله وأردتم النجاة والخلاص من العذاب ، فاخضعوا لجلال الله تعالى

وحده واعبدوه وحده.

وهذاما ينبغى أن يكون موقف المخلوق من خالقه ولاء وطاعة وحمداً وتسبيحاً وعبادة.

٣ ـ قيل: خطاب عام يشمل المؤمن والكافر.

اقول: والثانى هو الظاهر والاخير غير بعيد.

وفى محل السجدة قولان:

احدهما ـ عن ابن مسعود وابن عباس: ان المراد بالسجود هو سجود تلاوة القرآن، وبه قال ابو حنيفة والشافعى.

ثانيهما ـ عن ابن عمر: هو سجود الفرد فى الصلاة وبه قال مالك.

اقول: وعلى الاول جمهور المفسرين.



﴿ التفسير و التأويل ﴾

١ ـ (والنجم اذا هوى)

أقسم الله تعالى بالنجم إذا نزل لينبهنا إلى عوالم علوية فنتعرف امرها ونستدل بها على عظيم قدرة مبدعها و كمال علمه وغاية حكمته .

٢ ـ (ما ضل صاحبكم وما غوى)

اى ما خرج محمد صلى الله عليه وآله عن الطريق الموصل الى الغاية المطلوبة التى هى السعادة الانسانية وما سلك خلاف الرشد بالجهل أو بالالتباس.

كيف وهو بينكم طيلة اربعين عاماً وقد عرفتم تفاصيل احواله وأحطتم به خبراً ببراءته من الكذب و الخيانة ومن تخلّف الوعد ونقض العهد ومن الضلالة والغواية ومن الكهانة والسحر والجنون .

لماذا تبدّلت حالكم معه بعد ذلك فأنكرتم عليه ما جاء كم به من غير نظر وتفكّر فيه ؟

قال تعالى : « أو لم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة إن هو الاّ نذير مبين » الاعراف : ١٨٤).

٣ ـ (وما ينطق عن الهوى)

أى وما ينطق محمد صلى الله عليه وآله بمايخبر كم به مما رآه ليلة الاسراء عن هوى نفسه .

٤ ـ (ان هو الا وحى يوحى)

أى ليس ما يخبر كم به محمد صلى الله عليه وآله الاّ وحى يوحى إليه من ربّه بلاواسطة إذ كان هو صلى الله عليه وآله بالافق الاعلى .

٥ ـ (علمه شديد القوى)

أى علّم الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله ما علّمه ليلة الاسراء وهو جل وعلا قوى ّ لا يضعف وعزيز لا يغلب .

٦ ـ (ذو مرة فاستوى)

أى ذونوع من المرور عرج فيه إلى السماوات إلى أن ارتفع ووقف موقف العلو ما وطأه غيره من خلق الله تعالى بعد واستقرّ له الامر.

٧ ـ (وهو بالافق الاعلى)

أى وقف محمد صلى الله عليه وآله موقف العلو وهو بموقف أعلى من موقف السّماوات من غير اعتبار كونه افقاً شرقياً أو غربياً .

٨ ـ (ثم دنا فتدلى)

أى قرب النبىّ الكريم صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء من الله جل وعلا وزاد فى القرب فعلا إلى ما لايعلمه الاّ الله تعالى .

٩ ـ (فكان قاب قوسين او ادنى)

أى فكان قرب محمد صلى الله عليه وآله من ربّه كما بين مقبض القوس الى راس السية بل أدنى من ذلك حتى سكن روعه .

وليس قرب النبى صلى الله عليه وآله من الله تعالى بدنوّ مكان ولا قرب مدى وانما كان هو إبانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق أنوار معرفته ومشاهد أسرار غيبه وقدرته وكان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحمل ، اذ رفع و وطأ موقفاً لم يطأه غيره من الملائكة المقربين ولا نبى من الانبياء والمرسلين .

١٠ ـ (فأوحى الى عبده ما أوحى)

أى حين وقف النبى الخاتم صلى الله عليه وآله موقفاً لا يعلمه إلا الله جل وعلا فأوحى إلى عبده محمد صلى الله عليه وآله ما أوحى اليه من أمر الخلافة الالهيّة بعد رسوله صلى الله عليه وآله .

ولعمرى: انّ أهميّة أمر الخلافة عندالله تعالى بمثابة أهميّة قرب النبى صلى الله عليه وآله من الله تعالى ليلة الاسراء بل هو عنده تعالى أهمّ منه اذ قال : « يا ايّها الرّسول

بلّغ ما انزل اليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته » المائدة: ٦٧).

ولعمرى: ان الفساد فى المجتمع البشرى والاختلاف وظهور العقائد الباطلة والآراء الفاسدة وطلاقة العنان وحكومة ارذل الناس عليهم كلّها ناشىء عن الانحراف عن امر الخلافة الحقّة بعد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وبحق اقول: انّ تبعات كل ذلك على من صرف امر الخلافة عن مسيرها الحق وعلى اتباعهم الذين علموا و كتموا.

« فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها » الانعام: ١٠٤).

١١ - (ما كذب الفؤاد ما رای)

أى ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله ما رأته عيناه ليلة الاسراء من آيات ربّه الكبرى ثم اخبر الناس بها.

١٢ - (افتمارونه على ما يرى)

أى افتجادلون ايّها المشركون رسولنا محمداً صلى الله عليه وآله وتصرّون فى جدالكم عليه صلى الله عليه وآله ان يذعن بخلاف ما يخبركم به مما أريناه من اكبر آياتنا ليلة المعراج وهو رآها بالعيان، وذلك حيث كانوا يجادلونه على ما يخبرهم ويقولون له: صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى طريق الشام وغير ذلك من الجدال والتكذيب.

١٣ - (ولقد رآه نزلة اخرى)

أقسم الله تعالى بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رآى اكبر آيات ربّه مرّة اخرى ليلة الاسراء.

١٤ - (عند سدرة المنتهى)

أى ورأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو عند شجرة السدرة التى ينتهى عندها التقدم والشوط وينتهى اليها علم الخلق وليس لاحد وراءها علم وينتهى اليها الاعمال الصالحة، واما الاعمال الفاسدة والاعمال التى ليس لاصحابها ايمان فتضرب على وجوه اصحابها.

قال تعالى: « إليه يصعد الكلم الطّيب والعمل الصّالح يرفعه » فاطر: ١٠).

١٥ ـ (عندها جنة المأوى)

أى عند سدرة المنتهى جنّة يأوى اليها المؤمنون يوم القيامة وهى الآن فى السماء قال الله تعالى : « أمّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم جنّات المأوى نزولاً بما كانوا يعملون » السجدة : ١٩) .

وقال : « فاذا جاءت الطامّة الكبرى ـ وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنّة هى المأوى » النازعات : ٣٤ ـ ٤١) .

وقال : « وفى السماء رزقكم وما توعدون » الذاريّات : ٢٢) .

١٦ ـ (اذ يغشى السدرة مايغشى)

أى رآى محمد صلى الله عليه وآله اكبر آيات ربه حين يغشى الله تعالى السدرة بنوره فاستنارت مايغشى به .

١٧ ـ (ما زاغ البصر وما طغى)

أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وآله عما رآه ليلة المعراج فما اشتبه عليه وما جاوز عما شاهد هناك من عجائب الامور فكانت رؤيته لايات ربه الكبرى التى عرضت له فى هذا المقام العظيم رؤية محققة موثّقة لم يدخل عليها زيغ ولا انحراف عن القصد ولا مجاوزة عن الحق .

١٨ ـ (لقد راى من آيات ربه الكبرى)

أقسم الله جلّ وعلا ان محمداً صلى الله عليه وآله شاهد اكبر آيات ربه من بين آياته بالعين الحسيّة ليلة الاسراء عند سدرة المنتهى .

٢٠ ـ ١٩ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى)

إن العرب كانوا يعبدون تلك الأصنام الثلاثة ويقدسونها ويعظمونها وكانوا يسمّونها باسمائها المؤنّثة على اعتبار انّها تماثيل ورموز للملائكة وانّ أسماءها أسماء الملائكة وان الملائكة هنّ بنات الله سبحانه .

والمعنى : انّ الله تعالى أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وآله إلى العلوى فانتهى إلى موقف لم يطأه أحد من خلقه بعد وأوحى إليها ما أوحى وأراه عند سدرة المنتهى من

اكبر آياته وأخبركم النبى الكريم ﷺ بما سمعتموه من آثار قدرة الله تعالى وعظمته وعلمه وحكمته . .

أفبعد ذلك تجعلون تلك الاصنام المصنوعة على حقارة شأنها شركاء لله سبحانه .

٢١ - (الكم الذكر وله الانثى)

أى أتزعمون ايها الجهال : ان لكم الولد الذى ترضونه انه أشرف الاولاد واكملهم وأنفعهم ولله سبحانه ولداً اذا بشر احدكم به ظل وجهه مسوداً وهو كظيم فجعلتم له الناقصات ولانفسكم الكاملين .

قال الله تعالى : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ويجعلون لله ما يكرهون » النحل : ٥٧ - ٦٢) .

وقال : « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون - اصطفى البنات على البنين » الصافات : ١٤٩ - ١٥٣) .

٢٢ - (تلك اذاً قسمة ضيزى)

أى تلك القسمة - وهى نسبة البنات إلى الله سبحانه مع اعتقادكم انهن ناقصات العقول وضعيف الاجسام وإختياركم البنين مع اعتقادكم انهم كاملين فى العقل والجسم - « اذاً » حال كونهم فى غاية النقص والحقارة تجاه غاية الكمال والعظمة لله تعالى قسمة فاسدة تماماً حيث ان العقل يحكم بأن الله تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

قال : « لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار - لا إله الا هو فأنى تصرفون » الزمر : ٤ - ٦) .

وقسمة جائرة خارجة عن موازين العدل حتى على منطقكم الضال الذى يملى عليكم هذه التصورات الفاسدة . .

وذلك لانكم لو جعلتم الله سبحانه مساوياً لكم فلا بد لكم أن تجعلوا له بنين وبنات كما ان لكم بنين وبنات فكيف جعلتم له بنات ولكم بنين فقد أخطأتم

فى ذلك من وجهين :

أحدهما - : انّكم أضفتم إلى الله سبحانه ما يستحيل عليه ولا يليق به .

ثانيهما - : انّكم أضفتم اليه سبحانه ما لاترضون لانفسكم فكيف ترضونه لله سبحانه ، فقسمتكم هذه فاسدة من جهة وجائرة غير عادلة من جهة اخرى .

مع انّه لو كان يمكن له الولادة لما اختار الادون على الافضل بل يختار لنفسه الولد الكامل لا الناقص .

قال : « افأصفاكم ربّكم بالبنين واتّخذ من الملائكة اناثاً انّكم لتقولون قولا عظيماً » الاسراء : ٤٠) .

وقال : « اصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون » الصافات : ١٥٣ - ١٥٤) .

٢٣ - (ان هى الا اسماء سميتموها انتم و آباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

أى ليست تلك الاسماء - اللات والعزّى ومناة وغيرها - وتسميتها آلهة ، وتسميتها ملائكة وتسمية الملائكة اناثاً وتسمية الاناث بنات الله سبحانه كلّها إلا أسماء ليس لها مسمّى ولامدلول ولاحقيقة ورائها فان الاسماء التى تذكرونها إنما هى أسماء على غير مسمى اذ كان حقيقة ما تعتقدون فى تلك الاصنام بحسب تلك الاسماء غير موجود فيها .

قال تعالى : « وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم » الرعد ٣٣) ليس المراد أن يذكروا اساميها - نحو اللات والعزّى ومناة - وانما المعنى اظهار تحقيق ما يدعونه إلهاً وانّه هل توجد معانى تلك الاسماء فيها اسماء « سمّيتموها انتم » من تلقاء أنفسكم أو من تقليد عن آباءكم وسمّاها آباؤكم اى فبعضها مسمّيات من تلقاء انفسكم وبعضها الاخرى مسمّيات من تلقاء انفس آباءكم .

ولم يجعل الله تعالى لكم فيها حجّة وما أنزل بما تدّعون بتلك الاسماء برهاناً يستدل به على مدّعاكم .

وكل ما لم يقرره الله تعالى لاقوّة فيه ولا سلطان له ولا حقيقة ، لانّ لكل

حقيقة نقلا وقوة وسلطاناً ووزناً وليس للاباطيل وزن ولا قوة ولاسلطان ولاحقيقة قال : « ما تعبدون من دونه إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » يوسف : ٤٠) .

لا يتبعون هؤلاء المشركون إلاّ الظّنّ إذ لاحجّة ولا برهان ولاعلم ولا يقين لهم فيها ويتّبع كل واحد منهم ما تهواه نفسه من غير اتكاء إلى حقّ وحقيقة وأصل وأساس . . وكل أمر ينتهي إلى شهوة النفس وهواها لن يستقيم أمره ، ومن هنا لايفيد على اتباع الهوى الهدى لابخفاء الحق وقصور الهدى ولا لضعف الدليل بل بمانعيّة الهوى عن قبول الحق والهدى والدليل ، قال الله تعالى : « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم إستكبرتم » البقرة : ٨٧) .

وقال : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنّما يتّبعون اهواءهم » القصص: ٥٠).

ولقد جاءهم من ربّهم الهدى والبيان بواسطة الرسول ﷺ ان تلك الاصنام ليست بآلهة .

٢٤ - (أم للانسان ما تمنى)

ألهذا الانسان الذى يقيم حياته على أوهام وضلالات ثمّ ينتظر الخير كلّه من وراء تلك الاوهام وتلك الضلالات ؟ ألهأن ينال بشفاعة الملائكة يوم القيامة - وهو غير مؤمن به - الذين جعلهم بنات لله سبحانه وجعل لهم تماثيل من الاصنام فعبدها بهوى نفسه لذلك !

قال الله تعالى : « والذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى » الزمر : ٣) .

وقال : « ويعبدون من دون الله ما لايضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » يونس : ١٨) .

٢٥ - (فلله الاخرة والاولى)

أى فاذا تقرّر انّ شيئاً من الاشياء ليس للانسان بمجرّد تمنّيه - وخاصة وهو على تلك الاوهام والضلالات فلا حكم إلا لله فيعطى من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد أن يتصرف فيه فانّ لله الاخرة والاولى فلا دخل لتلك الاصنام فى شىءمنه .

٢٦ ـ (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

أى وكثير من ملك من الملائكة فى السّموات لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى يوم القيامة شيئاً من الاغناء فى وقت من الاوقات إلاّ من بعد أن يأذن الله تعالى لهم فى الشفاعة مع كرامتهم وقداستهم لمن يشاء الله ويرضى عنه من أهل التوحيد والايمان ، وأمّا من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم بمعزل من رضى الله عنهم ومن الشفاعة بألف منزل ، فاذا كان هذا حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر..

فكيف تلك الاصنام وتلك الهيئات المصنوعة المنحوتة المهيبة المتنفّرة والمجسّمات الجامدة والاحجار الصمّاء أونفد الانسان والملائكة فتحتاج الى شفاعة الجماد لنا ، قال الله تعالى: « وانذرهم يوم الازفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » غافر : ١٨) .

وقال : « ولم يكن لهم من شركاءهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين » الروم : ١٣) .

وقال : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » المدثّر : ٤٨) .

٢٧ ـ (ان الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى)

أى ان الذين لا يصدقون بالبعث والحساب والجزاء ولا يستيقنون بها ليجعلون الملائكة بنات الله ويسمّونهم تسمية الاناث فيعبدونها ويستشفعون بها ظنّاً بالبعث والحساب والجزاء .

قال الله تعالى: « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » الزخرف:١٩).

وقال : « وإذا قيل انّ وعد الله حق والسّاعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما السّاعة ان نظنّ الا ظنّاً وما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٣٢) .

٢٨ ـ (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً)

أى وليس لهؤلاء عبدة الاصنام بما يقولون : من شفاعة الملائكة لهم بعبادتهم

وتسميتهم إيّاهم تسميّة الانثى من علم وهم لايتبعون فى ذلك إلاّ الظنّ ، والحال ان الظن لايغنى من حقيقة الامر شيئاً .

وذلك لانهم لم يشاهدوا خلقة الملائكة ولم يسمعوا ماقالوه من رسول ولم يروه من كتاب سماوى .

قال الله تعالى : « أم خلقنا الملائكة اناثاً وهم شاهدون ـ أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين » الصافات : ١٥٠ ـ ١٥٧) .

وقال : « وجعلوا الملائكة الّذين هم عباد الرحمن اناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يخرصون أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون » الزخرف : ١٩ ـ ٢١) .

٢٩ ـ (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا)

أى ان هؤلاء المشركين تركوا العلم واتّبعوا الظن وما هوت إليه أنفسهم فتولّوا عن الهدى وهو القرآن الذى يهدى متبعيه إلى الحق الصريح ويرشدهم إلى طريق الكمال الانسانى والسعادة الابديّة بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة التى لاتبقى معها وصمة شك ، وأرادوا الحياة الدنيا ومتاعها وإذا كانوا كذلك فأعرض عنهم لانهم فى ضلال وشقاق بعيد ، وذكّرهم فان الذكرى هى مهمتّك وما أنت عليهم بحفيظ .

قال الله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا وذكّر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله من ولىّ ولا شفيع ـ إتّبع ما أوحى اليك من ربّك لاإله إلاّ هو وأعرض عن المشركين ـ وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل » الانعام : ٧٠ ـ ١٠٧) .

وقال : « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنّا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون » الحجر : ٩٥ ـ ٩٦) .

٣٠ ـ (ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى)

أى امر الحياة الدنيا وطلبها و كونها شهيّةلهم محلّ بلوغهم أونفس بلوغهم من العلم فلا يتجاوز علمهم عنها إلى ورائها إذ صارت الدنيا متعلّق إرادتهم وموطن همّهم وظواهر الدنيا غاية حياتهم وعلمهم وآمالهم وزخارفها ثمرة إنسانيتهم فلايرون فى ورائها حقائق ، انّ ربك يا محمد صلى الله عليه وآله هو اعلم منك ومن الخلق اجمعين بمن عدل عن سبيل الهدى ، وهو أعلم بمن اهتدى إلى طريق السوى.

قال الله تعالى : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون » الروم : ٧) .

وقال : « ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتى هى أحسن انّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » النحل : ١٢٥) .

٣١ ـ (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى)

كيف لايكون الله جلّ وعلا أعلم بالضال والمهتدى ، والحال انّ له تعالى الخلق والتدبير ، والغرض من ذلك أن يجزى الذين ضلّوا فكفروا وعصوا الله وانهمكوا فى حب الدنيا وجعلوا ظواهرها غاية حياتهم جزاء بما كانوا يعملون وأن يجزى الذين آمنوا وأحسنوا ديناً وعملوا الصالحات بالمثوبة الحسنى .

قال الله تعالى : « ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوءآى ان كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن ـ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم السّاعة يومئذ يتفرّقون » الروم : ١٠ ـ ١٤) .

وقال : « للذين استجابوا لربّهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ـ اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد » الرعد : ١٧ ـ ١٨) .

وقال : « وأمّا من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى » الكهف : ٨٨) .

وقال : « ومن احسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن » النساء : ١٢٥) .

وقال : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولاذلّة اولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدين » يونس : ٢٦) .

٣٢ ـ (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون امهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)

أى هؤلاء المحسنون هم الذين يبتعدون عن الشرك بأنحائه لانه أكبر الآثام ، وعن المعاصي والذنوب إلا ما قاربه فجأة ومن غير طبيعة له فيه فان الله تعالى يغفر له لأن ربك واسع المغفرة يغفر لمن ليس طبيعته الكفر والعصيان ومن كان كذلك هو أعلم بكم من أنفسكم إذ هو أوجد كم من الارض وحين كنتم أنتم أجنّة فى بطون امّهاتكم ، فاذا كان الله تعالى أعلم بكم من أول امر فلاتز كّوا انفسكم بنسبتها إلى الطهارة لانه هو اعلم منكم بمن اتّقى ومن عصى .

قال الله تعالى : « انّما التوبة على الله للذين يعملون السّوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً وليست التّوبة للذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال انّى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفّار اولئك أعتدنا لهم عذاباً اليماً » النساء : ١٧ ـ ١٨) .

وقال : « وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرحمة انّه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثمّ تاب من بعده واصلح فانّه غفور رحيم » الانعام : ٥٤) .

وقال : « انّ الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً الم تر إلى الذين يز كّون أنفسهم » النساء : ٤٨ ـ ٤٩) .

٣٣ ـ ٣٤ (افرايت الذى تولى واعطى قليلاً واكدى)

أى افأبصرت وعلمت وبلغك شأن الذى اعرض عن اتّباع الحق والثّبات عليه

وهو اشرف على الايمان واتّباع الهدى فوسوس له شيطان من شياطين الانس بأن يعرض عن ذلك ولا يقبل نصح الناصح ويرجع إلى دين آبائه ويتحمّل ما عليه من وزره وقد اعطى من قبل قليلا من ماله ثم امسك وقطع العطاء .

٣٥ - (اعنده علم الغيب فهو يرى)

اى اعند هذا المكدى علم بأمور الغيب فهو يرى صاحبه حاضراً يوم القيامة يتحمّل عنه ما يخاف من اوزاره ؟ وكفى بهذا شيادة للمتحمّل وحمقاً للمتحمّل عنه كان يقبل ذلك منه وهو عثمان بن عفان على ما جاء في النزول عن طريق العامّة فراجع .

٣٦ - ٣٧ (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى)

اى الم يخبر هذا الرجل المكدى بما نصّت عليه التوراة وما ذكر في شريعة إبراهيم عليه السلام الذى بلّغ قومه رسالاته وادّى ما امر به إليهم على الوجه التمام .

٣٧ - (ألا تزر وازرة وزر اخرى)

اى انّ الله تعالى لا يؤاخذ احداً بذنب غيره ليتخلّص الثانى عن عقابه ، قال الله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذا قربى » فاطر : ١٨) .

بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها وكل امرىء بما كسب رهين ، قال تعالى : « ومن يكسب إثماً فانّما يكسبه على نفسه » النساء : ١١١) .

وقال : « ولا تكسب كل نفس إلاّ عليها » الانعام : ١٦٤) .

وهذا لايعارض قوله تعالى : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم - وليحملنّ اثقالهم واثقالا مع اثقالهم » العنكبوت : ١٢ - ١٣) .

فان هذا مبيّن في الاية الاخرى إذ قال : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلّونهم بغير علم » النحل : ٢٥) .

فمن كان إماماً فى الضّلالة ودعا اليها واتبع عليها فانه يحمل وزر من أضلّه من غير أن ينقص من وزر المضلّ شيء .

فلا يقدح على ذلك ما ورد في الخبر : « من سنّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامه » فانذلك وزر الاضلال الذى هو وزره فكما انّ الله تعالى لا يحمل احداً مسئوليّة عمل صدر عن غيره بلا صلة بينهما فى العمل كذلك لا ينبغى لاحد ان يحمل شخصاً مسئوليّة عمل صدر من شخص آخر إذا لم يكن له صلة ما بهذا العمل ظاهرة او باطنة .

٣٩ ـ (وأن ليس للانسان الا ما سعى)

وما ورد من نفع الميت بعملغيره له فلابتنائه علىسعيه وهو ايمانه فالعامل له كالنائب عنه فيصل إلى المؤمن ثواب صالح العمل من اخيه المؤمن لصلةبينهما .

٤٠ ـ (وان سعيه سوف يرى)

اى يرى السعى نفسه يوم القيامة ، وفى بناء الفعل للمفعولإشعار بأنّ هناك من يشاهد العمل وهو غير عامله .

قال الله تعالى : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو انّ بينها وبينه امداً بعيداً » آل عمران : ٣٠) .

وقال : « يومئذ يصدر النّاس اشتاتاً ليروا اعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّةخيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره » الزلزال : ٦ ـ ٨) .

ولا يخفى انّ قوله تعالى: « يرى » إن كان من الرؤية فكقوله تعالى : « وقل اعملو فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » التوبة : ١٠٥)

وإن كان من الاراءة فالفائدة فى اراءة العمل وعرضه على عامله ان يفرح به المؤمن ويحزن به الكافر .

٤١ ـ (ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

.أى ثمّ يجزى الانسان بعمله اوفى الجزاء واتمّه دون ان ينقص من عمله الصالح شيء ولايزيد على عمله الطالح شيء .

قال الله تعالى : « ولله مافى السّموات وما فى الارض ليجزى الذين اساؤابما عملوا ويجزى الّذين احسنوا بالحسنى » النجم : ٣١)

وقال : « ان السّاعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » طه : ١٥).

وقال : « وخلق الله السّموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » الجاثية : ٢٢) .

٤٢ ـ (وان الى ربك المنتهى)

أى وانّ إلى ربّك يرجع بدء الخلق والامر والنظام الجارى فى هذا العالم الشاسع وانتهاءها .

قال الله تعالى: « الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون » الروم : ١١).

وقال : « انما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون » يس : ٨٢ ـ ٨٣) .

٤٣ ـ (وانه هو أضحك وأبكى)

أى وانّ الله تعالى هو أوجد الضحك فى الضاحك والبكاء فى الباكى .

٤٤ ـ (وانه هو أمات واحيى)

أى وانّ الله تعالى هو خلق الموت والحياة وبيده الموت والحياة وأمّا توسط الاسباب الطبيعيّة وغيرها كالملائكة فى الاحياء والاماتة فكلّها مسخّرة لامر الله تعالى غير مستقلة في نفسها ولا منقطعة عما فوقها وكانت وجوداتها وآثار وجوداتها وما يترتّب عليها لله جلّ وعلا وحده لا يشارك فى ذلك أحد .

قال الله تعالى : « الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملا » الملك : ٢) .

وقال : « له ملك السّموات والارض لا اله الاّ هو يحيى و يميت » الاعراف : ١٥٨) .

وقال : « هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمراً فانّما يقول له كن فيكون » غافر : ٦٨) .

وقال : « وما كان لنفس أن تموت إلاّ باذن الله » آل عمران : ١٤٥).

٤٥ - (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى)

أى وانّ الله تعالى خلق الصنفين : الذكر والانثى من كلّ حيوان وجعلهما زوجين لأنّ الذكر زوج الانثى والعكس فهما زوجان يكون كل واحد منهما زوجاً للاخر وفى ذلك آيات لقوم يعقلون .

قال الله تعالى : « أيحسب الانسان أن يترك سدى ـ فجعل منه الزوجين الذكر والانثى » القيامة : ٣٦ ـ ٣٩) .

وقال : « خلقكم من نفس واحدة ثمّ جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج ـ ذلكم الله ربّكم له الملك لا اله الاّ هو فانّى تصرفون » الزمر : ٦) .

وقال : « ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ـ ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين » الانعام : ١٤٣ ـ ١٤٤) .

وقال : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم أزواجاً لتسكنو اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة انّ فى ذلك لايات لقوم يتفكّرون » الروم : ٢١) .

٤٦ - (من نطفة اذا تمنى)

أى مبدأ خلق الزوجين حين تخرج النطفة من الذكر والانثى وتنصب فى الارحام وتستقر فيها ، والنطفة : ماء الرجل والمرأة التى يخلق منها الولد سمّيت بها لما تراق فى الارحام .

قال الله تعالى : « ألم يك نطفة من منّى يمنى » القيامة : ٣٧) .

وقال : « فلينظر الانسان ممّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصّلب والترائب » الطارق : ٥ ـ ٧) .

٤٧ - (وان عليه النشأة الأخرى)

أى وانّ على الله تعالى أن يبعث الناس احياء فى الدار الاخرة ليجزى كل نفس بما كسبت فى الحياة الدنيا ويخلى بين الظالم والمظلوم ويميز الخبيث من الطيّب ، وذلك قضاؤه قضاء حتم وقد وعد به ووصف نفسه بأنه لا يخلف الميعاد .

قال الله تعالى : « فانظروا كيف بدأ الخلق ثمّ الله ينشيء النشأة الاخرة » العنكبوت : ٢٠) .

وقال : « ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون » الجاثية : ٢٢) .

وقال : « إليه مرجعكم جميعاً وعدالله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والّذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » يونس : ٤) .

وقال : « يوم نطوى السّماء كطىّ السّجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنّا فاعلين » الانبياء : ١٠٤) .

٤٨ - (وانه هو اغنى واقنى)

وان الله تعالى هو أغنى بالكفاية من أراد وأعطى الزيادة من شاء من عباده ، وفي الرواية الاتية : أغنى كل انسان بمعيشته وأرضاه بكسب يده .

٤٩ - (وانه هو رب الشعرى)

الشعرى : كوكب مضيء وهّاج يطلع بعد الجوزاء وطلوعه فى شدّة الحرّ وهما الشعريان : العبور التى فى الجوزاء ، والشعرى الغميصاء التى فى الذراع احداهما شاميّة وثانيتهما يمانيّة وهى المرادة هنا .

وكانت العرب تزعم انهما اختا سهيل ، وخصّ الله تعالى الشعرى بالذكر من بين الاجرام السّماويّة وفيها ما هو أكبر منها جرماً وأكثر ضوءاً لانها عبدت من دون الله فى الجاهلية ، وانما ذكر انه جل وعلا رب الشعرى وان كان لغيره تنبيهاً الى أنّ الشعرى مربوب وليس برب والمربوب لايليق أن يعبد ، « أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم يخلقون » الاعراف : ١٩١) .

كيف يعبد ما هو عبدالله تعالى قال : «إن كل من في السّموات والارض الا آتى الرحمن عبداً » مريم : ٩٣) .

٥٠ - (وانه أهلك عاداً الاولى)

عاد هم قوم هود النبى ﷺ قبيلة قديمة من العرب البائدة كانت تسكن فى

القسم الجنوبي من جزيرة العرب فيما بين اليمن الى حضرموت وهي في جنوب اليمن مما يعرف اليوم ببلاد حضرموت وهي بلاد الرمال المسمّاة بالاحقاف يشير اليها قوله تعالى: «واذكر اخا عاد إذ انذر قومه بالاحقاف» الاحقاف: ٢١).

٥١ - (وثمود فما ابقى)

أي وأهلك الكافرين من قوم صالح النبي عليه السلام بالصيحة فما أبقى أحداً منهم وأمّا المؤمنون فقد نجّاهم الله تعالى من الهلاك والدمار.

قال الله تعالى: «فلما جاء أمرنا نجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منّا ومن خزي يومئذ ان ربّك هو القويّ العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا انّ ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود» هود: ٦٦ - ٦٨).

٥٢ - (وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى)

أي وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد وثمود ان قوم نوح وعاد وثمود كانوا اكفر من مشركي العرب وأطغى منهم، ونظير الاية في الانذار قوله تعالى: «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكّنّاهم في الارض ما لم نمكّن لكم - فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين» الانعام ٦).

٥٣ - (والمؤتفكة اهوى)

أي وأهلك الله تعالى أهل البصرة وأسقطها من أهلها فبقيت خربة إلى أن بنت بعد ذلك.

٥٤ - (فغشيها ما غشى)

أي فأحاط الله تعالى بالامم الذين سبق ذكرهم آنفاً من عاد وثمود وقوم نوح والمؤتفكة بفنون من العذاب ما أحاط بهم.

وأبهم لانّ كلاًّ منهم أهلك بضرب غير ما أهلك به الاخر من فنون العذاب.

٥٥ - (فبأى آلاء ربك تتمارى)

أي فبأيّ نعم ربّك أيّها المكذّب تجادل رسولنا محمداً صلى الله عليه وآله وتشك فيما يخبرك به.

وفي التذكير بالنعم بعد تعديد النقم والنعم من الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء ومن خلق الذكر والانثى ومن الاغناء والاقناء وإهلاك الامم الطاغية لما في ذكر النقم من المواعظ والعبر وبها يصلح فساد المجتمع البشري ولما لها من الدخل في تكوّن النظام الأتم الذي يجري في هذا الكون وتنساق بها الامور في مرحلة إستكمال الخلق ورجوع الكل الى الله تعالى .

نظير قوله تعالى : « فاذا انشقّت السّماء فكانت وردة كالدهان فبأيّ آلآء ربّكما تكذّبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جانّ فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربّكما تكذبان هذه جهنم التي يكذّب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » الرحمن : ٣٧ ـ ٤٥) .

٥٦ ـ (هذا نذير من النذر الاولى)

أي هذا الذي انذرتكم به أيّها المشركون من أخبار الامم وإهلاكهم نذير من النذر الاولى ووصفه بالاولى لأنّهم أسبق الامم ، قال الله تعالى : « ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر » القمر : ٤ ـ ٥) وما ورد في الرواية الآتية فمن باب التأويل فتدبّر .

٥٧ ـ (أزفت الازفة)

أي قربت الساعة ودنت القيامة وسمّاها آزفة لقرب قيامها عند الله تعالى كما قال : « انّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً » المعارج : ٦ ـ ٧) .

أو لدنوّها من الناس وقربها منهم ليستعدّوا لها لأن كل ما هو آت قريب قال تعالى : « وما يدريك لعلّ السّاعة قريب » الشورى : ١٧) .

والآزفة من أسماء القيامة ، قال تعالى : « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظّالمين من حميم ولا شفيع يطاع » المؤمن : ١٨) .

٥٨ ـ (ليس لها من دون الله كاشفة)

أي لا تقدر نفس على إزالة ما في السّاعة من الفزع والشدائد والاهوال التي تحيط بالمكذّبين .

قال الله تعالى : « يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر مهطعين إلى الدّاع يقول الكافرون هذا يوم عسر » القمر : ٦ ـ ٨) .

فاستعدّوا لذلك اليوم قبل أن يأخذكم بغتة وأنتم لاتشعرون وجدّوا للعمل قبل حلول الأجل ولات ساعة مندم بعد حلوله .

قال الله تعالى : « إستجيبوا لربّكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير » الشورى : ٤٧) .

وقال : « ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقالوا آمنّا به وانّى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل » سبأ : ٥١ ـ ٥٢) .

وأمّا المؤمنون المحسنون فهم من فزع يومئذ آمنون .

قال تعالى : « ان الذين سبقت لهم منّا الحسنى ـ لا يحزنهم الفزع الاكبر » الانبياء : ١٠١ ـ ١٠٣) .

وقال : « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٧٩) .

٥٩ ـ (أفمن هذا الحديث تعجبون)

أي أفمن هذا الحديث مما جاء في هذه السورة من الاخبار بما رآه محمد صلى الله عليه وآله ليلة المعراج ومن الاخبار بما في صحف موسى وابراهيم عليهما السلام تعجبون تكذيباً به .

٦٠ ـ (وتضحكون ولا تبكون)

أي وتضحكون إستهزاء بما سمعتموه ولاتبكون انزجاراً وخوفاًمما أنذرتم به ، وهذا هو دأب المكذّبين في كلّ وقت وعصر إذا جائتهم آيات بيّنات يضحكون منها .

قال الله تعالى : « فلمّا جاءهم بآياتنا إذاهم منها يضحكون » الزخرف : ٤٧) .

٦١ ـ (وأنتم سامدن)

أى أنتم معرضون عن آيات الله تعالى ومستكبرون بها ولاهون عما فى هذا الحديث من العبر والذكر ومغنّون لأن تشتغلوا الناس عن إستماعه .

والاية فى معنى الايات التالية :

« وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم إلا كانوا عنها معرضين » الانعام : ٤) .

« وهذا كتاب انزلناه مبارك ـ و كنتم عن آياته تستكبرون » الانعام: ٩٢ـ٩٣).

« وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن » الحجر : ١١) .

« ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون » الانبياء : ٢).

« وقال الّذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون » فصّلت : ٢٦) .

٦٢ ـ (فاسجدوا لله واعبدوا)

أى إذا كان ما قدّمناه من البيان فعليكم أن تسجدوا لله تعالى وحده واعبدوه وحده وأخلصوا له العمل ، وهذا هو ما يجب عليكم ، فلا تعبدوا غيره من الاصنام والملائكة والاوثان ولا تجعلوا له شريكا فى عبادتكم ايّاه .

قال تعالى : « لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهنّ ان كنتم ايّاه تعبدون » فصّلت : ٣٧) .



﴿ جملة المعاني ﴾

٤٧٨٥ - (والنجم اذا هوى)

أقسم الله تعالى بالنجم إذا نزل لينبّهنا إلى عوالم علويّة ، فنتعرّف أمرها ونستدلّ بها على عظيم قدرة مبدعها و كمال علمه وغاية حكمته .

٤٧٨٦ - (ما ضل صاحبكم وما غوى)

ما خرج محمد صلى الله عليه وآله عن الطريق الموصل إلى الغاية المطلوبة التي هي السعادة الانسانيّة وما سلك خلاف الرشد جهلاً أو إلتباساً .

٤٧٨٧ - (وما ينطق عن الهوى)

وما ينطق محمد صلى الله عليه وآله بما يخبركم به مما رآه ليلة المعراج عن هوى نفسه .

٤٧٨٨ - (ان هو الا وحي يوحى)

ليس ما يخبركم به محمد صلى الله عليه وآله إلا وحي يوحى إليه من ربّه بلا واسطة وهو صلى الله عليه وآله بالافق الاعلى .

٤٧٨٩ - (علمه شديد القوى)

علّم الله جل وعلا محمداً صلى الله عليه وآله ما علّمه ليلة المعراج وهو تعالى قويّ لا يضعف ، وعزيز لا يغلب .

٤٧٩٠ - (ذو مرة فاستوى)

ذو نوع من المرور عرج به الى ان ارتفع ووقف موقف العلو ما وطأه غيره من خلق الله تعالى بعد واستقرّ له الامر .

٤٧٩١ ـ (وهو بالافق الاعلى)

وقف محمد ﷺ موقفاً ليلة المعراج أعلى من موقف السّماوات لا يعتبر هناك افق شرقياً أو غربياً .

٤٧٩٢ ـ (ثم دنا فتدلى)

قرب النبى الكريم ﷺ ليلة الاسراء وزاد فى القرب من الله تعالى فعلا إلى ما لا يعلمه إلاّ الله جل وعلا .

٤٧٩٣ ـ (فكان قاب قوسين أو أدنى)

فكان قرب النبى الكريم ﷺ من ربّه ليلة المعراج كما بين مقبض القوس إلى رأس السية بل أدنى من ذلك حتى سكن روعه .

٤٧٩٤ ـ (فأوحى الى عبده ما أوحى)

حين وقف النبى الخاتم ﷺ موقفاً لايعلمه إلاّ الله جل وعلا فأوحى إلى عبده محمّد ﷺ ما أوحى إليه .

٤٧٩٥ ـ (ما كذب الفؤاد ما رأى)

ما كذب فؤاد محمد رسول الله ﷺ ما رأته عيناه وأبصرته ليـلة المعراج من آيات ربّه الكبرى ثم أخبر الناس بها .

٤٧٩٦ ـ (أفتمارونه على ما يرى)

أفتجادلون ايّها المشركون وتناظرون رسولنا محمداً ﷺ وتصرّون فى جدالكم عليه ﷺ وتكذبون ما يخبركم به مما رآه بعينيه ليلة الاسراء .

٤٧٩٧ ـ (ولقد رآه نزلة اخرى)

أقسم الله تعالى بأنّ رسول الله الاعظم ﷺ رآى أكبر آيات ربّه مرّة اخرى ليلة الاسراء .

٤٧٩٨ ـ (عند سدرة المنتهى)

رآى محمد ﷺ أكبر آيات ربّه عند شجرة السّدرة التى ينتهى عندها التقدّم والشوط وعلم الخلق .

٤٧٩٩ - (عندها جنة المأوى)

عند سدرة المنتهى جنّة يأوى إليها المؤمنون يوم القيامة .

٤٨٠٠ - (اذ يغشى السدرة ما يغشى)

رآى محمد ﷺ أكبر آيات ربّه حين يغشى الله جل وعلا بنوره فاستنارت ما يغشى به فما كانت هناك ظلمة فخطأت عيناه ما رأته .

٤٨٠١ - (ما زاغ البصر وما طغى)

ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه ليلة المعراج فما اشتبه عليه وما جاوز عمّا شاهد هناك من عجائب الامور . . .

٤٨٠٢ - (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)

أقسم الله تعالى انّ محمداً ﷺ أبصر وشاهد اكبر آيات ربّه بالعيان .

٤٨٠٣/٤٨٠٤ (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى)

أفبعد ذلك تجعلون تلك الاصنام المصنوعة على حقارة شأنها شركاء لله سبحانه.

٤٨٠٥ - (ألكم الذكر وله الانثى)

أتزعمون ايّها الجهّال المشركون : انّ لكم الولد الذكر الذى ترضونه ولله سبحانه الولد الانثى التى لا ترضونها لانفسكم .

٤٨٠٦ - (تلك اذاً قسمة ضيزى)

تلك القسمة من جعلكم الذكر لانفسكم والانثى لله تعالى، حينئذ قسمة فاسدة من جهة وقسمة جائرة من جهة اخرى .

٤٨٠٧ - (ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)

ليست تلك الاسماء - اللات والعزّى ومناة - إلاّ أسماء جعلتموها لها وآباءكم من غير مسمّى ولا مدلول ولا حقيقة وراء تلك الاسماء لم ينزل الله تعالى بالاسماء

دليلا لكم عليها لا يتبعون فى ذلك إلاّ الظّن وما تشتهيه أنفسهم ولقد جاءهم من ربّهم البيان ان تلك الاصنام ليست آلهة .

٤٨٠٨ - (ام للانسان ما تمنى)

ألهذا الانسان الذى يقيم حياته على أوهام ما ينتظر الخير كلّه وراء تلك الاوهام.

٤٨٠٩ - (فلله الاخرة والاولى)

فلا حكم إلاّ لله وله الملك يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ، فلا شأن لتلك الاصنام حتى يستشفع بها .

٤٨١٠ - (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

وكثير من الملائكة السماويّة لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى يوم القيامة شيئاً الاّ من بعد ان يأذن الله تعالى لهم فى الشفاعة لمن يشاء من عباده ويرضى عنه .

٤٨١١ - (ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى)

انّ الذين لا يستيقنون بالبعث والحساب والجزاء ولا يؤمنون بها ليجعلون الملائكة بنات الله ويسمّونهم تسمية الاناث فيعبدونها ويستشفعون بها ظنّاً بالبعث والحساب والجزاء .

٤٨١٢ - (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً)

وليس لهؤلاء عبدة الاصنام بما يقولون علم لا يتبعون فى ذلك الاّ الظن والحال انّ الظن لا يغنى من حقيقة الامر شيئاً .

٤٨١٣ - (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا)

إذا كان هؤلاء المشركون كذلك فأعرض عنهم لانهم اعرضوا عن ذكرنا وذكّرهم ، فان الذكرى هى مهمّتك وما على الرسول إلا البلاغ وهم لم يريدوا الا الحياة الدنيا .

٤٨١٤ - (ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى)

امر الحياة الدنيا وطلبها محل بلوغهم لايتجاوز علمهم عنها الى ورائها ان ربك يا محمد صلى الله عليه وآله هو اعلم بمن عدل عن سبيل الله المستقيم وبمن اهتدى الى طريق مستقيم .

٤٨١٥ - (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى)

كيف لايكون الله تعالى أعلم بالضال والمهتدى والحال ان له الخلق والتدبير والغرض من ذلك أن يجزى الذين ضلوا وعصوا الله وانهمكوا فى شهوات الدنيا وأن يجزى الذين آمنوا وأحسنوا بالمثوبة الحسنى .

٤٨١٦ - (الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى)

هؤلاء المحسنون هم الذين يبتعدون عن الشرك بأنحاءه وعن الذنوب إلا ما قاربه فجأة ومن غير طبيعة له فيه ، ان ربك يا محمد صلى الله عليه وآله واسع المغفرة ، يغفر لمن دخل فى المعصية فجأة وتاب واستغفر ، ان الله تعالى هو أعلم بكم من أنفسكم فانه أوجدكم من الارض ، وحين كنتم أنتم أجنة فى بطون امهاتكم فاذا كان الله تعالى أعلم بكم من انفسكم ، فلا تزكوا أنفسكم بنسبتها إلى الطهارة ، لانه تعالى هو أعلم منكم بمن اتقى الكبائر والفواحش حقيقة وبمن يدخل فيها خفاء وله فيها طبيعة .

٤٨١٧ / ٤٨١٨ (أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا واكدى)

أفأبصرت وبلغك شأن الذى أعرض عن اتباع الحق والثبات عليه وهو آشرف على الايمان فوسوس له شيطان من شياطين الانس بأن يعرض عن ذلك ويرجع إلى دين آبائه وهو يتحمل ما عليه من وزره وقد أعطى قليلاً من ماله ثم امسك

وقطع العطاء وقبل ما وعده صاحبه .

٤٨١٩ ـ (أعنده علم الغيب فهو يرى)

أعند هذا الممسك علم بأمور الغيب فيرى صاحبه حاضراً ليوم القيامة يتحمّل عنه ما يخاف من أوزاره ؟

٤٨٢٠/٤٨٢١ (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى و ابراهيم الذى وفى)

ألم يخبرهذا الممسك بما جاء فى التّوراة وما ذكرفى شريعة ابراهيم عليه السلام الّذى بلّغ قومه رسالاته وأدّى ما امر به إليهم على الوجه الاتم .

٤٨٢٢ ـ (الا تزر وازرة وزر اخرى)

انّ الله سبجانه لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره ليتخلّص الثانى عن عقابه .

٤٨٢٣ ـ (وان ليس للانسان الا ما سعى)

وانه ليس للانسان الاّ ما سعى فيه بمباشرة نفسه فيما لابد فيه من المباشرة أو بالواسطة فيما يجوز فيه الوساطة أو بالانتساب معالصلة بينهما بالايمان .

٤٨٢٤ ـ (وان سعيه سوف يرى)

وان سعى الانسان سوف يرى يوم القيامة .

٤٨٢٥ ـ (ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

ثمّ يجزى الانسان بعمله اوفى الجزاء واتمّه دون ان ينقص من جزاء عمله الصالح شيء ولا يزيد على عمله الطالح شيء .

٤٨٢٦ ـ (وان الى ربك المنتهى)

وانّ الى ربّك يرجع بدء الخلق والامر والنّظام الجارى فى هذا العالم وانتهاءها .

٤٨٢٧ ـ (وانه هو أضحك وأبكى)

وانّ الله تعالى هو أوجد الضحك فى الضاحك والبكاء فى الباكى .

٤٨٢٨ - (وانه هو امات واحيى)

وان الله تعالى هو خلق الموت والحياة .

٤٨٢٩ - (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى)

وان الله تعالى خلق الصنفين : الذكر والانثى .

٤٨٣٠ - (من نطفة اذا تمنى)

بدء خلق الزوجين حين تخرج النطفة وتراق فى الارحام وتستقر فيها .

٤٨٣١ - (وان عليه النشأة الاخرى)

وان على الله تعالى أن يبعث الناس أحياء فى الدار الاخرة ليجزى كل نفس بما كسبت فى الحياة الدنيا .

٤٨٣٢ - (وانه هو اغنى واقنى)

وان الله تعالى هو اغنى بالكفاية من اراد واعطى الزيادة من شاء من عباده .

٤٨٣٣ - (وانه هو رب الشعرى)

وان الله هو رب الشعرى وهو كوكب مضيىء وهّاج وهو مربوب ليس برب فيعبد .

٤٨٣٤ - (وانه أهلك عاداً الاولى)

وان الله تعالى اهلك قوم هود النبى عليه السلام .

٤٨٣٥ - (وثمود فما ابقى)

واهلك الكافرين من قوم صالح النبى عليه السلام بالصيحة فما ابقى احداً منهم .

٤٨٣٦ - (وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى)

وأهلك قوم نوح عليه السلام من قبل عاد وثمود انهم كانوا اشد كفراً وطغياناً من مشركى العرب .

٤٨٣٧ - (والمؤتفكة اهوى)

وأهلك الله تعالى أهل البصرة وأسقطها من أهلها .

٤٨٣٨ ـ (فغشيها ما غشى)

فأحاط الله تعالى بالأمم الذين سبق ذكرهم بفنون من العذاب ماأحاط .

٤٨٣٩ ـ (فبأى آلاء ربك تتمارى)

فبأى نعم ربّك أيّها المكذّب تجادل رسولنا محمداً ﷺ وتشكّ فيمايخبرك به .

٤٨٤٠ ـ (هذا نذير من النذر الاولى)

هذا الذى انذرتكم به ايّها المشركون من اخبار الامم وإهلاكهم نذير من النذر الاولى .

٤٨٤١ ـ (ازفت الآزفة)

إقتربت الساعة ودنت القيامة .

٤٨٤٢ ـ (ليس لها من دون الله كاشفة)

لاتستطيع نفس على إزالة ما فى السّاعة من الفزع والاهوال التى تحيط با لمكذّبين .

٤٨٤٣ ـ (افمن هذا الحديث تعجبون)

افمن هذا الحديث مما جاء فى هذه السّورة من الاخبار بما رآه محمد ﷺ ليلةالاسراء ومنالأخبار بمافىصحفإبراهيم وموسىعليهمالسلامتعجبونتكذيباً به.

٤٨٤٤ ـ (وتضحكون ولا تبكون)

وتضحكون إستهزاء بماسمعتموه ولا تبكون إنزجاراً وخوفاً مما انذرتم به .

٤٨٤٥ ـ (وأنتم سامدون)

وأنتم معرضون عن آيات الله تعالى مستكبرون بها لاهون عمّا فى هذا الحديث من العبرو الذكر ومغنّون لان تشتغلوا الناس عن إستماعه .

٤٨٤٦ ـ (فاسجدوا لله واعبدوا)

إذاكان ما قدمناه من البيان فعليكم أن تسجدوا لله تعالى وحده واعبدوه وحده .

﴿ بحث روائي ﴾

في الكافي : باسناده عن محمّد بن مسلم قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : قول الله عزّ وجل : « والليل إذا يغشى » « والنجم إذا هوى » وما أشبه ذلك فقال : انّ لله عزّ وجل أن يقسم من خلقه بما يشاء وليس لخلقه أن يقسموا إلاّ بالله .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « والنجم اذا هوى » قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وآله « إذا هوى » لمّا أسرى به إلى السّماء وهو في الهوى (وهو في الهواء ـ خ) .

وفيه : عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قلت : « النجم والشجر يسجدان » ؟ قال : النجم رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمّاه الله في غير موضع فقال : « والنجم اذا هوى » .

وفيه : باسناده عن الحسين بن العبّاس عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « ما ضلّ صاحبكم وما غوى » يقول : ما ضل في عليّ وما غوى « وما ينطق » فيه « عن الهوى » وما كان قال فيه الاّ بالوحي الذي أوحي إليه .

وفي امالي الصدوق : باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال لعلقمة : انّ رضا الناس لايملك وألسنتهم لا تضبط وكيف تسلمون مما لم يسلم منه أنبياء الله ورسله وحجج الله عليهم السلام ألم ينسبوه إلى انّه ينطق عن الهوى في إبن عمّه علي عليه السلام حتى كذبهم الله عزّ وجل فقال : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » الحديث .

وفى روضة الكافى : باسناده عن الحسين بن العبّاس عن أبى جعفر عليه السلام في حديث ـ قال : « وما ينطق عن الهوى » : ما يتكلّم بفضل أهل بيته بهواه وهو قول الله عزّوجل : « إن هو إلاّ وحى يوحى » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « علّمه شديد القوى » قال : يعنى الله عزّوجل « ذو مرّة فاستوى » يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقوله : « وهو بالافق الاعلى » قال : يعنى رسول الله صلى الله عليه وآله « ثم دنا » يعنى رسول الله من ربه عزّوجل « فتدلّى » قال : إنّما نزلت « ثم دنا فكان قاب قوسين أو أدنى » قال : كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية « أو أدنى » أى من نعمته ورحمته قال : بل أدنى من ذلك .

وفى الكافى : باسناده عن على بن أبى حمزة قال: سئل أبو بصير أبا عبدالله عليه السلام وانا حاضر فقال : جعلت فداك كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : مرّتين فأوقفه جبرئيل موقفاً فقال له : مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفاً ما وقف ملك قطّ ولانبى انّ ربّك يصلّى فقال يا جبرئيل وكيف يصلّى؟ قال : يقول : سبّوح قدّوس أنا رب الملائكة والروح سبقت رحمتى غضبى ، فقال :

اللّهمّ عفوك عفوك ، قال : وكان كما قال الله : « قاب قوسين أو ادنى » فقال له ابو بصير : جعلت فداك ما قاب قوسين او ادنى ؟ قال : ما بين سيتها إلى رأسها فقال : كان بينهما حجاب يتلألأ يخفق ولا اعلمه إلا وقد قال : زبرجد فنظر فى مثل سمّ الابراة إلى ماشاء الله من نور العظمة ، فقال الله تبارك وتعالى : يا محمد قال : لبّيك ربّى قال : من لامّتك من بعدك ؟ قال : الله أعلم قال : على بن أبيطالب أميرالمؤمنين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجّلين ، قال :

ثم قال أبو عبدالله عليه السلام لابى بصير : يا أبا محمد والله ما جاءت ولاية على عليه السلام من الارض ولكن جاءت من السّماء مشافهة .

قوله : « من سيتها» سية القوس : ما عطف من طرفيها ، و« يخفق» :يتحرك ويضطرب « سمّ الابرة » : ثقبتها .

وفي العلل: باسناده عن حبيب السجستاني في حديث - قال أبو جعفر عليه السلام يا حبيب «ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عند جنّة المأوى» يعني عندها وافا به جبرئيل حين صعد إلى السماء قال: فلّما انتهى الى محل السدرة وقف جبرئيل دونها وقال: يا محمد ان" هذا موقفي الذي وضعني الله عز"وجل" فيه ولن أقدر على ان اتقد"مه ولكن امض انت امامك إلى السدرة فوقف عندها قال: فتقد"م رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السدرة وتخلّف جبرئيل عليه السلام قال ابو جعفر عليه السلام: انّما سمّيت سدرة المنتهى لأن" اعمال اهل الارض تصعد بها الملائكة الحفظة الى محل السدرة، والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما ترفع اليهم الملائكة من اعمال العباد في الارض قال: فينتهون بها إلى محل السدرة قال: فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فرأى أغصانها تحت العرش وحوله، قال: فتجلّى لمحمد صلى الله عليه وآله نور الجبّار عز"وجل فلمّا غشي محمداً صلى الله عليه وآله النور شخّص ببصره وارتعدت فرائصه قال: فشد" الله عزوجل لمحمد قلبه وقو"ى له بصره حتى رأى من آيات ربه ما رأى وذلك قول الله عزوجل: «ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى» قال: يعني الموافاة، قال: فرأى محمد صلى الله عليه وآله ما رأى ببصره من آيات ربّه الكبرى يعني أكبر الايات.

وفي تفسير القمي: باسناده عن عبد الله بن سنان في حديث - قال أبو عبدالله عليه السلام وذلك انّه يعني النبي صلى الله عليه وآله أقرب الخلق إلى الله تعالى وكان بالمكان الذي قال له جبرئيل لمّا اسرى به إلى السّماء: تقد"م يا محمد فقد وطأت موطئاً لم يطأه ملك مقر"ب ولا نبي مرسل، ولولا ان" روحه ونفسه كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغه وكان من الله عز"وجل" كما قال الله عزوجل: «قاب قوسين أو أدنى» أي بل ادنى.

وفي بصائر الدرجات: باسناده عن عبدالصمد بن بشير عن ابي جعفر عليه السلام قال: إنتهى النبي صلى الله عليه وآله الى السّماء السّابعة وانتهى إلى سدرة المنتهى قال: فقالت السدرة: ما جاوزني مخلوق قبلك.

«ثم" دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو ادنى» فأوحى قال: فدفع إليه كتاب

اصحاب اليمين و كتاب اصحاب الشمال .

فأخذ كتاب اصحاب اليمين بيمينه وفتحه ونظر فيه فاذا فيه اسماء اهل الجنّة وأسماء آباءهم وقبائلهم قال : وفتح كتاب أصحاب الشمال ونظر فيه فاذا فيه أسماء أهل النّار وأسماء آباءهم وقبائلهم ثم نزل ومعه الصحيفتان فدفعهما إلى على بن أبي طالب عليه السلام .

وفى الاحتجاج : عن يعقوب بن جعفر الجعفرى قال : سئل رجل يقال له عبد الغفّار السمى أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى « ثمّ دنى فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى » قال : أرى ههنا خروجاً من حجب وتدلّياً إلى الارض وأرى محمّداً رأى ربّه بقلبه ونسب إلى بصره ، فكيف هذا ؟ فقال أبو ابراهيم دنى فتدلّى فانّه لم يزل عن موضع ولم يتدلّ ببدن .

فقال عبد الغفار : اصفه بما وصف به نفسه حيث قال : « دنى فتدلّى » فلم يتدلّ عن مجلسه إلاّ وقد زال عنه ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه .

فقال أبو إبراهيم عليه السلام : انّ هذه لغة في قريش إذا أراد رجل منهم ان يقول : قد سمعت يقول : قد تدلّيت وإنّما التدلّي : الفهم .

وفيه: عن صفوان بن يحيى قال : سئلنى أبو قرة المحدّث صاحب شبرمة ان ادخله على ابى الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنه فأذن له فدخل فسئله عن اشياء من الحلال والحرام والفرائض والاحكام ـ إلى قوله ـ فقال ابو قرّة : انه يقول : « ولقد رآه نزلة اخرى » فقال ابو الحسن عليه السلام : إن بعد هذه الاية ما يدلّ على ما رأى حيث قال : « ما كذب الفؤاد ما رأى » يقول : ما كذب فؤاد محمّد صلّى الله عليه وآله ما رأت عيناه ، ثم أخبر بما رأت عيناه ، فقال : « لقد رأى من آيات ربّه الكبرى » فآيات الله غير الله .

وقال: « ولا يحيطون به علماً » ، فاذا رأته الابصار فقد احاط به العلم ووقعت المعرفة ـ وسئله عن قول الله : « سبحان الّذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى » ، فقال أبو الحسن عليه السلام : قد أخبر الله تعالى : انه أسرى به

ثم أخبر: انه لِمَ اسرى به ؟ فقال : « لنريه من آياتنا » فآيات الله غير الله الحديث.

أقول: رواه الكلينى فى الكافى ملخّصاً .

ولا يخفى على القارىء الخبير انّ الروايات تصرّح بأن الرؤية هي رؤية آيات الله تعالى بالعين الحسيّة فحملها على رؤية القلب مما لايرضى صاحبه ولن تترك الروايات الواردة عن طريق أئمة أهل بيت الوحى عليهم السلام بروايات عاميّة مما رواها أنس وابن كعب القرظى وأبو هريرة وما لم تثبت نسبتها إلى بعض الاصحاب كرواية منسوبة إلى أبي ذر الغفارى رضوان الله تعالى عليه على ماروواها السيوطى فى الدرّ المنثور على اضطرابها متناً .

فى تفسير ابن كثير الدمشقى: عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبى ذر : لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله لسئلته فقال : عن أىّ شيء كنت تسئله ؟ قال : كنت أسئله هل رأيت ربّك ؟ قال أبو ذر: قد سئلته فقال : رأيت نوراً .

وفيه : فى رواية : « قد رأيته نوراً أنى أراه » .

وفيه : فى رواية : « نورانىّ أراه » .

وفيه : عن أبي ذر قال : رآه بقلبه ولم يره بعينه .

ثم قال إبن كثير : « وأمّا ابن الجوزى فتأوّله على أنّ أبا ذر لعلّه سئل رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الاسراء فأجابه بما أجابه به ولو سئله بعد الاسراء لأجابه بالاثبات » .

ثم قال إبن كثير : « وهذا ضعيف جدّاً فان عائشة سئلت عن ذلك بعد الاسراء ولم يثبت لها الرؤية ، ومن قال : انه صلى الله عليه وآله خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة فى كتاب التوحيد فانّه هو المخطىء » .

وفى تفسير القمى : حدّثنى أبى عن إبن أبى عمير عن هشام عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : انتهيت إلى سدرة المنتهى وإذا الورقة منها تظلّ امّة من الامم فكنت من ربّى كقاب قوسين أو ادنى فنادانى : «آمن الرسول بما انزل اليه من ربّه » .

وفي الاحتجاج : عن علي بن الحسين عليه السلام في حديث ـ :قال : أنا إبن من علا فاستعلى فجاز سدرة المنتهى فكان من ربّه قاب قوسين أو ادنى .

وفيه : عن موسى بن جعفر عن ابيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال : انّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام : فان هذا سليمان قد سخّرت له الرياح فسارت في بلاده غدوّها شهر ورواحها شهر ؟ فقال له علي عليه السلام لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله أعطى ما هو افضل من هذا انّه اسرى به من مسجد الحرام إلى المسجد الاقصى مسيرة شهر وعرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين الف عام في اقلّ من ثلث ليلة حتى انتهى الى ساق العرش الخبر.

وفيه : عن الامام علي عليه السلام في قوله تعالى : « ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى » يعني محمداً صلى الله عليه وآله حين كان عند سدرة المنتهى حيث لا يتجاوزها خلق من خلق الله عزّ وجل .

وقوله في آخر الاية « ما زاغ البصر وما طغى لقد رآى من آيات ربّه الكبرى » رأى جبرئيل في صورته مرّتين هذه المرّة ومرّة اخرى ، وذلك انّ خلق الله جبرئيل عظيم ، فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم ولا صفتهم إلاّ الله رب العالمين .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن علي عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا أسرى بي إلى السّماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى قال : ان الورقة منها تظل الدنيا وعلى كل ورقة ملك يسبح يخرج من أفواههم الدر والياقوت ، تبصر اللؤلؤة مقدار خمسمأة عام ، وما يسقط من ذلك الدرّ والياقوت يخرجونه ملائكة موكلون به يلقونه في بحر من نور يخرجونه كل ليلة جمعة الى سدرة المنتهى فلمّا نظروا إليّ رحبوا بي وقالوا :

يا محمد مرحباً بك فسمعت إضطراب ريح السّدرة وخفقة ابواب الجنان وقد اهتزّت فرحاً بمجيئك فسمعت الجنان تنادي واشوقاه إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أجمعين .

وفي رواية: «ان جبرئيل عليه السلام تخلّف عنه صلى الله عليه وآله في مقام فقال لو دنوت أنملة لاحترقت».

فقال بعض المفسرين في هذه الرواية: النزلة هي العرجة فقال وهي عرجة الاخرة وعندها تخلف جبرئيل عليه السلام فللنبي صلى الله عليه وآله عرجتان: عرجة مع جبرئيل عليه السلام وعرجة وحده.

١٩ - وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «أفرأيتم اللات والعزّى» قال: اللات رجل والعزّى إمرأة، وقوله: «ومناة الثالثة الاخرى» قال: كان منهم بالمسك خارج من الحرم على ستة أميال - يسمى المناة.

أقول: اللات: رجل أي على صورة رجل والعزّى امراة، أي على صورتها.

وفي عيون الاخبار: عن الرضا عليه السلام في حديث قدسي حكاه النبي صلى الله عليه وآله وفيه: وهذا القائم الذي يحل حلالي ويحرّم حرامي وبه انتقم من اعدائي وهو راحة لاوليائي، وهو الذي به يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزّى طريين فيحرقهما، فيفتتن الناس بها اشدّ من فتنة العجل والسامري.

وفي اكمال الدين: باسناده عن عبد العظيم بن عبدالله الحسني عن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام في حديث - يذكر فيه القائم عليه السلام - يقول عليه السلام فاذا دخل المدينة اخرج اللات والعزّى فأحرقهما.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «ألكم الذكر وله الانثى» قال: هو ما قالت قريش: ان الملائكة هم بنات الله فردّ الله عليهم وفي قوله: «تلك إذاً قسمة ضيزى» قال: أي ناقصة، ثم قال: «ان هي» يعني اللات والعزّى ومناة «إلا اسماء سمّيتموها» الخ.

قال الله تعالى: «ذلك مبلغهم من العلم» الاية في الدعاء المأثور: «اللّهم لا تجعل الدنيا اكبر همّنا ولا مبلغ علمنا».

٣٢ - وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت

له : أرأيت قول الله عزّوجل : « الّذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الاّ اللّمم » قال : هو الذّنب يلمّ به الرجل فيمكث ما شاء الله ثمّ يلمّ به بعد .

أقول: اللمم : مقاربة صغار الذنوب من غير إصرار وارتكاب كبائرها من غير سجيّة .

وفيه: باسناده عن إسحق بن عمّار قال : قال ابو عبد الله عليه السلام : ما من مؤمن إلاّ وله ذنب يهجره زماناً ثمّ يلمّ به وذلك قول الله عزّوجل : « إلاّ اللمم » وسئلته عن قول الله عزّوجل : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الاّ اللمم » قال : الفواحش : الزنا والسّرقة ، واللمم : الرجل يلمّ بالذنب فيستغفر الله منه .

وفيه: باسناده عن إسحق بن عمّار عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ما من ذنب إلاّ وقد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزمان ثمّ يلمّ به وهو قول الله عزّوجل : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلاّ اللمم » .

قال : اللّمام : العبد الذى يلمّ بالذّنب بعد الذّنب ليس من سليقته ، أى من طبيعته .

وفيه: باسناده عن ابن رئاب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إنّ المؤمن لايكون سجيّته الكذب والبخل والفجور وربّما ألمّ من ذلك شيئاً لا يدوم عليه .

وفى معانى الاخبار : باسناده عن جميل بن درّاج قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجل : « فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى » قال : ٣
قول الناس : صلّيت البارحة وصمت أمس ونحو هذا ثمّ قال عليه السلام : إنّ قوماً كانوا يصبحون فيقولون : صلّينا البارحة وصمنا أمس فقال على عليه السلام : لكنى انام الليل والنهار ولو اجد بينهما شيئاً لنمته .

وفى العلل : باسناده عن ابى اسحق الليثى عن ابى جعفر عليه السلام فى حديث - قال : إقرأ يا ابراهيم : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلاّ اللمم انّ ربّك واسع المغفرة وهو اعلم بكم إذ انشأكم من الارض » يعنى من الارض الطيبة

والارض المنتنة « فلا تزكّوا انفسكم هو اعلم بمن اتّقى منكم » يقول: لا يفتخر احدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه لان الله عزوجل اعلم بمن اتقى منكم فان ذلك من قبل اللمم وهو المزاج .

وفيه: عن ابى جعفر عليه السلام انه قال :

« الابقاء على العمل اشدّ من العمل قال : وما الابقاء على العمل ؟ قال : يعمل الرجل بصلته وينفق نفقته لله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى فتكتب له رياء .

وفى الاحتجاج: عن معمر بن راشد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : أتى يهودىّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه فقال : يا يهودى ما حاجتك ؟ .

فقال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النبى الذى كلّمه الله عز وجل وأنزل عليه التوراة والعصاء وفلق له البحر وأظلّه بالغمام ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وآله : انه يكره للعبد أن يزكى نفسه ولكنى اقول : انّ آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته ان قال : اللهمّ انّى أسئلك بحقّ محمد وآل محمد لما غفرت لى فغفر الله .

وانّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب السّفينة وخاف الغرق قال : اللهم انّى اسئلك بحقّ محمد وآل محمد لما انجيتنى من الغرق فنجاه الله عز وجل ، وانّ ابراهيم عليه السلام لما القى فى النّار قال : اللهم انى اسئلك بحقّ محمد وآل محمد لما انجيتنى منها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً ، وان موسى عليه السلام لمّا القى عصاه وأوجس فى نفسه خيفة قال : اللّهمّ انّى أسئلك بحقّ محمد وآل محمد لما آمنتنى ، قال الله عز وجل : « لا تخف انّك أنت الاعلى » يا يهودى ان موسى لو أدركنى ثمّ لم يؤمن بى وبنبوّتى ما نفع ايمانه شيئاً ولا نفعته النبوّة ، يا يهودى ومن ذرّيّتى المهدى اذا خرج نزل عيسى بن مريم عليه السّلام لنصرته فقدّمه ويصلّى خلفه .

وفى تفسير العياشى : قال سفيان لابى عبد الله عليه السّلام ما يجوز أن

يز كى المرء نفسه ؟ قال : نعم إذا اضطر إليه أما سمعت قول يوسف : « اجعلنى على خزائن الارض انّى حفيظ عليم » وقول العبد الصالح : « وأنا لكم ناصح امين ».

٣٧ - وفى الكافى: باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام قال : قلت له : ما عنى بقوله : « وابراهيم الذى وفّى » ؟.

قال : كلمات بالغ فيهنّ قلت : وما هنّ ؟ قال : كان إذا أصبح قال : أصبحت وربّى محمود أصبحت لا أشرك بالله شيئاً ولا ادعو معه إلهاً ولااتّخذ من دونه وليّاً - ثلاثاً - وإذا أمسى قالها - ثلاثاً - قال : فأنزل الله عز وجل فى كتابه : « وابراهيم الذى وفّى ».

وفى العلل : باسناده عن حفص بن البخترى عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عز وجل : « وابراهيم الذى وفّى » قال : انه كان يقول إذا أصبح وأمسى : أصبحت وربّى محمود أصبحت لا اشرك بالله شيئاً ولا ادعو مع الله إلهاً آخر ولا اتّخذ من دون الله وليّاً فسمّى بذلك عبداً شكوراً.

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وابراهيم الذى وفّى » قال : وفّى بما امره الله به من الامر والنهى وذبح إبنه.

وفى الكافى : باسناده عن إسحق بن عمّار عن ابى ابراهيم عليه السلام قال : سئلته عن الرّجل يحجّ فيجعل حجّته وعمرته أو بعض طوافه لبعض اهله وهو عنه غائب فى بلد آخر ؛ قال : قلت : فينتقص ذلك من اجره ؟ قال: هى له ولصاحبه وله اجر سوى ذلك بما وصل قلت: وهو ميّت أيدخل ذلك عليه ؟ قال : نعم حتى يكون مسخوطاً عليه فيغفر له أو يكون مضيّقاً عليه فيوسّع له قلت: فيعلم هو فى مكانه انه عمل ذلك لحقه ؟ قال: نعم قلت وان كان ناصباً ينفعه ذلك ؟ قال: نعم يخفف عنه.

أقول : لا يخفى انّ نطاق الرواية فى إهداء ثواب العمل لا العمل النيابىّ عن الميت.

وفيه : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : ان المؤمن إذا غلبه ضعف الكبر امر الله عز وجلّ الملك ان يكتب له فى حالته تلك

مثل ما كان يعمل وهو شاب نشيط صحيح ومثل ذلك إذا مرض وكّل الله به ملكاً يكتب له في سقمه ماكان يعمل من الخير في صحته حتى يرفعه الله ويقبضه و كذلك الكافر إذا اشتغل بسقم في جسده كتب الله له ما كان يعمل من شر في صحته.

أقول: وذلك لان في صميم المؤمن ايماناً وعملاصالحاً وفي صميم الكافر كفراً وعصياناً فيجزى كل بما نواه.

وفيه: باسناده عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله عزوجل للملك الموكّل بالمؤمن إذا مرض: اكتب له ما كنت تكتب له في صحته فانّي أنا الذي صيرته في حبالي.

قوله: « صيّرته في حبالي » أي جعلته في وثاقي.

وفيه: باسناده عن درست قال: سمعت أبا ابراهيم عليه السلام يقول: اذا مرض المؤمن أوحى الله عز وجل إلى صاحب الشمال: لا تكتب على عبدى ما دام في حبسي ووثاقي ذنباً ويوحي إلى صاحب اليمين ان اكتب لعبدى ما كنت تكتب له في صحته من الحسنات.

وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس يتبع الرجل بعد موته من الاجر إلا ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجرى بعد موته إلى يوم القيامة صدقة موقوفة لاتورث، وسنّة هدى سنّها وكان يعمل بها وعمل بها من بعده غيره، وولد صالح يستغفر له.

وفي الفقيه: عن عمر بن يزيد قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام يصلّى عن الميّت؟ فقال: نعم حتى انه يكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق ثم يؤتى فيقال له: خفف الله عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك عنك قال: قلت له: فاشرك بين رجلين في ركعتين؟ قال: نعم، وقال عليه السلام: ان الميّت ليفرح بالترحّم عليه والاستغفار له كما يفرح الحي بالهدية وقال عليه السلام: ستة تلحق المؤمن بعد وفاته: ولد يستغفر له ومصحف يخلفه وغرس يغرسه وصدقة ماء يجريه وقليب يحفره وسنّة يؤخذ بها من بعده.

في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: «وانّ إلى ربّك المنتهى» لا فكرة في الرّب.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا و كذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته» وقد أحسن من قال:

ولا تفكّرن في ذى العلا عزّ وجهه فانّك تردى ان فعلت وتخذل
ودونك مصنوعاته فاعتبر بها وقل مثل ما قال الخليل المبجّل

وفي الكافي: باسناده عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبدالله عليه السلام انّ الله يقول: «وانّ إلى ربّك المنتهى» فاذا انتهى الكلام إلى الله فامسكوا.

وفي التوحيد: عن زرارة قال: قلت لابي جعفر عليه السلام انّ النّاس قبلنا قد اكثروا في الصّفة فما تقول؟ فقال: مكروه، أما تسمع الله عز وجلّ يقول: «وانّ الى ربّك المنتهى» تكلّموا فيما دون ذلك.

قوله عليه السلام: «في الصّفة»: كناية عن البحث في الله والتفكّر فيه جلّ وعلا.

وفي تفسير القمي: باسناده عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال إذا انتهى الكلام إلى الله، فأمسكوا وتكلّموا فيما دون العرش، فانّ قوماً تكلّموا فيما فوق العرش، فتاهت عقولهم، حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيبه من خلفه فيجيب من بين يديه.

أى وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه، وهذا ردّ على من وصف الله.

وفي الكافي: باسناده عن أبن عبيدة الحذّاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا زياد إيّاك والخصومات فانّها تورث الشكّ وتحبط العمل وتردى صاحبها وعسى أن يتكلّم بالشيء فلا يغفر له انّه كان فيما مضى قام تركوا علم ما وكّلوا به وطلبوا علم ما كفوه حتى إنتهى كلامهم إلى الله فتحيّروا حتى كان الرّجل يدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ويدعى من خلفه فيجيب من بين يديه.

أقول: وفي رواية اخرى قال: حتى تاهوا في الارض.

وفي الدرالمنثور: عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تفكّروا في خلق الله ولا تفكّروا في الله فتهلكوا .

أقول: ومن المحتمل أن يكون النهي عن التفكّر في الله سبحانه إرشادياً فينهى من لايستطيع الورود في المسائل العقلية العميقة عن الخوض فيها لئلا يقع تعرّضاً للهلاك الدائم .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى:« وانّه أضحك وأبكى » قال: أبكى السماء بالمطر وأضحك الارض بالنبات . قال الشاعر :

كلّ يوم باقحوان جديد تضحك الارض من بكاء السّماء

اقول: وهذا من باب التوسعة في معنى الابكاء والاضحاك ، وقول الشاعر : الاقحوان : نبات له زهر ابيض يشبهون بها الانسان ويسمّونه بالبابونج .

وفيه: في قوله تعالى : « من نطفة إذا تمنى » قال : تتحوّل النطفة إلى الدّم فتكون أوّلا دماً ثمّ تصير النّطفة في الدماغ في عرق يقال له : الورد وتمرّ في فقار الظهر فلا تزال تجوز فقراً فقراً حتى تصير في الحالين ، فتصير أبيض وأمّا نطفة المرأة فانّها تنزل من صدرها .

وفي الاحتجاج : قال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام سئل عبدالله بن صوريا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أخبرني عمن لا يولد له ومن يولد له ؟ فقال صلى الله عليه وآله إذا اصفرت النطفة لم يولد له أي إذا احمرت وكدرت واذا كانت صافية ولد له الخبر.

وفي معاني الاخبار : باسناده عن السّكوني عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال : قال امير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزوجل : « وانّه هو أغنى وأقنى » قال : اغنى كل إنسان بمعيشته وأرضاه بكسب يده .

أقول: رواه الحميري في قرب الاسناد باسناده عن الامام الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « وانّه هو ربّ الشّعرى » قال: النجم في السّماء يسمّى الشعرى كانت قريش وقوم من العرب يعبدونه وهو نجم يطلع

فى آخر الليل » .

قيل : الظاهر انّ قوله : « وهو نجم يطلع فى آخر الليل » تعريف له بحسب زمان صدور الحديث وكان فى الصيف وإلاّ فهو يستوفى فى مجموع السّنة جميع ساعات الليل والنهار .

وفيه: فى قوله تعالى : « والمؤتفكة اهوى » قال: المؤتفكة : البصرة والدليل على ذلك قول امير المؤمنين عليه السلام: يا اهل البصرة ، ويا اهل المؤتفكة ، يا جند المراة واتباع البهيمة دعا فأجبتم وعقر فهربتم (رغا فأجبتم وعقر فانهزمتم-خ) ماء كم زعاق واحلامكم رقاق وفيكم ختم النفاق ولعنتم على لسان سبعين نبيّاً ان رسول الله ﷺ اخبرنى : ان جبرئيل عليه السلام اخبره انه طوى له الارض فرأى البصرة اقرب الارضين من الماء وأبعدها من السّماء فيها تسعة اعشار الشّر والدّاء العضال المقيم فيها مذنب والخارج منها برحمة وقد إئتفكت بأهلها مرّتين وعلى الله تمام الثالثة وتمام الثالثة فى الرجعة .

قوله عليه السلام: « رغا » رغا البعير: صوت ، و«زعاق» زعق الماء : إذا كان مرّاً لا يطاق شربه ، « العضال » : الشّديد .

وفى روضة الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قلت : « والمؤتفكة أهوى » قال : هم أهل البصرة هى المؤتفكة قلت : « والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبيّنات » ؟ قال : اولئك قوم لوط إئتفكت عليهم انقلبت عليهم .

وفى النهاية : لابن الأثير عن أنس انه قال : « البصرة إحدى المؤتفكات » يعنى انها غرقت مرّتين فشبّه غرقها بانقلابها .

وفى لسان العرب : وروى النضر بن أنس عن أبيه انه قال أى بنىّ لا تنزلنّ البصرة فانّها إحدى المؤتفكات قد إئتفكت بأهلها مرتين وهى مؤتفكة بهم الثالثة .

أقول : يحتمل أن تكون المؤتفكة - بصيغة الفاعل - باعتبار إنقلاب القرية بالغرق ، وأن تكون باعتبار إنقلاب أهلها وإنصرافهم عن الحق فى الاعتقاد إلى الباطل وعن الصدق فى المقال إلى الكذب وعن الجميل فى الفعل إلى القبيح .

٥٥ - في الكافي : باسناده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بني الكفر على أربع دعائم - إلى أن قال - : والشك على أربع شعب : على المرية والهوى والتردد والاستسلام ، وهو قوله عزوجل : « فبأي آلاء ربّك تتمارى » الخبر.

وفي تفسير القمي: باسناده عن علي بن معمر عن أبيه قال : سئلت ابا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « هذا نذير من النذر الاولى » قال : ان الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذّر الاول اقامهم صفوفاً قدامه وبعث الله عزوجل محمداً حيث دعاهم فآمن به قوم وأنكره قوم ، فقال الله عز وجل : « هذا نذير من النّذر الاولى » يعني به محمداً صلى الله عليه وآله حيث دعاهم إلى الله عز وجل في الذّر الاول .

اقول: رواه الصفّار في بصائر الدّرجات .

ويمكن تأييد الرواية بقوله تعالى: « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا » الاعراف : ١٧٢) . بناء على إدخال النبوّة في أخذ الاقرار بالتوحيد والاشهاد على الربوبيّة .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « أزفت الآزفة » قال : قربت القيامة ، وفي قوله تعالى : « ليس لها من دون الله كاشفة » قال : أي لا يكشفها إلّا الله ، وفي قوله تعالى : « أفمن هذا الحديث تعجبون » قال : يعني ما تقدّم ذكره من الاخبار.

وفي المجمع : في قوله تعالى : « أفمن هذا الحديث تعجبون » ، يعني بالحديث ما تقدّم من الاخبار عن الصادق عليه السلام .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « وأنتم سامدون » قال : أي ساهون .



﴿ بحث فقهي ﴾

إتّفق الفقهاء على وجوب الدّية على العاقلة في القتل الخطائي محضاً ويرد عليهم ما في قوله تعالى : « ألاّ تزر وازرة وزر اخرى » النجم : ٣٨) .

وما في قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله : « لايؤخذ الرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة أخيه » ، وفي قوله صلى الله عليه وآله لأبي رمثة وابنه : « انه لا يجنى عليك ولا يجنى عليه » .

وذلك لأنّ الآية الكريمة تدلّ على أنّ كل واحد من المكلّفين فأحكام أفعاله متعلّقة به دون غيره وانّ احداً لايجوز تصرفه على غيره ولا يؤخذ بجريرة سواه ، والعقل أيضاً يمنع من أخذ الانسان بذنب غيره وهذا هو العدل الذي لايجوز في العقول غيره ، ولم أجد كلاماً منقّحاً في المقام .

والدليل على ذلك روايات منها :

في وسائل الشيعة : بالاسناد عن سلمة بن كهيل قال : اتى امير المؤمنين عليه السّلام برجل قد قتل رجلاً خطأً فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام : من عشيرتك وقرابتك ؟ فقال : مالي بهذا البلد عشيرة ولا قرابة قال : فقال : فمن أي البلدان أنت ؟ قال : انا رجل من اهل الموصل ولدت بها ولي بها قرابة وأهل بيت قال : فسئل عنه أمير المؤمنين عليه السّلام فلم يجد له بالكوفة قرابة ولا عشيرة قال : فكتب إلى عامله على الموصل : امّا بعد فانّ فلان بن فلان وحليته كذا و كذا قتل رجلاً من المسلمين خطأً فذكر انّه رجل من اهل الموصل وانّه له بها قرابة واهل بيت وقد بعثت به اليك مع رسولي فلان وحليته كذا و كذا فاذا ورد عليك إنشاء الله وقرأت كتابي فافحص عن امره وسل عن قرابته من المسلمين فان كان

من اهل الموصل ممن ولد بها وأصبت له قرابة من المسلمين فاجمعهم اليك ثم انظر: فان كان رجل منهم يرثه له سهم فى الكتاب لا يحجبه عن ميراثه احد من قرابته فألزمه الدّية وخذه بها نجوماً فى ثلاث سنين فان لم يكن له من قرابته احد له سهم فى الكتاب وكانوا قرابته سواء فى النّسب وكان له قرابة من قبل أبيه وامّه سواء فى النسب ففضّ الدّية على قرابته من قبل أبيه وعلى قرابته من قبل امّه من الرّجال المدركين المسلمين ثمّ خذهم بها واستأدهم الدّية فى ثلاث سنين وإن لم يكن له قرابة من قبل ابيه ولا قرابته من قبل امّه ففضّ الدية على اهل الموصل ممّن ولد ونشأ بها ولا تدخلنّ فيهم غيرهم من اهل البلد.

ثم استأدّ ذلك منهم فى ثلاث سنين فى كلّ سنة نجماً حتّى تستوفيه إنشاء الله فان لم يكن لفلان بن فلان قرابة من أهل الموصل ولم يكن من أهلها وكان مبطلا فى دعواه فردّه إلىّ مع رسولى فلان بن فلان إنشاء الله فأنا وليّه والمؤدّى عنه ولا يبطل دم إمرىء مسلم.

وقال الاردبيلى قدس سره: فى زبدة البيان: « نعم ينافيه - قوله تعالى: « ألاّ تزر وازرة وزر اخرى » مؤاخذة العاقلة فى خطأ فخرج بالنهى والاجماع ».

أقول: وأمّا التنقيح فان الاية الكريمة لاتدل على نفى وجوب الدّية على العاقلة وانّما تنفى أن يؤخذ الانسان بذنب غيره وليس فى إيجاب الدية على العاقلة أخذهم بذنب القاتل بل الدية على القاتل ولكن امر هؤلاء القوم بالدخول معه فى تحمّلها على وجه المواساة له من غير أن يلزمهم ذنب جنايته وقد أوجب الله تعالى فى أموال الاغنياء حقوقاً للفقراء من غير إلزامهم ذنباً لم يذنبوه بل على وجه المواساة وأمر بصلة الارحام بكل وجه أمكن ذلك وأمر ببرّ الوالدين وإهداء ثواب الأعمال إلى الموتى وهذا كلّها امور مندوب إليها للمواساة وصلاح ذات البين.

فكذلك امرت العاقلة بتحمّل الدية عن قاتل الخطأ عن جهة المواساة من

غير إجحاف بهم وبه وهذا مما ندبوا إليه من مكارم الاخلاق وقد كان تحمّل الديات مشهوراً في العرب قبل الاسلام ، وكان ذلك ممّا يعدّ من جميل أفعالهم ومكارم أخلاقهم ، وقال النبي ﷺ : « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

فهذا فعل مستحسن في العقول مقبول في الاخلاق والعادات ، و كذلك قول النبي ﷺ : « لا يؤخذالرجل بجريرة أبيه ولا بجريرة اخيه ولا يجني عليك ولا تجني عليه » لا ينفي وجوب الدية على العاقلة على ما قرّرناه في الاية من غير أن يلام على فعل الغير أو يطالب بذنب سواه .

وفي الدية على العاقلة : وجوه مستحسنة شرعاً وعقلا :

أحدها ـ أن يتعبد الله جل وعلا بدياً بايجاب المال على العاقلة لقاتل الخطأ من غير قتل كان منه كما أوجب الصدقات في أموال الاغنياء للفقراء .

ثانيها ـ انّ موضوع الدّية على العاقلة انّما هو على النصرة والاعانة فكما انّ المسلمين يتناصرون على القتال والحماية والذّب عن الحريم كذلك امروا بالتناصر والتعاون على تحمّل الدية ليتساووا في حملها كما تساووا في حماية بعضهم بعضاً عند القتال .

ثالثها ـ ان في ايجاب الدّية على العاقلة زوال الضغينة والعداوة من بعضهم لبعض إذا كانت قبلذلك وهو داع إلى الالفة وصلاح ذات البين ، ألا ترى انّ رجلين لو كانت بينهما عداوة فتحمل احدهما عن صاحبه ما قد لحقه لادّى ذلك إلى زوال العداوة وإلى الالفة وصلاح ذات البين كما لو قصده انسان بضرر فعاونه وحماه عنه انسلّت سخيمة قلبه وعاد إلى سلامة الصدر والموالاه والنصرة .

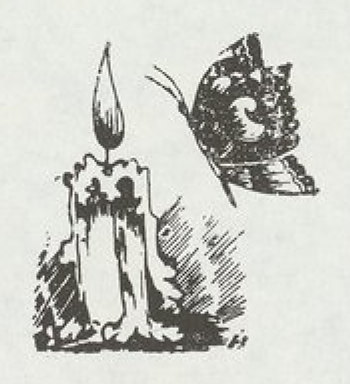
رابعها ـ انّه إذا تحمل عنه جنايته حمل عنه القاتل إذا جنى أيضاً فلم يذهب حمله للجناية عنه ضياعاً بل كان له أثر محمود يستحق عليه مثله إذا وقعت جناية .

خامسها ـ : انّ ظاهر السياق يمنع اخذ الانسان بذنب غيره يوم القيامة إذ قال تعالى : « وانّ سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وانّ إلى ربّك

المنتهى » ٤٠ - ٤٢) .

فلا تنفى اخذ الانسان بذنب غيره فى الحياة الدنيا فيجوز ذلك فيما ورد فيه من الروايات .

سادسها - : ومن المتحمل ان تحمل الدّية على العاقلة ليواظبوا القاتل فلا يتكرر القتل منه ولو خطأ .



﴿ بحث فقهى آخر ﴾

فى تفسير المراغى فى قوله تعالى : « وان ليس للانسان الاّ ماسعى » النجم:٣٩) .

قال : ومن هذا إستنبط مالك والشّافعى ومن تبعهما انّ القراءة لا يصح اهداء ثوابها إلى الموتى لانه ليس من عملهم ولا من كسبهم وهكذا جميع العبادات البدنية كالصلاة والحجّ والتلاوة ـ امّا الصدقة فانّها تقبل ـ ومذهب احمد بن حنبل وجماعة من العلماء ـ علماء العامّة ـ انّ ثواب القراءة يصل إلى الموتى إن لم تكن القراءة بأجر أمّا إذا كانت به كما يفعله الناس اليوم من إعطاء الاجر للحفاظ للقراءة على المقابر و غيرها فلا يصل إلى الميت ثوابها إذ لا ثواب لها حتى يصل إليهم لحرمة أخذ الأجر على قراءة القرآن وإن لم يحرم على تعليمه . انتهى كلامه .

أقول : معنى الآية : انه ليس للانسان الاّ ما سعى فيه بالمباشرة فيما لابد فيه منها أو من غير مباشرة فيما يجوز فيه الوساطة والنيابة أو بانتساب العمل اليه باهداء ثواب العمل إليه فلا تنفى الآية العمل النيابى ولا اهداء ثواب عمل صالح الى الاحياء والموتى ولا الانتفاع بالسنّة الحسنة ومن صالح الأعمال بعد الموت ولا يجوز عندنا التبرع عن الاحياء فى الواجبات ولو مع عجزهم عنها الاّ فى الحج إذا كان مستطيعاً وكان عاجزاً عن المباشرة فيجب أن يستنيب من يحج عنه ، ويجوز التبرّع عنهم فى مثل زيارة قبر النبى الكريم صلى الله عليه وآله وقبور الأئمة عليهم السلام .

بل يجوز التبرّع فى جميع المستحبات رجاء كما يجوز التبرّع عن الاموات فى الواجبات والمستحبّات ويجوز أهداء ثواب العمل إلى الاحياء والاموات فى الواجبات والمستحبّات ورد فى ذلك روايات كثيرة :

منها : فى وسائل الشيعة بالاسناد عن محمد بن مروان قال أبو عبد الله عليه السلام : «مايمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيّين وميّتين يصلّى عنهما ويتصدّق عنهما و يحجّ عنهما ويصوم عنهما فيكون الذى صنع لهما و له مثل ذلك فيزيده الله عزّوجل ببرّه و صلته خيراً كثيراً» .

أقول : الصّلاة عن الحىّ مخصوص بصلاة الطواف والزيارة .

ومنها : وفيها بالاسناد عن محمد بن عمر بن يزيد : قال : قلت لأبى عبدالله عليه السّلام يصلّى عن الميّت ؟ فقال : نعم حتّى أنّه يكون فى ضيق فيوسّع عليه ذلك الضيق ثمّ يؤتى فيقال له : خفّف عنك هذا الضيق بصلاة فلان أخيك .

ومنها : وفيها عن حمّاد بن عثمان عن الصادق عليه السّلام قال : إنّ الصلاة والصوم والصدقة والحج والعمرة و كل عمل صالح ينفع الميت حتى أنّ الميّت ليكون فى ضيق فيوسّع عليه ، ويقال : هذا بعمل إبنك فلان ، وبعمل أخيك فلان أخوك فى الدين .

ومنها : وفيها عن العلاء بن رزين عن الصادق عليه السلام قال : يقضى عن الميت الحجّ ، والصّوم والعتق وفعال الخير .

وغيرها من الروايات لايسعها المقام .

واستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : «وانه خلق الزوجين الذكر والانثى» النجم : ٤٥) على أنّ الخنثى داخل فى أحد الصنفين وإن اشتبه علينا امره فى المشكل منه ، وذلك لأنّ اللام فى الذكر والانثى للجنس تستوعب الجميع فتدبّر.

فى المجمع : فى قوله تعالى : «فاسجدوا لله واعبدوا» قال : فى الآية دلالة على انّ السجود ههنا واجب على ما ذهب إليه اصحابنا لأنّ ظاهر الامر يقتضى الوجوب» .

أقول: انّ السّور التى تجب فيها السّجدة أربع على الترتيب النزولى :

اوليها ـ سورة العلق عند قوله تعالى: «كلاّ لاتطعه واسجد واقترب» : ١٩).

ثانيتها ـ سورة النجم عند قوله تعالى : «فاسجدوا لله واعبدوا» : ٦٢) .

ثالثتها ـ سورة فصّلت عند قوله تعالى: « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشّمس ولا للقمر واسجدوا لله الّذى خلقهنّ إن كنتم إيّاه تعبدون » ٣٧).

رابعتها ـ سورة السّجدة عند قوله تعالى : « انّما يؤمن بآياتنا الّذين اذا ذكّروا بها خرّوا سجّداً بحمد ربّهم وهم لا يستكبرون » : ١٥).

فى وسائل الشيعة: بالاسناد عن داود بن سرحان عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان العزائم أربع: إقرأ باسم ربك الذى خلق، والنجم، وتنزيل السجدة ، وحم السجدة .



﴿ بحث مذهبى ﴾

يستدل على عصمة النبى الكريم ﷺ قبل النبوّة فى العقيدة والقول والعمل بقوله تعالى: « ما ضلّ صاحبكم وما غوى » النجم: ٢) بناء على الاخبار بما مضى منه ﷺ.

وذلك لأنّ الله تعالى يحتجّ على مشركى مكّة بأن محمداً ﷺ وهو بينكم وأنتم تعرفونه بالصدق والامانة وبالهدى والرشاد فما عرضته ضلالة ولا غواية، فكيف بعد النبوّة.

ويستدلّ عليها بعدها بقوله تعالى: « وما ينطق عن الهوى » النجم: ٣) .

أى كيف يضلّ ويغوى بعد النبوّة وهو لا ينطق عن هوى نفسه، واستدل بعض من لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام وللرسول ﷺ فى الحوادث والاحكام إطلاقاً قرآنيّة وغير قرآنية بالآية الاخيرة..

وقال بعض المفسرين: ان الله تعالى إذا سوّغ لنبيه ﷺ الاجتهاد كان ذلك من قبيل الوحى أيضاً هذا بناء على شمول النطق للقرآن وغيره، وأمّا ما يخص النطق بالقرآن فلا إعتراض عليه إذ لا إجتهاد له ﷺ فى بيانه إذ قال تعالى: « لا تحرك به لسانك لتعجل به انّ علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتّبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » القيامة: ١٦ ـ ١٩) .

واستدل بها بعضهم على أن الروايات الواردة عن النبى يعبّر عنها بالسّنة كالوحى المنزل فى الحكم والعمل، لقوله تعالى: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » الحشر: ٧) .

وفى **أحكام القرآن** للجصّاص قال: « وفى هذه الاية ـ عندها جنّة المأوى ـ دلالة على ان النبى ﷺ قد صعد إلى السّماء والى الجنّة بقوله تعالى: « رآه

عند سدرة المنتهى وإن عندها جنّة المأوى » إنتهى كلامه .

أقول: وفي الاية دلالة على خلق الجنّة قبل يوم القيامة فهي مخلوقة الآن واستدل بعض المفسّرين على إثبات الشفاعة لكثير من الملائكة ونفيها للاخرين ـ على سبيل التلازم ـ بقوله تعالى : « وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » النجم : ٢٦) .

مقيّدة بالاذن للشفيع وبالرضا عن المشفوع له من الله تعالى .

اختلفت كلمات الاصوليين في قوله تعالى: « وما لهم به من علم ان يتّبعون إلاّ الظّن وان الظّن لايغني من الحق شيئاً » النجم : ٢٨) .

فمنهم : من استدلّ به على عدم حجّية الظّن إطلاقاً : في الاصول الاعتقادية والفروع العمليّة ، مؤيّداً ذلك بقوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » الاسراء : ٣٦) .

وفي الكفاية : قال : إنّ الايات الناهية عن اتّباع غير العلم وردت إرشاداً إلى عدم كفاية الظّن في اصول الدين ولو سلّم فانّما المتيقّن لو لا انّه المنصرف إليه إطلاقها هو خصوص الظّن الذي لم يقم على اعتباره حجّة .

ومنهم : من قال : إنّ الظّاهر من الاية الكريمة هي النهي عن إتّباع الظّن في الاصول الاعتقاديّة لا الفروع العمليّة .

ومنهم : من قال : ان المتيقّن من اطلاق الاية لو لم يكن الظاهر منها هو النهي عن إتباع الظن في الاصول الاعتقادية .

وقال الانصاري قدس سرّه على إختصار : انّ مفاد أدلّة حرمة العمل بما سوى العلم راجع إلى أحد وجهين :

أحدهما ـ : أنّ العمل والتّعبّد بما عدا العلم من دون إذن من الشّارع تشريع محرّم بالادلّة الاربعة .

ثانيهما ـ : انّه طرح للاصول المعتبرة الّتي هي في مورده من العمليّة واللفظيّة جمعياً ولايجري شيء من الوجهين بعد إستقرار سيرة العقلاء على العمل بخبر الثقة .

أما الاول : فلانتفاء التشريع مع إستقرار سيرتهم على سلوكه .

وأما الثاني : فلان الاصول مما لادليل على جريانها في مقابل خبر الثّقة .

وأما المفسرون : ففي المجمع قال : « لا يجوز العمل بالظن عند الاماميّة إلاّ في شهادة العدلين وقيم المتلفات وأروش الجنايات » .

وفي الميزان: قال : « وأمّا العمل بالظّن في الاحكام العمليّة فانما هو لقيام دليل عليه يقيّد به إطلاق الاية وتبقى الامور الاعتقادية تحت اطلاق الاية » .

أقول: إن التشريع انّما ينتفي اذا أمضى الشارع سيرة العقلاء والمفروض ان الشارع ردعها في المقام فضلا عن إمضائها .

وذلك لان السّيرة بما هي هي لا تكون حجّة عندنا ولو كانت من المسلمين بما هم مسلمون ومتديّنون بهذا الدين فضلا عمّا إذا كان من العقلاء بما هم عقلاء من غير إلتزام بهذا الدّين .

وأمّا الاصول المعتبرة فمدرك اللفظيّة منها هو بناء العقلاء ولا دليل على جريانها في مقابل خبر الثقة إذ لا بناء لهم على العمل بها في قباله .

وأمّا العمليّة فمدرك العقلية منها هو حكم العقل كالبراءة العقليّة والاحتياط والتخيير، فالعقل مما لا يرفع يده عنها حتى يقدم دليل قاطع على اعتبار خبر الثقة القائم على خلافها ومجرد استقرار لسيرة العقلاء على العمل به مما لا يكفي في نظره ما لم يمضها الشارع .

وأمّا العمليّة الشرعيّة - أى التى استفيد اعتبارها من الاخبار المأثورة - فأدلّتها مطلقة تشمل حتى ما إذا قام خبر الثقة على خلافها ما لم يقم دليل بالخصوص على إعتباره ليكون حاكماً أو وارداً عليها على ما فصّل في محلّه .

والمفروض انّ دليل اعتباره هو السّيرة وهي بنفسها ليست بحجة مالم يمضها الشارع وقد ردعها بتلك الايات الناهية عن اتباع الظن .

والحق أن يقال - في رادعيّة الايات عن السّيرة - : انّا نعلم من الخارج بخروج خبر الثقة بل مطلق الوثوق والاطمينان عن تحت الايات الناهية إذ العمل

بخبر الثقة مع إستقرار سيرة العقلاء عليه طراً ومعاملتهم معه معاملة العلم واليقين جميعاً فى عامّة امورهم العاديّة ومنها الامور الدينيّة ...

لو كان مبغوضاً محرّماً شرعاً لنهى الشارع عنه بأدلة خاصّة صادرة فى شأنه كثيراً ولما اكتفى فى الردع عنها بعموم تلك الايات الناهيّة ، ألا ترى انّ القياس ظن محرّم شرعاً و كيف نهى الشارع عنه وبالغ فى تحريمه وإبطاله حتى ورد فى حقّه مئات من الاخبار أوردناها فى محلّها ...

بحيث عرف كل مجتهد بل كل شيعيّ حرمة القياس وفساده مع ان العمل بالقياس ليس مثل العمل بخبر الثقة مما يعمّ به البلوى ويكون من شأن كل أحد بل هو من شأن خصوص أهل النظر والاستنباط فلو كان العمل بخبر الثقة محرماً مبغوضا كالعمل بالقياس لورد فى تحريمه ألوف من الاخبار ولم يسمع انه ورد فى النهى عنه خبر واحد فضلا عن أخبار كثيرة بل ورد الاخبار الكثيرة المتواترة فى جواز العمل به غير انها دليل مستقل لا ربط لها بسيرة العقلاء .

ويستدل على تجسم الاعمال : يوم القيامة بقوله تعالى : « وان سعيه سوف يرى » النجم : ٤٠) .

فان الله جل وعلا قادر على إعادة كل معدوم عرضاً كان أو جوهراً ، فيرى المؤمن فى الاخرة ما سعى فى الدنيا من العقيدة والقول والعمل على صورة جميلة ويرى الكافر فيها ما سعى فيها منها على صورة قبيحة .

تستدل الحكماء : بقوله تعالى : « وانّ إلى ربّك المنتهى » على وجود الصانع على انّ الممكن لابد وأن ينتهى إلى الواجب » .

ويستدل به الاخرون : على المعاد على انّ لكل ماله ابتدأ لا بد له من الانتهاء .

ويمكن لنا الجمع بين المذهبين ، وذلك انّ الاية الكريمة تثبت الربوبيّة المطلقة لله تعالى بانهاء كل تدبير اليه بدءاً وعوداً .

تستدل الجبرية: بقوله تعالى: «وانّه هو أضحك وأبكى» على أن أفعال الانسان الاختياريّة مخلوقة لله ولا صنع للانسان فيها حيث نسب الله الاضحاك والابكار إلى نفسه على طريق الحصر، فلا صنع للانسان فيهما مع كونهما من افعاله الاختياريّة.

و تستدل القدرية: من المعتزلة بالاية الكريمة على أن الافعال مخلوقة للانسان ولا صنع لله سبحانه فيها.

أقول: و كلا المذهبين مردودة إذ لا منافاة بين انتهاء الضحك والبكاء في وجودهما إلى الله تعالى وبين إنتسابهما إلى الانسان وتلبّسه بهما لانّ نسبة الفعل إلى الانسان بقيامه به ونسبة الفعل إليه تعالى بالايجاد و كم بينهما من فرق.

ولا أنّ تعلّق الارادة الالهيّة بضحك الانسان مثلا يوجب بطلان إرادة الانسان للضحك وسقوطها عن التأثير لان الارادة الالهيّة لم تتعلّق بمطلق الضحك كيفما كان، وإنما تعلّقت بالضحك الارادىّ الاختيارى من حيث انّه صادر عن إرادة الانسان وإختياره، فارادة الانسان سبب لضحكه في طول إرادة الله سبحانه لا في عرضها حتى تتزاحما ولا تجتمعا معاً.

وقال بعض المفسرين: انّ في الآية إبطالاً لقول الطبيعيين: انّ مبدأ الضحك قوّة التعجّب، ومبدأ البكاء رقّة القلب، وانّ الحياة مستندة إلى الطبيعة كالنبات والموت امر ضرورى وهو تداعى الاجزاء العنصرية إلى الانفكاك بعد إجتماعها على سبيل الاتفاق او لاقتضاء سبب سماوى من اتصال أو انفصال وذلك ان انتهاء كل ممكن الى الواجب واجب.

وفى قوله تعالى: «وانّه هو اغنى واقنى وانّه هو رب الشّعرى» ردّ على كثير من الناس الذين يزعمون: ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده، فمن كسب استغنى، ومن لم يتعب نفسه افتقر، وردّ على الذين ذهبوا الى ان الفقر والغنى بالبخت أو النجوم، وقد تقدم ابحاث مستقصى في سورة الذاريات تمس بالمقام فراجع.

المعراج الجسمانى

والامة الاسلامية

وقد اتّفقت الامّة المسلمة على جسمانيّة معراج محمّد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله بما دلّت عليه آيات قرآنيّة وروايات كثيرة لا مراء فيها ولا يمنعها العقل السليم - وهناك زنادقة ملحدة وأتباعها الذين صدقوها بلاتصور سنشير إليهم انشاء الله تعالى.

وأمّا إتفاق العلماء : المفسّرين والمحدّثين والفقهاء والحكماء والمتكلمين والمؤرخين وغيرهم فنشير إلى ما يسعه المقام :

١ - فى تفسير التبيان قال الشيخ قدس سرّه : « اكثر المفسرين وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور فى أخبارهم انّ الله تعالى صعد بجسمه صلى الله عليه وآله حيّاً سليماً حتى رأى ملكوت السموات وما ذكره الله بعينى رأسه صلى الله عليه وآله ولم يكن ذلك فى المنام بل كان فى اليقظة ».

٢ - فى تفسير المجمع قال الطبرسى رضوان الله تعالى عليه : « وقال الاكثرون وهو الظاهر من مذهب أصحابنا والمشهور فى أخبارهم انّ الله تعالى صعد بجسمه إلى السّماء حيّاً سليماً حتى رآى ما رأى من ملكوت السماوات بعينه ولم يكن ذلك فى المنام ، وهذا المعنى ذكرناه فى سورة بنى اسرائيل .

والفرق بين الرؤية فى اليقظة وبين الرؤية فى المنام انّ رؤية الشّىء فى اليقظة هو إدراكه بالبصر على الحقيقة ورؤيته فى المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسّة البصر من غير أن يكون كذلك .

وما قاله بعضهم : انّ ذلك كان فى النوم فظاهر البطلان ، اذ لا معجز يكون فيه ولا برهان - إلى أن قال - : ثم نقطع على انّ ذلك كان فى يقظته دون منامه».

٣ - قال الفخر فى تفسيره : « اختلف المسلمون فى كيفيّة ذلك الاسراء فالاكثرون من طوائف المسلمين اتّفقوا على انّه أسرى بجسد رسول الله ﷺ ، والاقلّون قالوا : انّه ما أسرى إلاّ بروحه » .

٤ - قال الشيخ ايضاً فى التبيان : « وعند أصحابنا وأكثر أصحاب التأويل وذكره الجبائى أيضاً انه عرج به فى تلك الليلة الى السّماء وأتٍ حتى بلغ سدرة المنتهى فى السّماء السابعة وأراه الله من آيات السّموات والارض ما ازداد به معرفته ويقيناً وكان ذلك فى يقظته دون منامه والذى يشهد به القرآن الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى والباقى يعلم بالخبر » .

٥ - قال الطبرى فى تفسيره : « والصواب من القول فى ذلك - المعراج - عندنا أن يقال : إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى كما أخبر الله عباده وكما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله ﷺ انّ الله حمله على البراق حين أتاه به وصلّى هنالك بمن صلّى من الانبياء والرسل فأراه ما أراه من الايات ، ولا معنى لقول من قال : أسرى بروحه دون جسده لأنّ ذلك لو كان كذلك لم يكن فى ذلك ما يوجب ان يكون ذلك دليلاً على نبوّته ولا حجّة له على رسالته .

وان الله انما أخبر فى كتابه انه أسرى بعبده ولم يخبرنا انه أسرى بروح عبده وليس جائزاً لأحد أن يتعدّى ما قال الله إلى غيره ولا دلالة تدلّ على ان مراد الله من قوله : « أسرى بعبده » أسرى بروح عبده بل الادلّة الواضحة والاخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ ان الله أسرى به على دابّة يقال لها : البراق ولو كان الاسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق إذ كانت الدّواب لا تحمل إلا الاجسام إلاّ أن يقول قائل إن معنى لقولنا :

أسرى بروحه رأى فى المنام انه أسرى بجسده على البراق فيكذب حينئذ بمعنى الاخبار التى رويت عن رسول الله ﷺ ان جبرئيل حمله على البراق لأن ذلك إذا

كان مناماً على قول قائل هذا القول ولم تكن الروح عنده مما تركّب الدواب ولم يحمل على البراق جسم النبى ﷺ لم يكن النبى ﷺ على قوله حمل على البراق لاجسمه ولا شيء منه، وصار الامر عنده كبعض أحلام النائمين وذلك دفع لظاهر التنزيل وما تتابعت به الاخبار عن رسول الله ﷺ وجائت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين ».

٦ - قال الميبدى فى تفسير كشف الاسرار : « من قال بمعراج روحه ﷺ خالف الاخبار الصحيحة ومذهب أهل السّنة والجماعة والعقيدة الحقّة : انه كان معراجه ﷺ حال اليقظة وبدنه العنصرى من مسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ثم إلى السّماء ورأى ماراه، ولو كان المعراج حال النوم لم يكن له فضل لجواز رؤية الانسان حال النوم الجنّة وأهلها والنّار وأهلها و رؤية ما لا يرى فى اليقظة ولا ينكر أحد ذلك كافراً كان أو مؤمناً.

فانكار المشركين معراجه إنكار على حال اليقظة وبدنه وكان ذلك ما أخبره رسول الله ﷺ فأنكروه، وما يدل على المعراج الجسمانى من الايات، بألفاظها كلمة « بعبده » لانّ لفظ العبد لايطلق إلاّ على مجموع الروح والجسد، وليس فى القرآن كلمة عبد تطلق على الروح فقط من غير جسم ».

٧ - قال أبو حيّان الاندلسى فى تفسير البحر المحيط : « انّ الظاهر انّ هذا الاسراء كان بشخصه ولذلك كذبت قريش به وشنعت عليه وحين قصّ ذلك على امّ هانى قالت : لا تحدّث الناس بها فيكذّبوك ولو كان مناماً استنكر ذلك وهو قول جمهور أهل العلم وهو الذى ينبغى أن يعتقد، وحديث الاسراء مروى فى المسانيد عن الصحابة فى كل أقطار الاسلام وذكر انّه رواه عشرون من الصحابة ».

٨ - قال الخازن البغدادى فى تفسير لباب التأويل : « الحقّ الذى عليه أكثر النّاس ومعظم السّلف وعامّة الخلف من المتأخّرين من الفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين انّه أسرى بروحه وجسده ﷺ، ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد

والاحاديث الصحيحة تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها » .

٩ - قال عبد الله النسفي في تفسير مدارك التنزيل : «كان الاسراء في اليقظة وعليه الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزيّة للنائم » .

١٠ - قال أبو السعود العمادي في تفسير إرشاد عقل سليم : « والحق انّه كان جسمانياً على ما ينبىء عنه التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجّب ، فانّ الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجّبت منه قريش وأحالوه ولا إستحالة فيه ولو لم يكن مستبعداً لم يكن معجزة » .

١١ - قال ابن كثير الدمشقي في تفسيره : « والدليل على كون المعراج روحاً وجسماً قوله تعالى : « سبحان الذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله » فالتسبيح انما يكون عند الامور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش الى تكذيبه ولما ارتدّت جماعة ممن كان قد اسلم وايضاً فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال : « أسرى بعبده ليلاً » .

وقد قال تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » والبصر من آلات الذات لا الروح ، وأيضاً فانه حمل على البراق وانّما يكون هذا للبدن لا للروح لانّها لاتحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه وحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون » .

١٢ - قال الحافظ ابو الخطّاب عمر بن دحية في (التنوير في مولد السراج المنير) : « تواتر الروايات في حديث الاسراء عن خمسة وعشرين نفراً ثم قال : فحديث الاسراء اجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون » .

١٣ - قال الآلوسي البغدادي في تفسير(روح المعاني) : « ذهب الجمهور إلى انّه في اليقظة ببدنه وروحه ﷺ والرؤيا في قوله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلاّ فتنة للناس » تكون بمعنى الرؤية في اليقظة كما في قول الراعي يصف صائداً :

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلبا كان جما بلاله

وقال الواحدى : « انها رؤية اليقظة ليلا فقط » .

١٤ - قال القاسمىّ الشامى فى تفسير (محاسن التأويل) : « ذهب معظم السّلف والمسلمين إلى انّه اسراء بالجسد وفى اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبى هريرة ومالك بن صعصعة وابن حبة البدرى وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وإبن المسيّب وابن شهاب وإبن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وإبن جريج والطبرى وإبن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وأكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلّمين والمفسرين ثمّ قال : قال القاضى عياض : والحق فى هذا والصحيح انّه اسراء بالجسد والروح فى القصّة كلها وعليه تدل الآية .

وصحيح الاخبار والاعتبار ولايعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلاّ عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظته إستحالة إذ لو كان مناماً لقال : « بروح عبده » ولم يقل : «بعبده» وقوله : « وما زاغ البصر و ما طغى» النجم: ١٧).

ولو كان مناماً لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه ولا ارتدّ به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لاينكر بل لم يكن ذلك منهم الاّ وقد علموا ان خبره انّما كان عن جسم وحال يقظته » .

١٥ - قال المراغى فى تفسيره : « الذى عليه المعوّل عند جمهرة المسلمين انّه أسرى به ﷺ يقظة لامناماً من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق » .

١٦ - قال الطنطاوى فى تفسير الجواهر : « الجمهور يقولون بجسده » .

١٧ - قال أحمد زينى دحلان مفتى الشافعيّة بمكة فى (السيرة النبويّة والاثار المحمدية) : « اعلم أنّه لاخلاف فى الاسراء به ﷺ إذ هو نصّ القرآن على سبيل الاجمال وجاء بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من النساء والرجال نحو الثلاثين - إلى أن قال - : وكان الاسراء بجسده وروحه سنة إحدى عشرة من البعثة » .

ثم قال ـ : وقد أشار صاحب الهمزيّة اليها بقوله :

فطوى الارض سائراً والسموا — ت العلى فوقها لـه اسراء
فصف الليلة التى كان للمختا — رفيها على البراق استواء
وترقى بها الى قاب قوسيـ — ـن وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الامانـى حسرى — دونـها مـا وراء هـن وراء

١٨ ـ قال النيسابورى فى تفسير (غرائب القرآن ورغائب الفرقان): «واعلم أن الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على أنه أسرى بجسد رسول الله ﷺ والاقلّون على انه ما أسرى الاّ بروحه » .

١٩ـ قال الفخر فى تفسيره : « وأمّا المقام الثانى : وهو وقوع المعراج فقد قال أهل التحقيق : الذى يدلّ على انّه تعالى أسرى بروح محمد وجسده من مكة الى المسجد الاقصى القرآن والخبر .

أمّا القرآن فهو هذه الاية « سبحان الذى أسرى بعبده » الاية وتقرير الدليل انّ العبد اسم للجسد والروح ، فيجب أن يكون الاسراء حاصلا بجميع الجسد والروح ويؤيّده قوله تعالى : « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلّى » .

ولاشكّ ان المراد ههنا مجموع الروح والجسد وقال أيضاً فى سورة الجن : « وانه لمّا قام عبدالله » والمراد مجموع الروح والجسد فكذا ههنا وأما الحديث فهو المروى فى الصحاح وهو مشهور وهو يدل على الذهاب من مكّة إلى بيت المقدّس ثمّ منه إلى السماوات » .

٢٠ ـ فى البحار قال المجلسى رضوان الله تعالى عليه : « وأقول : اعلم أن عروجه ﷺ إلى بيت المقدس ثمّ إلى السّماء فى ليلة واحدة بجسده الشريف مما دلت عليه الايات والاخبار المتواترة من طرق الخاصّة والعامّة وانكار أمثال ذلك أو تأويلها بالعروج الروحانى أو بكونه فى المنام ينشأ إمّا من قلّة التتبّع فى آثار الائمة الطاهرين أو من قلّة التديّن وضعف اليقين أو الانخداع بتسويلات المتفلسفين ، والاخبار الواردة فى هذا المطلب لا أظن مثلها ورد فى شيء من

أصول المذهب .

فما أدرى ما الباعث على قبول تلك الاصول وإدّعاء العلم فيها والتوقّف فى هذا المقصد الاقصى فبالحرى أن يقال لهم : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .

وأمّا إعتذارهم بعدم قبول الفلك للخرق والالتيام فلا يخفى على أولى الافهام انّ ما تمسّكوا به فى ذلك ليس الا من شبهات الاوهام مع أن دليلهم على تقدير تمامه انّما يدل على عدم جواز الخرق فى الفلك المحيط بجميع الاجسام والمعراج لايستلزمه ولو كانت أمثال تلك الشكوك والشبهات مانعة من قبول ماثبت بالمتواترات لجاز التوقّف فى جميع ماصار فى الدين من الضروريّات وانّى لاعجب من بعض متأخّرى أصحابنا كيف أصابهم الوهن فى أمثال ذلك مع أنّ مخالفيهم مع قلّة أخبارهم وندرة آثارهم بالنظر إليهم وعدم تديّنهم لم يجوّزوا ردّها ولم يرخّصوا فى تأويلها .

وهم مع كونهم من أتباع الائمة الاطهار عليهم السلام وعندهم اضعاف ما عند مخالفيهم من صحيح الاثار يقتصّون آثار شرذمة من سفهاء المخالفين ويذكرون أقوالهم بين أقوال الشيعة المتدينين أعاذنا الله وسائر المؤمنين من تسويلات المضلّين واعلم أن قدماء أصحابنا وأهل التحقيق منهم لم يتوقّفوا فى ذلك » .

ثم قال : « لو اردت استيفاء الاخبار الواردة فى هذا الباب لصار مجلّداً كبيراً » .

٢١ ـ فى المقاصد وشرحه قال : « قد ثبت معراج النبى صلى الله عليه وآله بالكتاب والسنّة واجماع الامة إلاّ ان الخلاف فى انه فى المنام أو فى اليقظة وبالروح فقط أو الجسد وإلى المسجد الاقصى فقط أو إلى السماء والحقّ انه فى اليقظة ـ بالجسد إلى المسجد الاقصى بشهادة الكتاب وإجماع القرن الثانى ومن بعده إلى السماء بالاحاديث المشهورة والمنكر مبتدع ـ إلى ان قال ـ : تمسك المخالف بما روى عن عائشة انها قالت : والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وعن معاوية انها كانت رؤيا صالحة » .

٢٢ ـ قال ملاّ صدرا الشيرازى فى الرسائل : « الذى عرج بجسده إلى عالم السّماء حتى بلغ سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى » .

معاوية و عائشة

وانكار المعراج

وقد ثبت اتفاق الامّة المسلمة على جسمانيّة معراج النبيّ الكريم ﷺ وما خالفهم في ذلك إلاّ معاوية بن أبي سفيان وعائشة إذ زعما انّ المعراج كان روحيّاً في المنام ، وتبعهما شرذمة سالكة مسلكهما ، وقد وردت روايات كثيرة على من أنكر ذلك .

في تفسير الطبري : عن معاوية بن أبي سفيان وعائشة انهما قالا كان معراج الرسول ﷺ روحانيّاً لا الجسماني .

وفي تفسير الكشاف : عن عائشة ومعاوية والحسن ـ البصري ـ كان معراج النبي ﷺ بروحه . قال الزمخشري : اكثر الاقاويل خلاف ذلك .

وفي تفسير البحر المحيط : وما روى عن عائشة ومعاوية انّه كان مناماً فلعلّه لا يصحّ عنهما ولو صحّ لم يكن في ذلك حجّة لانّهما لم يشاهدا ذلك لصغر عائشة و كفر معاوية إذ ذاك ولانهما لم يسندا ذلك الى رسول الله ﷺ ولا حدّثا به عنه .

وهكذا قال الآلوسي في تفسير روح المعاني .

وفي تفسير المراغي : في قول عائشة في المعراج بأنها قالت : ما فقد جسد رسول الله ﷺ بأن عائشة يومئذ كانت صغيرة ولم تكن زوجاً لرسول الله ﷺ .

أقول : وقد جاء في الرّوايات انّ المعراج كان في أوائل البعثة فعلى هذا لم

تولد عائشة يومئذ فضلا عن كونها زوجاً للنبى صلى الله عليه وآله أو عن كونها صغيرة.

وفى السيرة النبوية لابن هشام قال إبن اسحق : وحدّثنى بعض آل أبى بكر : أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وآله كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنّ الله أسرى بروحه.

قال إبن إسحق : وحدّثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس : انّ معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : كانت رؤياً من الله تعالى صادقة.

وفى امالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن عمارعن أبيه قال : قال الصّادق جعفر بن محمد عليه السلام : من أنكر ثلاثة اشياء فليس من شيعتنا : المعراج والمسئلة (المسائلة ـ خ) فى القبر والشفاعة.

وفى البحار : بالاسناد عن إبن عمّارة عن أبيه قال : قال الصادق عليه السلام : ليس من شيعتنا من أنكر اربعة أشياء : المعراج والمسائلة فى القبر وخلق الجنّة والنّار والشفاعة.

وفيه بالاسناد عن الحسن بن فضّال عن الرضا عليه السلام انّه قال : من كذب بالمعراج فقد كذب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفيه : بالاسناد عن الفضل بن شاذان ،عن الرضا عليه السلام قال : من أقرّ بتوحيد الله ـ إلى أن قال ـ : وآمن بالمعراج والمسائلة فى القبر والحوض والشفاعة وخلق الجنّة والنار والصراط والميزان والبعث والنشوروالجزاء والحساب فهو مؤمن حقّاً وهو من شيعتنا أهل البيت.

بحث علمي في الاسراء

والمعراج الجسمانيين

ليلة الاسراء هي التي أسرى الله جل وعلا النبي الكريم صلى الله عليه وآله ببدنه الطبيعي يقظة من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الاقصى ببيت المقدس.

وليلة المعراج هي التي عرج محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ببدنه الطبيعي يقظة فيها إلى الافق الاعلى.

وتطلق كلمة الاسراء على رحلة النبي صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى وكلمة المعراج على رحلته صلى الله عليه وآله من بيت المقدس إلى الملأ الاعلى باعتبار أنّ كلمة المعراج تومىء إلى الارتقاء والصعود وقد يعكس الاطلاق من غير ملاحظة الاعتبار أو لوقوع السيرين في ليلة واحدة.

والدليل على السير الارضي قوله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياته انه هو السميع البصير» الاسراء: ١) والدليل على السير السماوي قوله تعالى: «والنجم إذا هوى ـ إلى قوله جل وعلا ـ لقد رأى من آيات ربّه الكبرى» النجم: ١ ـ ١٨).

ونخوض في البحث في هذه السّورة لأمرين:

أحدهما ـ لتقدم سورة النجم على سورة الاسراء نزولا.

ثانيهما ـ لكثرة الشبهات في السّير الفضائي الذي يدور عليه سورة النجم.

ولمّا كان الاسراء أمراً معجزاً خارقاً للعادة مظاناً للشبهة أخذ الله تعالى قصّته بكلمة التنزيه «سبحان الذي» ونزّه نفسه من كل عيب ونقص وأثنى نفسه على ما يدلّ

على كمال قدرته وغاية علمه وحكمته ونفوذ امره أوّلا وعلق الاسراء ونسبه إلى نفسه «أسرى بعبده» ليرفع الشبهة ويدفع الشكوك ويزيل الريب ثانياً ولينبّه إلى أنّه ﷺ لم يسر بنفسه بل أسراه ربّه وأذهبه.

ولعلّ ذلك أوجب تقديم سورة الاسراء على سورة النجم مصحفاً تمهيداً لما في سورة النجم ليقرّبه من الاول في الجواز فاكتفى بالاسراء إذ لو ذكر المعراج لاشتدّ الانكار فلما اخبر بالاسراء وبان الصدق بالعلامات اخبر بعد ذلك بالمعراج فكان ذكر الاسراء كالتوطئة لذكر المعراج.

ومن غير خفي على القارىء الخبير ان استعجاب المشركين وسؤالهم عنه ﷺ اخبار العير أوضح دليل على أنّ الاسراء كان جسمانياً إذ لامعنى للاستعجاب فيه عنهم لو كان روحانياً.

وفي رواية: ان النبي ﷺ لما أخبر بالاسراء فسعى رجال من المشركين إلى بعض اصحابه فقالوا: أيزعم صاحبك انه أسرى به الليلة البارحة من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ومن المسجد الاقصى إلى الافق الاعلى؟

قال: نعم وليس هو بكاذب فيما يخبرنا به قالوا أتصدقه في ذلك؟ قال: اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة وروحة ـ أي لانّه يخبرنا: ان الخبر يأتيه من السّماء إلى الارض في ساعة من ليل أونهار فأصدقه فمجيء الخبر له من السّماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه. «افمن هذا الحديث تعجبون» النجم: ٥٩).

فلو كان القول بمعراج محمد ﷺ في ليلة واحدة ممتنعاً لكان القول بنزول جبرئيل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعاً لانّ الملائكة أيضاً أجسام عند جمهور المسلمين.

قال الله تعالى: » تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » ألمعارج: ٤).

فاذا استبعد صعود الجسم الكثيف من الارض الى السّماء يستبعد نزول الجسم

اللطيف من السماء الى الارض وصعوده ايضا الى السّماء ، وأما اللطافة والكثافة فى الاجسام فليستا متخالفتين عند كمال قدرة خالقهما ، فالقول فى معراج الرسول صلى الله عليه وآله هو الكلام بنزول جبرئيل وصعوده ولو قلنا بامتناع الاول يلزم امتناع الثانى ثم يستلزم الطعن فى نبوّة جميع الانبياء عليهم السلام .

مع ان القول : بثبوت المعراج فرع على اصل النبوّة .

وكذا القول فى حركات الجن والشياطين .

قال تعالى : « وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمّعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب » الصافات : ٧ ـ ٨) .

وقال : « وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس ـ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » النمل : ١٧ ـ ٣٩) .

وقد سخّر الله تعالى الريح لسليمان غدوّها شهر ورواحها شهر إذ قال : « ولسليمان الريح غدوّها شهر ورواحها شهر» سبأ : ١٢) .

وقد قال الذى عنده علم الكتاب : « أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك » النمل : ٤٠) .

وكان عرش بلقيس فى أقصى اليمن وسليمان بالشّام .

وعلى قول من يقول : انّ الابصار بخروج الشعاع فانّما ينتقل شعاع العين من البصر الى أبعد الكواكب عنّا فى آن واحد .

فى الاحتجاج : فيما بيّن الامام على عليه السلام ليهودى الشام من معجزات النبى صلى الله عليه وآله فى مقابلة معجزات الانبياء : قال له اليهودى : فان هذا سليمان قد سخّرت له الرياح فسارت فى بلاده غدوّها شهر ورواحها شهر فقال له على عليه السلام : لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله اعطى ما هو أفضل من هذا : انّه اسرى به من المسجدالحرام الى المسجد الاقصى مسيرة شهروعرج به فى ملكوت السّموات مسيرة خمسين ألف عام فى أقل من ثلث ليلة حتى انتهى الى ساق العرش الخبر .

أقول: ان اثبات معجزة من معجزات الانبياء والمرسلين عليهم السلام عامّة

والمعراج خاصّة من طريق ضروب المخترعات وتقدم العلوم والتوسل بها الى طيّ المسافات بوسائل الطيارات ، وقطع المحيطات فى قليل الساعات من قارّة الى قارة ومن قطر الى قطر وما اليها من غثّها وسمينها ناشىء عن الجهل فى حقيقه المعجزة .

فان المعجزة أمر خارق للعادة وخارج عن قدرة الجن والانس ، وان ارتقى فى العلم والاختراع ما ارتقى وتقدّم ولايستطيع أحد باتيانها إلاّ من أذن الله تعالى له من المعصومين إذ لا يستطيع أحد أن يقلّب العصا ثعباناً ولا يخلق من الطين طيراً ولايخرج من جبل ناقة بلا سبق وجودلها من قبل ، ولايأتى بسورة قصيرة بمثل هذا القرآن وهكذا وهكذا ...

والتشبّث بالسير الفضائى الى الكرات لو قلنا بصحته ولم يكن أحد اسباب الاستحمار والاستثمار لاثبات المعراج كالتشبث بشعر فصيح او نثر بليغ لامكان اتيان مثل القرآن الكريم ، وهو يقول : « قل لئن إجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » الاسراء : ٨٨) .

وان المعجزة هى التى تظهر على يد الرسل لأجل إثبات صلتهم بالله تعالى واثبات النبوة والرسالة والولاية لهم ونيل العلم العادى بها وان ارتقى وتقدم طعن على أصل الصلة والرسالة .

والذين يدركون شيئاً من طبيعة القدرة الالهيّة ومن طبيعة النبوّة لا يستغربون فى الواقعة شيئاً ، فأمام القدرة الالهيّة تتساوى جميع الاعمال التى تبدو فى نظر الانسان ، وبالقياس إلى قدرته والى تصوّره متفاوتة السّهولة والصعوبة حسب ما اعتاده وما رآه ، والمعتادالمرئى فى عالم البشر ليس هو الحكم فى تقدير الامور بالقياس إلى قدرة الله جل وعلا .

أمّا طبيعة النبوّة فهى اتصال بالملأ الاعلى على غير قياس أو عادة لبقية البشر ، وهذه التجلية لمكان بعيد أو عالم بعيد والوصول اليه بوسيلة معلومة او مجهولة ليست أغرب من الاتصال بالملأ الاعلى والتلقّى عنه .

ومن آثار المعراج الجسمانى وأوضح دليل وأتقنه عليه لا يمكن إنكاره ولا

على محوه وان سعى فى اخفاءه هو صخرة قائمة فى وسط المسجد الاقصى :

فى السيرة الحلبية : « ان صخرة بيت المقدس لما أراد جبرئيل عليه السلام أن يربط البراق لانت له فعادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها » .

وفى شرح المؤطئات لابن العربى قال : « صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانّها صخرة قائمة فى وسط المسجد الاقصى قد إنقطعت من كل جهة لا يمسكها الاّ الذى يمسك السّماء أن تقع على الارض الاّ باذنه فى أعلاها من جهة الجنوب، قدم النبى صلى الله عليه وآله حين صعد عليها ومن الجهة الاخرى أصابع الملائكة التى أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التى انفصلت من كل جهة فهى معلّقة بين السّماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل **تحتها** لأنى كنت أخاف ان تسقط علىّ بسبب ذنوبى ثم بعد مدّة دخلتها فرأيت العجب العجائب تمشى فى جوانبها من كل جهة ، فتراها منفصلة عن الارض لايتصل بها من الارض شىء ولا بعض شىء وبعض الجهات أشد إنفصالاً من بعض » .

فبالجملة : ان روحانية الانبياء عليهم السلام تتغلّب على كثافة أجسامهم فما يخيّل إلينا من العوائق العمليّة من صعوبة الوصول إلى الملأ الاعلى لتخلخل الهواء واستحالة الوصول إلى الطبقات العليا من السّماء فهو إنّما يكون بالنظر إلى الاجرام والاجسام المشاهدة فى عالم الحس .

وانّ لروحانيّة الانبياء والملائكة احكاماً لم يصل العقل البشرى إلى تحديدها وابداء الرأى فيها وانها لفوق مستوى إدراكه فالاسراء والمعراج كانا فى حالة قوىّ فيها سلطان الروح على سنن الله تعالى فى الجسد فصار خفيفاً لطيفاً كالاجسام التى تتمثل فيها الملائكة للانبياء عليهم السلام وتمثل فيها الروح للسيّدة مريم عليها السلام لا بالروح فقط ولا بالمنام فقط كما توهّم .

ان تسئل : انّ الجسد الذى حلته روحه الشريفة ليلتئذّ غير جسده العادى ليناسب العالم الذى دخل فيه فكيف ولا مانع من كونه هو بعينه اثرت فيه الروح فلطفته وجعلته كالأثير فى لطفه وقوّته فى هذا العالم الدنيوى وبقى السلطان

للروح فجبرئيل الذى تمثّل للنبى ﷺ بصورة دحية كلبى ولمريم بصورة شاب جميل الصورة هو جبرئيل الذى رآه النبى ﷺ بصورته ساداً الافق الاعلى وقال تعالى فيهما : « فأوحى إلى عبده ما أوحى » .

قلت : قد ثبت عن أفضل البشر وأصدقهم من الانبياء المعصومين انّهم كانوا يرون الملائكة والجنّ فى صور لطيفة أو كثيفة وثبت تمثلهم لهم بنص القرآن الكريم وغيره من كتب الوحى وقد صحّ ان النبى ﷺ لم ير جبرئيل ملك الوحى فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها ألا مرتين وقد علم بالقطع انه ﷺ رآه فى الصور التى كان يتشكل فيها مراراً تعدّ بالمئتين أو أكثر وليست محصورة بعدد نزوله بآيات القرآن وسوره وقد كان من تلك الصور صورة دحية الكلبى ومنها صورة الرجل الغريب الذى يسئل النبى الكريم ﷺ عن الاسلام والايمان .. الخ وهذا النوع من الصور الكثيفة رآه فيه من حضر مجيئه من الصحابة ومنها صور لطيفة لم يكن يراه فيها غير النبى ﷺ ..

وقد راى رسول الله ﷺ غير جبرئيل من الملائكة ورأى بعض الشياطين والجن أيضاً متمثلة فى صور .

فتمثّل محمد رسول الله الاعظم ﷺ بجسمه وروحه فى الافق الاعلى بصورة تناسبه كما كان جبرئيل يتمثّل بما كان يناسب هذا العالم المادى أو كان بصورته الارضية وهو بالافق الاعلى كما رأى ﷺ جبرئيل بصورته الاصلية .

وذلك لانّ العقل قد دلّ على وجود الممكنات التى لاندركها التى يسميها علماء الكون بالاثير كما انّ العلم بالتجربة والبحث العلمى فى الوجود قد أثبت وجود أحياء كثيرة الانواع ذات تأثير عظيم فى حياة الاحياء من نفع وضرّ ترى بالمرايا المكبرة دون البصر المجرّد وانّ فيه مواد اخرى لطيفة هى من اصول عناصره التى لم يتمّ تكوينه إلاّ بها وهى لاتدرك بالحواس ولا بالعقل بادىء بدء .

وانمّا عرفت باعمال التحليل والتركيب وآلاتها ، واستخدمت لكثير من المنافع والمضار كالعناصر التى يتركب منها الماء والهواء ، وقد ثبت بالتجارب

العلمية من أن الجسم الجامد يتحول بالحرارة إلى مائع كما يكون الجليد والثلج ماء وان المائع يتحوّل إلى بخار كالدخان اللطيف يخرج من الماء عند تسخينه ومن كل مائع فيه ماء، وان هذا البخار المائى وغيره يتحوّل بشدّة الحرارة إلى مادة لاترى كالهواء ويسمّونها غازاً.

وان الاجسام الجامدة كالذهب والمائعة كالماء والغازية كالهواء منها البسيط ومنها المركب وان البسائط التى تتألف منها المركبات محدودة تعد بالعشرات وصار فى قدرة البشر أن يحلّلوا المركب ويفرقوا بسائطه بعضها من بعض بصناعة الكيمياء وآلاتها وأن يحوّلوا الجوامد من الجمادة فيجعلوها غازات وأن يجعلوا من الغازات ومن السائلات جوامد، وهم يتخذون منها أغذية وأدوية وسموماً قاتلة بل استخرجوا من ماء البحر الملح ذهباً إبريزاً، هذه الاعمال التى صارت من صنائع البشر تقرب من العقل والعلم، إذ يجعلون المرئى غير مرئى والجامد مائعاً والملح حلواً.

فكيف الله جل وعلا

يجعل الملائكة والجن والنبى ﷺ فى صور ترى بالابصار، وبصور لاترى بالابصار، وأنّ الله تعالى أعطى أرواحهم قوّة يتصرّفون بها فى مادة الكون، وفى أنفسهم بأعظم من تصرف علماء الكيمياء فى نفسه ولكنه من جنسه.

فقد أعطى الله تعالى الواحد منهم قدرة على تأليف جسم لروحه من هذه المادة إذا شاء وحلّه وتفريقه متى شاء بما يناسبه من العالم العلوى تارة والعالم السفلى تارة اخرى.

بحث علمى آخر فى جسمانية

معراج النبى صلى الله عليه وآله وسلم

ولا مرية لنا انّ معراج رسولنا محمد صلى الله عليه وآله كان ببدنه الطبيعى الجسمانى وفى المقام كلمات لبعض المحققين لا بد للقارى من التدبّر والدّقة فيها :

أحدها ـ : انّ العالم ليس منحصراً فى هذا العالم المحسوس المعبّر عنه بعالم الطبع بسمواته وأرضيه ، بل فوقه برزخ وهو عالم بين عالم الطبع وعالم المثال ، وله الحكومة على عالم الطبع والتصرف فيه أىّ تصرّف شاء من الاحياء والاماتة وإيجاد ما ليس بشىء وإعدام موجود وستر المحسوس واظهار غير المحسوس بصورة المحسوس ، ومنه طىّ الارض والسّير على الماء والهواء والدخول فى النار سالماً وقلب الماهيّات .

ومنه طىّ الزمان وإنقلاب عصا موسى عليه السلام حيّة ، وخروج الناقة من الجبل لصالح النبى عليه السلام من غير سبق وجود لها من قبل ، وخلق عيسى عليه السلام طيراً من طين باذن الله تعالى ، وما إليها من الامور غير العاديّة ، وما ورد فى الاخبار انّه قال المعصوم صلى الله عليه لمنافق : إخسأ فصار كلباً وقال لآخر : أنت إمرأة بين الرجال فصار إمرأة .

وأنكر آخر قلب الماهيات عند المعصوم عليه السلام ، فصار إلى نهر ليغتسل فدخل الماء ، وإرتمس فرآى نفسه إمرأة على ساحل بحر قرب قرية منكورة ، فدخلت القرية وتزوّجت وعاشت مدّة ، و ولدت لها أولاد ، ثمّ خرجت لتغتسل فى البحر ،

فدخلت الماء وارتمست فخرجت على ساحل النهر المعهود ، وهو رجل وإذا بثيابه موضوعة كما وضعها ، فلبسها ودخل بيته وأهله غيرشاعرين بغيبته لقصر الزمان وما إليها مما ورد في الاخبار كثيراً .

وفوق البرزخ عالم المثال ، وله التّصرف في البرزخ والطبع ، وفوقه عالم النفوس الكليّات المعبّر عنها : « بالمدّبرات امراً » وفوقه الارواح المعبّر عنها : « بالصافات صفاً » وفوقها العقول المعبّر عنها بالمقربين وفوقها الكرسي وفوقها العرش وهو سرير الملك المتعال وهما بين الوجوب والامكان لا واجبان ولا ممكنان بل فوق الامكان وتحت الوجوب ، وكل من تلك العوالم له الاحاطة والتصرّف والحكومة على جميع ما دونه باذن الله تعالى فاذا غلب واحد من تلك العوالم على ما دونه صار ما دونه بحكمه وذهب عنه حكم نفسه .

ثانيها - : انّ الانسان مختصر من تلك العوالم وله مراتب بازاء تلك العوالم وكلّ مرتبة عالية لها الحكومة على ما دونها من غير فرق كما نشاهد من حكومة النفس على البدن والقوى ، ومن غلبة العالم الروحاني العامل الكامل على المادي المجرد ، فيخاف منه حقيقة والتسجين والتبعيد دليل على ذلك ، ولكن تلك المراتب في أكثر الناس بالقوّة وما بالفعل من النفس المجردة التي هي بازاء عالم النفوس ضعيفة غاية الضعف بحيث لا يمكنها التصرف في بدنها زائداً على ما جعله الله تعالى في جبلّتها فضلا بغير بدنها فاذا صار بعض تلك المراتب بالفعل كما في الانبياء والمعصومين عليهم السلام ، وكان لهم التصرف في الابدان بأيّ نحو شاؤا باذن الله تعالى وفي سائر أجزاء العالم .

ولهم طيّ المكان والزمان والسّير على الماء والهواء و دخول النار وإحياء الموتى وإماتة الاحياء وقلب الماهيّات ، وغير ذلك مما لا يمكن الانكار على ما صرّحت به الايات القرآنية والروايات الصحيحة ...

وأمّا التصرّف في البدن الطبيعي بحيث يخرجه عن حكم الامكان ويدخله في عالم العرش الذي هو فوق الامكان وفوق عالم العقول والملائكة المقرّبين ،

كما روى انّ جبرئيل عليه السلام تخلّف عن رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله ليلة المعراج وقال: « لو دنوت انملة لاحترقت » .

مع كونه من عالم العقول المقرّبين ، فهو من خواص خاتم الكلّ في الرسالة والنبوّة والولاية محمد رسول الله صلى الله عليه وآله لايشاركه فيه غيره ، ولذلك جعل معراجه الجسماني بالكيفيّة المخصوصة من خواص نبينا محمد صلى الله عليه وآله بعروجه ببدنه الطبيعي إلى السّموات والملكوت والجبروت ، وإلى العرش الذى هو فوق الامكان ، وفي هذا السير تخلّف جبرئيل عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله لانه كان من عالم الامكان ولم يكن له طريق إلى ما فوق الامكان لانّ الملائكة كلّ له مقام معلوم لا يستطيع التجاوز عنه بخلاف الرسول صلى الله عليه وآله ولا يلزم منه خرق السّموات لارتفاع حكم الملك عن بدنه بغلبة الملكوت ولا إستغراب في عروجه بالبدن الطبيعي إلى الملكوت والجبروت لسقوط حكم الملك بل حكم الامكان عنه مع بقاء عينه ولا غروفي كثرة وقائعه في المعراج ، فانه من بسط الدهرمع قصرالزمان ، كما قال الله تعالى : « وان يوماً عند ربّك كألف سنة مما تعدون » .

وقال : « في يوم كان مقداره خمسين الف سنة » .

فقدر ساعة من الدهر بازاء قدر ساعة من الزمان تكون كألف ساعة أو كخمسين الف ساعة من الزمان .

ثالثها ـ ما ورد من تكلّم على بن ابيطالب عليه السلام ليلة المعراج ومدّ يده من وراء الحجاب كان بمقامه العلوى لاببدنه الطبيعي والفضل في المعراج بأن يكون بالبدن الطبيعي ، ولذلك كان المعراج وهو صلى الله عليه وآله بالافق الاعلى من خواص النبى الكريم صلى الله عليه وآله لايشاركه فيه الامام على عليه السلام كما زعم فتدبّر واغتنم .

ابتداء الاسراء
ووقته و عداده

إختلفت الروايات و كلمات العلماء فی ابتداء الاسراء ، ووقته وعدده . يمكن لنا الجمع بتعدد الاسراء والمعراج ، فيرتفع التنافی عنها بذلك ، فلابد لنا من البحث فی امور ثلاثة :

أحدها ـ فی إبتداء السّير وفيه :

١ ـ من بيت امّ هانی اخت علی بن ابيطالب عليه السلام .

فی تفسير الطبری : « قد ذكر لنا انّ النبی صلی الله عليه وآله كان ليلة اسری به إلی المسجد الاقصی كان نائماً فی بيت امّ هانی بنت أبی طالب رضی الله عنها » وزوجها هبيرة بن أبی وهب المخزومیّ .

وفيه : عن ابن صالح بن باذام عن ام هانی بنت ابی طالب فی مسری النبی صلی الله عليه وآله انّها كانت تقول : ما أسری برسول الله صلی الله عليه وآله الا وهو فی بيتی نائم عندی تلك الليلة فصلّی العشاء الاخرة ثم نام ونمنا فلمّا كان قبيل الفجر أهبّنا رسول الله صلی الله عليه وآله فلمّا صلّی الصّبح وصلّينا معه قال : يا امّ هانی لقد صلّيت معكم العشاء الاخرة كما رأيت بهذا الوادی ثمّ جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صلّيت صلاة الغداة معكم الان كما ترين »

وفی تفسير روح البيان وتفسير الكاشف : أصح الروايات ان الاسراء كان من بيت ام هانی اخت علی بن ابيطالب عليه السلام .

وفی المناقب : لابن شهر آشوب : وروی انّه فقده أبو طالب فی تلك الليلة

فلم يزل يطلبه ، ووجّه إلى بنى هاشم وهو يقول : يا لها من عظيمة إن لم أر رسول الله إلى الفجر ، فبينا هو كذلك إذ تلقّاه رسول الله ، وقد نزل من السّماء على باب امهاني ، فقال له : انطلق معى ، فأدخل بين يديه المسجد ، فدخل بنو هاشم فسل ّ أبو طالب سيفه عند الحجر ، ثم قال : أخرجوا مامعكم يا بنى هاشم ، ثم التفت الى قريش ، فقال : والله لولم أره مابقى منكم عين تطرف ، فقالت قريش : لقد ركبت منّا عظيماً .

وأصبح صلى الله عليه وآله يحدّثهم بالمعراج ، فقيل له : صف لنا بيت المقدس ، فجاء جبرئيل بصورة بيت المقدس تجاه وجهه ، فجعل يخبرهم بما يسئلونه عنه ، فقالوا: أين بيت فلان ومكان كذا ؟ فأجابهم فى كلّ ما سئلوه عنه ، فلم يؤمن منهم إلاّ قليل وهو قوله : « وما تغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون » .

٢ـ من بين زمزم والمقام .

فى تفسير ابن كثير الدمشقى : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله غسل ليلة المعراج من ماء زمزم والنيل والفرات هذا فى الارض ، ثم مضى الى السماء فغسل من نهر الكوثر.

وفيه: غسل فى السّماء من نهرين : نهر الرحمة ونهر الكوثر .

٣ ـ فى المناقب لابن شهر آشوب : قيل : من بيت خديجة .

٤ ـ وفيه : وروى من شعب أبى طالب .

٥ ـ وفيه : عن الحسن البصرى وقتادة : كان من نفس المسجد الحرام .

٦ ـ من الحجر .

وفى البحار: بالاسناد عن محمد بن عجلان عن زيد بن على قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كنت نائماً فى الحجر إذ أتانى جبرئيل فحرّكنى تحريكا لطيفاً ثم قال لى: عفى الله عنك يا محمد قم واركب ، ففد إلى ربك فأتانى بدابّة دون البغل وفوق الحمار .

٧ ـ من الابطح .

وفي تفسير العياشي : عن عبدالصمد بن بشير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : أتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بالابطح بالبراق - ليركبه . الخبر .

٨ - من سقف بيته صلى الله عليه وآله .

ثانيها - في وقت الاسراء والمعراج وفيه :

١ - في الخرائج والجرائح : روى عن علي عليه السلام انه لمّا كان بعد ثلاث سنين من مبعثه صلى الله عليه وآله أسرى به إلى بيت المقدس وعرج به منه إلى السّماء ليلة المعراج الخبر.

٢ - في تفسير الكشاف قال : إختلفوا في وقت الاسراء ، فقيل : كان قبل الهجرة بسنة .

٣ - في الدرّ المنثور عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال : اسرى بالنبي صلى الله عليه وآله ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الاوّل قبل الهجرة بسنة .

قيل : والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ إبن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوماً .

٤ - في الكشّاف عن أنس والحسن - البصرى - انّه كان قبل البعث .

٥ - في تفسير كشف الاسرار : أسرى رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة ثانية من ليلة ثالثة عشر من شهر ربيع الاول قبل الهجرة بسنة .

٦ - وفيه قيل : ليلة تاسعة عشر من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً .

٧ - في تفسير البحر المحيط قال أبو حيّان : والمتحقق : ان ذلك كان بعد شقّ الصحيفة وقبل بيعة العقبة .

٨ - في المناقب لابن شهر آشوب : قال السدّى والواقدى : الاسراء قبل الهجرة بستة أشهر بمكّة في السابع عشر من شهر رمضان ليلة السبت بعد العتمة من دار امّ هاني بنت أبي طالب .

٩ - وفيه قال إبن عباس : هي ليلة الاثنين في شهر ربيع الاول بعد النبوة بسنتين.

١٠ - قبل الهجرة بعام ونصف في رجب وهو المشهور .

١١ - بعد المبعث بسبعة اعوام .

١٢ - بعد البعثة بخمسة سنين .

١٣ - ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة .

١٤ - فى ليلة إحدى وعشرين من رمضان قبل الهجرة بستة أشهر .

١٥ - فى ليلة السابع والعشرين من رجب السنة الثانية من الهجرة .

وثالثها - فى عدد الاسراء والمعراج وفيه :

١ - فى تفسير روح المعانى عن الشيخ انه قال : وقع لرسول الله صلى الله عليه وآله المعراج ثلاثين مرّة .

٢ - وفيه عن الشيخ عبد الوهاب الشعرانى : انّ اسرآته صلى الله عليه وآله كانت اربعاً وثلاثين ، واحد منها بجسمه والباقى بروحه .

٣ - فى الكافى باسناده عن على بن أبى حمزة قال : سئل أبو بصير ابا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال : جعلت فداك كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : مرّتين . الخبر .

٤ - فى العلل والخصال بالاسناد عن الصّباح المزنىّ عن أبى عبد الله عليه السلام قال : عرج بالنبى صلى الله عليه وآله الى السّماء مأة وعشرين مرّة ، ما من مرة إلاّ وقد أوصى الله عزوجل فيها النبى صلى الله عليه وآله بالولاية لعلىّ والائمة عليهم السلام أكثر مما أوصاه بالفرائض .

أقول: رواه الصّفار فى بصائر الدرجات والمجلسى فى البحار .

ورفع التنافى بين الرّوايتين الاخيرتين بأن تكون المرّتان فى الاسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ومنه إلى الافق الاعلى ، والبواقى العروج إلى الملا الاعلى من غير السّير الارضى ، أو كانت المرّتان الى العرش والبواقى

الى السموات ، أوكانت المرّتان بالجسم والبواقى بالروح ، أوكانت المرّتان بمكة والبواقى فى المدينة ، أو المرّتان ما أخبر بما جرى فيهما والبواقى لم يخبر بها .

وبهذه الوجوه يرفع الاشكال عن القولين الاوّلين فتدبّر واغتنم .

ويرفع بها الاشكال أيضاً من الاختلاف فى إبتداء الاسراء و وقته .

٥ ـ فى الميزان قال : إنّ من الروايات المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ما يصرح بوقوع الاسراء مرتين وهو المستفاد من آيات سورة النجم حيث يقول سبحانه : « ولقد رآه نزلة اخرى » .

أقول: وهذا غيروجيه كما انّ قوله فى سورة النجم : « والمراد بنزلة اخرى نزلة النبى صلى الله عليه وآله عند سدرة المنتهى فى عروجه إلى السّماوات ، فالمفاد انّه صلى الله عليه وآله نزل نزلة اخرى أثناء معراجه عند سدرة المنتهى فرآه بقلبه كما رآه فى النزلة الاولى » غيروجيه جداً .



﴿ البراق و الاسراء ﴾

تصف روايات كثيرة البراق الّذى ركبه النبى الكريم صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء، فنشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبان بن عثمان عن أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدّس حمله جبرئيل على البراق فأتيا بيت المقدّس . الخبر .

٢ ـ فى عيون الاخبار بالاسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّ الله سخّر لى البراق وهى دابّة من دوات الجنّة ليست بالقصير ولا بالطويل ، فلو انّ الله تعالى أذن لها لجالت الدنيا والاخرة فى جرية واحدة وهى أحسن الدوابّ لوناً .

٣ ـ فى كشف اليقين بالاسناد عن زيد بن على قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كنت نائماً فى الحجر إذ أتانى جبرئيل فحرّكنى تحريكاً لطيفاً ثم قال لى : عفا الله عنك يا محمد قم واركب ففد إلى ربّك فأتانى بدابّة دون البغل وفوق الحمار خطوها مدّ البصر . الخبر .

٤ ـ فى أمالى الصدوق بالاسناد عن عبد الرحمن بن غنم قال : جاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بدابّة دون البغل وفوق الحمار رجلاها أطول من يديها خطوها مدّ البصر . الخبر .

٥ ـ فى روضة الكافى باسناده عن عبدالله بن عطاء عن أبى جعفر عليه السلام قال : أتى جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله بالبراق أصغر من البغل وأكبر من الحمار

مضطرب الاذنين عينيه فى حافره وخطاه مدّ بصره . الخبر .

٦ ـ فى البحار عن أبى بصير عن الصادق عليه السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : أتانى جبرئيل وأنا بمكة فقال : قم يا محمد فقمت معه وخرجت إلى الباب فاذا جبرئيل ومعه ميكائيل وإسرافيل فأتى جبرائيل بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل ، خدّه كخدّ الانسان وذنبه كذنب البقر ، وعرفه كعرف الفرس ، وقوائمه كقوائم الابل عليه رحل من الجنّة ، وله جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه . فقال: إركب فركبت ومضيت حتى إنتهيت إلى بيت المقدس ولما انتهيت إليه إذاً الملائكة نزلت من السّماء بالبشارة والكرامة من عند ربّ العزّة وصلّيت فى بيت المقدس ثم أخذ جبرئيل بيدى إلى الصخرة فأقعدنى عليها فاذاً معراج إلى السّماء . الخبر .

قوله صلى الله عليه وآله : « خطوه منتهى طرفه » أى كان يضع كل خطوة منه على منتهى مدّ بصره .

٧ ـ فى المناقب لابن شهر آشوب عن ابن عبّاس : ان جبرئيل أتى النبى صلى الله عليه وآله وقال : إن ربى بعثنى اليك وأمرنى ان آتيه بك فقم فانّ الله يكرمك كرامة لم يكرم بها أحداً قبلك ولا بعدك ، فأبشر وطب نفساً فقام وصلّى ركعتين ، فاذا هو بميكائيل واسرافيل ومع كلّ واحد منهما سبعون ألف ملك ، فسلّم عليهم ، فبشروه فاذا معهم دابّة فوق الحمار ودون البغل خدّه كخدّ الانسان وقوائمه كقوائم البعير ، وعرفه كعرف الفرس وذنبه كذنب البقر رجلاها أطول من يديها ولها جناحان من فخذيه خطوتها مدّ البصر . الخبر .

أقول: ان البراق إسم للدابّة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة أسرى بها وهو مشتقّ من البرق لسرعته وشدّة صفاته وبياضه ولمعانه وتلألؤ نوره ليس شىء أسرع سيراً من البرق حتى النور ، فمن ركب البرق لايسئل عنه كيف أسرى المسافة بين الارض والسّماء .

فى تفسير الكاشف نقلاً عن جريدة مصريّة بعنوان « المضمون العلمى للاسراء والمعراج » جاء فيها :

« إمتطى الرسول الكريم ﷺ راحلة يقال لها : البراق وهي على ما ذكره الحديث دابّة فوق الحمار ودون البغل وفي ذلك تلقين إلهي لنا بوجوب التعلّق بالاسباب فلم يكن عزيزاً على ربّنا أن ينقل رسوله ﷺ من مكة إلى القدس دون وسيلة من وسائل النقل بحيث يجد الرسول نفسه فجأة على أبواب المسجد الاقصى ولكنّه جلّت حكمته قضى بأن يجرى كل شيء على قوانين لا تتبدّل ولا تتحوّل . .

وفي إستخدام هذه الراحلة التي قطعت المسافة الطويلة في سرعة مذهلة تحريض للعقول على النظر في إبتداع وسائل جديدة تقطع المسافات البعيدة في مدّة وجيزة . .

ثم نسئل الذين يعلمون : ما هي أقصى سرعة تجرى في كون الله طبقاً لما إنتهى إليه العلم ؟ ويأتينا الجواب بلا تردّد انّها على وجه اليقين بسرعة الضوء وهي ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية الواحدة .

والبراق الذي امتطاه الرسول ﷺ كان ينطلق بسرعة ضوئيّة ، لانّ كلمة البراق مشتقّة من البرق .

ومن خلال المحاولات العلمية في دراسة الفضاء توصل الانسان إلى معرفة كثير من الاسرار واستطاع بسلطان العلم أن ينفذ من أقطار الارض إلى عجائب الملكوت ،ولكن العلم المادي وحده ينسى الانسان خالق الكون وحادث الاسراء والمعراج يعطينا درساً بأنّ المادة والروح متلازمان ، فقد كان الرسول ﷺ بعروجه إلى الملأ الاعلى على هيئته بشراً من مادّة الكون وقبساً من روح الخالق الاعظم ، وكان جبرئيل يمثل الدليل الامين ، ولامانع من أن نرمز إليه في الرحلة بسلطان العلم الذي يجب أن يقودنا في رحلتنا بهذه الحياة إلى خالق الكون » .

•

اسرع الاشياء

والفرق بين البرق والنور

وقد ثبت ان النور يقطع ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية الواحدة، وقريب منه سير الامواج اللاسلكية (وهي طاقة كهربائية) وقالوا: يجرى كل واحد منهما حول الارض فوق (٧) مرات في الثانية الواحدة لان محيط الارض ٤٠ ألف كيلومتر.

وقالوا: لايمكن أن توجد واسطة مادية سرعتها بقدر سرعة الضوء على ما ثبت في الفيزياء.

وقالوا: ان في هذا الجو نجوماً قد ارسل ضوؤها إلى الارض منذ ملايين السنين ولم يصل إلينا بعد مع سرعة الضوء على ذلك وفي وراء تلك النجوم فضاء شاسع لايعلمه أحد من البشر.

وقالوا: على فرض الامكان فنحتاج من العمر مئات الملايين من السنين كي نصل إلى بعض النجوم التي نشاهدها بآلاتنا الحاضرة شريطة أن نسير بسرعة الضوء.

وقد خفي عليهم حقيقة البرق والنور والفرق بينهما وبين سرعتهما فخلطوهما من جهات وليس لسرعة البرق حد إلا فجأة، وان سرعة البرق هي سرعة الخطورات القلبية وسرعة البصر وسرعة الارواح والملائكة لايحددها إلا الله تعالى.

هذه هي الملائكة التي تسير بسرعة « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » المعارج: ٤).

فلو كانت سرعة الملائكة على سرعة الضوء لكان يستحيل أن تقطع الملائكة تلك المسافات الشاسعة في هذه المدة القليلة مع عدم علمنا بوراء تلك

النجوم وبابتداء سير الملائكة .

فلو كان سيرهم بسرعة الضوء لكان محتاجاً إلى ملايين وملايين من السنين للنزول وهكذا للصعود ، فاذن وجب أن نقول : ان سرعة سير الملائكة أضعاف أضعاف سرعة سير الضوء .

ان الانسان حقّاً ليندهش حين يرى ان علياً عليه السلام يجيب عند مايسئل عن المسافة بين الارض والسّماء بقوله : « دعاء مستجاب » ، إذ لاعدد هناك يمكن أن يعبّر به عن هذه المسافة التى لا يعلم مداها الاّ الله تعالى الاّ أن يقال : « دعاء مستجاب » .

فسرعة الملائكة وما إليها لاتقاس بسرعة مايحصل عليه باعمال مادية بواسطة الامواج الكهربائية بل هى سرعة فائقة لايعلم مداهـا الا الله تعالى وبهذه السرعة أحضر آصف بن برخياسريرة بلقيس من أقصى اليمن الى الشام وبهذه السرعة اسرى محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم الى الملأ الاعلى وبهذه السرعة تنزل الملائكة وتعرج وبهذه السرعة يخطر بالنا خطوراً زمانياً إذ نذكر زمن الصباوة بعد مضى سبعين سنة ونذكر زمن آدم عليه السلام لو كنا عشنا فيه وهكذا بلا احتياج إلى زمن وخطوراً مكانياً اذ نذكر أبعد ما سافرنا من الامكنة حتى لو كنا سافرنا إلى الملأ الاعلى لنخطره ببالنا بلا حاجة الى زمان وهكذا . . .

وبهذه السرعة نرى أبعد الكواكب بلمح البصر .

وبهذه السرعة تعود الارواح الى الاجسام عند النوم ، وهكذا وهكذا . . . وستأتى الروايات العديدة فى الحجب والاستار والسرادقات ان النور فى حجب والبرق فى حجب آخر وبين الحجابين أحجاب .

وليس النور ولاسرعته مقصورين فى هذه الشمس بل نورها جزء من أجزاء أنوار لا يحددها إلا الله تعالى .

فى التوحيد : باسناده عن صفوان عن عاصم بن حميد عن أبى عبدالله عليه السلام

قال : الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر. الخبر.

فكيف كانت سرعة البراق إذا كان من الستر.

وفي شرح نهج البلاغة للكيدري : قال رسول الله ﷺ - في حديث المعراج - : فخرجت من سدرة المنتهى حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزة ثم الى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجاباً وأنا على البراق وبين كل حجاب وحجاب مسيرة خمسمأة سنة . الخبر .

قال بعض المحققين :

إن تسئل : كيف يتصور الازدواج بين النور والظلمة والايتلاف بين العلوى والسفلى وبينهما تنافر وتخالف وجوداً وماهية ؟

تجيب : فانظر إلى نفسك وروحك كيف ركّبت من البدن والروح وصرت أنت بذلك التركيب وان الروح من العلوى والبدن من السفلى فائتلفا ، مع أنّ جبرئيل من عالم علوى ينزل الى الانبياء الذين يعيشون في هذا العالم المادى السّفلى .

وانّ محمداً رسول الله الاعظم ﷺ كان عبداً تامّاً عبد ربه في كل موطن وحمد له في كل مقام وهو الذي يخاطب له ربه : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» طـه : ٢) .

وبمقام العبودية الكاملة طوى الله تعالى له الزمان والمكان إذ قال : « سبحان الذى اسرى بعبده » الاسراء : ١) وقال : «فأوحى إلى عبده ما أوحى» النجم: ١٠).

فتصرف باذن ربّه جميع الاكوان تصرف النفوس في الابدان فظهر بجسده آناً واحداً جميع مراتب الارواح والنفوس وسار جميع العوالم الملكوت .

﴿ تحقيق في حكمة المعراج ﴾

وقد أشار سبحانه وتعالى إلى حكمة المعراج إجمالا بقوله تعالى : « لقد رآى من آيات ربّه الكبرى » النجم : ١٨) .

كما أشار في حكمة الاسراء كذلك بقوله عز وجل : « لنريه من آياتنا » الاسراء : ١) .

وقد جاء في المقام روايات كثيرة :

منها : في التوحيد باسناده عن يونس بن عبدالرحمن قال : قلت لابي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : لاىّ علّة عرج الله بنبيّه صلى الله عليه وآله إلى السّماء ومنها إلى سدرة المنتهى ومنها إلى حجب النور وخاطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان ؟.

فقال عليه السلام : انّ الله لا يوصف بمكان ولايجرى عليه زمان ولكنّه عز وجل اراد أن يشرّف به ملائكته وسكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه وليس ذلك على ما يقوله المشبّهون سبحان الله وتعالى عمّا يصفون .

ومنها : في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ثابت بن دينار قال :

سئلت زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبن طالب عليه السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان ؟ فقال : تعالى الله عن ذلك قلت : فلم أسرى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله إلى السّماء ؟ قال : ليريه ملكوت السّماء وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه . الخبر .

ومنها: في الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السّلام انّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في جواب اليهودى الذى سئل عن معجزات الرسول صلى الله عليه وآله: انه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى مسيرة شهر وعرج به فى ملكوت السّماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلّى فدلّى له من الجنّة رفرف أخضر وغشى النور بصره فرآى عظمة ربه بفؤاده.

أقول: قوله عليه السلام: «فرآى عظمة ربه بفؤاده» أى بعين اليقين كما يشير إليه قوله تعالى: «ما كذب الفؤاد ما رآى ـ مازاغ البصر وماطغى» النجم: ١١ـ ١٧).

ومنها: فى التوحيد باسناده عن البزنطى عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسرى بى إلى السّماء بلغ بى جبرئيل مكاناً لم يطأه جبرئيل قطّ فكشف لى فأرانى الله عزوجل من نور عظمته ما أحب.

وغيرها من الروايات.

فى تفسير ابن العربى قال: «انّ قدر الرسول صلى الله عليه وآله معرفته بنفسه و كماله انّما يظهر بها ألاترى انّ معراجه انّما كان بجسده إذ لولم يكن بجسده لم يمكن ترقيه فى المراتب إلى التوحيد».

انما الاسراء والمعراج كان لتمحيص الله تعالى المؤمنين ويبيّن منهم صادق الايمان ومن فى قلبه من الناس مرض كما قال تعالى: «الافتنة للناس» أوّلا.

وليطلع رسوله الاعظم صلى الله عليه وآله على ما فى هذا الكون أرضيّة وسماويّة من العظمة والجلال ليكون ذلك درساً عملياً لتعليم رسوله صلى الله عليه وآله بالمشاهدة والنظر فان التعليم بالمشاهدة أجدى انواع التعليم، فهو وإن لم يذهب إلى مدرسة أو يجلس إلى معلم او يسح فى ارجاء المعمورة أو يصعد بالآلات العلمية إلى السّماء، فقد كفل له ربّه ذلك بما أراه من آياته الكبرى وما أطلعه عليه من مشاهدة تلك العوالم التى لاتصل أذهاننا إلى إدراك كنهها إلا بضرب من التخيّل والتوهم فأنّى لنا أن نصل إلى ذلك قد حبس عنّا الكثير من العلم ولم نؤته إلا قليلا؟ «وما اوتيتم من

العلم الاّ قليلا » ثانياً ، لئلاّ نتوقف على ما كنّا نعلم . .

ومن غير خفىّ على القارىء الخبير : ان هذا القرآن المكتوب الذى نتلوه ونستمع إليه هو دروس ألقاها الخالق المتعال على رسوله الاعظم صلى الله عليه وآله ليبلّغها بدوره إلى الناس كافة وهذه الدروس على انواع منها فى الاحكام ومعرفة الحلال والحرام ومنها الامر بالجهاد فى سبيل الله تعالى والاخلاص والمثابرة والصبر على الشدائد من أجل الحق وأهمها جميعاً الايمان بالله تعالى ايماناً صحيحاً مبنياً على العلم واليقين لا على التقليد والظن ولا على الاوهام والشطحات وقد أرشد تعالى الى طريق العلم واليقين به ، وهو التفكر فى خلق الكون بأرضه وسمائه وما فيهما من تدبير واحكام وتنسيق بين أجزائه و كلّياته .

قال تعالى : « أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السّموات والارض وما بينهما إلاّ بالحق » الروم : ٨) .

ومن هنا وبّخ من اتبع الظن والهوى النفسانى وأسقط الشأن لهما فقال : « إن يتبعون الاّ الظن وما تهوى الانفس ـ وانّ الظن لايغنى من الحق شيئاً » النجم : ٢٢ ـ ٢٨) .

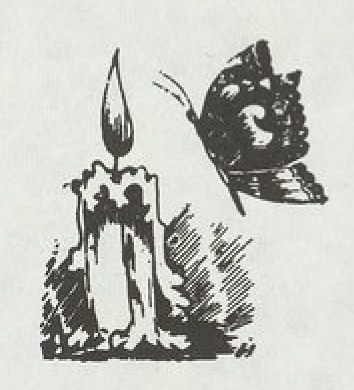
وبعد أن أوحى الله تعالى إلى عبده ورسوله بتلك الدروس فى عظمة الكون وخالقه خصّه من دون الخلق أجمعين برحلة أرضيّة من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ورحلة سماوية من المسجد الاقصى إلى الافق الاعلى .

وانّ الغرض من هاتين الرحلتين أن يتلقى الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله درساً عملياً بعد أن تلقاه درساً نظرياً فى الكون وأن يشاهد من عوالمه وعجائبه ما لا تدركه العقول ولا تبلغه الاوهام . . وهذه هى الطريقة المتبعة فى التربية الحديثة حيث يهىء الاساتذة لتلاميذهم الرحلات ونحوها من الدروس العملية بعد الدروس التى يتلقونها فى المدارس والمعاهد . . فتدبّر واغتنم .

ومن اللطائف انّ الله تعالى أسرى بعبده محمد صلى الله عليه وآله لكماله فى العبودية

من الارض إلى السماء والافق الاعلى فأمره بالصعود وأنزل آدم عليه السلام من السماء إلى الارض لما عصاه فأمره بالهبوط فقال له: «ولا تقربا هذه الشجرة ـ قلنا اهبطوا منها جميعاً» البقرة: ٣٥ ـ ٣٨).

وبذلك كفاك فى فضل نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله على جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.



المعراج وفضل رسولنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

على جميع الانبياء عليهم السلام

وقد وردت روايات كثيرة فـي فضل نبيّنا محمد رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله على جميع الانبياء والمرسلين بأمور :

منها عروجه إلى ما لم يطأه نبي مرسل ولاملك مقرّب واقتداءهم به صلى الله عليه وآله ليلة الاسراء والمعراج :

فى الكافي : باسناده عـن أبي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام قـال : لمّا عرج برسول الله صلى الله عليه وآله إنتهى به جبرئيل عليه السلام إلى مكان فخلّى عنه فقال له : يا جبرئيل أتخلّيني على هذه الحالة ؟ فقال : امضه ، فوالله لقد وطئت مكاناً ما وطئه بشر وما مشى فيه بشر قبلك .

وقد صلّى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله اماماً للانبياء والملائكة عليهم السلام فى بيت المقدس وفي عالم السموات لينبه إلى أن محمداً صلى الله عليه وآله جاء بشريعة ختمت بها الشرائع السالفة كلها وأئمتها ومن اوتوا القوا الزعامة إليه صلى الله عليه وآله وصاروا مؤمنين به.

وفيـه : باسناده عن الفضيل عـن أبي جعفر عليه السلام قـال : لمّا اسرى برسول الله صلى الله عليه وآله إلى السماء فبلغ البيت المعمور وحضرت الصلاة فاذّن جبرئيل وأقام فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله وصفّ الملائكة والنبيّون خلف محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي البحار : عن أبي بصير وهشام بن سالم عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طويل ـ تلفيقاً قـال صلى الله عليه وآله : فصعدت إلى السماء الدنيا ورأيت عجائبها

وملكوتها وملائكها يسلّمون عليّ ثم صعدت إلى السماء الثانية فاذا فيها رجلان متشابهان فقلت : من هذان ياجبرئيل ؟ فقال لي : ابنا الخالة يحيي وعيسى عليهما السلام ثم صعدت إلى السماء الثالثة فرأيت بها يوسف عليه السلام ثم صعدت إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس عليه السلام ثم صعدت الى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون عليه السلام ثم صعدت إلى السماء السادسة فاذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيّون ثم صعدت إلى السماء السابعة فأبصرت فيها خلقاً وملائكة.

وفي رواية اخرى قال صلى الله عليه وآله : رأيت في السّماء السّادسة موسى عليه السلام ورأيت في السّابعة ابراهيم عليه السلام ثم قال : جاوز نامتصاعدين إلى أعلى علّيّين . الخبر .

وفي الاحتجاج : في أجوبة الزنديق المنكر للقرآن: قال أمير المؤمنين عليه السلام . وأمّا قوله : « واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا » فهذا من براهين نبيّنا صلى الله عليه وآله التّي آتاه الله ايّاها وأوجب به الحجة على سائر خلقه ، لانه لما ختم به الانبياء وجعله الله رسولا الى جميع الامم وسائر الملل خصّه بالارتقاء إلى السّماء عند المعراج وجمع له يومئذ الانبياء ، فعلم منهم ما أرسلوا به وحملوه من عزائم الله وآياته وبراهينه وأقرّوا أجمعون بفضله وفضل الاوصياء والحجج في الارض من بعده.

وفضّل شيعة وصيّه من المؤمنين والمؤمنات الذين سلّموا لاهل الفضل فضلهم ولم يستكبروا عن أمرهم وعرف من أطاعهم وعصاهم من اممهم وسائر من مضى ومن غبر أو تقدّم أو تأخّر.

أقول: ما عرج هؤلاء الانبياء الذين إقتدوا بنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله في السّماء قبل موتهم إلاّ عيسى بن مريم عليه السلام لقوله تعالى: « وما قتلوه وما صلبوه - بل رفعه الله إليه » النساء : ١٥٧ - ١٥٨) .

وإدريس عليه السلام لقوله تعالى : « واذكر في الكتاب إدريس انه كان صدّيقاً نبيّاً ورفعناه مكاناً عليّاً » مريم : ٥٦ - ٥٧) .

وأمّا كونهم في السّماوات واقتداءهم بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله فيها فأحياهم الله تعالى بعد موتهم فاقتدوا به صلى الله عليه وآله كما اقتدوا به صلى الله عليه وآله في الارض ببيت المقدس

على ما سبق في سورة الاسراء .

وفي البحار : بالاسناد عن أبن سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال : لمّا اسرى بي إلى السّماء ما سمعت شيئاً قط" هو أحلى من كلام ربّي عز وجل قال : فقلت : يا رب" اتخذت ابراهيم خليلا و كلّمت موسى تكليماً ورفعت ادريس مكاناً عليّاً وآتيت داود زبوراً وأعطيت سليمان ملكاً لاينبغي لاحد من بعده فماذا لي يا رب" ؟ فقال : جل" جلاله : يا محمد اتّخذتك خليلا كما اتّخذت ابراهيم خليلا و كلّمتك تكليماً كما كلّمت موسى تكليماً وأعطيت فاتحة الكتاب وسورة البقرة ولم اعطهما نبيّاً قبلك وأرسلتك إلى أسود أهل الارض وأحمرهم وإنسهم وجنّهم ولم ارسل إلى جماعتهم نبيّاً قبلك وجعلت الارض لك ولامّتك مسجداً وطهوراً وأطعمت امّتك الفيء ولم احلّه لاحد قبلها .

ونصرتك بالرّعب حتى أن" عدوّك ليرعب منك وأنزلت سيّد الكتب كلّها مهيمناً عليك قرآنا عربيّاً مبيناً ورفعت لك ذكرك حتى لا اذكر بشيء من شرائع ديني الاّ ذكرت معي .

وفي وسائل الشيعة: بالاسناد عن هشام بن الحكم قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن علّة الصلاة فان" فيها مشغلة للناس عن حوائجهم ومتعبة لهم في أبدانهم قال : فيها علل وذلك انّ الناس لو تركوا بغير تنبيه ولا تذكير للنبي ﷺ بأكثر من الخبر الاوّل وبقاء الكتاب في أيديهم فقط لكانوا على ما كان عليه الاوّلون فانّهم قد كانوا اتخذوا ديناً ووضعوا كتباً ودعوا اناساً إلى ما هم عليه وقتلوهم على ذلك فدرس أمرهم وذهب حين ذهبوا وأراد الله تعالى أن لا ينسيهم ذكر محمد ﷺ ففرض عليهم الصّلاة يذكرونه كل" يوم خمس مرّات ينادون باسمه ويعبدونه بالصلاة وذكر الله لكيلا يغفلوا عنه فينسوه فيدرس ذكره .

ليلة المعراج

وحكمة تخفيف الصلاة وبعض احكامها

وقد جائت روايات كثيرة في تخفيف الصلاة عن خمسين إلى خمس ليلة المعراج وفي حكمة الجهر في صلاة الفجر والعشائين وحكمة الاخفاء في الظهرين وانّ لكل ركعة ركوعاً واحداً وسجدتين وفي ذكر الركوع والسّجدة وفي تسبيحات الاربع في الركعتين الا خيرين في الاربعات فنشير إلى مايسعه المقام :

١ ـ في التوحيد والعلل وأمالي الصّدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن زيد بن علي عليه السلام قال : سئلت أبي سيّد العابدين عليه السلام فقلت له : يا أبة أخبرني عن جدّنا رسول الله لمّا عرج به إلى السّماء وأمره ربه عزوجل بخمسين صلاة كيف لم يسئله التخفيف عن امّته حتى قال له موسى بن عمران عليه السلام : ارجع إلى ربّك فاسئله التخفيف فانّ امّتك لا تطيق ذلك ؟ .

فقال : يا بنيّ انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يقترح على ربّه عز وجل ولا يراجعه في شيء يأمره به فلمّا سئله موسى عليه السلام ذلك فكان شفيعاً لامّته إليه لم يجز له ردّ شفاعة أخيه موسى عليه السلام فرجع إلى ربّه فسئله التخفيف إلى أنّ ردّها إلى خمس صلوات ، قال : قلت له : يا أبة فلم لايرجع إلى ربّه عزّوجلّ ويسئله التخفيف عن خمس صلوات وقد سئله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربّه ويسئله التخفيف ؟

فقال : يا بنيّ أراد صلى الله عليه وآله أن يحصل لامّته التخفيف مع أجر خمسين صلاة ، يقول الله عزوجل :« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ألا ترى انه صلى الله عليه وآله

لمّا هبط إلى الارض نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يامحمد ان ربّك يقرءك السّلام ويقول : انّها خمس بخمسين ما يبدّل القول لدىّ وما أنا بظلام للعبيد قال : فقلت له : يا أبة أليس الله تعالى ذكره لايوصف بمكان ؟

فقال: بلى تعالى الله عن ذلك فقلت : فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : ارجع إلى ربّك ؟ فقال : معناه معنى قول ابراهيم : « انّى ذاهب الى ربّى سيهدين » ومعنى قول موسى عليه السلام : « وعجلت اليك ربّ لترضى » ومعنى قوله عزوجل: « ففروا الى الله » يعنى حجّوا الى بيت الله ، يا بنى ان الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد الى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى اليه فقد سعى الى الله وقصد اليه والمصلّى مادام فى صلاته فهو واقف بين الله جل جلاله وأهل موقف عرفات ، هم وقوف بين يدى الله عزوجل وان لله تبارك وتعالى بقاعا فى سماواته .

فمن عرج به إلى بقعة منها ، فقد عرج به إليه ، ألاتسمع الله عزوجل يقول: « تعرج الملائكة والروح اليه » ويقول عزّوجل فى قصّة عيسى : « بل رفعه الله إليه » ويقول عزّوجل : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .

قوله عليه السلام : « لايقترح » الاقتراح : السؤال من غير رويّة ، وقوله عليه السلام : « ما يبدّل القول لدىّ » لعلّ المعنى أنّه كان مرادى بالخمسين أن اعطيهم ثواب الخمسين أو انّه تعالى لمّا قرر لهم خمسين صلاة فلو بدّلها ولم يعطهم هذا الثواب لكان ظلما فى جنب عظمته وقدرته وعجز خلقه وإفتقارهم اليه .

ولعل من ذكر هذه الاستشهادات بيان لشيوع تلك الاستعمالات فى لسان أهل الشرع والعرف .

ولا يمنع أن تكون المصلحة فى الابتداء تقتضى العبادة بالخمسين من الصلوات فاذا وقعت المراجعة تغيّرت المصلحة فاقتضت أقل من ذلك فانتهت الى الخمس واستقرّت وكان النبى صلى الله عليه وآله عالماً بذلك فرجع طالباً للتخفيف تسهيلا على امّته .

وفى القصّة من التنبيه والامتحان بأمر إلهى وكمال انقياد النبى صلى الله عليه وآله تجاه

أمر الله تعالى ما لا يخفى .

وفي الخصال: باسناده عن ابن أبى عمير عن أبى الحسن الازدى عن ابى عبد الله عليه السلام قال : لمّا خفّف الله عز وجل عن النبى صلى الله عليه وآله ، حتّى صارت خمس صلوات اوحى الله اليه ! يا محمد انّها خمس بخمسين .

وفي السيرة النبوية: لابن هشام عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله فيما بلغنى : انّ جبرئيل لم يصعد به الى سماء من السّموات إلاّ قالوا له حين يستأذن فى دخولها : من هذا يا جبرئيل ؟ فيقول : محمد فيقولون : او قد بعث ؟ فيقول : نعم فيقولون : حيّاه الله من اخ وصاحب حتى انتهى به الى السّماء السابعة ثم انتهى به الى ربّه ففرض عليه خمسين صلاة فى كل يوم .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فأقبلت راجعاً فلمّا مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سئلنى كم فرض عليك من الصّلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم فقال: انّ الصّلاة ثقيلة وانّ امّتك ضعيفة فارجع إلى ربّك فاسئله أن يخفّف عنك وعن امّتك ، فرجعت فسئلت ربّى أن يخفّف عنى وعن امّتى ، فوضع عنّى عشراً ، ثمّ انصرفت فمررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فسئلت ربّى فوضع عنّى عشر ثم إنصرفت ، فمررت على موسى ، فقال لى مثل ذلك ، فرجعت فسئلته .

فوضع عنّى عشر ثمّ لم يزل يقول لى : مثل ذلك كلّما رجعت اليه ، قال : فارجع فاسئل حتى انتهيت إلى أن وضع ذلك عنّى إلاّ خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، ثم رجعت إلى موسى ، فقال لى : مثل ذلك فقلت : قد راجعت ربى وسئلته حتى استحييت منه ، فما أنا بفاعل فمن أدّاهن منكم إيماناً بهنّ واحتساباً لهنّ كان له أجر خمسين صلاة مكتوبة .

وفى وسائل الشيعة: محمّد بن على بن الحسين قال : قال عليه السلام : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا اسرى به أمره ربّه بخمسين صلاة ، فمرّ على النبيين نبىّ نبىّ لايسئلونه عن شىء حتى انتهى إلى موسى بن عمران عليه السلام فقال : بأىّ شىء أمرك

ربّك ؟ فقال : بخمسين صلاة فقال : اسئل ربّك التخفيف فانّ امّتك لاتطيق ذلك فسئل ربّه فحطّ عنه عشر ، ثم مرّ بالنّبيّين نبىّ نبىّ لايسئلونه عن شيء حتى مرّ بموسى بن عمران عليه السلام فقال : بأىّ شىّ أمرك ربّك ؟ فقال : بأربعين صلاة فقال : اسئل ربّك التخفيف فانّ امّتك لاتطيق ذلك ، فسئل ربّه ، فحطّ عنه عشراً ثم مرّ بالنبيين نبىّ نبىّ لايسئلونه عن شيء حتّى مرّ بموسى عليه السلام ، فقال : بأىّ أمرك ربّك ؟ فقال بثلاثين صلاة فقال : اسئل ربّك التخفيف فانّ امّتك لاتطيق ذلك ، فسئل ربّه فحطّ عنه عشر .

ثم مرّ بالنّبيّين نبىّ نبىّ لايسئلونه عن شيء حتّى مرّ بموسى عليه السلام فقال : بأىّ شيء أمرك ربك ؟ فقال : بعشرين صلاة فقال : اسئل ربّك التخفيف فانّ امّتك لاتطيق ذلك فسئل ربّه فحطّ عنه عشر ، ثم مرّ بالنبيين نبىّ نبىّ لايسئلونه عن شيء حتّى مرّ بموسى عليه السلام فقال : بأىّ شيء أمرك ربّك ؟ فقال : بعشر صلاة ، فقال : اسئل ربّك التخفيف فانّ امّتك لاتطيق ذلك ، فانّى جئت إلى بنى اسرائيل بما افترض الله عليهم فلم يأخذوا به ولم يقرّوا عليه .

فسئل النبى صلى الله عليه وآله ربّه فخفّف عنه فجعلها خمساً ثم مرّ بالنّبيين نبىّ نبىّ لايسئلونه عن شيء حتّى مرّ بموسى عليه السلام فقاله : بأىّ شيء أمرك ربّك ؟ فقال بخمس صلوات فقال : اسئل ربّك التخفيف عن امّتك فانّ امّتك لاتطيق ذلك ، فقال : انّى لاستحيى أن أعود إلى ربّى فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس صلوات .

أقول : رواه القمى فى تفسيره عن ابن أبى عمير عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام .

وفى العلل : باسناده عن محمّد بن حمزة قال : قلت لابى عبد الله عليه السلام : لاىّ علّة يجهر فى صلاة الفجر وصلاة المغرب وصلاة العشاء الاخرة وسائر الصلوات مثل الظهر والعصر لايجهر فيها ؟ ولاىّ علّة صار التسبيح فى الركعتين الاخيرتين أفضل من القرآن (من القراءة خ) ؟ قال : لانّ النبىّ صلى الله عليه وآله لمّا أسرى به إلى السّماء كان أوّل صلاة فرضه الله عليه صلاة الظهر يوم الجمعة فأضاف الله عزّ وجل إليه

الملائكة تصلّي خلفه وأمر الله عزّ وجل نبيّه صلى الله عليه وآله أن يجهر بالقراءة ليبين لهم فضله ثمّ افترض عليه العصر ولم يضف إليه أحداً من الملائكة وأمره أن يخفى القراءة لانّه لم يكن وراءه أحد ثمّ افترض عليه المغرب ثم أضاف إليه الملائكة فأمره بالاجهار و كذلك العشاء الاخرة فلمّا كان قرب الفجر افترض الله عزّوجل عليه الفجر وأمره بالاجهار ليبيّن للناس فضله كما بيّن للملائكة فلهذه العلّة يجهر فيها فقلت :

لاى شيء صار التسبيح فى الاخيرتين افضل من القراءة ؟ قال : لانّه لمّا كان فى الاخيرتين ذكر ما يظهر من عظمة الله عزّوجل فدهش وقال : « سبحان الله والحمد لله ولا اله الى الله والله اكبر » .

فلذلك العلّة صار التسبيح افضل من القراءة .

وفيه : باسناده عن اسحق بن عمّار قال سئلت ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام كيف صارت الصلاة ركعة وسجدتين ؟ و كيف إذا صارت سجدتين لم تكن ركعتين؟ فقال : اذا سئلت عن شيء ففرّغ قلبك لتفهم :

انّ أوّل صلاة صلاّها رسول الله صلى الله عليه وآله انّما صلاّها فى السّماء بين يدى الله تبارك وتعالى قدّام عرشه جل جلاله وذاك انه لمّا أسرى به وصار عند عرشه تبارك وتعالى قال : يامحمد ادن من صاد فاغسل مساجدك وطهّرها وصلّ لربك ، فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حيث امره الله تبارك وتعالى ، فتوضّأ فاصبغ وضوءه ، ثمّ استقبل الجبّار تبارك وتعالى قائما ، فأمره بافتتاح الصلاة ففعل فقال يا محمد اقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » إلى آخرها ففعل ذلك ثمّ أمره أن يقرأ نسبة ربّه تبارك وتعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصّمد » ثم أمسك عنه القول فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « قل هو الله أحد الله الصمد » فقال : قل : «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد » فأمسك عنه القول فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « كذلك الله ربّى كذلك ربّى كذلك ربّى » .

فلما قال ذلك قال: اركع يا محمد لربك فركع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له وهو راكع قل : « سبحان ربّى العظيم وبحمده » ففعل ذلك ثلاثاً ثمّ : قال إرفع رأسك

يا محمد ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقام منتصباً بين يدى الله فقال : اسجد يا محمد لربك فخرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساجداً ، فقال : « قل سبحان ربى الاعلى وبحمده » ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثلاثاً فقال له : استو جالساً يامحمد ففعل فلما استوى جالساً ذكر جلال ربّه جلّ جلاله فخرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساجداً من تلقاء نفسه لا لامر أمره ربه عز وجل فسبّح أيضاً ثلاثاً فقال :

انتصب قائماً ففعل ، فلم ير ما كان رأى من عظمة ربّه جل جلاله فقال له : إقرأ يا محمد وافعل كما فعلت فى الركعة الاولى ، ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ سجد سجدة واحدة ، فلما رفع رأسه ذكر جلالة ربّه تبارك وتعالى الثانية فخرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ساجداً من تلقاء نفسه لا لامر أمره ربّه عز وجل فسبّح أيضاً .

ثم قال له : ارفع رأسك ثبّتك الله وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وانّ الساعة آتية لاريب فيها وانّ الله يبعث من فى القبور اللّهم صلّ على محمد وآل محمد وارحم على محمد وآل محمد كما صلّيت وباركت وترحّمت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد اللّهم تقبّل شفاعته فى امّته وارفع درجته ، ففعل فقال :

سلّم يامحمد واستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه تبارك وتعالى وجهه مطرقاً فقال: السلام عليك فأجابه الجبّار جل جلاله فقال : وعليك السلام يا محمد بنعمتى قوّيتك على طاعتى وبعصمتى إيّاك اتخذتك نبيّاً وحبيباً ثم قال ابوالحسن عليه السلام :

وانما كانت الصلاة التى أمر بها ركعتين وسجدتين وهو صلى الله عليه وآله انما سجد سجدتين فى كل ركعة عمّا أخبرتك من تذكّره لعظمة ربّه تبارك وتعالى ، فجعله الله عزوجل فرضاً ، قلت : جعلت فداك وما صار الذى امر ان يغتسل منه ؟ فقال : عين تنفجر من ركن من اركان العرش يقال له : ماء الحياة وهو ما قال الله عز وجل : « ص والقرآن ذى الذكر » انما امره ان يتوضّأ ويقرأ ويصلّى .

وفيه: باسناده عن هشام بن الحكم عن أبى الحسن موسى عليه السلام قال . قلت له : لاى علّة صار التكبير فى الافتتاح سبع تكبيرات افضل ؟ ولاى علّة يقال فى

الركوع : « سبحان ربّى العظيم وبحمده » ويقال فى السّجود : « سبحان ربّى الاعلى وبحمده » ؟ قال :

يا هشام : ان الله تبارك وتعالى خلق السّماوات سبعاً والارضين سبعاً والحجب سبعاً فلمّا أسرى بالنبى ﷺ وكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى رفع له حجاب من حجبه فكبّر رسول الله ﷺ وجعل يقول الكلمات التى تقال فى الافتتاح فلما رفع له الثانى كبّر فلم يزل كذلك حتّى بلغ سبع حجب و كبّر سبع تكبيرات .

فلذلك العلّة تكبّر للافتتاح فى الصلاة سبع تكبيرات فلما ذكر ما رآى من عظمة الله ارتعدت فرائصه فابترك (فانبرك خ) على ركبتيه ، واخذ يقول : «سبحان ربى العظيم وبحمده » فلّما اعتدل من ركوعه قائماً نظر اليه فى موضع أعلى من ذلك الموضع خرّ على وجهه وهو يقول : « سبحان ربى الاعلى وبحمده » فلما قال سبع مرات سكن ذلك الرعب فلذلك جرت به السنّة .



ليلة المعراج

وولاية الامام على عليه السلام بعد النبى صلى الله عليه وآله

ومن غير خفيّ على سليم العقل والانصاف ان أمر الخلافة بعد الرسالة بمثابة القوة المجرية لقوة التقنين وبمثابة حدوث شيء لا بدّ له فى بقائه مما فيه بقائه، وحقاً لنا أن نقول إنّ التقنين بلا قوّة إجرائية كالعلم بلا عمل لا شأن له بل وزر ووبال بلا مراء على صاحبه.

فيجب نصب الامام عليه السلام على الله تعالى تحصيلا للغرض كوجوب نصب الرسول صلى الله عليه وآله عليه فلا يترك دينه سدى ولا يكون للناس على الله حجّة.

ويدل على ذلك قوله تعالى: «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ـ يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربّك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته» المائدة: ٣ ـ ٦٧).

وذلك لان الامة المسلمة اتفقوا على أن الايتين نزلتا يوم الغدير لامر الخلافة بعد النبى الكريم صلى الله عليه وآله فلا كمال لدين الاسلام إلاّ بالخلافة ولا رسالة الا بابلاغ الخلافة على الناس وما كان الله يكتفى فيها بهذا اليوم بل يوصى رسوله صلى الله عليه وآله بها فى كل شوط وتقدّم فى الارّض والسماء.

وإنما الرسالة والخلافة أمران تكوينيان ليس لرأى أحد فيهما دخل وردت فى ذلك روايات كثيرة عن طريق العامة:

منها: روى ابن المغازلى الواسطى الشافعى فى المناقب باسناده عن جابر بن عبدالله عن النبى صلى الله عليه وآله قال: انّ الله عزّ وجل أنزل قطعة من نور فأسكنها فى

صلب آدم فساقها حتى قسّمها جزئين فجعل جزءاً فى صلب عبدالله وجزءاً فى صلب أبيطالب فأخرجنى نبياً وأخرج علياً وصياً .

ومنها : روى الشيخ سليمان البلخى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٢٥٦ ط اسلامبول) عن النبى ﷺ - إلى أن قال - : حتى إفترقنا فى صلب عبدالمطلب ففىّ النبوّة وفى علىّ الوصيّة .

ومنها : روى أبو محمد المولوى فى (إنتهاء الافهام ص٢٢٤ ط لكهنو) عن علىّ عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : يا على خلقنى الله وخلقك من نوره فلّما خلق آدم عليه السلام اودع ذلك النور فى صلبه فلم نزل أنا وأنت شيئاً واحداً ثمّ إفترقنا فى صلب عبدالمطلب ، ففىّ النبوة والرسالة وفيك الوصيّة والامامة .

ومنها : روى الخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص٨٠ ط تبريز) باسناده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ إنّ الله لمّا خلق السموات والارض دعاهنّ فأجبنه فعرض عليهنّ نبوّتى وولاية على بن ابيطالب فقبلتاهما . الخبر .

رواه بأدنى تفاوت إبن ابى الحديد فى (شرح النهج ج٢ ص ٤٤٩ ط مصر) .

ومنها : روى الحافظ ابو بكر البغدادى فى (تاريخ البغداد ج ٤ ص ١٩٦ ط - السعادة بمصر) باسناده عن إبن عباس ان فاطمة قالت: يارسول الله ﷺ زوجتنى من رجل ليس له شيء ؟ قال : أما ترضين انّ الله اختار من اهل الارض رجلين : احدهما ابوك والاخر بعلك .

رواه جماعة من اعلام العامة :

١ - سبط ابن الجوزى فى (تذكرة الخواص ص ٣١٨) .

٢ - الذهبى الدمشقى فى (ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٤ ط القاهرة) وفى (ج ٢ ص ١٢٨ ط السعادة بمصر) .

٣ - القاضى عضدالدين اللايجى فى (المواقف ج ٢ ص ٦١٥) .

٤ - الحافظ الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢ ط مكتبة القدسى بالقاهرة) وغيرهم تركناهم للاختصار .

وقد جاءت روايات كثيرة بأسانيد عديدة في توصية الله تعالى برسوله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج أمر الخلافة للامام علي بن ابيطالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله .

منها : في أمالي إبن الشيخ باسناده عن غالب الجهني" عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جدّه علي بن ابيطالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسرى بي إلى السّماء ثم من السّماء إلى السّماء ثم إلى سدرة المنتهى اوقفت بين يدي ربّي عزوجل فقال : يامحمد فقلت : لبّيك ربّي وسعديك قال : قد بلوت خلقي فأيّهم وجدت أطوع لك ؟ قال : قلت : ربّ علياً قال : صدقت يامحمد فهل اتخذت لنفسك خليفة يؤدّي عنك ويعلّم عبادي من كتابي ما لايعلمون قال: قلت : اخترلي فانّ خيرتك خيرلي قال : قد اخترت لك علياً فاتّخذه لنفسك خليفة ووصيّاً ونحتله علمي وحلمي وهو أمير المؤمنين حقّاً لم ينلها أحد قبله ولا أحد بعده ، يا محمد عليّ راية الهدى وإمام من أطاعني ونور أوليائي وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين من أحبّه فقد أحبّني ومن أبغضه فقد أبغضني فبشّره بذلك يامحمد فقال النبي صلى الله عليه وآله : ربّ ! فقد بشّرته فقال عليّ عليه السلام : أنا عبد الله وفي قبضته أن يعذّبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً وأن يتمّ لي ما وعدني فالله أولى بي فقال : اللهمّ اجل قلبه واجعل ربيعة الايمان بك .

قال : قد فعلت ذلك به يامحمد غير أنّي مختصّة بشيء من البلاء لم اختصّ به أحداً من اوليائي ، قال : قلت : ربّ ! اخي وصاحبي قال : انه قد سبق في علمي انه مبتلى ومبتلى به ، ولو لا عليّ لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي .

ومنها : في بصائر الدرجات باسناده عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال: رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد أسرى بي ربي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى وكلّمني وكان مما كلمني أن قال : يامحمد عليّ الاوّل وعليّ الاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم فقال : يارب ّ أليس ذلك أنت ؟ ـ أي أليس أنت المتصف بهذه الصفات فقط ؟ ـ قال : فقال : يامحمد أنا الله لاإله إلاّ أنا الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون

اني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق البارىء المصوّر.

لي الاسماء الحسنى يسبّح لي من في السماوات والارض وأنا العزيز الحكيم يامحمد اني أنا الله لا إله إلا أنا الاول ولا شيء قبلي وأنا الاخر فلا شيء بعدي وأنا الظاهر فلا شيء فوقي وأنا الباطن فلا شيء تحتي وأنا الله لا إله إلا أنا بكل شيء عليم.

يامحمد عليّ الاول: أول من أخذ ميثاقي من الائمة، يا محمد عليّ الاخر: آخر من أقبض روحه من الائمة وهي الدابّة التي تكلّمهم، يا محمد عليّ الظاهر: أظهر عليه جميع ما أوصيته اليك (ما اوحيته اليك ـ خ) ليس لك ان تكتم منه شيئاً. يامحمد عليّ الباطن: أبطنته سرّي الذي أسررته إليك فليس فيما بيني وبينك سر أزويه ـ أي امنعه عنه ـ يا محمد عن عليّ ما خلقت من حلال أو حرام إلاّ وعلي عليم به.

ومنها: في الخصال باسناده عن الامام علي عليه السلام انه صلى الله عليه وآله قال في وصيّة له: يا علي اني رأيت اسمك مقروناً إلى اسمي في أربعة مواطن فآنست بالنظر اليه الى قوله: فلما انتهيت الى سدرة المنتهى وجدت مكتوباً عليها:

انّي أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي محمد صفوتي من خلقي أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره فقلت لجبرئيل: من وزيري؟ فقال: علي بن ابيطالب عليه السلام.

ومنها: في الكافي باسناده عن معاوية بن عمّار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أسرى ربّي بي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى وشافهني إلى أن قال لي: يا محمد من أذل لي وليّاً فقد ارصدلي بالمحاربة ومن حاربني حاربته قلت: يا ربّ ومن وليّك هذا؟ فقد علمت أنّ من حاربك حاربته قال: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيّك ولذريتكما بالولاية.

أقول: قوله صلى الله عليه وآله: «وشافهني» أي خاطبني.

ومنها في امالي الصدوق باسناده عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا عليّ أنت إمام المسلمين وأمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين وحجّة الله بعدي على الخلق أجمعين وسيد الوصيّين ووصي سيد النبيين يا عليّ

انه لمّا عرج بى إلى السماء السابعة ومنها إلى سدرة المنتهى ومنها إلى حجب النور وأكرمنى ربّى جل جلاله بمناجاته قال لى :

يا محمد قلت : لبّيك ربى وسعديك تباركت وتعاليت قال : إن علياً إمام أوليائى ونور لمن اطاعنى وهو الكلمة التى الزمتها المتقين من اطاعه أطاعنى ومن عصاه عصانى فبشره بذلك ، فقال على عليه السلام : يارسول الله بلغ من قدرى حتى انى اذكر هناك ؟ فقال : نعم ياعلىّ فاشكر ربك فخرّ على عليه السلام ساجداً شكراً لله على ما انعم به عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : إرفع رأسك يا على فانّ الله قد باهى بك ملائكته .

ومنها : وفيه باسناده عن عبد الله بن الفضل عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليلة اسرى بى إلى السماء كلمنى ربّى جل جلاله فقال : يا محمد فقلت : لبيّك ربى فقال : ان علياً حجتى بعدك على خلقى وإمام أهل طاعتى من أطاعه أطاعنى ومن عصاه عصانى فانصبه علماً لامّتك يهتدون به بعدك .

ومنها : وفيه باسناده عن الاصبغ بن نباتة عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا عرج بى إلى السّماء السابعة ومنها إلى سدرة المنتهى ومن السدرة إلى حجب النور نادانى ربّى جلّ جلاله : يا محمد أنت عبدى وأنا ربّك فلى فاخضع وإيّاى فاعبد وعلىّ فتوكل وبى فثق فانّى قد رضيت بك عبداً وحبيباً ورسولا ونبيّاً وبأخيك على خليفة وباباً فهو حجتى على عبادى ، وإمام لخلقى به يعرف اوليائى من اعدائى وبه يميّز حزب الشيطان من حزبى وبه يقام دينى وتحفظ حدودى ، وتنفذ أحكامى ، وبك وبه وبالائمة من ولده أرحم عبادى وإمائى ، وبالقائم منكم أعمر أرضى بتسبيحى وتقديسى وتهليلى وتكبيرى وتمجيدى ، وبه أطهّر الارض من أعدائى وأورثها أوليائى ، وبه أجعل كلمة الذين كفروا بى السفلى وكلمتى العليا ، وبه أحيى عبادى وبلادى بعلمى وله (وبه) اظهر الكنوز والذخائر بمشيّتى ، وإيّاه أظهر على الاسرار والضمائر بارادتى وأمدّه بملائكتى لتؤيّده على إنفاذ أمرى وإعلان دينى ذلك وليّى حقّاً ومهدى عبادى صدقاً .

ليلة المعراج

وصورة الامام على عليه السلام والتكلم بلسانه فيها

وقد جاءت روايات عديدة : انّ النبى الكريم صلى الله عليه وآله رآى صورة الامام على بن أبيطالب عليه السلام ليلة المعراج ، ويسمع ما يتكلّم بلسان على عليه السلام ومدّت يده من وراء الحجاب وغير ذلك ...

وقد خفى معناها على عدّة كثيرة ، فوقفت طائفة وأنكر الاخرون ، ولكن التدبّر فيها يلهمنا انه كان بمقامه العلوى ومثاله السّماوى لا ببدنه الطبيعىّ وان الفضل فى المعراج وإن كان بالبدن الطبيعى للنبى الكريم صلى الله عليه وآله ولكن هذا المعراج بالمقام العلوىّ ومثالـه السّماوى كان فضلا للامام على عليه السلام ايضاً لما لا يخفى على المتدبّر .

فى كنز الفوائد : للكراجكى باسناده عن حمران قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل فى كتابه : « ثمّ دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى » .

فقال : ادنى الله محمداً منه فلم يكن بينه وبينه إلاّ قنص لؤلؤ (قفص من لؤلؤ ـ خ) فيه فراش من ذهب يتلالأ فأرى صورة فقيل لـه : يا محمد أتعرف هذه الصّورة ؟ فقال : نعم هذه صورة على بن أبيطالب فأوحى الله إليه أن زوّجه فاطمة واتخذه وصياً » .

أقول: وفى رواية « واتخذه وليّاً » بدل « وصياً » .

وفى البحار: باسناده عـن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : قال النبى صلى الله عليه وآله : ليلة أسرى بى إلى السّماء ، فبلغت السماء الخامسة نظرت

إلى صورة علىّ بن ابيطالب ، فقلت : حبيبى جبرئيل ما هذه‌الصورة ؟ فقال جبرئيل: يا محمد إشتهت الملائكة أن ينظروا إلى صورة على، فقالوا : ربنا ان بنى آدم فى دنياهم يتمتّعون غدوة وعشيّة بالنظر إلى على بن أبيطالب ابن عمّ حبيبك محمد وخليفته ووصيّه وأمينه فمتّعنا بصورته قدر ما تمتّع أهل الدنيا به فصوّر لهم صورته من نور قدسه عز وجل فعلىّ بين أيديهم (فصورة علىّ بين ايديهم ـ خ) ليلا ونهاراً يزورونه وينظرون إليه غدوة وعشية .

وفى العيون : باسناده عن الحسين بن على عليه السلام قال : سمعت جدّى رسول الله صلى الله عليه وآله : ليلة اسرى بى ربى عزوجل رايت فى بطنان العرش ملكاً بيده سيف من نور يلعب به كما يلعب على بن ابيطالب بذى الفقار ، وان الملائكة إذا اشتاقوا إلى وجه على بن ابيطالب نظروا إلى وجه ذلك الملك ، فقلت : يا رب هذا اخى على بن ابى طالب وابن عمى ؟ .

فقال : يا محمد هذا ملك خلقته على صورة على يعبدنى فى بطنان عرشى تكتب حسناته وتسبيحه وتقديسه لعلى بن أبيطالب الى يوم القيامة .

و فى كفاية الطالب : للحافظ الشافعى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مررت ليلة اسرى بى إلى السّماء وإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به فقلت : يا جبرئيل من هذا الملك ؟ فقال : ادن منه فسلّم عليه فدنوت منه وسلّمت عليه فاذا أنا بأخى وابن عمّى على بن أبيطالب عليه‌السلام فقلت : يا جبرئيل سبقنى على بن أبيطالب إلى السّماء الرابعة ؟ فقال : لا يا محمد ولكن الملائكة شكت حبها لعلى فخلق الله هذا الملك من نور علىّ وعلى صورة على فالملائكة تزوره فى كل ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرّة ويسبّحون الله تعالى ويقدّسون ويهدون ثوابه لمحبّ على عليه‌السلام .

وفى المناقب : للخوارزمى عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله وقد سئل بأىّ لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ فقال : خاطبنى بلغة علىّ بن أبى طالب عليه السلام وألهمنى أن قلت : يا رب أخاطبتنى أنت أم علىّ ؟ فقال : يا أحمد أنا

شيء ليس كالاشياء ، ولا اقاس بالناس ، ولا اوصف بالاشياء ، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك ، فاطّلعت على سرائر قلبك ، فلم أجد إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب عليه السلام ، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك .

وفي مجالس الشيخ : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عن آبائه - عن علي عليهم السلام قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي انه لما اسري بي إلى السماء تلقّتني الملائكة بالبشارات في كل سماء حتى لقيني جبرئيل في محفل من الملائكة فقال : لو اجتمعت امتك على حب عليّ ما خلق الله عزوجل النّار .

. يا عليّ انّ الله تعالى اشهدك - أي احضرك - معي في سبعة مواطن حتى آنست بك :

أما اول ذلك : فليلة اسري بي الى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام : أين أخوك يا محمد ؟ فقلت : خلّفته ورائي فقال : ادع الله عزوجل فليأتك به فدعوت الله عز وجل فاذا مثالك معي وإذا الملائكة وقوف صفوفاً فقلت : يا جبرئيل من هولاء ؟ قال : هؤلاء الذين يباهي الله عز وجل بهم يوم القيامة فدنوت فنطقت بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة .

والثانية : حين أسري بي الى ذي العرش عزوجل قال جبرئيل : أين أخوك يا محمد ؟ فقلت : خلّفته ورائي فقال : ادع الله عز وجل فليأتك به فدعوت الله عزوجل فاذا مثالك معي و كشط لي عن سبع سماوات - أي كشف لي ورفع الحجاب عنها - حتى رأيت سكانها وعمّارها وموضع كل ملك منها .

والثالثة : حيث بعثت إلى الجن فقال لي جبرئيل : أين أخوك ؟ فقلت : خلّفته ورائي ، فقال : ادع الله عز وجل ، فليأتك به ، فدعوت الله عز وجل : فاذا أنت معي ، فما قلت لهم شيئاً ولا ردّوا عليّ شيئاً إلا سمعته ووعيته .

والرابعة : خصّصنا بليلة القدر وأنت معي فيها وليست لاحد غيرنا .

والخامسة : ناجيت الله عزّ وجلّ ومثالك معي فسئلت فيك خصالا أجابني إليها إلاّ النبوة فانّه قال : خصّصتها بك وختمتها بك .

والسادسة : لمّا طفت بالبيت المعور كان مثالك معى .

والسابعة : هلاك الاحزاب على يدى وأنت معى يا على ان الله أشرف على الدنيا فاختارنى على رجال العالمين ، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين ثمّ اطلع الثالثة فاختارك فاطمة على نساء العالمين ، ثم اطلع الرابعة فاختار الحسن والحسين والائمة من ولدها ـ أى من ولد فاطمة ـ على رجال العالمين .

يا علىّ إنى رأيت إسمك مقروناً باسمى فى اربعة مواطن فآنست بالنظر اليه : إنّى لما بلغت بيت المقدّس فى معارجى إلى السماء وجدت على صخرتها : « لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله أيّدته بوزيره ونصرته به ، فقلت : يا جبرئيل ومن وزيرى ؟ فقال : على بن ابى طالب عليه السلام فلمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت مكتوبا عليها « لا إله إلاّ الله أنا وحدى ومحمّد صفوتى من خلقى أيّدته بوزيره ونصرته به » .

فقلت : يا جبرئيل ومن وزيرى ؟ فقال : على بن أبى طالب عليه السلام فلمّا جاوزت السّدرة وانتهيت إلى عرش ربّ العالمين وجدت مكتوباً على قائمة من قوائم العرش : « لا إله إلاّ الله أنا وحدى (أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدى) محمد حبيبى وصفوتى من خلقى ، أيّدته بوزيره وأخيه ونصرته به » .

يا علىّ انّ الله عزّ وجل أعطانى فيك سبع خصال : أنت أوّل من ينشقّ القبر عنه معى وأنت أوّل من يقف معى على الصراط فتقول للنار : خذى هذا فهو لك وذرى هذا فليس هو لك ، وأنت أوّل من يكسى اذا كسيت ويحيى إذا حييت ، وأنت أوّل من يقف معى عن يمين العرش ، وأوّل من يقرع معى باب **الجنّة** ، وأول من يسكن معى عليّين و أوّل من يشرب معى من الرّحيق المختوم الذى ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « والسّابعة : هلاك الاحزاب بيدى » فى الاحزاب إحتمالات اى احزاب الامم السالفة الذين كذبوا الرسل ، او الاحزاب فى الرجعة او اشارة إلى غزوة الاحزاب وهى الاظهر .

أقول : رواه القمي في تفسيره عن ابي بردة الاسلمي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر مختصراً ، والصفار في بصائر الدرجات ايضاً كذلك .

وفي امالي ابن الشيخ : باسناده عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا عرج بي إلى السماء دنوت من ربّي عز وجل حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو ادنى فقال : يامحمد من تحب من الخلق ؟ قلت : يارب ّ علياً قال : التفت يامحمد فالتفت عن يساري فاذا علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي البحار بالاسناد عن الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه علي بن ابيطالب عليه السلام انه قال :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ قال : خاطبني بلسان علي عليه السلام فألهمني أن قلت : يارب خاطبتني ام عليّ ؟ فقال : يا احمد أناشيء ليس كالاشياء لااقاس بالناس ولا اوصف بالشبهات ، خلقتك من نوري وخلقتك علياً من نورك ، اطّلعت على سرائر قلبك فلم اجد في قلبك احب من علي بن ابي طالب فخاطبتك بلسانه كيما يطمئنّ قلبك .



ليلة المعراج

وانتهاء سير جبرئيل عليه السلام

وقد دلّت آيات قرآنية على انّ لكل شيء قدراً وحدّاً محدوداً لايستطيع ان يتجاوز عنه فكل في فلك يسبحون ومن الاشياء الملائكة على طوائفها فلايعصون الله ويفعلون ما يؤمرون .

وقد جاءت روايات كثيرة في إنتهاء سير جبرئيل عليه السلام مع النبي الكريم صلى الله عليه وآله ليلة المعراج نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في العلل باسناده عن حبيب السجستاني عن ابي جعفر عليه السلام في حديث طويل ـ إلى ان قال ابو جعفر عليه السلام يا حبيب « ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى » يعني عندها وافى به جبرئيل حين صعد إلى السّماء قال : فلمّا إنتهى إلى محل السدرة وقف جبرئيل دونها وقال : يا محمد انّ هذا موقفي الذي وضعني الله عزوجل فيه ولن اقدر على ان اتقدّمه ولكن امض انت أمامك إلى السدرة فوقف عندها قال : فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى السدرة وتخلّف جبرئيل عليه السلام الخبر .

٢ ـ في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبد الله بن عباس قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما اسرى به إلى السّماء إنتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له : النور وهو قول الله عزوجل : « خلق الظلمات والنور » ، فلمّا إنتهى به إلى ذلك النهر فقال له جبرئيل : يا محمد اعبر على بركة الله فقد نوّر الله لك بصرك ، ومدّ لك أمامك ، فان هذا نهر لم يعبره أحد لاملك مقرّب ولا نبي مرسل

غير أنّ لي في كل يوم اغتماسة فيه ثم اخرج منه فأنفض أجنحتي فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرّباً له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان كل لسان يلفظ بلغة لايفقهها اللسان الاخر .

فعبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إنتهى إلى الحجب والحجب خمسمأة حجاب من الحجاب الى الحجاب مسيرة خمسمأة عام ثم قال: تقدّم يا محمد فقال له : ياجبرئيل ولم لا تكون معي ؟ قال : ليس لى أن أجوز هذا المكان فتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله ما شاء الله أن يتقدم حتى سمع ما قال الرّب تبارك وتعالى : أنا المحمود وأنت محمد شققت إسمك من إسمى فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتكته أنزل إلى عبادى فأخبرهم بكرامتى إياك وأنّى لم أبعث نبياً إلا جعلت له وزيراً وانّك رسولى وان علياً وزيرك .

قوله : « بتكته » اى قطعته .

٣ ـ فى تفسير القمى باسناده عن إسمعيل الجعفى قال : كنت فى المسجد الحرام قاعداً وأبو جعفر عليه السلام حاضر فرفع رأسه فنظر إلى السماء مرة والى الكعبة مرّة ثم قال : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى » .

وكرّر ذلك ثلاث مرات ثم إلتفت إليّ فقال : أىّ شيء يقول أهل العراق فى هذه الاية يا عراقيّ؟ قلت : يقولون : أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى إلى البيت المقدس فقال : ليس هو كما يقولون ولكنّه أسرى به من هذه إلى هذه وأشار بيده إلى السماء وقال : وما بينهما حرم قال : فلمّا انتهى به إلى سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ياجبرئيل أفى مثل هذا الموضع تخذلنى ؟ فقال : تقدّم أمامك فوالله لقد بلغت مبلغالم يبلغه خلق من خلق الله قبلك فرأيت نور ربى وحال بينى وبينه السبحة .

قال : قلت : وما السّبحة جعلت فداك ؟ فأومأ بوجهه إلى الارض وأومأ بيده إلى السّماء ، وهويقول : جلال ربّى جلال ربى ثلاث مرات قال : قال : يامحمد ،

قلت : لبّيك يارب ، قال : فيم اختصم الملأ الاعلى ؟ قال : قلت : سبحانك لاعلم لى الا ما علّمتنى قال : فوضع يد القدرة بين ثديى فوجدت بردها بين كتفى قال : فلم يسئلنى عمّا مضى ولاعما بقى إلاّ اعلمته ، فقال : يا محمد فيم اختصم الملأالاعلى ؟ قال : قلت : يا ربّ فى الدّرجات والكفّارات والحسنات فقال : يا محمد انّه قد انقضت نبوّتك وانقطع اكلك فمن وصيّك ؟ فقلت : يا ربّ انّى قد بلوت خلقك فلم أرفيهم من خلقك أحداً أطوع لى من علىّ فقال : ولى يا محمد فقلت : يا ربّ إنّى قد بلوت خلقك فلم أر من خلقك أحداً أشدّ حبّاً لى من علىّ بن أبى طالب قال : ولى يا محمد فبشّره بأنّه راية الهدى وإمام أوليائى ونورلمن أطاعنى والكلمة الباقية التى ألزمتها المتقين ، من أحبّه احبّنى ، ومن أبغضه أبغضنى مع ما أنّى أخصّه بما لم أخصّ به أحداً فقلت : يا ربّ أخى وصاحبى ووزيرى ووارثى .

فقال : انّه امر قد سبق انّه مبتلى ومبتلى به مع ما أنّى قد نحلته ونحلته ونحلته ونحلته أربعة أشياء عقدها بيده ولا يفصح بها عقدها .

أقول قوله عليه السلام : « ليس هو كما يقولون ولكنّه أسرى به من هذه إلى هذه » أى لم يكن اسراءه مقصوراً فى ذلك بل كان من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى ثم منه إلى السماء مرّة ومن المسجد الحرام إلى السماء بمرّات و « ما بينهما حرم » أى البيت المعمور وقوله عليه السلام : « السبحة » وفى نسخة « التسبيحة » وعلى السبحة اى جلاله وعظمته وكبريائه او تنزهه وتقدّسه تعالى أى حال بينى وبينه تنزهه عن المكان والرؤية والاّ فقد حصل غاية ما يمكن من القرب .

وقوله : « فوضع يدالقدرة » الخ كناية عن غاية اللطف والرحمة وإفاضة العلوم والمعارف على صدره الاشرف والبرد عن الراحة والسرور .

وقوله تعالى : « فيم اختصم الملأ الاعلى » إشارة إلى قوله تعالى : « ماكان لى من علم بالملأ الاعلى إذ يختصمون » ص : ٦٩) وفاعل « عقدها » هو النبى صلى الله عليه وآله وروى عن إبن عباس عن النبى صلى الله عليه وآله قال : قال لى ربّى : أتدرى فيم يختصم الملأ

الاعلى ؟ فقلت : لاقال : اختصموا فى الكفّارات والدرجات فأما الكفّارات فاسباغ الوضوء فى السبرات ونقل الاقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة وأما الدرجات فافشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام .

السبرات : هى شدّة البرد .

٤ ـ فى البحار عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى حديث طويل : فلما بلغ الى سدرة المنتهى فانتهى الى الحجب فقال جبرئيل : تقدّم يا رسول الله ليس لى ان اجور هذا المكان ولو دنوت انملة لاحترقت .

٥ ـ فى تفسير العياشي عن عبدالصمدبن بشير عن الصادق عليه السلام فى حديث طويل ـ فلم يزل كذلك فى سماءٍ سماءٍ ثم اتم الاذان ثم صلى بهم رسول الله فى السماء السابعة وامّهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم مضى به جبرئيل عليه السلام حتى انتهى به إلى موضع فوضع اصبعه على منكبه ثم رفعه فقال له : امض يا محمد فقال له : يا جبرئيل تدعنى فى هذا الموضع ؟ قال : فقال له : يامحمد ليس لى ان أجوز هذا المقام ولقد وطئت موضعاً ما وطئه أحد قبلك ولايطأه احد بعدك قال : ففتح الله له من العظيم ما شاء الله .

٦ ـ فى الدر المنثور : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لجبرئيل عليه السلام هل ترى ربك قال : إن بينى وبين الرب لسبعين حجاباً من نار أونور لورايت أدناها لاحترقت .

وفى رواية : انّ جبرئيل قال : لله دون العرش سبعون حجاباً لودنونا من احدها لاحترقنا سبحات وجهه .

وفى رواية : حجابه النور او النار لو كشفه لاحترقت سبحات وجهه كل شيء ادركه بصره .

أقول : سبحات الله : جلاله وعظمته ، وقيل : أضواء وجهه ، وقيل : محاسن وجهه لانك إذا رايت حسن الوجه قلت : سبحان الله ، وقيل : معناها : تنزيه له جل وعلا أى سبحان وجهه ، ولكل وجه ولكن الاوجه أن يكون المعنى : لو انكشف من أنوار الله تعالى التى تحجب العباد عنه شيء لاهلك كلّ من وقع عليه

ذلك النور كما خرّ موسى صعقا ، وتقطّع الجبال دكاًلمّا تجلّى الله سبحانه وتعالى.

وفى المقام تحقيق له فوائد جمة

وذلك ان لتلك الاخبار ظهراً وبطناً وأمّا ظهرها فانّ الله جل وعلا كما خلق السّماوات والكرسى والعرش مع عدم حاجة له تعالى إليها كذلك خلق حجباً وأستاراً وسرادقات وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة والنبيين ولمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيبته وسعة فيضه ورحمته .

وأمّا اختلاف الاعداد فباعتبار انّ فى بعض الاطلاقات اعتبرت الانواع وفى بعضها الاصناف وفى بعضها الاشخاص ، أو باعتبار ضمّ بعضها إلى بعض فى بعض التعبيرات أو اكتفى بذكر بعضها فى بعض الروايات . .

وأما بطن الاخبار فلانّ الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته وصفاته امور كثيرة جداً :

منها : ما يرجع إلى نقص المخلوق ، وقواه ومداركه بسبب الامكان والافتقار والاحتياج والحدوث ، وما إليها من جهات العجز والنقص ، وهى الحجب الظلمانية المانعة .

ومنها : ما يرجع إلى نوريّة الله تعالى المحضة وتجرّده وتقدّسه و وجوب وجوده و كماله وعظمته وجلاله وما إليها من صفات الكمال والجلال ، وهى الحجب النورانية المانعة .

وإرتفاع تلك الحجب بنوعيه محال إذ لو ارتفعت لم يبق بغيرذات الحق شيء .

ومن المحتمل أن يكون المراد بكشف الحجب رفعها فى الجملة بالتخلّى عن الصّفات الشهوانية والاخلاق الرذيلة ، والتخلّق بالاخلاق الربّانية الفاضلة الكريمة بكثرة العبادة والمجاهدة فى النفس وممارسة العلوم الحقّة ، فترتفع الحجب بينه وبين ربّه تعالى جل وعلا فى الجملة ، فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم وإرادتهم وشهواتهم ، فيرون بعين اليقين كماله وجلاله

تعالى ونقصهم وعجزهم وبقاءه وعزّه وغناءه تعالى وفناءهم وذلّهم وافتقارهم «واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين» الحجر: ٩٩) لاعلى مازعم أهل الالحاد والسلوك الواهية.

بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجود الله جل وعز الكامل عدماً وقدرتهم الناقصة تجاه قدرته الكاملة عجزاً بل يتخلّون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم فيتصرّف فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه، فلا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله جل وعلا ولا يريدون سوى ما أراد الله ويتصرّفون في الاشياء بقدرة الله، فيحيون الموتى، ويقلّبون العصا حيّة، ويخرجون الايدى بيضاء، ويخرجون الناقة من صخرة صلبة، والماء أيضاً منها، ويردّون الشمس، ويشقون القمر، ويصعدون إلى السماوات، ويعرج بنبينا محمّد صلى الله عليه وآله إلى ما لم يطأه نبى مرسل ولا ملك مقرّب.

كما يقول الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام: «ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانيّة بل بقوّة ربانية».

فالمعنى الذى يمكن فهمه ولاينافى اصول الدين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى.

فبالجملة: الحجب النورانية الموانع التى للعبد عن الوصول إلى قربه وغاية مايمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرئاء والعجب والسّمعة والمراء وأشباهها...

والظلمانيّة ما يحجبه من المعاصى عن الوصول اليه فاذا إرتفعت تلك الحجب تجلّى الله تعالى له فى قلبه وأحرق محبّة ما سواه حتى نفسه عن نفسه ولا يحبّ أحداً الاّ بحبّه إياه ولا يبغض أحداً إلاّ يبغضه ايّاه.

﴿ بلدة قم وليلة المعراج ﴾

كلمة « قـم » علم لبلدة مشرّفة على صيغة الامر من قمّ يقمّ قمّاً ـ نحو مدّ يمد مداً ـ : نظف واستأصل .

من قمّ البيت : كنسه وتنظيفه وإخراج قمامته وطرحها .

ويقال : قمّ فلان شاربه : إستاصله قصّاً .

وفي الحديث : « انّ جماعة من الصّحابة كانوا يقمّون شواربهم » ، أى يستأصلونها قصّاً ، تشبيهاً بقمّ البيت و كنسه وتنظيفه .

فكأنّه يقال في « قم » : نظّفها من الكفر والمعصية ، ومن نظافتها تنظف البلاد من الكفر والذنوب .

وفي الصحاح وشرح القاموس : وغيرهما : « قم » ـ بالضم وتشديد الميم ـ مدينة بين إصبهان وساوة وأكثر أهلها شيعة ، وقد نسب إليها خلق كثير من العلماء والمحدّثين .

أقول : ليس فيها اليوم إلا الشيعة الامامية الاثنى عشريّة ، وهي حوزة علميّة ، وفيها اليوم نحو خمسة عشر ألفاً من طلاّب العلوم في الفنون المختلفة أهمّها التفسير والفقه والحديث ، وتنتشر منها العلوم إلى أكناف العالم .

والقمّة ـ بكسر القاف : أعلا كلّ شيء ، وفي الحديث : « الحمرة التي ترفع من المشرق إذاجاوزت قمّة الرأس » اى اعلاه .

والقمّة : وسط الراس يقال : صار القمر على قمة الراس : إذاصار على حيال وسط الراس .

والقمّة : شخص الانسان اذا كان قائماً وهى القامة .

وقمّ : اذا جفّ ، واقتمّ : اعتمد الشيء فلم يخطئه ، ولكل وجه فى تسمية « بلدة قم » ولكن الأوجه هو الاول ، والقمّى بتشديد الميم هو المنسوب الى قم ، وقيل : اصله من قام يقوم قياماً : ثبت وحرك ، فهو من الاضداد .

وفى المقام بيان امور :

أحدها ـ ما رآى رسول الله ﷺ بلدة قم ليلة المعراج عليه .

فى الاختصاص : روى عن علىّ بن محمد العسكرى عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لمّا اسرى بى إلى السّماء الرابعة نظرت إلى قبّة من لؤلؤ لها أربعة أركان وأربعة أبواب كلّها من إستبرق اخضر قلت : يا جبرئيل ما هذه القبّة التى لم أر فى السّماء الرابعة أحسن منها ؟ فقال : حبيبى محمد ! هذه صورة مدينة يقال لها : قم تجتمع فيها عبادالله المؤمنون ينتظرون محمّداً وشفاعته للقيامة والحساب ، يجرى عليهم الغمّ والهمّ والاحزان والمكاره .

قال : فسئلت على بن محمد العسكرى عليه السلام متى ينتظرون الفرج ؟ قال: إذا ظهر الماء على وجه الارض .

وفى السفينة قال الشيخ عباس القمّى رضوان الله عليه : « قد ظهر الماء بقم على وجه الارض فى أيام صباى فكان يفور الماء من السّراديب والتنانير وقدخربت لذلك دور كثيرة بل محلّة منها تسمّى محلّة عربستان » .

أقول : وقد سمعت ذلك من بعض كهول « قم » سنة ١٣٩٨ هجرية قمريّة .

وفى العلل : باسناده عن عيسى بن عبد الله الاشعرى عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : حدّثنى أبى عن جدّى عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : لمّا أسرى بى الى السّماء ، حملنى جبرئيل على كتفه الايمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً من المسك فاذا فيها شيخ على رأسه برنس فقلت لجبرئيل :

ما هذه البقعة الحمراء الّتي هي احسن لوناً من الزعفران واطيب ريحاً من المسك ؟ قال : بقعة شيعتك وشيعة وصيّك عليّ عليه السلام فقلت : من الشيخ صاحب البرنس ؟ قال : إبليس ، قلت : فما يريد منهم ؟ قال : يريد أن يصدّهم عن ولاية اميرالمؤمنين ويدعوهم إلى الفسق والفجور فقلت : ياجبرئيل أهو بنا اليهم فأهوى بنا إليهم اسرع من البرق الخاطف والبصر اللامح فقلت : قم يا ملعون فشارك اعداءهم في اموالهم وأولادهم ونساءهم ، فانّ شيعتي وشيعة عليّ ليس لك عليهم سلطان فسمّيت قم .

قال الله تعالى : « انّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من إتّبعك من الغاوين » الحجر : ٤٢) .

ثانيها ـ في مدح بلدة قم وفضل اهلها :

في رواية أبي مقاتل الديلمي قال : سمعت علي بن محمد الهادي عليه السلام يقول : انما سمّي قم به لانّه لمّا وصلت السفينة إليه فيطوفان نوح عليه السلام قامت .

وفي رواية : وانها مما سبقت إلى قبول ولاية ائمة أهل البيت عليهم السلام وفتح إليه باباً من ابواب الجنّة .

وفي رواية : عن ابي الحسن الاوّل قال عليه السلام : قم عشّ آل محمد ومأوى شيعتهم ولكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعصية آبائهم والاستخفاف والسخرية بكبرائهم ومشايخهم ومع ذلك يدفع الله عنهم شرّ الاعادي و كل سوء .

وفي رواية: عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال : إنّ للجنّة ثمانية ابواب ولاهل قم واحد منها فطوبى لهم ثمّ طوبى لهم ثم طوبى لهم .

وفي رواية : قال الصادق عليه السلام : انّما سمّي قم لانّ اهلها يجتمعون مع قائم آل محمد عليهم السلام ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه .

وفي رواية : عن سليمان بن صالح قال : كنا ذات يوم عند أبي عبدالله عليه السلام فذكرفتن بنيعباس وما يصيب الناس منهم فقلنا جعلنا فداك فأين المفزع والمفر في ذلك الزمان فقال : إلى الكوفة وحواليها وإلىقم ونواحيها قال : فيقم شيعتنا

وموالينا وتكثر فيه العمارة ويقصده الناس ويجتمعون فيه حتّى يكون الجمر بين بلدتهم .

قوله عليه السلام : « الجمر » إسم نهر منه معروف الان .

وفى بعض الروايات : انّ قم يبلغ من العمارة إلى ان يشترى موضع فرس بألف درهم .

وفى رواية : عن عدّة من أهل الرىّ انّهم دخلوا على أبى عبدالله عليه السلام وقالوا : نحن أهل الرى فقال : مرحباً باخواننا من أهل قم فقالوا : نحن من أهل الرى فأعاد الكلام قالوا : ذلك مراراً واجابهم بمثل ما اجاب بـه أولا فقال : انّ لله حرماً وهو مكة وان للرسول صلى الله عليه وآله حرماً وهو المدينة وان لامير المؤمنين عليه السلام حرماً وهو الكوفة وان لنا حرماً وهو بلدة قم ، وستدفن فيها امرأة من اولادى تسمّى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنّة .

قال الراوى : وكان هذا الكلام منه قبل ان يولد الكاظم عليه السلام .

وفى رواية : قال الصادق عليه السلام فى اهل قم : هم اهل ركوع وسجود وقيام وقعود هم الفقهاء العلماء الفهماء هم اهل الدراية والرواية وحسن العبادة .

وفى رواية: انّ بقم موضع قدم جبرئيل عليه السلام وهو الموضع الذى نبع منه الماء الذى من شرب منه أمن من الدّاء .

وفى رواية: قال الصادق عليه السلام : ان اهل قم يحاسبون فـى حفرهم ويحشرون من حفرهم الى الجنّة ، وقال : ان اهل قم مغفور لهم وتربة قم مقدسة واهلها منّا ونحن منهم .

ثالثها ـ فى نشر احكام الدين ومعارف الاسلام من « قم » فى العالم :

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ان الله تعالى احتج ببلدة قم على سائر البلاد وبأهلها على جميع اهل المشرق والمغرب من والجن والانس ولم يدع الله قم واهله مستضعفاً بل وفّقهم وأيّدهم ثم قال : انّ الدين واهله بقم دليل ولولا ذلك لأسرع الناس اليه فخرب قم وبطل اهله ـ الى ان قال ـ : وانّ البلايا

مدفوعة عن قم واهله وسيأتي زمان تكون بلدة قم واهلها حجة على الخلائق وذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره صلوات الله عليه ولو لا ذلك لساخت الارض باهلها وان الملائكة لتدفع البلايا عن قم واهله وما قصده جبّار بسوء الا قصمه قاصم الجبّارين وشغله عنهم بداهية او مصيبة او عدوّ وينسى الجبّارين في دولتهم ذكر قم وأهله كما نسوا ذكر الله.

وفي رواية: بأسانيد عن الصادق عليه السلام انه ذكر الكوفة وقال: ستخلو الكوفة من المؤمنين ويأرز عنها العلم كما تأرز الحيّة في جحرها ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها: قم وتصير معدّة للعلم والفضل. الخبر.

وفي رواية: عن ايّوب بن يحيى بن الجندل عن ابي الحسن الاوّل عليه السلام قال: رجل من اهل قم يدعو الناس الى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد لا تزلّهم الرياح العواصف، ولا يملّون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتّقين.

وفي رواية: لولا القمّيون لضاع الدين.

رابعها - في دفع شرّ الجبابرة والطواغيت عن بلدة قم:

وفي رواية: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ما اراد احد بقم واهله سوءً الاّ اذلّه الله وابعده من رحمته.

وفي رواية: قال الصادق عليه السلام: انّ لعلى قم ملكا رفرف عليها بجناحيه لا يريدها جبّار بسوء إلا اذابه الله كذوب الملح في الماء.

وفي رواية: قال الصادق عليه السلام: لأهل قم لا يريدهم جبّار بسوء إلا عجلت عقوبته نارجهنّم، وقال: قم بلدنا وبلد شيعتنا مطهّرة مقدسة قبلت ولايتنا اهل البيت لايريدهم احد بسوء إلا عجلت عقوبته مالم يخونوا إخوانهم فاذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم جبابرة سوء اما انّهم انصار قائمنا ورعاة حقّنا ثم رفع راسه الى السماء وقال: اللّهم اعصمهم من كل فتنة ونجّهم من كل هلكة.

﴿حجب وأستار وسرادقات﴾

حقاً ان الانسان كلما تقدّم فى العلم يظهر جهله لنفسه أكثر مما كان خفياً عليه من قبل ـ كما انّ كلما زاد كماله زاد خضوعه لدى الله جلّ وعلا ـ إلى أن يرى علمه تجاه الحقائق الكونية بمثابة رطوبة خيط إبرة اتخذت من مياه البحار قال الله تعالى : « وما اوتيتم من العلم إلا قليلا » الاسراء : ٨٥).

وكفانا جهلنا عن حقيقة فهمنا وإدراكنا وشعورنا وروحنا وعقلنا وأنفسنا وعن ملايين أسرار وجودنا ولو اشتغل الانسان بهالما كان له فرصة فى غيرها وإذا كان هذا علمنا بالنسبة إلى محيط أنفسنا فكيف عن خارجها وعن العالم السّماوى وأما ذكره فلئلا يغترّ الانسان بالصورة ولا ينكر السّيرة فعليه الاعتراف بالعجز والايمان بخالقه.

فى التوحيد والخصال : باسناده عن زيد بن وهب قال : سئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن الحجب فقال : أوّل الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمأة عام وبين كل حجابين مسيرة خمسمأة عام.

والحجاب الثانى سبعون حجاباً ، بين كل حجابين مسيرة خمسمأة عام ، حجبة كل حجاب منها سبعون ألف ملك قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين.

منها ظلمة ومنها نور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحاب ومنها برق ومنها رعد ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها أنهار وهى حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام ثم سرادقات الجلال وهى ستّون (سبعون خ) سرادقاً فى كل سرادق سبعون ألف ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمأة عام.

ثم سرادق العزّ ثمّ سرادق الكبرياء ثم سرادق العظمة ثمّ سرادق القدس ثمّ سرادق الجبروت ثمّ سرادق الفخر ثمّ سرادق النور الابيض ثمّ سرادق الوحدانية وهو مسيرة سبعين الف عام ثمّ الحجاب الاعلى وانقضى كلامه عليه السّلام وسكت فقال له عمر : لا بقيت ليوم لا اراك فيه يا أبا الحسن .

قال الصّدوق رضوان الله تعالى عليه : ليست هذه الحجب مضروبة على الله تعالى عن ذلك لانّه لا يوصف بمكان ولكنّها مضروبة على العظمة العليا من خلقه التى لا يقادر قدرها غيره تبارك وتعالى .

وقوله عليه السلام : « منها ظلمة » لعل المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدّمة كما يدل عليه قوله : « غلظ كل حجاب » الخ .

وفى المعانى والخصال: باسناده عن على بن ابيطالب عليه السلام قال : انّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل ان خلق السّموات والارض والعرش والكرسىّ واللوح والقلم والجنّة والنار ، وقبل ان خلق آدم ونوحاً وإبراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان ، و كلّ من قال الله عزوجل فى قوله : « ووهبنا له إسحق ويعقوب ـ إلى قوله ـ وهديناهم إلى صراط مستقيم » .

وقبل أن خلق الانبياء كلّهم بأربعمأة ألف وأربع وعشرين ألف سنة وخلق عزّوجل معه اثنى عشر حجاباً : حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المنّة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب الهداية وحجاب النبوّة وحجاب الرفعة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة .

ثمّ حبس نور محمد صلى الله عليه وآله فى حجاب القدرة إثنى عشر ألف سنة وهو يقول : « سبحان ربّى الاعلى » ، وفى حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول : « سبحان عالم السّر وأخفى » ، وفى حجاب المنّة عشرة آلاف وهو يقول : « سبحان من هو قائم لا يلهو » وفى حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة ، وهو يقول : « سبحان الرفيع الاعلى » .

وفى حجاب السّعادة ثمانية آلاف سنة ، وهو يقول : « سبحان من هو دائم

لايسهو » ، وفى حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة ، وهو يقول : « سبحان من هو غنى ّ لايفتقر » وفى حجاب المنزلة ستّة آلاف سنة ، وهو يقول : « سبحان ربّى العلى الكريم » ، وفى حجاب الهداية خمسة آلاف سنة ، وهو يقول : « سبحان رب العرش العظيم » ، وفى حجاب النبوة أربعة آلاف سنة ، وهو يقول : « سبحان ربّ العزة عما يصفون » وفى حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة ، وهويقول : « سبحان ذى الملك والملكوت » وفى حجاب الهيبة ألفى سنة ، وهو يقول : « سبحان الله وبحمده » وفى حجاب الشفاعة ألف سنة ، وهويقول : « سبحان ربى العظيم وبحمده».

ثم أظهر عزّوجل إسمه على اللوح فكان على اللوح منوّراً أربعة آلاف سنة ، ثم أظهره على العرش ، فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عزّوجل فى صلب آدم عليه السلام الخبر .

وفى تفسير القمى : باسناده عن ابن ابى عمير عن هشام بن سالم عن ابى عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله . قال جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج : ان بين الله وبين خلقه تسعين الف حجاب ، وأقرب الخلق الى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه اربعة حجب : حجاب من نور ، وحجاب من ظلمة ، وحجاب من الغمام ، وحجاب من ماء .

وفى مجالس الصدوق : باسناده عن ابن عبّاس ـ فى خبر المعراج ـ قال: فعبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى انتهى إلى الحجب والحجب خمسمأة حجاب من الحجاب الى الحجاب مسيرة خمسمأة عام . الخبر .

وقد جاءت روايات كثيرة بأسانيد عديدة فى وجود الحجب والسرادقات والاستار و كثرتها .

والسرادق : هو الذى يمدّ فوق صحن البيت ، والجمع سرادقات .

والسّرادق : كل ما احاط بشىء من حائط أو مضرب أو خباء .

وظاهر اكثر الاخبار انّها تحت العرش ويلوح من بعضها انّها فوقها من غير تناف بينها بالتعدد كما يظهر من لفظ الجمع .

﴿ ليلة المعراج وأصحاب الجنة ﴾

قال الله تعالى : « عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى » النجم : ١٤ ـ ١٥).

فى تفسير القمى : باسناده عن إبن ابى عمير عن جميل عن ابى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لمّا اسرى بى إلى السّماء دخلت الجنّة ، فرايت فيها قيعان بيضاء ، ورايت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضّة ، وربّما امسكوا ، فقلت لهم : ما لكم ربّما بنيتم وربّما امسكتم ؟ فقالوا : حتّى تجيئنا النفقة ، فقلت لهم : وما نفقتكم ؟ فقالوا : قول المؤمن فى الدّنيا : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله اكبر » فاذا قال : بنينا وإذا امسك امسكنا .

أقول : قوله عليه السلام : « قيعان » : جمع القاع : ارض سهلة مطمئنّة قد انفرجت عنها الجبال والاكام .

وفى أمالى الصدوق : رضوان الله تعالى عليه فى حديث طويل ـ ثم مضى فمرّ على إبراهيم خليل الرحمن فناداه من خلفه فقال : يامحمد إقرأ امتك عنّى السلام واخبرهم انّ الجنّة ماؤها عذب وتربتها طيّبة قيعان بيض غرسها « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله اكبر ولاحول ولا قوّة إلاّ بالله » فمر امّتك فليكثروا من غرسها . الخبر .

وفى أمالى ابن الشيخ : باسناده عن حمّاد بن عثمان عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السّلام عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لما اسرى بى إلى السّماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قصراً من ياقوت احمر يرى باطنه من ظاهره لضيائه ونوره وفيه قبّتان من درّ وزبرجد فقلت : يا جبرئيل لمن هذا القصر ؟

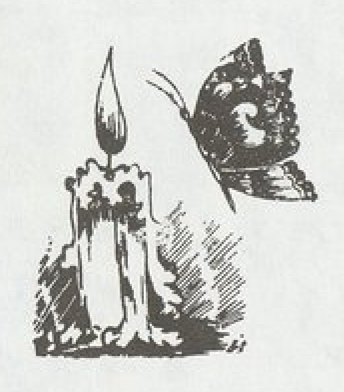
قال : هو لمن اطاب الكلام وادام الصيام واطعم الطعام وتهجّد بالليل والناس نيام قال علي عليه السلام : فقلت : يارسول الله وفي امتّك من يطيق هذا ؟ فقال : اتدرى ما إطابة الكلام ؟ فقلت : الله ورسوله اعلم قال : من قال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله اكبر » اتدرى ما إدامة الصيام ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : من صام شهر رمضان ولم يفطر منه يوماً أتدرى ما إطعام الطعام ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : من طلب لعياله ما يكفّ به وجوههم عن الناس ، اتدرى ما التهجّد بالليل والناس نيام ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : من لم ينم حتى يصلّى العشاء الاخرة والناس من اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين نيام بينهما .

وفي كشف اليقين : بالاسناد عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن على عليه السلام قال حدّثنا أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لمّا دخلت الجنّة رايت فيها شجرة تحمل الحلىّ والحلل أسفلها خيل بلق وأوسطها حورعين وفي أعلاها الرضوان قلت : يا جبرئيل لمن هذه الشجرة ؟ قال : هذه لابن عمّك أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام فاذا امر الله بدخول الجنّة يؤتى بشيعة علىّ عليه السلام حتى ينتهي بهم إلى هذه الشّجرة ، فيلبسون الحلىّ والحلل ويركبون الخيل البلق وينادى مناد : هؤلاء شيعة علىّ صبروا فى الدنيا على الاذى فحبوا فى هذا اليوم بهذا .

قوله : « فحبوا » اى اعطوا من حباه كذا وبكذا : اعطاه اياه ، وقوله : « بهذا » اى اليقين فى امرة امر المؤمنين على عليه السلام وما صبروا فى اذى ذلك .

وفي عيون الاخبار : باسناده عن الحسن بن علىّ عن ابيه عن جدّه الرضا عن ابيه موسى عليه السلام قال : سأل الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام عن بعض اهل مجلسه فقيل : عليل فقصده عائداً وجلس عند راسه فوجده دنفاً فقال له : احسن ظنّك بالله ، قال : امّا ظنّى بالله فحسن ولكن غمّى لبناتى ما امرضنى غير غمّى بهنّ ، فقال الصادق عليه السلام : الذى ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيّئاتك ، فارجه لاصلاح حال بناتك ، اما علمت انّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

لمّا جاوزت سدرة المنتهى وبلغت اغصانها وقضبانها ، رايت بعض ثمار قضبانها ثداء معلّقة يقطر من بعضها اللبن ، ومن بعضها العسل ، ومن بعضها الدهن ، ويخرج عن بعضها شبه دقيق السميذ وعن بعضها الثياب (النبات خ) وعن بعضها كالنبق ، فيهوى ذلك كلّه نحو الارض ، فقلت فى نفسى : أين ؟ أين مقرّ هذه الخارجات عن هذه الثداء ؟ وذلك انّه لم يكن معى جبرئيل لانّى كنت جاوزت مرتبته واختزل دونى فنادانى ربّى عزّ وجل فى سرّى يا محمّد هذه انبتّها من هذا المكان الارفع لاغذو منها بنات المؤمنين من امّتك وبنيهم ، فقل لآباء البنات لا تضيقنّ صدوركم على فاقتهنّ ، فانّى كما خلقتهنّ ارزقهنّ .



ليلة المعراج

وعذاب فساق الامة المسلمة

في عيون الاخبار : باسناده عن عبد العظيم الحسني عن محمد بن علي الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : دخلت أنا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدته يبكي بكاء شديداً فقلت : فداك أبي وامي يا رسول الله ما الذي ابكاك ؟ فقال : يا علي ليلة اسرى بي إلى السماء رأيت نساء من امتي في عذاب شديد فأنكرت شانهن ، فبكيت لما رايت من شدة عذابهن ، رأيت إمراة معلقة بشعرها يغلي دماغ راسها .

ورأيت إمراة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت إمراة معلقة بثدييها ، ورايت إمراة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها ، ورايت إمراة قد شد رجلاها إلى يديها ، وقد سلط عليها الحيات والعقارب ، ورايت إمراة صماء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ راسها من منخرها وبدنها متقطع من الجذام والبرص ، ورايت إمراة معلقة برجليها في تنور من نار ، ورايت إمراة تقطع لحم جسدها من مقدمها ومؤخرها بمقاريض من نار .

ورأيت إمرأة تحرق وجهها ويداها ، وهي تأكل امعاءها ورأيت إمراة راسها رأس خنزير ، وبدنها بدن الحمار ، وعليها الف الف لون من العذاب ، ورايت على صورة الكلب ، والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها والملائكة يضربون راسها وبدنها بمقامع من نار .

فقالت فاطمة : حبيبي وقرّة عيني اخبرني ما كان عملهن وسيرتهن حتّى وضع الله عليهن هذا العذاب فقال : يابنتي امّا المعلّقة بشعرها فانّها كانت لاتغطّي شعرها من الرجال وامّا المعلّقة بلسانها فانّها كانت تؤذي زوجها ، وامّا المعلّقة بثدييها فانّهاكانت تمنع من فراش زوجها ، واما المعلّقة برجليها فانّهاكانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها ، واما التي كانت تأكل لحم جسدها فانّها كانت تزيّن بدنها للناس واما التي شدّت يداها الى رجليها وسلّط عليها الحيات والعقارب فانّها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب ، وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ، ولا تتنظّف وكانت تستهين بالصّلاة وامّا العمياء الصمّاء الخرساء فانها كانت تلد من الزنا فتعلّقه في عنق زوجها ، وامّا التي كانت يقرض لحمها بالمقاريض فانّها كانت تعرض نفسها على الرجال .

وأما التي كانت يحرق وجهها وبدنها وهي تأكل امعاءها فانّها كانت قوّادة واما التي كان رأسها راس الخنزير وبدنها بدن الحمار فانها كانت نمّامة كذّابة واما التي كانت على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فانّها كانت قينة نوّاحة حاسدة ثم قال ﷺ : ويل لامرأة اغضبت زوجها وطوبى لامراة رضي عنها زوجها .

وفي رواية : عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلاً جالساً تعرض عليه ارواح بني آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه : خيراً ويسرّ به ويقول : روح طيبة خرجت من جسد طيّب ، ويقول لبعضها اذا عرضت عليه : افّ ويعبس بوجهه ، ويقول : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث ، قال : قلت : من هذا ياجبرئيل ؟ قال :

هذا ابوك آدم تعرض عليه ارواح ذرّيّته فاذا مرّت به روح المؤمن منهم سرّبها وقال : روح طيبة خرجت من جسد طيب واذا مرّت به روح الكافر منهم افّف منها وكرهها وساءه ذلك وقال : روح خبيثة خرجت من جسد خبيث .

قال صلى الله عليه وآله : ثم رايت رجالاً لهم مشافر كمشافر الابل فى ايديهم قطع من نار كأنهار يقذفونها افواههم فتخرج من ادبارهم فقلت : من هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء اكلة اموال اليتامى ظلماً قال صلى الله عليه وآله : ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم ار مثلها قط ّ بسبيل آل فرعون يمرّون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار يطئونهم لايقدرون على ان يتحوّلوا من مكان ذلك قال : قلت : من هؤلاء ياجبرئيل ؟ قال : هؤلاء اكلة الربا .

قال صلى الله عليه وآله : ثم رايت رجالا بين ايديهم لحم سمين طيّب الى جنبه لحم غثّ منتن يأكلون من الغثّ المنتن ويتركون السّمين الطيّب ، قال : قلت : من هؤلاء ياجبرئيل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما احلّ الله لهم من النساء ويذهبون إلى ماحرّم الله عليهم منهنّ .



﴿ اللات و عبدتها ﴾

قال الله تعالى : « أفرايتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الاخرى » النجم : ١٩ ـ ٢٠) .

إعلم أن العرب كانوا يعبدون اللات والعزّى ومناة ، وكانوا يسمّونها بأسماءها المؤنّثة على إعتبار انّها رموز للملائكة ، وان أسماءها هى أسماء الملائكة وان الملائكة هم بنات الله سبحانه .

واختلفت الكلمات فى تلك الثلاثة ، ونذكر ما حققناه فيها وعبدتها فرادى على إختصار :

اللات : هى صنم كانت لثقيف بالطائف ، وهى أحدث من مناة ، وكانت هى صخرة مربّعة وكانت سدنتها ـ السدنة : الذين يقومون بأمر اللات ـ وحجابها بنو عتاب بن مالك من ثقيف .

اللات : على حذف الهاء وأبدلت منها التاء ، وذلك لان المشركين كانوا يعبدونها ويعارضون باسمها إسم الله تعالى علواً كبيراً عن إفكهم ومعارضتهم والحادهم فى إسمه العظيم ، فانهم زعموا انّ الملائكة بنات الله ، وصوّروا أصنامهم على صورهم واشتهوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا : اللات من « الله » جل جلاله والعزّى من « العزيز » .

فى السيرة النبوية : لابن هشام عن إبن عباس قال: بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد

ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله جالس في أصحابه وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين - الغديرة : الذؤابة من الشعر - فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه فقال :

أيكم إبن عبدالمطلب ؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا إبن عبدالمطلب قال : امحمد صلى الله عليه وآله ؟ قال : نعم قال : يا بن عبدالمطلب انّي سائلك ومغلّظ عليك في المسئلة فلا تجدنّ في نفسك (فلا تحدث بها على نفسكخ) قال : لا اجد في نفسي ، فسل عما بدالك ، قال : انشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللّهم نعم ، قال : فأنشدك الله الهك واله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله امرك ان تأمرنا ان نعبده وحده لا نشرك به شيئاً ، وان نخلع هذه الانداد التي كان آبائنا يعبدون معه ؟ قال : اللّهم نعم ، قال : فانشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك الله امرك ان نصلّي هذه الصّلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم قال :

ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الاسلام كلّها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها ، حتى اذا فرغ قال : فانّي اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمّداً رسول الله وسأؤدّي هذه الفرائض واجتنب ما نهيتني عنه ثم لا ازيد ولا انقص .

ثم انصرف إلى بعيره راجعاً قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان صدق ذو العقيصتين - العقيصتان : الضفيرتان من الشعر - دخل الجنّة قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج حتى قام على قومه فاجتمعوا إليه فكان أوّل ما تكلّم به ان قال :

بئست اللات والعزّى : قالوا : مه ياضمام : اتّق البرص اتّق الجذام اتّق الجنون ! قال : ويلكم ! انّهما والله لايضرّان ولا ينفعان ، انّ الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وانّي اشهد أن لاإله إلاّ الله وحده

لاشريك له وان" محمداً عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ومانهاكم عنه قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره ـ الحاضر: الحي ـ رجل ولا امرأة الا" مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .



﴿ العزى و عبدتها ﴾

واعلم أنّ العزّى كانت لقريش وبني كنانة ومضر وقوم من بني سليم بنخلة وكان سدنتها وحجّابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم .

وأوّل من اتخذ العزى ظالم بن اسعد من ملوك اليمن ، وكانت اعظم الاصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها : ويهدون لها ، ويتقرّبون عندها بالذبح ، وكانوا يصنعون إذا نحروا هدياً قسّموه فيمن حضرهم .

والعزّى : احدث من اللات ومناة ، فقد سمت العرب بهما قبل العزّى فقد سمي تيم إبن مر إبنه بزيد مناة كما سمي ثعلبة بن عكابة ابنه بتيم اللات ، وكان عبد العزّى بن كعب من اقدم ما سمت به العرب .

في السيرة النبوية لابن هشام :

اتخذ اهل كل دار في دارهم صنماً يعبدونه ، فاذا اراد الرّجل منهم سفراً ، تمسّح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يخرج إلى سفره وإذا قدم من سفره تمسّح به ، فكان ذلك أوّل ما يبدا به قبل ان يدخل على اهله فلمّا بعث الله رسوله محمداً ﷺ بالتوحيد قالت قريش : أجعل الالهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب .

وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظّمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجّاب وتهدي لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها ، وهي تعرف فضل الكعبة عليها ، لانّها كانت قد عرفت انها بيت

ابراهيم الخليل ومسجده .

ولقد بلغ من حرص قريش على عبادتها انه لما مرض أبو احيحة مرضه الذى مات فيه دخل عليه أبولهب يعوده ، فوجده يبكى فقال : ما يبكيك يا أبا احيحة ؟ أمن الموت يبكى ولابدّ منه ؟ قال : لا والله ولكن أخاف أن لاتعبد العزى بعدى ، قال أبو لهب : والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك ، فقال أبو أحيحة : الان علمت أنّ لى خليفة وأعجبه من أبى لهب شدّة نصبه فى عبادتها.

ونخلة العزّى هى النخلة الشاميّة : إسم موضع كانت العزى بواد منها يقال له : الحراض بازاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة ، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال فبنوا عليها بناء ، وكانوا يسمّون منها الصوت (يسمعون منها الصوت ـ خ) .

وقد حمت قريش للعزّى شعباً من وادى الحراض يقال له : سقام يضاهون به حرم الكعبة .

ولمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بعث خالد بن الوليد إلى العزّى فلما سمع صاحبها السّلمى بمسير خالد إليها علّق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل ـ ارتفع فيه ـ الّذى هى فيه وهو يقول :

أيا عزّ شدّى شدّة لاشوى لها على خالد القى القناع وشمّرى

أيا عزّ ان لم تقتلى المرء خالداً فبوئى بأثم عاجل أو تنصّرى

قوله : « لاشوى لها » : انها لا تبقى على شيء . وقوله : « فبوئى » : إرجعى فلمّا انتهى اليها خالد هدمها وهو يقول :

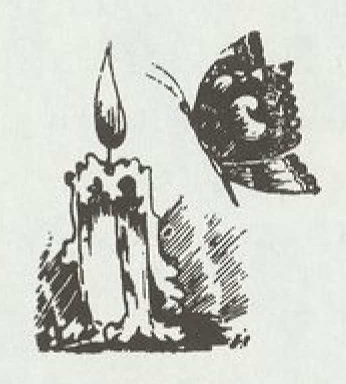
يا عزّ كفرانك لا سبحانك انّى رأيت الله قد أهانك

ثم رجع خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقيل : إنّ العزّى كانت شجرة سمرة عظيمة لغطفان يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وآله خالد بن وليد فقطعها .

وعن إبن عباس قال : كانت العزّى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة .

وورد ان أبا جهل كان يقول للناس : ان ّ محمداً يريد أن يصرفكم عن اللات والعزّى ، ومن هتاف أبي سفيان يوم احد متفاخراً على المسلمين : « لنا العزى ولا عزّى لكم » .



﴿ عبدة مناة ﴾

وانّ مناة : كانت للاوس والخزرج وغسان ، ومن دان يدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقديد ، وهي موضع قرب بمكة بينهاو بين المدينة .

والمشلّل : جبل يهبط منه الى قدير من ناحية البحر .

فبعث النبي الكريم صلى الله عليه وآله الامام علياً عليه السلام عام الفتح فهدمها ، ولما هدمها أخذ ما كان لها فأقبل به إلى النّبي صلى الله عليه وآله ، فكان فيما أخذ سيفان أهداهما لها الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان ، يسمى أحدهما : « مخذماً » والآخر « رسوباً » :

وهما السيفان اللذان ذكرهما علقمة في شعره إذ قال :

مظاهر سربالي حديد عليهما — عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام كما يقال : إنّ علياً عليه السلام وجد هذين السيفين في الفلس صنم للعرب .

وكانت مناة أقدم الاصنام كلها ، ولم يكن أحد أشد إعظاماً لها من الاوس والخزرج .

وقيل : مناة صخرة لهذيل وخزاعة سميت بهالأن دماء المناسك تمنى وتراق عندها ومنه منى .

وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن زيد الاشهلي في عشرين فارساً إلى مناة ليهدم محلّها فلمّا وصلوا إليها قال السادن لسعد ما تريد ؟ قال : هدم مناة قال : أنت وذاك .

فأقبل سعد إلى ذلك الصنم فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب رأسها : فقال لها السادن : مناة دونك بعض عصاتك ، فضربها سعد ، فقتلها وهدم محلّها .

وأما اختلاف الكلمات فى اللات والعزّى ومناة - مع مواجهة مشركى مكة بالخطابات وحلفهم بها ، وانّها كانت مقدّسات لديهم ، وكانوا يتسمّون بالاسماء الثلاثة مضافة إلى تعبير العبودية أى « عبد العزّى » و « عبد اللات» و « عبد مناة » - فيرتفع بأنها كانت لقبائل اخرى فى مناطق اخرى مشتركة فى عبادتها أو فى عبادة بعضها أوكانت لها فى تلك المناطق وبين هؤلاء الطوائف هياكل مشابهة لها .

بل انّ إختصاصها بالذكر فى القرآن ، وهى الوحيدة التى ذكرت فيه كمعبودات عربية جاهليّة يدلّ على أنه كان لها خطورة وعموميّة عند العرب أو على الاقل فى بلاد الحجاز وانتشار الحلف بتلك الثلاثة والتسميّات بها فى خارج مكة من قرى وقبائل على ما تذكره الروايات يؤيدان كلتا الخطورة والعموميّة.



عقائد طوائف من العرب

فى اللات والعزى ومناة والملائكة

قال الله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزّى ـ ذلك مبلغهم من العلم » النجم : ١٩ ـ ٣٠)

إنّ الايات الكريمة تشير إلى عقائد طوائف من العرب فى اللات والعزّى ومناة والملائكة ، وتقاليدهم فيها عن آبائهم قبل الاسلام ، فلا بدّ لنا من البحث فيها إجمالا لانه يساعد على فهم مقاصد الايات وحكمة تنزيلها وفيها بيان امور :

أحدها ـ كانت طوائف من العرب يعبدون اللات والعزّى ومناة ، ويسمونها بأسماءها المؤنثة على إعتبار أنّها رموز للملائكة ، وإنّ أسماءها هى أسماء الملائكة ، وانّ الملائكة هم بنات الله سبحانه وتعالى .

ثانيها ـ انهم كانوا يعبدون الملائكه بقصد الاستشفاع بهم عند الله تعالى على اعتبار أنهم بناته وذوو حظوة لديه سبحانه .

ثالثها ـ انّ هذه العقائد ليست حديثة ، بل هى متوارثة عن الآباء ، فقلّدوهم فيها .

رابعها ـ انهم كانوا يقصدون من عبادتهم الملائكة ، والاستشفاع بهم تحقيق ما يبتغون من مطالب الحياة الدنيا فقط من جلب النفع ودفع الضرر من غير تفكير بالاخرة ومصيرهم فيها ، لانّهم ماكانوا يؤمنون بها إلا على سبيل الظن .

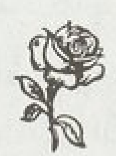
خامسها ـ تقنيطهم عن متمنّاهم ما داموا على ما كانوا عليه من قبل من الكفر

والعصيان ، وتقرير كون الايمان ، وصالح العمل هما معاً المفيدان للانسان ، وتسفيههم من عقائدهم المذكورة ، ونفى أثر من استشفاعهم ، وانما الملائكة هم مليكه تعالى وعبيده لايشفعون لأحد إلاّ إذا كان الله جلّ وعلا راضياً .

سادسها ـ إعتبار العرب هذه المعبودات رموزاً للملائكة يستلهم من مضمون الآيات وروحها ، حيث تربط بقوّة بين هذه المعبودات وأسمائها المؤنثة وبين الملائكة وبين عقيدة العرب بأنّ الملائكة بنات الله تعالى وبين تسمية الملائكة بأسماء الاناث على مادلّت عليه كثيرة من الايات .

وفي إعتبار العرب هذه المعبودات بمثابة رموز أوهيا كل للملائكة ، وإعتبار أنّ الآلهة التي تمثلها الملائكة ، واعتبار الملائكة بنات الله دليل على انّ العرب لم يكونوا كلّهم جامدين على عبادة الاحجار وغيرها من المعبودات الماديّة ـ وإن كان فيهم من كان كذلك ـ بل كانوا فى طور عبادة موجودات سماوية مجرّدة ذات أثر فى الكون .

هذا بالاضافة إلى أنّ ذلك يدل على انهم كانوا فىطور العقيدة بوجود اله أعظم يدبّر الاكوان ، وهو الخالق الرازق ، ثم فى طور العقيدة بأنّ الملائكة هم شفعاء لهم عنده جل وعلا لتحقيق مطالبهم ، وأمانيهم الدنيويّة واحتمالاً أن يشفعوا لهم يوم القيامة لو كان .



كلام في التمنى

وان ليس للانسان كل ما تمناه

قال الله عزوجل : « أم للانسان ما تمنّى » النجم : ٢٤) .

التمنّى : التشهى والترغب فيما يحبه والنيل به والاكثرفى الشهوات الباطلة ، وللانسان تمنّيات وآمال لا يشبع بنيله بها ، بل يتمنّى غيرها ولكنه لاينال بكل ما يتمنّاه ، وتشتهيه نفسه من الاموال والاولاد والجاه والمقام والعلم والاشتهار والصيت وما إليها من عوارض دنيويّة ، ولا بكل ما تشتهيه نفسه من نعيم الجنّة وحورها وقصورها .

لانّ هناك وههنا واقعاً وحقيقة لايغيران ولا يتبدّلان بهوى النفس ومناها وانّما الامر كلّه لله تعالى يتصرّف فيه مايشاء فى الدنيا والاخرة . نعم ما قال الشاعر :

ما كل ما يتمنّى المرء يدركه　　تجرى الرياح بما لا تشتهى السّفن

قال الامام الحسن بن على عليه السلام : « انّ لكل كافر تمنّيين : أحدهما فى الدنيا فيتمنّى الجنّة . ثانيهما فى العقبى فيقول : « يا ليتنى كنت تراباً » فلن يصل اليهما .

فى امالى الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن اسمعيل بن أبى زياد عن أبى عبدالله الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من تمنّى شيئاً وهو لله عزوجل رضى لم يخرج من الدنيا حتى يعطاه .

وفى قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تمنّى إلاّ فى خير كثير .

وفيه: باسناده أيضاً عن الامام سيدالشهداء الحسين بن على عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : إذا تمنّى أحدكم فليكن مناه فى الخير وليكثر فانّ الله واسع كريم.

وللامام أميرالمؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام درركلم فى المقام ينبغى حفظها :

١ ـ قال عليه السلام : « وإيّاك والاتّكال على المنى فانها بضائع النوكى ».

النوكى : جمع أنوك وهو الاحمق ، ومن هذا أخذ أبو تمام قوله :

من كان مرعى عزمه وهمومه روض الامانى لم يزل مهزولا

٢ ـ قال عليه السلام : « من كثر مناه قلّ رضاه ».

٣ ـ قال عليه السلام : « أشرف الغنى ترك المنى ».

٤ ـ قال عليه السلام : « من غرّته الامانى كذبته الاجال ».

٥ ـ قال عليه السلام : « من اتكل على الامانى مات عند أمله ».

٦ ـ قال عليه السلام : « من وثق بالامنية قطعته المنية ».

٧ ـ قال عليه السلام : « من اغتر بالدنيا إغتر بالمنى ».

٨ ـ قال عليه السلام : « من كانت الاخرة همته بلغ من الخير غاية منيته ».

٩ ـ قال عليه السلام : « من صبر نال المنى ».

١٠ ـ قال عليه السلام : « من أساء النيّة منع الامنية ».

١١ ـ قال عليه السلام : « من ساءت سجيّته سرت منيته ».

١٢ ـ قال عليه السلام : « من ساءت سيرته سرت منيته ».

١٣ ـ قال عليه السلام : « من لم يكن همّه ماعندالله سبحانه لم يدرك مناه ».

١٤ ـ قال عليه السلام : « من استعان بالامان أفلس ».

١٥ ـ قال عليه السلام : « من الغرة (العزة خ) بالله سبحانه أن يصر المرء على المعصية ويتمنّى المغفرة ».

١٦ ـ قال عليه السلام : « من جار ملكه تمنّى الناس هلكه ».

١٧ ـ قال عليه السلام : « من خاف سوطك تمنّى موتك ».

١٨ ـ قال عليه السلام : « الاماني تخدع الاجل » .

١٩ ـ قال عليه السلام : « الاماني أشتات » .

٢٠ ـ قال عليه السلام : « الاماني همّة الجهّال » .

٢١ ـ قال عليه السلام : « الاماني تعمي عيون التصابر » .

٢٢ ـ قال عليه السلام : « الاماني شيمة الحمقى » .

٢٣ ـ قال عليه السلام : الاماني تخدعك وعند الحقائق تدعك » .

٢٤ ـ قال عليه السلام : « الدنيا مصائب مضجعة ومنايا موجعة » .

٢٥ ـ قال عليه السلام : « احذر الاماني فانّها منايا محققة » .

٢٦ ـ قال عليه السلام : « إيّاك وخبث الطوية ، وفساد النيّة ، وركوب الدنيّة ، وغرور الامنية » .

٢٧ ـ قال عليه السلام : « تجنّبوا المنى فانّها تذهب ببهجة نعم الله عندكم واستصغارها لديكم وعلى قلّة الشكر منكم » .

٢٨ ـ قال عليه السلام : « حاصل الاماني الاسف » .

٢٩ قال عليه السلام : « ضياع العمر بين الامال والمنى » .

٣٠ ـ قال عليه السلام : « عند هجوم الاجال تفتضح الاماني والامال » .

٣١ ـ قال عليه السلام : « كل امرىء طالب أمنيته ومطلوب منيته » .

٣٢ ـ قال عليه السلام : « كذب من ادّعى الايمان وهو مشغوف في الدنيا بخدع الاماني وزور الملاهي » .

وقال بلال بن أبي بردة : ما يسرّني بنصيبي من المنى حمر النعم » وكان يقال : الاماني للنفس كالرّونق للبصر .

ومن كلام بعض الحكماء : الاماني تعمي أعين البصائر والحظّ يأتي من لا يأتيه ، وربّما كان الطمع وعاء حشوه المتآلف وسائقاً يدعو إلى الندامة ، وأشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما أنّ أقرب الاشياء إلى النار أسرعها إحراقاً ، ولا يدرك الغنى بالسلطان إلّا نفس خائفة وجسم تعب ودين منكتم .

﴿ تحقيق في حقيقة الكبائر ﴾

قال الله تعالى : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلاّ اللمم » النجم : ٣٢) .

واختلفت كلمات المفسرين وغيرهم في حقيقة الكبائر وعددها فلابد من التحقيق فيها لئلا تشتبه الكبائر على الصغائر والعكس ، على اكثر الناس .

في تفسير التبيان : قال الشيخ قدس سرّه : « المعاصي عندنا كلها كبائر غير أنّ بعضها أكبر من بعض فقد تكون المعصية كبيرة بالاضافة إلى ما دونها وقد تكون صغيرة بالاضافة إلى ما هو أكبر منها »

فالزنا وشرب الخمر والقتل من غير حق كبيرة ولكن الشرك أكبر منها وهكذا . .

٢ ـ عن سعيد بن جبير ومجاهد والحسن : كل ذنب نسبه الله تعالى إلى النار فهو من الكبائر .

٣ ـ عن الضحاك : الكبائر كل عمل يقام به الحد .

ونسب إلى سعيد بن جبير ومجاهد قالا : فكل ما أوعد الله تعالى عليه في الاخرة عقاباً وأوجب عليه حدّاً في الدنيا فهو كبيرة .

٤ ـ عن إبن عباس : الكبائر : كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب .

وفي المجمع : عن إبن عباس : كلّ ما نهى الله تعالى عنه ، فهو كبيرة .

ثم قال الطبرسي : « وإلى هذا ذهب أصحابنا فانّهم قالوا : المعاصي كلّها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها أكبر من بعض ، وليس في الذنوب صغيرة

وانما يكون صغيراً بالاضافة إلى ما هو أكبر منه ، ويستحق العقاب عليه أكثر والقولان متقاربان » .

فالذنوب جميعها فى نفسها كبائر وإنما تنقسم إلى كبائر وصغائر بمقارنة بعضها إلى بعض فالنظر إلى الا جنبيّة مثلا بريبة ذنب كبير فى نفسه صغير بالنسبة إلى القبلة ، وهى صغيرة بالنسبة إلى الدخول و كذا الا كل على مائدة الخمر كبير فى نفسه صغير بالقياس إلى شربها .

٥ ـ قال بعض العلماء : إنّ الكبائر تتميز عن الصغائر بذاتها .

وان الله تعالى لم يميّز جملة الكبائر لما بيّن فى هذه الاية ان الاجتناب عن الكبائر يوجب تكفير الصغائر فلو عرف المكلّف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغائر امّا اذا عرف انه لا ذنب إلا ويمكن أن يكون كبيراً فصار هذا المعنى زاجراً له عن الذنوب كلّها كاخفاء ليلة القدر وساعة الاجابة يوم الجمعة ، وإخفاء وقت الموت والساعة ...

٦ ـ قال بعض الظرفاء : ان الكبائر تتميّز عن الصغائر باعتبار فاعلها من باب حسنات الابرار سيّئات المقرّبين .

٧ ـ قيل : كل عمد من الذنوب فهو كبير .

٨ ـ قيل : الكبائر هى التى يلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص الكتاب أو السّنة أو العقل .

٩ ـ قيل : كل جريرة تؤذن بقلّة اكتراث صاحبها بالدين فهو كبيرة .

١٠ ـ قيل : لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار .

١١ ـ ذهبت المعتزلة إلى أنّ الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه والكبيرة ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه .

أقول : هذا ما حققناه من كلمات المفسرين وغيرهم بموارد عديدة منها وهذا غير ما أوردناه فى تحقيق الاقوال وأمّا الروايات الواردة فى المقام فكثيرة :

منها :

فى الكافى : باسناده عن الحلبى عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عزّ وجل: « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً » قال : الكبائر التى أوجب الله عزّ وجل عليها النار .

وفيه : عن إبن محبوب قال : كتب معى بعض اصحابنا إلى أبى الحسن عليه السلام يسئله عن الكبائر كم هى وما هى ؟ فكتب : الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفّر عنه سيّئاته إذا كان مؤمناً والسبع الموجبات : قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين وأكل الرّبا والتعرّب بعد الهجرة وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف .

أقول قوله عليه السلام : « والسبع الموجبات » عطف على « ما وعدالله » من قبيل عطف الخاص على العام لانّ الكبائر اكثر منها والمعنى : من اجتنب الموجبات للنار كفّر عنه سيّئاته . وقوله عليه السلام : « والتعرّب بعد الهجرة » : وهو أن يعود إلى البادية ويقيم مع الاعراب بعد أن كان مهاجراً من غير عذر كالمرتدّ ومن المحتمل : التعميم لكل من تعلّم آداب الشرع وسننه ، ثم تركها وأعرض عنها ولم يعمل بها .

وهذا هو المؤيّد بما فى معانى الاخبار باسناده عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « المتعرّب بعد الهجرة التارك لهذا الامر بعد معرفته » .

وقد نهى عن التعرب لاستلزامه ترك الدين والبعد عن العلم والعمل وقال بعض العلماء : التعرّب بعد الهجرة فى زماننا هذا أن يشتغل الانسان بتحصيل العلم ثم يتركه .

وفى الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : « ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً » قال : معرفة الامام واجتناب الكبائر التى أوجب الله عليها النار .

وفى تحف العقول : عن الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال : « وقد

يخرج من الايمان بخمس جهات من الفعل كلها متشابهات معروفات : الكفر والشرك والضلال والفسق وركوب الكبائر .

فمعنى الكفر كلّ معصية عصى الله بها بجهد الجحد والانكار والاستخفاف والتهاون في كلّ مادقّ وجل وفاعله كافر ومعناه معنى الكفر من أى ملّة كان ومن أى فرقة كان بعد أن تكون منه معصية بهذه الصفات فهو كافر .

ومعنى الشرك كل معصية عصى الله بها بالتدين فهو مشرك صغيرة كانت المعصية أو كبيرة ففاعلها مشرك .

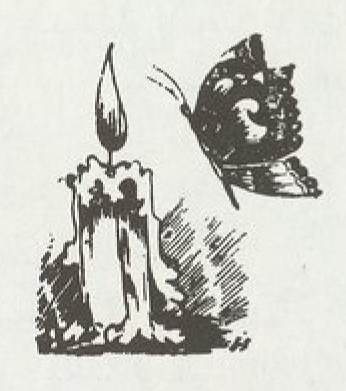
ومعنى الضلال الجهل بالمفروض ، وهو أن يترك كبيرة من كبائر الطاعة التى لا يستحق العبد الايمان الاّ بها بعد ورود البيان فيها والاحتجاج بها فيكون التارك لها تاركاً بغير جهة الانكار والتدين بانكارها وجحودها ، ولكن يكون تاركاً على جهة التوانى والاغفال والاشتغال بغيرها ، فهو ضالّ متنكّب طريق الايمان جاهل به خارج منه مستوجب لاسم الضلالة ومعناها مادام بصفة التى وصفناه بها فان كان هو الذى مال بهواه إلى وجه من وجوه المعصية بجهة الجحود والاستخفاف والتهاون كفروان هو مال بهواه إلى التدين بجهة التأويل والتقليد والتسليم والرضا بقول الآباء والاسلاف ، فقد أشرك وقلّ ما يلبث الانسان على ضلالة حتى يميل بهواه إلى بعض ما وصفناه من صفته .

ومعنى الفسق ، فكل معصية من المعاصى الكبار فعلها فاعل أو دخل فيها داخل بجهة اللذّة والشهوة والشوق الغالب ، فهو فسق وفاعله فاسق خارج من الايمان بجهة الفسق ، فان دام فى ذلك حتى يدخل فى حدّ التهاون والاستخفاف فقد وجب أن يكون بتهاونه واستخفافه كافراً .

ومعنى راكب الكبائر التى بها يكون فساد ايمانه فهو أن يكون منهمكاً على كبائر المعاصى بغير جحود ولا تدين ولا لذّة ولا شهوة ولكن من جهة الحميّة والغضب يكثر القذف والسّب والقتل وأخذ الاموال وحبس الحقوق وغير ذلك من المعاصى الكبائر التى يأتيها صاحبها بغير جهة اللذّة .

ومن ذلك الايمان الكاذبة وأخذ الربا وغير ذلك التي يأتيها من أتاها بغير استلذاذ الخمر والزنا واللهو ، ففاعل هذه الافعال كلها مفسد للايمان خارج منه من جهة ركوبه الكبيرة على هذه الجهة غير مشرك ولا كافر ولا ضال : جاهل على ما وصفناه من جهة الجهالة ، فان هو مال بهواه إلى أنواع ما وصفناه من حد الفاعلين كان من صفاته .

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن عباد بن كثير قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن الكبائر قال : كل شيء وعد الله عليه النار .



﴿ الكبائر وعدادها ﴾

في عدد الكبائر خلاف بين العلماء لما ورد فيها من الاختلاف :

١ ـ قيل : الكبائر سبع : الاشراك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا وأكل اموال اليتامى ، وقذف المحصنة ، والفرار من الزحف والبهتان .

٢ ـ عن عبد الله بن عمر : الكبائر تسع : السبع السابق وشهادة الزور وعقوق الوالدين .

٣ ـ عن إبن مسعود : الكبائر أربع : الاشراك بالله ، والامن من مكر الله ، والاياس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله وعنه من أول سورة النساء إلى رأس الاية الثالثة والثلاثين .

٤ ـ قيل : الكبائر ثلاث .

٥ ـ قيل : الكبائر سبعون .

٦ ـ قيل : الكبائر سبعمأة ولكن أكبرها السّبع ، قيل لابن عباس : الكبائر سبع ؟ قال : هي إلى سبعين ، وسبعمأة أقرب منها إلى السبع ، غير انّه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار .

اقول: وقد عدّ من الكبائر في الروايات الاتية بعضها : الشرك بالله سبحانه واليأس من روح الله جلّ وعلا ، والامن من مكر الله تعالى ، وعقوق الوالدين ـ وهو الاساءة اليهما ـ وقتل النفس المحترمة ، وقذف المحصنة ، والزنا واللواط وأكل مال اليتيم ظلماً والفرار من الزحف وأكل الربا والسّحر واليمين الغموس الفاجرة ـ وهي الحلف بالله عزّ وجل كذباً على وقوع أمر أو على حق امرىء أو

منع حقه خاصة ـ ومنع الزكاة المفروضة وشهادة الزور و كتمان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متعمداً .

أوشيئاً مما فرض الله تعالى ونقض العهد وقطيعة الرحم ـ بمعنى ترك الاحسان إليهم من كل وجه فى مقام يتعارف فيه ذلك ـ والتعرّب بعد الهجرة إلى البلاد التى ينقض بها الدين ، والسّرقة وإنكار ما أنزل الله تعالى والكذب على الله أو على رسوله صلى الله عليه وآله أوعلى الاوصياء عليهم السلام بل مطلق الكذب وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ به لغير الله والقمار واكل السّحت كثمن الميتة والخمر والمسكر وأجر الزانية وثمن الكلب الذى لايصطاد والرشوة على الحكم ولوبالحق واجر الكاهن وما اصيب من أعمال الولاة الظلمة ، وثمن الجارية المغنية وثمن الشطرنج فان جميع ذلك من السحت .

ومن الكبائر : البخس فى المكيال والميزان ومعونة الظالمين والركون إليهم والولاية لهم وحبس الحقوق من غير عسر والكبر والعجب والاسراف والتبذير والاستخفاف بالحج والمحاربة لاولياء الله تعالى والاستهزاء والسخرية بالمؤمنين والاشتغال بالملاهى ـ كالغناء وهو الصوت المشتمل على الترجيع على مايتعارف عند أهل الفسوق والطغاة وحزب الشيطان ـ وضرب الاوتار ، ونحوهامما يتعاطاه حزب الشيطان ، والاصرار على الذنوب الصغائر واستحقار الذنب فان أشد الذنوب ما استهان به صاحبه .

ومن الكبائر : الغيبة ـ وهى أن يذكر المؤمن بعيب فى غيابه سواء أكان بقصد الانتقاص أم لم يكن ، وسواء أكان العيب فى بدنه أم فى نسبه أو فى خلقه أو فى فعله أم فى قوله أوفى دينه أم فى دنياه أم فى غير ذلك مما يكون عيباً مستوراً عن الناس كما لافرق فى الذكر بين أن يكون بالقول أم بالفعل الحاكى عن وجود العيب والظاهر إختصاصها بصورة وجود سامع يقصد افهامه واعلامه كما أن الظاهر انه لابد من تعيين المغتاب .

فلو قال : واحد من اهل البلد جبان لا يكون غيبة ، وكذا لو قال : احد

اولاد زيد جبان ، نعم قد يحرم ذلك من جهة لزوم الاهانة والانتقاص ، لامن جهة الغيبة ، ويجب عند وقوع الغيبة التوبة والندم والاستغفار والاحوط الاستحلال من الشخص المغتاب إذا لم تترتب على ذلك مفسدة وإلاّ فلا بد من الاستغفار له .

وأمّا جواز الغيبة بموارد ففى محلها ...

ومن الكبائر: البهتان على المؤمن ـ وهو ذكره بما يعيبه وليس هو فيه ـ وسبّه وإهانته وإذلاله والنميمة بين المؤمنين بما يوجب الفرقة بينهم والقيادة وهى السعى بين اثنين لجمعهما على الوطء المحرم والغش للمسلمين والرثاء .



بحث روائي

فى عدد الكبائر

وقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة فى الكبائر نشير إلى ما يسعه المقام

١ ـ فى الكافى باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : الكبائر سبع : قتل المؤمن متعمّداً ، وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرّب بعد الهجرة ، وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا بعد البيّنة ، وكل ما أوجب الله عليه النار .

٢ ـ وفيه عن عبدالله بن سنان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إنّ من الكبائر عقوق الوالدين ، واليأس من روح الله ، والامن لمكر الله وقد روى : ان أكبر الكبائر الشرك بالله .

٣ ـ وفيه باسناده عن عبيد بن زرارة قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن الكبائر فقال : هنّ فى كتاب على عليه السلام سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البيّنة ، واكل مال اليتيم ظلماً ، والفرار من الزحف ، والتعرّب بعد الهجرة قال : قلت : فهذا اكبر المعاصى ؟ قال : نعم قلت : فأكل درهم من مال اليتيم ظلما أكبر أم ترك الصّلاة ؟ قال : ترك الصّلاة قلت : فما عددت ترك الصلاة فى الكبائر ؟ فقال : أىّ شىء أول ماقلت لك ؟ قال : قلت : الكفر قال : فانّ تارك الصّلاة كافر .

٤ ـ فى الخصال باسناده عن سليمان بن مهران الاسدى الكاهلى عن جعفر بن محمد عليه السلام قال ـ فى حديث طويل ـ : والكبائر محرّمة وهى : الشرك

بالله عزوجل ، وقتل النفس التى حرّم الله تعالى ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ، واكل مال اليتيم ظلماً ، واكل الرّبا بعد البيّنة ، وقذف المحصنات وبعد ذلك :

الزنا واللواط والسرقة ، وأكل الميتة والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به من غير ضرورة ،وأكل السحت ، والبخس فى المكيال والميزان والميسر وشهادة الزور ، واليأس من روح الله ، والامن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، وترك معاونة المظلومين ، والركون الى الظالمين ، واليمين الغموس ، وحبس الحقوق من غير عسر ، واستعمال الكبر والتجبّر والكذب والاسراف والتبذير والخيانة ، والاستخفاف بالحجّ ، والمحاربة لاولياء الله عزوجل ، والملاهى التى تصدّ عن ذكر الله تبارك وتعالى ـ كالغناء وضرب الاوتار والاصرار على صغائر الذنوب ، ثم قال عليه السلام : إنّ فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين .

٥ ـ فى الكافى باسناده عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى قال : حدّثنى أبو جعفر صلوات الله عليه قال : سمعت أبى يقول : سمعت أبى موسى إبن جعفر عليه السلام يقول :

دخل عمرو بن عبيد ـ البصرى المعتزلى ـ على أبى عبدالله عليه السلام فلمّا سلّم وجلس تلا هذه الاية : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش » ثم أمسك ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : ما أسكتك ؟ قال : احبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله عزوجل ، فقال : نعم يا عمرو أكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله : « ومن يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة » وبعده الاياس من روح الله لانّ الله عزوجل يقول : « انّه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

ثمّ الأمن لمكر الله لأنّ الله عزوجل يقول : « فلا يأمن مكر الله الاّ القوم الخاسرون » ، ومنها عقوق الوالدين لأنّ الله سبحانه جعل العاق جبّاراً شقيّاً ، وقتل النفس التى حرّم الله الاّ بالحق لانّ الله عز وجل يقول : « فجزاؤه جهنم خالداً فيها . . إلى آخر الاية » وقذف المحصنة لأنّ الله عزّ وجل يقول : « لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم » .

وأكل مال اليتيم لأنّ الله عزوجل يقول : « انّما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا » والفرار من الزحف لأنّ الله عزوجل يقول : « ومن يولّهم يومئذ دبره الاّ متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير » .

وأكل الرّبا لأنّ الله عزوجل يقول : « الذين يأكلون الرّبا لايقومون الاّ كما يقوم الذى يتخبّطه الشيطان من المس » والسّحر لأنّ الله عزوجل يقول : « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاق » والزّنا لأنّ الله عزوجل يقول : « ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً » واليمين الغموس الفاجرة لانّ الله عز وجل يقول : « الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة » .

والغلول لأنّ الله عزوجل يقول : « ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة » ومنع الزكاة المفروضة لأنّ الله عزوجل يقول : فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وشهادة الزّور و كتمان الشهادة لأنّ الله عزوجل يقول : « ومن يكتمها فانه آثم قلبه » وشرب الخمر لأنّ الله عزوجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الاوثان وترك الصّلاة متعمّداً أو شيئاً مما فرض الله لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

من ترك الصّلاة متعمداً فقد برىء من ذمّة الله وذمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ونقض العهد وقطيعة الرحم لانّ الله عزّوجل يقول : « اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار » قال : فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول : هلك من قال برأيه ونازعكم فى الفضل والعلم .

٦ - فى قرب الاسناد باسناده عن ابن‌صدقة عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : الحيف فى الوصيّة من الكبائر يعنى الظلم فيها .

٧ - فى ثواب الاعمال باسناده عن أبى خديجة عن أبى عبد الله عليه السلام قال : الكذب على الله عزّوجل وعلى رسوله وعلى الاوصياء عليهم السلام من الكبائر .

٨ ـ في تفسير العياشي عن سليمان الجعفري قال: قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام ما تقول في أعمال السلطان ؟

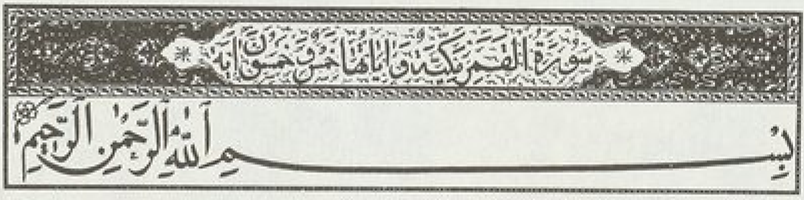
فقال : يا سليمان الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في حوائجهم عديل الكفر والنظر إليهم على العمد من الكبائر التي يستحق بها النار .

أقول : والمراد من السلطان : سلطان الجور لامطلق السلطان للزوم المجتمع البشري إلى الحاكم العدل .

٩ ـ وفيه باسناده عن علي عليه السلام قال : السكر من الكبائر ، والحيف في الوصيّة من الكبائر .

تمت سورة النجم والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين



اقتربت الساعة وانشق القمر ١ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ٢ وكذبوا و
اتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ٣ ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ٤ حكمة
بالغة فما تغن النذر ٥ فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر ٦ خشعا أبصارهم
يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ٧ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون
هذا يوم عسر ٨ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ٩
فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ١٠ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ١١ وفجرنا الأرض
عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ١٢ وحملناه على ذات ألواح ودسر ١٣

تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر (١٤) ولقد تركناها اية فهل من مدكر (١٥) فكيف كان عذابي
ونذر (١٦) ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر (١٧) كذبت عاد فكيف كان عذابي
ونذر (١٨) انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر (١٩) تنزع الناس كانهم اعجاز نخل
منقعر (٢٠) فكيف كان عذابي ونذر (٢١) ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر (٢٢) كذبت
ثمود بالنذر (٢٣) فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر (٢٤) ءالقي الذكر عليه
من بيننا بل هو كذاب اشر (٢٥) سيعلمون غدا من الكذاب الاشر (٢٦) انا مرسلوا الناقة فتنة
لهم فارتقبهم واصطبر (٢٧) ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر (٢٨) فنادوا صاحبهم
فتعاطى فعقر (٢٩) فكيف كان عذابي ونذر (٣٠) انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر (٣١)
ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر (٣٢) كذبت قوم لوط بالنذر (٣٣) انا ارسلنا عليهم
حاصبا الا ال لوط نجيناهم بسحر (٣٤) نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر (٣٥) ولقد انذرهم
بطشتنا فتماروا بالنذر (٣٦) ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي
ونذر (٣٧) ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر (٣٨) فذوقوا عذابي ونذر (٣٩) ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر (٤٠) ولقد جاء ال فرعون النذر (٤١) كذبوا باياتنا كلها فاخذناهم
اخذ عزيز مقتدر (٤٢) اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر (٤٣) ام يقولون نحن جميع
منتصر (٤٤) سيهزم الجمع ويولون الدبر (٤٥) بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر (٤٦)

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾
إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال عن يزيد بن خليفة عن ابى عبد الله عليه السلام قال : من قرأ سورة : « اقتربت السّاعة » أخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنّة .

أقول : رواه الطبرسى فى المجمع والبحرانى فى البرهان والحويزى فى نور الثقلين والمجلسى فى البحار .

والراوى : هو يزيد بن خليفة الحارثى وفى الرجال : دخل على أبى عبدالله عليه السلام رجل يقال له : يزيد بن خليفة ، فقال له : من أنت ؟ فقال : من بنى حارث بن كعب ، فقال ابو عبدالله عليه السلام ليس اهل بيت إلاّ وفيهم نجيب او نجيبان وانت نجيب بنى حارث بن كعب .

وأمّا مساس الرواية بالسّورة فيعلم بالتدبّر :

وذلك لانّ القارىء إذا تدبّر فيما تحويه السّورة يدّكر ويتق بلامراء ، وقد صرّح انّ المتّقى يخرج حين الساعة من قبره وهومن فزع يومئذآمن قال الله تعالى : « واقترب الوعد الحق ـ انّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى ـ لا يحزنهم الفزع الاكبر » الانبياء : ٩٧ ـ ١٠٣) .

وليس ببعيد : ان من كان له مقعد صدق عند مليك مقتدر كان له نوق فيدخل الجنة وهو على نوقه ، وقد قال الله عزوجل فيه : « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » الحديد : ١٢) .

وفى الدر المنثور : عن النبى صلى الله عليه وآله قال : من قرأ « إقتربت الساعة غبّاً

ليلة وليلة حتى يموت لقى الله ووجهه أضوء من القمر ليلة البدر .

وفي المجمع : عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله : قال : ومن قرأ سورة إقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيامة ، ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ، ومن قرأها كل ليلة كان افضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق .

وفي البرهان : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كتبها يوم الجمعة وقت الظهر وتركها في عمامته أو علقها عليه كان وجيهاً عند الناس محبوباً .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من كتبها يوم الجمعة عند صلاة الظهر وعلقها على عمامته كان عندالله وجيهاً ومقبولا وسهلت عليه الامور الصعبة باذن الله تعالى .

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء في الروايات الاخيرة .

وفي رواية : أوردها العامة وبعض الشيعة : ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرأ سورة القمر في الاضحى والفطر وكان يقرأ سورة (ق) فيهما وفي المجالس والمجمع الكبار لاشتمالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته والتوحيد وإثبات النبوات والمعاد .



﴿ الغرض ﴾

غـرض السّورة إنذار وتخويف وحملـة علـى مشر كـى مكّة ومـن سلك مسلكهم لاعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بها واتّباعهم الاهواء .

وتذ كير لهم بأمثالهم المكذبين من الامم الماضين الهالكين فى الحياة الدنيا وأحوالهم عند خروجهم من الاجداث وحضورهم للحساب والجزاء فليسواهم خيراً منهم « أكفّار كم خير من اولئكم » : ٤٢) .

وتقريع لهم على عدم إرعوائهم بينما جاء القرآن الكريم بانباء الاولين ومصائرهم بالانبياء ، وموقفهم فى الاخرة ، ومن اعلام الهدى والحق ، فكان لهم ان يزدجروا فلم يزدجروا وكان لهم ان يرعووا فلم يرعووا بل إستمرّوا فى الغىّ والغواية وأصرّوا فى العناد والمكابرة .

وفيها تسلية للنبى الكريم صلّى الله عليه وآله من جهة وإنذار وتذ كير للكفّار من جهة اخرى ، وفى ختامها تبشير للمتّقين مـن ناحية ثالثة لداب القرآن على إزدواج الكلام بالوعد والوعيد والتسلية والتخويف والانذار والتبشير .

﴿ النزول ﴾

سورة القمر مكيّة ، نزلت بعد سورة الطارق ، وقبل سورة (ص) وهي السورة السابعة والثلاثون نزولاً ، والرابعة والخمسون مصحفاً .

وتشتمل على خمس وخمسين آية ، سبقت عليها ٦٨٥ آية نزولاً و ٤٨٤٦ آية مصحفاً على التحقيق .

ومشتملة على ٣٤٢ كلمة و ١٤٢٠ حرفاً وقيل : ١٤٢٣ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في تفسير القمي : باسناده عن يونس قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إجتمع أربعة عشر رجلاً اصحاب العقبة ليلة اربعة عشر من ذي الحجّة ، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله : ما من نبيّ إلا وله آية ، فما آيتك في ليلتك هذه ؟ فقال : ما الذي تريدون ؟ فقالوا : ان يكن لك عند ربّك قدر ، فأمر القمر أن ينقطع قطعتين ، فهبط جبرئيل ، فقال : إنّ الله يقرئك السّلام ويقول لك : انّي قد أمرت كلّ شيء بطاعتك ، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين ، فانقطع قطعتين ، فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله وسجد شيعتنا ، ثمّ رفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه ورفعوا رؤسهم ، فقالوا :

يعود (تعيده - خ) كما كان ، فعاد كما كان ثمّ قالوا : ينشقّ رأسه ، فأمره فانشقّ فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله وسجد شيعتنا ، فقالوا : يا محمد حين تقدم اسفارنا من الشّام واليمن نسئلهم مارأوا في هذه الليلة ، فان يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا انّك (انّه خ) من ربّك ، وإن لم يروا مثل ما راينا علمنا انه سحر سحرتنابه ، فأنزل الله : « إقتربت الساعة وانشق القمر » الى آخر السورة .

وفي تفسير الطبري : عن أنس إبن مالك : ان أهل مكة سئلوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم إنشقاق القمر مرتين .

وفيه: عن عبدالله قال : إنشق القمر ، ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا .

وفيه : عن عبدالله قال : إنشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش : هذا سحر إبن أبي كبشة سحركم ، فسلوا السفار فسئلوهم فقالوا : نعم قد رأيناه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « إقتربت الساعة وانشق القمر » .

وفي اسباب النزول : للسيوطي : أخرج الشيخان والحاكم واللفظ له عن إبن مسعود قال : رايت القمر منشقاً شقين بمكة قبل مخرج النبي ﷺ فقالوا : سحر القمر ، فنزلت : « إقتربت الساعة وانشق القمر » .

وفيه : وأخرج الترمذي عن أنس قال : سئل أهل مكة النبي ﷺ آية ، فانشق القمر بمكة مرتين ، فنزلت : « اقتربت الساعة وانشق القمر ـ إلى قوله ـ سحر مستمر » .

وفي الدر المنثور : عن ابن عباس في قوله تعالى : « إقتربت الساعة وانشق القمر ، قال : إجتمع المشركون على عهد رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاصي بن وائل والعاصي بن هشام والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والنضر بن الحارث ، فقالوا للنبي ﷺ إن كنت صادقا ، فشق لنا القمر فرقتين نصفاً على ابي قبيس ونصفاً على قعيقعان ، فقال لهم النبي ﷺ :

إن فعلت تؤمنوا ؟ قالوا : نعم وكانت نعم بدر ، فسئل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سئلوا ، فأمسى القمر قد مثل نصفاً على أبي قبس ونصفاً على قعيقعان ورسول الله ﷺ ينادي أبا سلمة بن عبد الاسد والارقم بن أبي الارقم اشهدوا .

وفيه : عن ابن عباس قال : إنتهى اهل مكة إلى النبي ﷺ ، فقالوا : هل من آية نعرف بها انك رسول الله ﷺ ، فهبط جبرئيل فقال : يا محمد قل : يا اهل

مكة ان تختلفوا هذه الليلة ، فسترون آية فأخبرهم رسول الله ﷺ بمقالة جبرئيل فخرجوا ليلة اربع عشرة ، فانشق القمر نصفين نصفاً على الصفا ونصفاً على المروة ، فنظروا ثم قالوا بأبصارهم ، فمسحوها ثم اعادوا النظر ، فنظروا ثم مسحوا اعينهم ، ثم نظروا فقالوا : يا محمد ما هذا إلا سحر ذاهب ، فأنزل الله : « إقتربت السّاعة وانشق القمر »

وفيه : عن إبن عباس قال : جائت أحبار اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : أرنا آية حتى نؤمن ، فسئل النبي ﷺ ربه أن يريه آية فأراهم القمر قد انشق فطار قمرين أحدهما على الصفا والاخر على المروة قدر ما بين العصر إلى الليل ينظرون إليه ، ثم غاب القمر فقالوا : هذا سحر مستمر .

وفي اسباب النزول : السيوطي : عن إبن عباس قال : قالوا يوم بدر : « نحن جميع منتصر » فنزلت « سيهزم الجمع ويولّون الدّبر » .

وفي الجامع لاحكام : القرآن : قال ابن عباس : كان بين نزول هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية على هذا مكّية .

أقول : وهذا على سبيل الاخبار بما سيأتي ، وعليه أكثر المحققين وتؤيّده مكّية السورة بتمامها ، وما في تفسير القمي في قوله تعالى : « أم يقولون » يا محمد ! « نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولّون الدبر » قالت قريش : قد اجتمعنا لننتصر ونقتلك يا محمد ، فأنزل الله الاية .

وفي اسباب النزول : للواحدي النيسابوري باسناده عن أبي امامة الباهلي يقول : اشهد بالله لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان هذه الاية نزلت في القدرية : «إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر انّا كل شيء خلقناه بقدر » .

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي : عن عطاء بن ابي رباح قال : اتيت ابن عباس ، وهو ينزع من زمزم ، وقد ابتلت اسافل ثيابه ، فقلت له :

قد تكلّم في القدر ، فقال او قد فعلوها ؟ قلت : نعم قال : فوالله ما نزلت هذه

الاية الآ فيهم « ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر » اولئك شرار هذه الامّة فلا تعودوا مرضاهم ، ولا تصلّوا على موتاهم ان رايت احداً منهم ، ففقأت عينيه باصبعيّ هاتين .

وفي تفسير البرهان : بالاسناد عن علي بن سالم عن ابي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن الرقى ايدفع من القدر شيئاً ، فقال : هي من القدر ، قال عليه السلام : انّ القدريّة مجوس هذه الامة ، وهم الذين ارادوا ان يصفوا الله بعدله ، فأخرجوه من سلطانه ، وفيهم نزلت هذه الاية : « يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر انا كل شيء خلقناه بقدر » .

وفي ثواب الاعمال : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزلت هذه الاية في القدرية : « ذوقوا مسّ سقر انّا كلّ شيء خلقناه بقدر » .

أقول : ان المراد بالقدريّة النافون للقدر ، وهم على طائفتين : طائفة مفوّضة وهم المعتزلة ، إذ ترى ان العبد خالق لافعاله في نطاق ما أوجد الله فيه من قوى وملكات .

وطائفة مجبّرة وهم الاشاعرة إذ ترى ان أفعال العباد خيراً أو شراً منسوبة إلى الله سبحانه ، فانه خلق فيهم قدرة لا بدّ من تلك الافعال .

وتسمية الطائفتين بالقدرية مأخوذة مما صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « انّ القدرية مجوس هذه الامة » .

فأخذت المجبرة تسمي المفوضة بالقدرية لانهم ينكرون القدر ، ويتكلمون عليها وان المفوضة تسمي المجبرة بالقدرية لانهم يثبتون القدر .

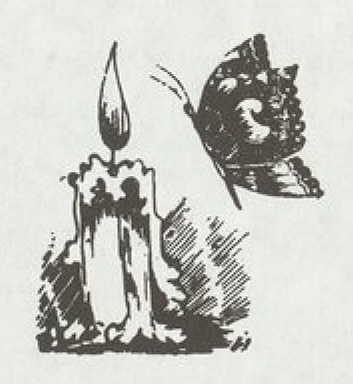
والحديث يطبق على كلتا الطائفتين : أمّا المجبّرة ، فانهم ينسبون الخير والشر والطاعة ، والمعصية كلها إلى الله سبحانه كما انّ المجوس قائلون بكون فاعل الخير والشر كلها غير الانسان .

وأمّا المفوّضة فانهم قائلون بخالقين في العالم وهما : الانسان بالنسبة الى

افعاله ، والله تعالى بالنسبة إلى غيرها كما ان" المجوس قائلون بالهين إثنين : إله الخير واله الشر .

وتفصيل الكلام فى سورة القدر إنشاء الله تعالى .

وان المراد بنزول الاية فيهم جريها فيهم دون كونهم سبباً للنزول وموردا له لعمومها حسب السّياق والنطاق .



﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر « مستقر » بالجر على انّه صفة من « امر » والباقون بالرفع لكونه خبراً لكل أمر .

قرأ إبن كثير « الداعي » و « الى الداعى » بالياء وصلا ووقفاً ، وقرأهما ابو عمرو وابو جعفر ونافع بالياء وصلا وبغيرها وقفاً والباقون بغيرها في الحالين .

قرأ إبن كثير « نكر » بضم النون وسكون الكاف ـ على وزن قفل ـ والباقون بضمّها على ـ وزن عنق ـ وعلى التقديرين فهو مفرد بمعنى الامر الشديد وان يحتمل الاخير الجمع كرسل و كتب .

قرأ ابو عمرو وحمزة « خاشعاً » بالالف على الافراد والباقون « خشّعا » بفتح الشين مشدّدة على الجمع .

قرأ ابن عامر وابو جعفر « ففتحنا » بتشديد التاء ـ من باب التفعيل ـ للدلالة على التكثير ، والباقون بالتخفيف ثلاثيّاً للدلالة على القليل والكثير . قرأ حمزة وإبن عامر « ستعلمون » بالتاء على الخطاب للالتفات عما قبله ، والباقون بالياء على الغيبة لبقاء الاتصال بما قبله .

قرأ حمزة « نبّئهم » بالهمزة وقفاً وحذفها وصلا ، والباقون بالهمزة مطلقاً .

﴿ الوصل والوقف ﴾

« مزدجر لا » بناء على أنّ قوله تعالى : « حكمة » بدل من « ما » أو من « مزدجر » « النذر لا » للعطف مع إتصال المعنى « عنهم » لانّه لو وصل لأوهم انّ الظرف ـ يوم ـ متصل به ، وليس كذلك بل هو ظرف لقوله : « يخرجون » « نكر لا » لاتصال الحال بالظرف من قبل اتّحاد عاملهما « منتشر لا » لانّ مهطعين حال بعد حال ، « الداع ط » لتمام الكلام .

« منهمر ز » للعطف مع إتحاد مقصود الكلام ، « قدر ج » للعارض من الجملتين المتفقتين وللاية مع إحتمال الحال أى وقد حملناه .

« دسر لا » لانّ « تجرى » صفة لها ، « بأعيننا ج » لانّ « جزاء » مفعول له أو مصدر لفعل محذوف ، « مستمر لا » لانّ مابعده صفة ، « الناس لا » لانّ « كأنّهم » حال « نتبعه لا » لتعلق « اذا » بها ، « اصطبر لا » للعطف « بينهم ج » لانّ « كل » مبتدأ مع أنّ الجملة بيان لما تقدم .

« آل لوط ط » لانّ الجملة لاتصلح صفة للمعرفة إلاّ بالموصول ، « بسحر لا » لتعلق ما بعده بما قبله ، و« عندنا ط » لتمام الكلام ، و« مستقر ج » للفاء أى فقيل لهم ذوقوا ، و« النذر ج » لاتّصال المعنى بلا عطف ، و« فى الزبر ج » لانّ ما بعده يصلح استفهام انكار مستأنف ويصلح بدلا عن « ام » قبله ، و« سعر ط » بناء على انّ « يوم » ليس ظرفاً لضلال وانّما هو ظرف لمحذوف أى يقال لهم ذوقوا و« وجوههم ط » لتمام الكلام « بالبصر ج » لاحتمال العطف والاستيناف و « نهر لا » لان ما بعده بدل .

﴿ اللغة ﴾

٩٨ - الساعة - ٧٥٧

ساع الشيء يسوع سوعاً - واوى نحو قال - : ضاع ، وأساعه : اهمله وضيّعه وساعت الابل : تخلّت بلاراع ، ويقال : اسوع الرجل إسواعاً : إنتقل من ساعة إلى ساعة او تأخّر ساعة .

وساع الماء يسيع سيعاً وسيوعاً - يائى نحو باع - : جرى على وجه الارض واضطرب ، السيع : الماء الجارى على وجه الارض .

الساعة فى الاصل تطلق بمعنيين : أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هى مجموع اليوم والليلة ، فالساعة : ستون دقيقة . ثانيهما أن تكون عبارة عن جزء قليل من الليل أو النهار يقال : جلست عندك ساعة من النهار أو الليل أى وقتاً قليلاً من احدهما ، كما يقال : للوقت الحاضر : « اقضنى حقّى السّاعة » .

ثم استعير لاسم يوم القيامة ، وهو الوقت الذى يصعق فيه العباد والوقت الذى يبعثون فيه ، وتقوم فيه القيامة سمّيت ساعة لأنّها تفجأ الناس فى ساعة ، فيموت الخلق كلّهم عند الصيحة الاولى التى ذكرها الله تعالى : « إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذا هم خامدون » .

وتشبيهاً بذلك لسرعة الحساب فيه .

واطلقت السّاعة معرّفة بالالف واللام فى القرآن الكريم على يوم القيامة . قال الله تعالى : « ويسئلونك عن الساعة - وعنده علم الساعة » .

فلقلّة الوقت الذى تقوم فيه سمّاها ساعة .

وساعة سوعاء : شديدة .

وسواع : صنم كان لقوم نوح عليه السلام قال تعالى : « ولاتذرن ودّاً ولا سواعاً » نوح : ٢٣) .

ثم صار لهذيل فكانوا يعبدونه . ويسوع : إسم من اسماء الجاهليّة .

السّوعاء : المذى ، وفى الحديث : « فى السوعاء الوضوء » .

والسوعاء : الفىء .

٢١ ـ السحر ـ ٦٨٠

سحر الشيء يسحره سحراً ـ من باب منع ـ : صرفه عن وجهه وخدعه .

السّحر : صرف الشيء عن وجهه .

قال الله تعالى : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها » الاعراف : ١٣٢) أى لتصرفنا بها ، وتخدعنا .

السّحر : قول أو فعل يترتب عليه أمر خارق للعادة ، ويعتمد على وسائل من الرقى والعزائم وما أشبهها .

قال تعالى : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » القمر : ٢) .

الساحر : من يزاول السحر كقوله تعالى : « انّ هذا الساحر عليم » الاعراف : ١٠٩) أى مزاول للسحر .

والسّاحر : العالم بالسّحر ، كقوله تعالى : « وقالوا يا ايّه **الساحر** ادع لنا ربّك » الزخرف : ٤٩) أى أيّها العالم بالسحر .

وجمعه : الساحرون والسحرة كقوله تعالى : « لايفلح **الساحرون** » يونس : ٧٧) و « وجاء السحرة فرعون » الاعراف : ١١٣) .

والسحار : مبالغة فيمن يزاول السحر ، قال : « يأتوك بكل سحّار عليم »

الشعراء : ٣٧) وقيل : جمع .

والمسحور : من فعل به السّحر أو من غذى بالطعام وعلّل به .

قال : « إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلاّ رجلا مسحوراً » الاسراء : ٤٧) أى فعل به السّحر أو رجلا مثلكم يغذّى بالطعام ، ويعلل به .

السحر : طرف الحلقوم والرئة ومكان حرف الحلق ومنه حديث عبد الله بن عمر مع يزيد بن معاوية بن أبى سفيان لعنهم الله فى تعنيفه على قتل الحسين عليه السلام : « يا عدوّ الله قد قتلت رجلا كان رسول الله يقبّل بين سحره ونحره ، ويقول : انّى لاشمّ رائحة جنّة عدن » أرض مسحورة : لا تنبت شيئاً .

وفى الحديث « انّ من البيان لسحراً » أى منه ما يصرف قلوب السامعين ، وان كان غير حق ، وقيل : معناه : انّ من البيان ما يكتسب به من الاثم ما يكتسبه الساحر بسحره ، فيكون فى معرض الذمّ ويحتمل أن يكون فى معرض المدح لانه يستمال به القلوب ، ويترضى به الساخط يستنزل به الصعب .

السحر : القطع الاخير من الليل وجمعه أسحار .

قال تعالى : « إلاّ آل لوط نجّيناهم بسحر » القمر : ٣٤) .

وقال : « والمستغفرين بالاسحار » آل عمران : ١٧) .

فى المفردات: السّحر يقال على معان : الاوّل الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ ، بصرف الابصار عمّا يفعله لخفّة يد ، وما يفعله النمّام بقول مزخرف عائق للاسماع ، وعلى ذلك قوله تعالى : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .

وقال : « يخيّل إليه من سحرهم » .

وبهذا النظر سمّوا موسى عليه السلام ساحراً ، فقالوا : « يا أيّها الساحر ادع لنا ربّك » .

والثانى : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرّب إليه كقوله تعالى : « هل انبّئكم على من تنزّل الشياطين تنزّل على كل أفاك اثيم » وعلى ذلك قوله

تعالى : « ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السّحر » .

والثالث : ما يذهب إليه الاغتام ، وهو إسم لفعل يزعمون انه من قوّته يغيّر الصور والطبائع ، فيجعل الانسان حماراً ولا حقيقة لذلك عند المحصلين ، وقد تصور من السحر تارة حسنه ، فقيل : انّ من البيان لسحراً وتارة دقّة فعله ، حتى قالت الاطباء : الطبيعة ساحرة وسمّوا الغذاء سحراً من حيث انه يدق ويلطف تأثيره.

١٥ - الجدث - ٢٣١

الجدث : القبر جمعه أجداث ، قال الله تعالى : «يخرجون من الاجداث كأنّهم جراد منتشر » القمر: ٧) .

وفى حديث الامام على عليه السلام : « فى جدث ينقطع فى ظلمته آثارها » .

ومنه الحديث : « نبوّئهم اجدائم » أى نزلهم قبورهم .

الاجدث : الموضع ، والجدثة : صوت الحافر والخفّ وصوت مضغ اللحم ، واجتدث : إتّخذ جدثاً .

٢٣ - الجراد - ٢٣٩

جرد العود يجرده جرداً - من باب نصر - : قشره ، والجرد : نزع شعره والقوم : سئلهم فأعطوه كارهين والسّيف : سلّه وجرد القحط الارض : جعلها جرداء ، ومكان جرد : لا نبات فيه ، رجل أجرد : لا شعر عليه .

فى حديث وصف أهل الجنّة : « جرد مرد » أى لا شعر فى أجسادهم .

وفى الحديث : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السّراج يزهر » أى ليس فيه غلّ ولا غش ، فهو على أصل الفطرة ، فنور الايمان فيه يزهر .

الجريدة : خيل لا رجّالة فيها ، والجريدة : الصحيفة التى يكتب عليها جمعها : جرائد ، والجريد : هو سعف النخل بلغة الحجاز ، والواحدة جريدة فعيلة

بمعنى مفعولة سمّيت بذلك لتجريد خوصها عنها ، ومنه الخبر : « كتب القرآن في جرائد » .

جرّده من ثوبه : عرّاه ، وفي الحديث : « جرّدوا القرآن » أى لا تلبسوه شيئاً آخر ينافيه .

تجرّد : تعرّى ، وتجرّد زيد لامره : جدّ فيه وتفرّغ له ، يقال : تجرّد للعبادة : إذا انقطع لها ، والمجرّد : من لا زوج له .

الجراد : حشرة صغيرة الجسم تطير فى أرجال وتهلك الزرع ، والواحدة : جرادة تقع على المذكر والمؤنث كالجماعة سميت بها لأنها تجرد الارض أى تأكل ماعليها وتعريها من النبات .

قال الله تعالى :« يخرجون من الاجداث كأنّهم جراد منتشر » القمر : ٧).

قيل : وجه التشبيه فى الاية انّهم يخرجون حيارى فزعين لايهتدون ولا جهة لأحد منهم يقصدونها كالجراد لا جهة له ، فيكون أبداً بعضه على بعض .

وقيل : انّهم يخرجون عراة ، وقيل : أى فى كل مكان .

أرض مجرودة : كثيرة الجراد ، وأرض مجرودة أى أكلما عليها حتى تجردت من نبات .

يقال : ان الجراد يتولد من الحيتان كالديدان فيرميه البحر إلى الساحل ويشهد له حديث إبن عباس : « الجراد نثرة حوت » أى عطسه .

وعلى التحقيق ان الجراد على صنفين : برّى وبحرى .

٢٦ ـ الهطع والاهطاع ـ ١٦١٠

هطع يهطع هطعاً وهطوعاً ـ من باب منع ـ : أسرع مقبلاً خائفاً واقبل ببصره على الشيء فلم يرفعه عنه .

واهطع اهطاعاً : اسرع فى العدو فى ذلّ وخوف وخشوع الى من هتف به ،

قال الله تعالى : « مهطعين إلى الداع » القمر : ٨) .

المهطع : الساكت المنطلق الى من هتف به .

والاهطاع : الاسراع مع إدامة النظر ، وقيل : الاهطاع : هو إدامة النظر ، وأهطع البعير فى سيره : مدّ عنقه وصوّب رأسه .

٣٢ - الهمر - ١٦١٦

همر الماء يهمر همراً - من باب ضرب - : صبّ وسال فى كثرة وتتابع ،لازم ومتعدّ .

همرت عينه بالدمع : جرى ، والهمّار : السّجاب السيّال ، ورجل همّار ومهمار : كثير الكلام .

إنهمر الماء : سال فى كثرة وتتابع ، ويقال من هذا : إنهمر المطر نزل غزيراً ، والوصف منهمر .

قال الله تعالى : « ففتحنا أبواب السّماء بماء منهمر » القمر : ١١) .

وفى القاموس وشرحه : الهمرة : الدفعة من المطر .

١٨ - الدسر - ٤٧٧

دسره يدسره دسراً - من باب نصر - : دفعه بشدة وقهر ودسره : طعنه .

وقد سئل إبن عباس عن العنبر فقال : « إنما هوشيء دسره البحر » أى دفعه وألقاه إلى السّاحل .

والدّسار : المسمار ، جمعه دسر ، وسمّى المسمار بذلك ، لانّه يدقّ ويدفع بشدّة .

فى نهج البلاغة : قال الامام علىّ عليه السلام فى السّماء : « رفعها بغير عمد ولا دسار ينظمها » .

قال الله تعالى : « وحملناه على ذات ألواح ودسر » القمر: ١٣) ، أى مسامير ، وذات الالواح والدسر هى السفينة .

وفى المحكم والقاموس : الدّسر: إدخال المسمار فى شيء بقوّة ومن المجاز: الدسر : الجماع ، يقال : دسرها بايرها .

٥٢ - القعر - ١٢٤٤

قعر النخلة يقعرها قعراً - من باب منع - : قلعها من أصلها ، فانقعرت وهى منقعرة ، والنخل والشجر منقعر أى منقلع .

قال الله تعالى : « تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » القمر : ٢٠) .

أى قد انقلع من اصوله ، فسقط على الارض ، وقد ذهبت الاصول فى قعر الارض .

وقعر البئر قعراً : نزل إليها حتى انتهى الى قعرها ، وقيل : عمقها .

والقعر - بالفتح والسكون - مصدر ومن كلّ شيء أقصاه وعمقه ونهاية اسفله ، والقعر - محركة - : العقل التام ، جمعه : القعور يقال : « فلان بعيد القعر ، وفلان ما فيه قعر » .

القعور والقعير : البعيد القعر ، وقعّر فلان فى كلامه : اذا أخرج الكلام من قعر حلقه .

فى النهاية : ومنه حديث إبن مسعود : « ان عمر لقى شيطاناً فصارعه فقعره » أى قلعه .

٣٩ - الاشر - ٣٩

أشر يأشر أشراً - من باب علم - : بطر ومرح فهو أشر .

الاشر : البطر والمتسرع ذو الحدّة ، والاشر : حدّة ورقّة فى أطراف الاسنان .

قال الله تعالى : « ءالقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذّاب أشر» القمر: ٢٥) .

وفي حديث الشعبي : إجتمع جوار فارن وأشرن » .

المئشار لغة في المنشار ، وهو ما يشق به الخشب ، والجمع : المآشير ، وفي صاحب الاخدود : « فوضع المئشار على مفرق رأسه » .

وفي الحديث : « فقطعوهم بالمأشير » أي المناشير .

في المفردات : فالاشر أبلغ من البطر ، والبطر أبلغ من الفرح فان الفرح وان كان في أغلب أحواله مذموماً لقوله تعالى : « ان الله لا يحب الفرحين » فقد يحمد تارة إذا كان على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب كما قال تعالى : « فبذلك فليفرحوا » وذلك ان الفرح قد يكون من سرور بحسب قضيّة العقل والاشر لا يكون إلا فرحاً بحسب قضيّة الهوى .

٢٤ - الهشيم - ١٦٠٨

هشم الشيء يهشمه هشماً - من باب ضرب كسره .

ووصف المفعول مهشوم ويحوّل إلى فعيل في معناه ، فيقال : هشيم ، والهشيم من النبات : اليابس المتكسّر من يبسه شجراً كان أو ورقاً أو كلاً .

قال الله تعالى : « إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » القمر : ٣١) .

ويطلق على كسر كل شيء من الرطب واليابس .

٥٢ - الحظر - ٣٤٠

حظر يحظر حظراً وحظاراً من باب نصر - : منع وحجر .

فالشيء محظور ، وحظر المال : حبسه في الحظيرة والحظر : الحجر وهو خلاف الاباحة ، قال تعالى : « وما كان عطاء ربّك محظوراً » الاسراء : ٢٠) .

المحتظر : صانع الحظيرة المتّخذة من الشجّر لتقى الابل والدواب من البرد والريح . والحظيرة : الموضع الذى يحاط عليه لتأوى إليه الغنم والابل وسائر الماشية يقيها البرد والريح .

قال الله تعالى : « إنا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » القمر : ٣١) أى كالهشيم المتخلّف مما جمعه صاحب الحظيرة ، وهى التى تعمل للابل من شجر تقيها البرد والحر .

الحظيرة : الجنّة ، وفى حديث النبى ﷺ : « الثابت على سنتى معى فى حظيرة القدس » أى فى الجنّة ، ومثله : « لايلج حظيرة القدس مدمن الخمر » وفى حديث المعيشة : « من آجر نفسه فقد احظر على نفسه الرزق » أى منع ، و كل ما حال بينك وبين شىء فقد حظره عليك .

والحظيرة : ما احاط بالشىء وهى تكون من قصب وخشب وحظر الشىء : حازه كأنّه منعه من غيره .

فى المفردات : الحظر جمع الشىء فى حظيرة والمحظور الممنوع والمحتظر : الذى يعمل الحظيرة .

٤٠ ـ الحصب ـ ٣٢٨

حصبه يحصبه حصباً ـ من باب علم ـ : رماه بالحصباء .

وحصب النار : اضرمها ، وحصب الوتر : إنقلب عن القوس والحصب : كل ما يلقى فى النار لتسجر به .

قال الله تعالى : « إنّا ارسلنا عليهم حاصباً إلاّ آل لوط نجّيناهم بسحر » القمر : ٣٤) .

الحاصب : الريح المهلكة بالحصى أوغيره ، وقيل : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء .

وفي حديث الامام علي عليه السلام : « قال للخوارج : أصابكم حاصب » أي عذاب من الله .

الحاصب : السحاب لانه يرمي بالثلج والبرد .

٢٢ - الهزم - ١٦٠٦

هزم الجيش يهزمه هزماً - من باب ضرب - : قهره وغلبه وأصل الهزم : كسر الشيء وثنى بعضه على بعض وفي قهر العدوّ كسر له .

قال الله : « سيهزم الجمع ويولّون الدّبر » القمر : ٤٥) .

في المفردات : اصل الهزم : غمز الشيء اليابس حتى ينحطم كهزم الشن ، وهزم القثاء والبطيخ ومنه الهزيمة لانه كما يعبّر عنه بذلك يعبّر عنه بالحطم والكسر .

هازمة الدهر أي كاسرة ، وهزم الرّعد تكسّر صوته .

٤٠ - الدهى - ٤٩٩

دهاه يدهاه دهياً ودهاء - من باب منع نحو : رعى - : أصابه بشرّ .

الدّاهية : النائبة العظيمة النازلة والشدائد التي تصيب الانسان . الداهية : الامر العظيم والامر النكر ، والدّهاء : النكر وجودة الرأى والأدب .

والدّاهي : الأسد .

الدهي : العاقل جمعه : أدهية ، وفي الخبر : « كان رجلا دهياء » أي فطناً جيّد الرأى .

وأدهى : إسم تفضيل من الدّهي .

قال الله تعالى : « والسّاعة أدهى وأمر » القمر : ٤٦) ، أي اشدّ إصابة بالأذى أو هو أفعل من الداهية أي ابلغ في باب الدّواهي والشدائد .

وفي الصحاح : الدّهى - ساكنة الهاء - : الفكر وجودة الرأى

٤٣ ـ اللمح ـ ١٣٨٠

لمح الشيء يلمحه لمحاً ولمحاناً ـ من باب منع ـ : رآه بسرعة غير محدّدة ، يقال : رأيته لمحة البرق أى قدر سمعة البرق من الزمان .

يقال : لمح ببصره ولمح بصره ولمح اليه : اختلس النظر وأبصر بنظر .

واللمح بالبصر: الاسراع فى النظر ، ولمح البصر: يضرب مثلا لأقصر وقت .

قال الله تعالى : « وما أمرنا إلاّ واحدة كلمح البصر» القمر: ٥٠) .

أى انّ إقامة الساعة وإحياء الموتى تكون فى أقرب وقت وأسرعه ، والغرض انّه اذا تعلّقت إرادة الله تعالى بخلق شيء فانّه ينفذه فى أقصروقت بكلمة واحدة قيل : انّها كلمة «كن» .

فى المفردات: اللمح لمعان البرق .



﴿ النحو ﴾

١ - (اقتربت الساعة وانشق القمر)

« اقتربت » فعل ماض من باب الافتعال ، و« السّاعة » فاعل الفعل ، والواو للعطف ، و « انشقّ » فعل ماض من باب الانفعال ، و « القمر » هو الفاعل .

٢ - (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)

شرط وجزاء و « ويقولـوا » عطف على الجزاء ، و « سحر » خبر لمحذوف أى هذه الآية ، و « مستمر » صفة من « سحر » والجملة مقولة القول .

٣ - (وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل امرمستقر)

الواو للاستيناف و « كذّبوا » فعل ماض من باب التفعيل و« واتّبعوا » فعل ماض من باب الافتعال ، والاهواء جمع الهوى اضيف إلى ضمير الجمع ، والضمائر كلها راجع إلى مشركى مكة ، و« كل أمر » مبتدأ ، و « مستقر » خبره ، والجملة أيضاً مستأنفة ، وتحتمل الجملتان الحال .

٤ - (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر)

اللام لتوطئة القسم ، و« الانباء » جمع نباء متعلّق بفعل المجيىء و « ما » موصولة فاعل الفعل ، و« فيه » متعلّق بمزدجر ، وأصله مزتجر من باب الافتعال من الزجر ، وانّما ابدلت التاء دالا لانّ التاء مهموسة ، والزاء مجهورة ، فأبدلوا من التاء دالاً لتوافق الزاء فى الجهر و « مزدجر » مصدر ميمىّ .

٥ - (حكمة بالغة فما تغن النذر)

« حكمة » بدل من « ما » ، ويحتمل أن تكون خبراً لمحذوف أى هى حكمة و« بالغة » نعت منها ، والفاء للتفريع ، و« ما » نافية ، ويحتمل أن تكون استفهامية فى موضع نصب أى شىء تغنى النذر ، وعلى الاول ، ففيه حذف مفعول أى فلا تغنى النذر شيئاً ، وحذف الياء إتباعاً لخط المصحف لانه كتب على لفظ الوصل لا على لفظ الوقف، حذفت تسع ياءات فى هذه السورة أكثرها لرعاية الفواصل : من قوله تعالى : « تغن » ٣ و ٤ ومن « الداع » ٥ - ٩ ومن « نذر » و« النذر » جمع نذير.

٦ - (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل امر من باب التفعل على حذف اللام و« عنهم» متعلّق بفعل التولى و« يوم » متعلّق بقوله : « يخرجون » والمعنى : يخرجون من الاجداث يوم يدعو الداعى - الخ ، وحذف الواو والياء من قبيل حذف الياء من « تغنى » ويحتمل أن يكون متعلّقاً بمحذوف أى اذكر يوم يدعو الداعى ، و« الى شىء » متعلّق بقوله « يدع » و« نكر » نعت من « شىء » أى شىء منكر .

٧ - (خشعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر)

« خشّعاً » حال من ضمير « عنهم » وقيل من ضمير « ابصارهم » ، وقيل من ضمير « يخرجون » وفى عامل الحال وجهان :

أحدهما - : يدعو أى يدعوهم و« أبصارهم » مرفوع بخشّعاً وجاز أن يعمل الجمع لانه مكسّر .

ثانيهما - : « يخرجون » و« كأنّهم » حال من الضمير فى « يخرجون » و« جراد » خبر لحرف التشبيه و« منتشر » نعت من « جراد » .

٨ - (مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير)

« مهطعين » حال من ضمير « عنهم » و« يقول » حال من ضمير « مهطعين » و« هذا » مبتداء و« يوم » خبره و«عسير » نعت من « يوم » والجملة مقولة للقول .

٩ ـ (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)

الفاء للتفريع و « عبدنا » مفعول بـه مـن فعـل التـكذيب و « مجنون » خبر لمحذوف أى هذا العبد مجنون و « وازدجر » فعل مـاض مـن باب الافتعال على إبدال التاء دالاً ، والفعل مبنيّ للمفعول عطف على « مجنون » .

١٠ ـ (فدعا ربه انى مغلوب فانتصر)

الفاء للتفريع ، و « دعا » فعل ماض فاعله الضمير المستكن فيه الراجع الى نوح عليه السلام و « ربّه » مفعول بـه و « أنّى » حرف تأكيد وفتحها علـى تقدير بأنى والياء إسمها و « مغلوب » خبرها ، والفاء للتفريع أيضاً ومدخولهـا فعل أمر مـن باب الافتعال على حذف المفعول اى فانتصرني .

١١ ـ (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر)

الفاء للتفريع ، والفعل الماضى للتكلم مـع الغير و « ابـواب » جمع بـاب مفعول به اضيف إلى « السّماء » و « بماء » متعلق بفتحنا و « منهمر » نعت من ماء .

١٢ ـ (وفجرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على امر قد قدر)

الـواو للعطف و « فجّرنا » فعل ماض للتكلّم مـع الغير مـن بـاب التفعيل و « الارض » مفعول به وفى « عيونـاً » وجوه : أحدها ـ : تمييز . ثانيها ـ حـال . ثالثها ـ على تقدير بعيون . ورابعها ـ مفعول به على تقدير : وفجّرنا مـن الارض عيوناً و « فالتقى » الفاء للتفريع ، والفعل ماض من باب الافتعال و « الماء » فاعـل الفعل اريد به الجنس أى الماء ان : ماء السّماء وماء الارض و « على امر » فى موضع نصب على الحال .

١٣ ـ (وحملناه على ذات ألواح ودسر)

الضمير فى موضع نصب على المفعول به و « ألواح » جمع قلّة واحدتها لوح و « دسر » جمع مكسّر واحدتها دسار ، والمراد بذات الالواح : هى السفينة .

١٤ ـ (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر)

« تجرى » فى موضع جرّ نعت من « ذات ألواح » و « بأعيننا » حال من ضمير « تجرى » أى محفوظة و« جزاء » مفعول له أو بتقدير: جازيناهم و « كفر » فعل ماض مبنيّ للمفعول على تقدير : كفر به وهو نوح عليه السلام .

١٥ ـ (ولقد تركناها آية فهل من مدكر)

صدر الاية فى عرضة القسم وضمير التأنيث راجع إلى ذات الالواح وهى السفينة على ما يفيده السياق وقيل : راجع إلى القصّة بما أنها فعله ، و « آية » حال من ضمير التأنيث والفاء للتفريع و « هل » استفهاميّة على حذف فعل أى هل يوجد مدّكر يدّكر بها وحدانية الله تعالى وقدرته و « مدّكر » اسم فاعل من باب الافتعال على قلب الذال بالدال ثم قلب التاء بالدال وادغام أحدهما بالاخر فأصله مذتكر .

١٦ ـ (فكيف كان عذابى ونذر)

الفاء للتفريع و« كيف » فى موضع نصب لوجهين : أحدهما ـ على خبر « كان » ان كانت ناقصة وعذابى اسمها .

ثانيهما ـ على الحال ان كانت تامّة وعذابى فاعلها ولا خبر لها و « نذر » مصدر بمعنى الانذار عطف على « عذابى » وقيل : جمع نذير على حذف الياء لدلالة الكسرة عليها .

١٧ ـ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

صدر الاية فى عرضة القسم و « يسّرنا » فعل ماض للتكلّم مع الغير من باب التفعيل و « للذكر » متعلّق بفعل التيسير والباقى ظاهر بما سبق .

١٨ ـ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر)

« كذّبت عاد » فعل وفاعل على حذف المفعول به اى كذّبت عاد رسولنا هوداً عليه السلام فاستحقّوا الهلاك فأهلكناهم والباقى ظاهر من آية السادسة عشر .

١٩ - (انا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر)

ضمير « عليهم » راجع إلى « عاد » و « ريحاً » مفعول به لفعل الارسال و « صرصراً » نعت من « ريحاً » و « في يوم » متعلّق بفعل الارسال و « مستمر » صفة من « نحس » وقيل : من « يوم ».

٢٠ - (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر)

« تنزع » صفة ثانية من « ريحاً » و « الناس » مفعول به و « كأنهم » حال الناس و « أعجاز » جمع عجز أى أسافل خبر لحرف التشبيه و « منقعر» نعت من « نخل ».

٢١ - (فكيف كان عذابي ونذر)

إعراب الآية ظاهر من آية السادسة عشر المتقدمة فى هذه السورة.

٢٢ - (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر).

إعراب الاية ظاهر من آية السابعة عشر.

٢٣ - (كذبت ثمود بالنذر)

« بالنذر » متعلق بفعل التكذيب وفى النذر وجوه :

أحدها - مصدر والمعنى : كذّبت ثمود بانذار نبيّهم صالح عليه السلام.

ثانيها - : جمع نذير بمعنى المنذر ، والمعنى : كذّبت ثمود بالانبياء لأنّ تكذيبهم بالواحد منهم تكذيب منهم بالجميع لان رسالتهم واحدة لااختلاف فيها ، فيكون فى معنى : « كذبت ثمود المرسلين » الشعراء : ١٤١).

ثالثها - جمع نذير بمعنى الانذار ومرجعه إلى أحد المعنيين السابقين.

٢٤ - (فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا اذاً لفى ضلال وسعر)

الفاء تفريعية والهمزة إستفهاميّة و« بشراً » منصوب بفعل يفسّره المذكور أى انتبع بشراًو « منّا » متعلّق بمحذوف نعت من « بشراً » و « واحداً » نعت ثان وقيل : حال من الهاء فى « نتبعه » ، و « إذاً » بمعنى حيناً ، و « لفى ضلال »

اللام للتاكيد والجار والمجرور متعلّق بمحذوف ، خبر لحرف التأكيد السابق « وسعر » عطف على «ضلال » .

٢٥ ـ (ءالقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)

الاستفهام للانكار و«القى» فعل ماض مبنيّ للمفعول من باب الافعال و«الذكر» فاعل الفعل على النيابة و « عليه » متعلّق بفعل الالقاء والضمير راجع إلى الواحد المتقدم و « من بيننا » حال من ضمير « عليه » أى عليه منفرداً و « بل » للاضراب و«هو» مبتداء و« كذّاب» فعّال للمبالغة خبر المبتداء و«أشر» نعت من « كذّاب» .

٢٦ ـ (سيعلمون غداً من الكذاب الاشر)

السين للتقريب ومدخولها فعل مضارع ، وفاعله الواو نابت مناب ضمير الجمع الراجع إلى قوم صالح عليه السلام و« غداً » منصوب على الظرفيّة و« من » استفهاميّة مبتداء ، و« الكذاب » خبره و « الاشر» نعت من «الكذاب» .

٢٧ ـ (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر)

«مرسلوا» اسم فاعل بصيغة الجمع من باب الافعال اضيف إلى مفعوله وهو « الناقة » خبر لحرف التأكيد و « فتنة » مفعول له ، ويحتمل أن يكون مصدرا . فوضع موضع الحال أى فاتنين لهم ، وقيل : على تقدير : حال كون الناقة فتنة لهم ، والفاء تفريعيّة ومدخولها فعل أمر من باب الافتعال خطاب لصالح النبى عليه السلام وضمير الجمع فى موضع نصب على المفعول به « واصطبر » أمر من باب الافتعال ، وأصله اصتبر فأبدلت التاء طاء لتوافق الصاد فى الاطباق .

٢٨ ـ (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)

الواو للعطف والفعل للامر من باب التفعيل والضمير فى موضع نصب على المفعول به ، وفتح « انّ » لوقوعها بعد الامر كقوله تعالى : « ذق انك » و« قسمة » بمعنى مقسوم والضمير فى «بينهم» راجع إلى قوم صالح عليه السلام وإلى الناقة و « كل شرب » مبتداء و« محتضر» خبره .

٢٩ - (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)

الفاءات للتفريعات ، و « تعاطى » فعل ماض من باب التفاعل وفاعله وفاعل «فعقر» ضميران راجعان إلى الصاحب وهو عاقر الناقة .

٣٠ - (فكيف كان عذابى ونذر)

إعراب الاية ظاهر من الاية السابعة عشر .

٣١ - (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)

الضمير فى « عليهم » راجع إلى قوم صالح عليه السلام و« صيحة » مفعول به لفعل الارسال و«واحدة» نعت من «صيحة» والفاء للتفريع و«كانوا» بمعنى صاروا و« كهشيم المحتظر» فى موضع نصب خبر لفعل الناقص .

٣٢ - (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

إعراب الاية ظاهر من الاية الخامسة عشر فراجع .

٣٣ - (كذبت قوم لوط بالنذر)

إعراب الاية ظاهر من الاية الثالثة والعشرين فراجع .

٣٤ - (انا أرسلنا عليهم حاصباً الا آل لوط نجيناهم بسحر)

« حاصباً » مفعول به لفعل الارسال و « إلاّ آل لوط » منصوب على الاستثناء للانقطاع فلم يرسل الحاصب الى آل لوط ، وقيل : للاتصال ، لأنّ الجميع ارسل اليهم الحاصب ، فهلكوا إلاّ آل لوط .

و« بسَحر » فى موضع نصب لانه متعلّق بقوله : « نجيناهم » وصرفه لانه أراد به سحراً من الاسحار ، ولو اريد به التعريف لـم يصرف للتعريف والعدل عن لام التعريف لان من حقه أن يتعرف بها فلما لم يتعرف بها صار معدولا عنها ، فاجتمع فيه العدل والتعريف و« سحر » إذا كان معرفة ، فانه لا ينصرف أى لا تدخله جار ولا تنوين ولا يتصرف أى لا ينقل عن الظرفية إلى الاسميّة ، فانه لم يستعمل فى

حالة التعريف إلاّ ظرفاً وإذا نكر جاز نقله عن الظرفيّة إلى الاسميّة .

٣٥ ـ (نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر)

« نعمة » مفعول له **وقيل** : مصدر و« كذلك » مبتدأ « نجزى » خبره و« من » موصولة في موضع نصب و« شكر » صلتها على حذف العائد .

٣٦ ـ (ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر)

صدر الاية في عرضة القسم و« أنذرهم » الفعل ماض من باب الافعال فاعله الضمير المستكن فيه الراجع إلى لوط عليه السلام ، وضمير الجمع مفعول به الاول الراجع إلى قومه و « بطشتنا » مفعول ثان والفاء للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب التفاعل و« بالنذر » متعلّق بفعل التمارى .

٣٧ ـ (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر)

صدر الاية في عرضة القسم أيضاً و « راودوه » الفعل ماض من باب المفاعلة وفاعله الواو التى نابت مناب ضمير « هم » راجع الى قوم لوط وضمير المفرد راجع إلى لوط عليه السلام والفاء للتفريع والفعل ماض للتكلّم مع الغير و« أعينهم » جمع عين بصيغة القلّة مفعول به لفعل الطمس والباقي ظاهر .

٣٨ ـ (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر)

صدر الاية فى معرض القسم و« صبّحهم » الفعل ماض من باب التفعيل ، والضمير في موضع نصب مفعول به و« بكرة » ظرف زمان فاذا كان معرفة بان تريد بكرة يومك تقول: أتيته بكرة وغدوة فلم تصرفهما ، فبكرة هنا نكرة كما قلنا فى « سحر » : ٣٤) فراجع .. و« عذاب » فاعل الفعل و« مستقرّ » نعت من «عذاب» .

٣٩ ـ (فذوقوا عذابى ونذر)

الفاء تفريعيّة ومدخولها فعل امر نحو « قولوا » و« عذابى » مفعول به و« نذر » عطف عليه على حذف ياء التكلم لرعاية الفواصل وتدلّ عليها الكسرة .

٤٠ - (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

اعراب الاية ظاهر من الاية الخامسة عشر فراجع .

٤١ - (ولقد جاء آل فرعون النذر)

« آل » مفعول بـه لفعل المجيىء اضيف إلى « فرعون » وهو غير منصرف للعلميّة والعجمة ، و« النذر» فاعل لفعل المجيىء وقدّم المفعول على الفاعل لرعاية الفواصل .

٤٢ - (كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)

« كلّها » تأكيد لاياتنا والفاء للتفريع و« هم » في موضع نصب مفعول به « أخذ عزيز » للنوع و« مقتدر » نعت من « عزيز » .

٤٣ - (أكفاركم خير من اولئكم أم لكم براءة في الزبر)

الهمزة استفهامية انكاريّة و« كفاركم » مبتدأ و« خير من اولئكم » خبره ، و« لكم » متعلّق بمحذوف خبر مقدّم و« براءة » مبتدأ مؤخّر أي : بل أثبت لكم براءة في الزبر وهي جمع الزبور كرسل جمع رسول والمراد : الكتب السماويّة .

٤٤ - (أم يقولون نحن جميع منتصر)

« نحن » مبتدأ و« جميع » خبره و« منتصر » اسم فاعل من باب الافتعال نعت من « جميع » والجملة مقولة للقول .

٤٥ - (سيهزم الجمع ويولون الدبر)

السين للتأكيد ومدخولها فعل مضارع مبنيّ للمفعول ، و « الجمع » فاعل الفعل على النيابة والواو للعطف و « يولّون » فعل مضارع من باب التفعيل ، اصله : يولّيون ، فنقلت ضمة الياء الى ما قبلها بعد حذف الكسرة منه لثقلها على الياء ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين بين الياء والواو و« الدّبر» مفعول به .

٤٦ - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

« الساعة » مبتداء « موعدهم » خبره و « الساعة » مبتداء و « أدهى » خبره

على حذف المتعلّق به و« أمرّ » عطف على « ادهى » والتقدير : ادهى من كل داهية وأمرّ من كل مرّ .

٤٧ - (ان المجرمين فى ضلال وسعر)

« فى ضلال » متعلق بمحذوف وخبر لحرف التأكيد ، أى ثابتون فى ضلال وسعر ، و« سعر » جمع سعير وهى النار المسعّرة .

٤٨ - (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر)

« يوم » ظرف لقوله : « فى ضلال » ، و« يسحبون » فعل مضارع مبنىّ للمفعول و« ذوقوا » فعل أمر على تقدير القول : أى يقال لهم : ذوقوا و« مسّ » مفعول به اضيف إلى « سقر » وهى غير منصرف للعلمية والتأنيث مجازاً مع تحرّك الاوسط .

٤٩ - (انا كل شىء خلقناه بقدر)

« كل شىء » منصوب بعامل محذوف يفسره « خلقناه » والمحذوف هو الخبر لحرف التأكيد و« بقدر » متعلق بقوله : « خلقناه » والباء للمصاحبة والمعنى : إنّا خلقنا كل شىء مصاحباً لقدر .

٥٠ - (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)

« ما » حرف نفى و« امرنا » مبتداء والمراد به كلمة « كن » ولذلك جاء الخبر مؤنّثاً ، فقيل : « واحدة » .

٥١ - (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر)

صدر الاية فى معرض القسم و« أهلكنا » فعل ماض للتكلّم مع الغير من باب الافعال و« أشياعكم » مفعول به والباقى ظاهر .

٥٢ - (وكل شىء فعلوه فى الزبر)

« كل شىء » مبتداء و« فعلوه » فى موضع رفع نعت من « كل » وقيل : فى موضع جرّ نعت من « شىء » و« فى الزبر » متعلّق بمحذوف خبر للمبتدإ .

٥٣ ـ (وكل صغير وكبير مستطر)

« كل صغير» مبتدأ و « كبير » عطف على « صغير» و « مستطر» اسم مفعول من باب الافتعال خبر للمبتدإ .

٥٤ ـ (ان المتقين فى جنات ونهر)

« فى جنات » متعلّق بمحذوف ، خبر لحرف التأكيد أى ثابتون فيها و «نهر» عطف على « جنّات » وهو واحد فى معنى الجمع ، وقيل : جمع على انه جمع نهر فهو جمع الجمع .

٥٥ ـ (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)

« فى مقعد صدق » بدل من « فى جنّات » و « مقتدر » نعت من « مليك » فعيل للمبالغة ، وقيل : بمعنى مالك .



« البيان »

١ ـ (اقتربت الساعة وانشق القمر)

فى «اقتربت الساعة » إيقاظ للعباد عموماً ، وإنذار للمشركين خصوصاً ، بدنو القيامة وقرب فناء الدنيا ، بان يستعدّوا لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم ، وهم عنها فى غفلة ساهون ، والاقتراب مبالغة فى قرب الساعة ودنوها ، كما انّ الاقتدار مبالغة فى القدرة لأن أصل الافتعال : طلب اعداد المعنى بالمبالغة .

واستعملت صيغة الماضى على سبيل التوكيد وبأن الساعة حقيقة مقررة لا تحتمل مكابرة ولا تقبل مراء .

والسّاعة جزء من أجزاء الزمان عبّر بها عن القيامة تشبيهاً لها بذلك لسرعة حسابها أو لانّها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانّها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم ، وقيل : لانّها ساعة يحاسب فيها جميع الناس ، وقيل : فى المقام تقديم وتأخير أى انشقّ القمر واقتربت السّاعة .

وفى قوله تعالى : « انشقّ القمر » تقرير لوقوع الانشقاق الذى أظهره الله تعالى على يد رسوله الكريم ﷺ إجابة لتحدى الكفار ، وتؤيّده الاية التالية :

٢ ـ (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)

تنكير الاية فى سياق الشرط يفيد العموم أى وكل آية يشاهدونها « يعرضوا » عنها و« يقولوا » انها « سحر مستمر » سحر بعد سحر، وفى كلمة الاستمرار دلالة على وقوع الايات وتتابع المعجزات من الرسول ﷺ لاثبات الرسالة ، وكان إنشقاق القمر واحدة منها .

وفي الاية دلالة بصراحة على أنّ انشقاق القمر وقع وانهم قد شاهدوه وإلاّ فليس يوم القيامة الاعراض والقول بالسحر وإن كان في الاية عموم حالهم بعموم الايات لمكان المضارع : « يروا - يعرضوا - يقولوا » والقول بالسحر نتيجة الاعراض وغلوّهم في العناد والمكابرة ، ويدل على الوقوع أيضاً قوله تعالى :

٣ - (وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل امر مستقر)

وذلك لانّ في ايثار الماضي في فعلي التكذيب والاتباع دلالة على التحقق وإشعاراً بترتب الفعلين على الاعراض عن الحق والتأمل فيه حتماً لاينفكّان عنه ، وقيل : إشعاراً بأنهما من عادتهم القديمة .

« وكل امر مستقر » مستأنف سيق لاقناطهم عما علقوا به أمانيّهم الفارغة من عدم إستقرار أمره صلى الله عليه وآله وسلم حسبما قالوا : « سحر مستمر » ببيان ثبات أمره ورسوخه أي كل أمر من اموره تعالى مستقر ثابت أي منته إلى غاية يستقرّ عليها لامحالة ، ومن جملة الامور أمر نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله ، فسيصير إلى غاية يتبيّن عندها حقّيته صلى الله عليه وآله وعلوّ شأنه ، وفي إبهام المستقرّ عليه تنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به .

٤ - (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر)

في تعريض القسم تأكيد لما مضى وتوطئة لذكر ما يأتي ، و « من الانباء » بيان لما فيه مزدجر ، والمراد من الانباء : اخبار الامم الدارجة الهالكة و الاخبار بيوم القيامة وبما ظهر من الايات جميعاً على ما يعطيه السّياق من تعقيب الاية بأنباء يوم القيامة وما ظهر بيد النبي صلى الله عليه وآله ثم بأنباء عدّة من الامم السالفة الهالكة .

٥ - (حكمة بالغة فما تغن النذر)

الفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيىء الحكمة البالغة ، مع كونه مظنّة للاغناء ، ففيها نفي للاغناء أو انكار له وفي إيثار المضارع دلالة على تجدد الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيىء الزواجر واستمراره .

٦ ـ (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر)

الفاء لتفريع الامر بالتولّي على ما تقدّمه من وصف حال المعرضين المكذبين واتباع الهوى أى إذا كانوا هم مكذّبين بك متّبعين أهواءهم لا تنفعهم النذر ولا يزيدهم النور الاّ عمى وضلالاً ، فأعرض عنهم ولا تلحّ عليهم بالدعوة ولاتحزن عن إعراضهم وتكذيبهم وإتّباعهم الأهواء ، فانك لست عليهم بحفيظ .

فتمّ الكلام في قوله تعالى : « فتولّ عنهم » ببيان حالهم تجاه الحكمة البالغة التى القيت إليهم والزواجر التى ذكّروا بها على سبيل الانذار .

ثم أعادالله تعالى نبذة من تلك الزواجر التى هى انباء من حالهم يوم القيامة ، ومن عاقبة حال الأمم المكذبين من الماضين في لحن العتاب والتوبيخ الشديد الذى تهزّ قلوبهم للانتباه وتقطع منابت أعذارهم في الاعراض ، فقوله : « يوم يدع الداع » الخ كلام مفصول عمّا قبله لذكر الزواجر التى اشير إليها سابقاً في مقام الجواب عن سئوال مقدّر كأنّه لما قال : « فتولّ عنهم » سئل : فالام يؤل أمرهم ؟

فأجيب : « يوم يدع الداع » الخ أى هذه حال آخرتهم وتلك عاقبة دنيا أمثالهم من قوم نوح وعاد وثمود ومن إليهم وليسواهم خيراً منهم ، ولم يسمّ تعالى هذا الدّاعى من هو ؟ وقد نسب الدعوة في موضع من كلامه إلى نفسه اذ قال : « يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنّون إن لبثتم الاّ قليلا » الاسراء : ٥٢) ، ومن المحتمل أن يكون « يوم يدع » ظرفاً لمحذوف أى اذكرهم يوم ـ الخ .

وانما أورد من انباء القيامة نبأ دعوتهم إلى الخروج من الاجداث والحضور لفصل القضاء ليحاذى به دعوتهم في الدنيا إلى الايمان بالايات واعراضهم وقولهم : سحر مستمر ، وتخصيص المدعوين بالكافرين من حيث انهم هم الذين يكرهون ذلك اليوم وان المؤمنين من فزع يومئذ آمنون ، وفي تنكير « شيء » وتوصيفه بنكر إشارة إلى اطواء هذا الشيء من الاهوال لايحيط بها وصف آخر غير « نكر » تنكر النفوس إذ لاتعرف مثيلاً له ولاعهد لها بمثله .

٧ ـ (خشعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر)

تقرير لاحوال المكذبين يوم القيامه ، وفي وصف الابصار بالخشوع دون سائر الجسد لان اثر الذّلّة من كل ذليل واثر العزّة من كل عزيز يتبيّن في ناظريه دون سائر جسده ، وفي ذلك كناية عن غاية الذلة ونهاية الخذلان لظهور ذلّة الذليل وعزّة العزيز في اعينهما وقوله تعالى : « كأنّهم جراد منتشر » كناية عن الكثرة والتموّج بسببها يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض : «جاؤا كالجراد و كالدبا منتشر في كل مكان لكثرته » .

فشبّههم الله تعالى في خروجهم من القبور بالجراد المنتشر من حيث انّ الجراد في انتشاره يدخل البعض منه في البعض ويختلط البعض بالبعض في جهات مختلفة فكذلك هؤلاء في خروجهم من القبور وفي وجه الشبه وجوه :

أحدها ـ ان الانسان لو كان في الدنيا متزلزلاً مضطرباً ومتحيّراً في العقيدة فهو كذلك في الاخرة كالجراد الذي لايتوجه إلى جهة خاصة واليه يشير قوله تعالى: « من كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى » الاسراء : ٧٢) .

وفي الرواية : « كما تعيشون تموتون و كما تموتون تبعثون » .

ثانيها ـ في كثرة العدد والتموّج .

ثالثها ـ ان الجراد ليس له حركة في الليل الى أن تطلع الشمس فكذلك الموتى ليس لهم حركة الاّ اذا وقعت الواقعة وكما لا يعلم في الليل كثرة الجراد وقلته فكذلك لا يعلم أحد قبل البعث والحشر كثرة الموتى وقلّتهم .

رابعها ـ انّ في الجراد علائم مختلفة من الحيوانات اذ رأسه يشبه رأس الفرس وعينه تشبه عين فيل ، وقرناه يشبهان قرني إيل ، وصدره يشبه صدر أسد وبطنه يشبه بطن عقرب ، وعنقه يشبه عنق ثور ، وجناحاه يشبهان جناحي نسر ، وفخذاه يشبهان فخذي جمل ، ورجلاه يشبهان رجلي نعامة ، وذنبه يشبه ذنب حيّة .

ففيه نموذج من عشرة حيوانات جبابرة وليس فيه أحد خصال تلك الحيوانات إلاّ أن يكون آفة للزراعة .

فكذلك الكفار والفجّار من الادميين لا يكونون الاّ آفة وفساداً للحرث والنسل فى الحياة الدنيا .

٨ ـ (مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر)

بيان لحال اخرى من المكذبين ومقالتهم حين البعث والنشور .

« يقول الكافرون » مستأنف بيانى جواباً عمّا نشأ فى وصف اليوم بالاهوال وأهله بسوء الحال كأنّه قيل : فماذا يكون حينئذ ؟ فقيل : « يقول الكافرون » : « هذا يوم عسر » هذا مقالة الكافرين وفى إسناد القول اليهم دون غيرهم تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدّة .

٩ ـ (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)

شروع فى تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها ، وبيان لعدم تأثّرهم بها تقريراً لفحوى قوله تعالى : « فما تغنى النذر » .

قوله تعالى : « فكذّبوا عبدنا » تفسير لذلك التكذيب المبهم ، وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب ، وفى عنوان العبودية مع الاضافة إلى نون العظمة تفخيم لنوح عليه السلام ورفع لمحلّه وزيادة تشنيع لمكذّبيه ، وإشارة إلى أنّ تكذيبهم له يرجع إليه تعالى لانه عبد لا يملك شيئاً وماله فهو لله تعالى .

وفى الاية وعيد وتهديد شديد على المشركين فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده صلى الله عليه وآله إلى يوم البعث .

١٠ ـ (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر)

هذا الدّعاء تلخيص من تفصيل دعائه التى وردت فى سورة نوح عليه السلام كما ذكر تفصيل حججه فى سورة هود وغيرها .

١١ ـ (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر)

هذا تمثيل لكثرة الامطار وجريانها متوالية وشدّة انصبابها كأنّها مدّخرة وراء باب مسدود يمنع انصبابها فاذا فتح الباب فانصبّت أشدّ ما يكون كما فى السّد

والاية اخبار باستجابة دعاء نبيه نوح عليه السلام على قومه .

١٢ - (وفجرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر)

فى ايثار الفعل من باب التفعيل إشعار إلى تكثيره كما يشعره جمع : « عيوناً » وتنكيرها ، ولم يقل : وفجّرنا عيون الارض لأنّ الاوّل ابلغ فالمعنى ، جعلنا الارض كلّها عيوناً متفجّرة .

وإفراد الماء فى « فالتقى الماء » لتحقيق انّ التقاء المائين : ماء السّماء وماء الارض لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتّحاد ، والمراد بأمر قد قدر : الصفة التى قدّرها الله تعالى لهذا الطوفان اى إختلط ماء الامطار المنهمرة بماء العيون المتفجّرة فالتقى ماءهما على ماقدره الله تعالى من غير زيادة ولانقصان ولاعجل ولامهمل ، وهذا من أفصح الكلام وأوقع العبارات عن هذه الحال .

١٣ - (وحملناه على ذات الواح ودسر)

تقرير لنجاة نوح عليه السلام ومن آمن به من الطوفان ، وجملة ذات ألواح ودسر كناية عن السفينة ، وفى الاية ايماء إلى هلاك المخالفين .

١٤ - (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر)

وصف للسفينة وأهلها وانها تسير تحت رعايتنا وبتوجيهنا وبيان لما استحق المخالفون به الهلاك من الكفر فكان الهلاك هو الجزاء العادل على سوء صنيعهم وكفرهم فيمهل الظالمون ولا يهملون .

ومن المحتمل أن يكون قوله تعالى : « جزاء لمن كان كفر » بياناً لما استحق به نوح عليه السلام النجاة فالمعنى : جريان السفينة كذلك ، ونجاة أهلها من الطوفان جزاء لنوح عليه السلام بما كفر به قومه .

١٥ - (ولقد تركنا آية فهل من مدكر)

فى تعريض القسم تأكيد لبقاء السفينة عبرة لمن بعد نوح عليه السلام على كرّ الدهور والاعوام وفى قوله تعالى : « فهل من مدّكر » إنكار ونفى للمتعظ على أبلغ

وجه وآكده ، حيث يدل على أنّه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بكلمة (نعم) أو بكلمة (لا) .

١٦ ـ (فكيف كان عذابي ونذر)

الاستفهام للتعظيم والتعجيب من جهة أي كائناً على كيفيّة هائلة لا يحيط بها الوصف ، وللتهويل يسجّل به شدّة العذاب ، وصدق الانذار من جهة اخرى .

١٧ ـ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

جملة قسميّة وردت في آخر القصّة تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى : « ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر » .

وتنبيهاً على أنّ هذه القصة مستقلّة بايجاب الادّكار كافية في الازدجار فالاية دعوة عامّة الى التذكّر بالقرآن بعد تسجيل صدق الانذار وشدّة العذاب الذي انذر به .

١٨ ـ (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر)

لم يتعرّض لكيفيّة تكذيبهم لنبيّهم هود عليه السلام ، لانّ الغرض بيان تكذيب الامم بأنبيائهم لا بيان كيفيّة التكذيب روماً للاختصار ومسارعة إلى ما فيه الازدجار من العذاب ، ولم تعطف هذه القصة على ما قبلها لاستقلالها تكفي في الزجر والردع والعظة لو اتعظوا بها .

« فكيف كان عذابي ونذر » توجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء إلى ما يلقى إليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل : كذّبت عاد فهل سمعتهم أو فاسمعوا كيف كان عذابي ونذري لهم .

١٩ ـ (انا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر)

مستأنف بياني سيق لبيان ما اجمل من ذكر العذاب ، كانه قيل : كيف كان العذاب والنذر ليزدجر به مزدجر ويتّعظ منه متعظ .

٢٠ ـ (تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر)

بيان لاحوال المكذبين يوم العذاب ، ولم يقل : منقعرة كما قال : « كأنّهم أعجاز نخل خاوية » الحاقة : ٧) .

لانّ الموصوف هو النخل يذكّر باعتبار اللفظ ويؤنث باعتبار المعنى لانه في معنى الجمع ، وقيل : لرعاية الفواصل .

٢١ ـ (فكيف كان عذابي ونذر)

تهويل من أمر العذاب والانذار بعد بيانهما .

٢٣ ـ (كذبت ثمود بالنذر)

هذا شروع في قصة ثالثة من القصص التي جائت في هذه السورة التي فيها الازدجار ولم تعطف على ما قبلها لاستقلال كلّ واحدة منها في الزجر والرّدع والعظة لو اتّعظ بها الناس .

٢٤ ـ (فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا اذاً لفي ضلال وسعر)

تفريع على التكذيب وتفصيل له و« إنّا إذاً لفي ضلال وسعر » تعليل للاتباع نفياً بالنفي وإيجاباً بالايجاب ووجه لاصرارهم على التكذيب .

إن تسئل : السعر : جمع سعير ، والسعير في الاخرة واحدة فكيف جمع ؟

تجيب : انّ السّعر : هنا بمعنى الجنون ، فليس جمع سعير هو النار ، وذلك لانّهم إذا كانوا في النار لم يكونوا في ضلال لانّه قد كشف لهم وانّما وصف حالهم في الحياة الدنيا .

٢٥ ـ (ءألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)

بيان لمبالغة المكذبين في العتو والانكار ، وتعجّبهم من أمر صالح النبي عليه السلام ونسبتهم إيّاه إلى الاختلاف والكذب .

وفي التعبير بالالقاء عن الوحي والانزال إشعار بالعجلة ، قيل : أريد بالالقاء نفي إختصاص صالح عليه السلام بالقاء الذكر من بينهم وهو بشر مثلهم بأنّه لو كان الوحي حقّاً ، وجاز أن ينزل على البشر فلا إختصاص لصالح عليه السلام به بل ينزل على البشر كلّهم كما يشعر بذلك قوله تعالى حكاية عنهم : « ما أنت إلاّ بشر مثلنا » الشعراء : ١٥٤) .

٣٦ ـ (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر)

حكاية من الله تعالى رداً لما قال قوم صالح عليه السلام له وعداً له عليه السلام ووعيداً لقومه ، والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده . وفي إيراد الكلام على سبيل الابهام إشارة إلى انه مما لايخفى جرياً على أساليبهم كقوله تعالى آمراً رسوله ان يقول للمشركين : « وانّا أو ايّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » سبأ : ٢٤) .

٣٧ ـ (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر)

مستأنف بيانيّ سيق لبيان مبادىء الموعود حتماً على طريق الالتفات .

٣٨ ـ (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)

تقرير لحكم امتحنوا به وظهر خلافهم بعد ان رأوا ما سئلوا صالحاً عليه السلام عنه من خروج الناقة من صخرة صمّاء على طريق الاعجاز وضمير « بينهم » لجمع المذكّر مع عوده إلى الناقة والقوم على سبيل تغليب العقلاء على غيرهم .

٣٩ ـ (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)

وفي « صاحبهم » إشارة إلى اتّفاقهم على أن يكون عاقر الناقة منهم وهم كانوا عارفين به وهو أشقاهم فعقرها .

٣٠ ـ (فكيف كان عذابي ونذر)

تهويل لامر العذاب الاتي وعقابهم الفظيع .

٣١ ـ (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)

تفصيل لما أحاط بهم العذاب والهلاك والدمار .

٣٣ ـ (كذبت قوم لوط بالنذر)

هذا شروع في قصّة رابعة من قصص السورة التي فيها الازدجار ولم تعطف على ما قبلها لاستقلال كل واحدة منها في الزجر لو ازدجر بها الناس والعظة لو اتّعظوا بها .

٣٤ - **(انا أرسلنا عليهم حاصباً الا آل لوط نجيناهم بسحر)**

تقرير لجزاء المكذبين بالهلاك والدمار والمؤمنين بالنجاة على سبيل الاجمال كل بما استحقوه شراً وخيراً . .

٣٥ - **(نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر)**

تعليل للنجاة وفى تقديمه ذكراً على سبب الهلاك تشويق إلى ما فيه النجاة .

٣٦ - **(ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر)**

فى تصدير الجملة بالتوكيد القسمى دلالة على كمال الاعتناء بشأن الانذار فلا يهلك الله جل وعلا قوماً إلاّ من بعد الانذار وتماريهم به .

قال : « وما أهلكنا من قرية إلاّ لها منذرون ذكرى وما كنّا ظالمين » الشعراء : ٢٠٨ - ٢٠٩) .

وقال : « ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حىّ عن بيّنة » الانفال :٤٢).

٣٧ - **(ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر)**

تذكير لجرمهم الذى استحقّوا به العذاب على سبيل التأكيد القسمى وبيان لكيفيّة العذاب ، وفى ختام الاية حكاية لما قيل لهم بعد الطمس تشديداً للعذاب وفى الالتفات تشديد وتقريع .

٣٨ - **(ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر)**

تقرير لوقت مجيىء العذاب وإحاطته بهم على طريق التأكيد القسمى أيضاً .

٣٩ - **(فذوقوا عذابى ونذر)**

حكاية لما قيل لهم بعد التصبيح من جانب الله القادر المتعال تشديداً للعذاب ، وفى المجمع قال : ووجه التكرار انّ الاول عند الطمس والثانى عند الائتفاك فكلّما تجدّد العذاب تجدّد التقريع .

٤١ - **(ولقد جاء ال فرعون النذر)**

هذا شروع فى قصة خامسة من قصص السورة التى فيها الأزدجاد ، وفى

تصدير القصّة بالتوكيد القسمى دلالة على كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم مافيها من الايات وكثرتها وهول ما لا قوه من العذاب وقوّة إيجابها للاتّعاظ .

والاكتفاء بذكر آل فرعون من غيرذكر فرعون للعلم بأنّ نفسه اولى بذلك .

٤٢ - (كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)

مستأنف بيانى نشأ عن حكاية مجيىء النذر كأنّه قيل : فماذا فعلوا هؤلاء ذوو الاذناب من فرعون وقومه ؟ فقيل : كذّبوا بجميع آياتنا وهى الايات التسع .

وفرّع على التكذيب بالعذاب والهلاك والدّمار وقوله : « أخذعزيز مقتدر» فانه أبلغ من قادر للاشارة إلى زيادة التمكن فى القدرة ، وتحتوى القصص الخمس تسلية للنبى ﷺ من ناحية وتذكيراً وإنذاراً لكفار قريش ومن اليهم من ناحية اخرى.

٤٣ - (أكفاركم خير من اولئكم أم لكم براءة فى الزبر)

تنبيه لكفار قريش إلى انهم ان لم يتوبوا إلى رشدهم ولم يرجعوا عن غيّهم فسيحلّ بهم ما حلّت بالامم السّابقة ، اشير إلى خمس منها على طريق الخطاب الانكارىّ والتوبيخىّ توبيخاً أشدّ بعد توبيخ لهم .

وذلك لانّ قوله : « أم لكم براءة فى الزّبر » إضراب وإنتقال من تبكيت بما ذكر إلى تبكيت بوجه آخر أشد من قبله ، أى بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والعصيان وغوائلهما فى الكتب السماوية فلذلك تصرّون على الكفر والمعصية .

٤٤ - (ام يقولون نحن جميع منتصر)

إضراب من التبكيت المذكور إلى وجه آخر من التبكيت ، وفى الالتفات إيذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم ، أى بل أيقولون هؤلاء الكفّار واثقين بشوكتهم : نحن اولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الاعداء لانغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضاً والافراد فى « منتصر» باعتبار لفظ « جميع » أو لرعاية الفواصل وعبّر عن الجمع بالجميع إشارة إلى إستطالتهم فى الغرور وإدلالهم بكثرة جمعهم .

٤٥ - (سيهزم الجمع و يولون الدبر)

هذا ردّ وإبطال لامكان ما يقال ، والسين للتأكيد أى يهزم جمعهم البتّة ، وعدل عن لفظ « الجمّيع » الّذى هـو من إدّعاء المشركين الى لفظ « الجمع » استصغاراً لهم بأنّهم جمع لاجميع . .

وعلامة هزمهم : « ويولّون الدبر » وفى الاية اخبار عن مغلوبيّة وانهزام لجمعهم ودلالة على انّ هذه المغلوبية انهزام منهم فى حرب سيقدمون عليها وقد وقع ذلك فى غزوة بدر .

انّ الله تعالى لم يكتف بهزمهم إذ قال :

٤٦ - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

فليس الهزم تمام عقوبتهم ، بل اصل عقوبتهم يوم القيامة ، والسّاعة من طلائع عذابهم ، حيث انّ الاضراب عن ايعادهم بالانهزام والعذاب الدنيوى إلى ايعادهم بما سيحل بهم من العذاب يوم القيامة على طريق الرقى يدل على العذاب والعقوبة لاينحصر فى الانهزام فى الحياة الدنيا فحسب ، بل العذاب الدائم الاليم المهين والعقاب الشديد ليس لهم نجاة منها فى انتظارهم فى الدار الاخرة .

وفى اظهار الساعة موضع إضمارها تربية تهويلها وفى « امر » استعارة وذلك لانّ المرارة لا يوصف بها الاّ المذوقات والمطعومات ولكن السّاعة لما كانت مكروهة عند مستحقىّ العقاب حسن وصفها بما يوصف به الشيء المكروه المذاق ومن عادة من يلاقى ما يكرهه ويرى ما لا يحبّه أن يحدث ذلك تكليحاً فى وجهه ، فيدل على تنورجأشه وشدّة استيحاشه ، فكذلك هؤلاء إذا شاهدوا أمارات العذاب ونوازل العقاب ظهر فى وجوههم ما يستدل به على فظاعة الحال عندهم وبلوغ مكروهها من قلوبهم ، فكانوا كلائك المضغة المقرة وذائق الكأس المصبّرة فى فرط التقطيب وشدة التكليح وشاهد ذلك قوله تعالى : « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون » المؤمنون : ١٠٤) .

٤٧ - (ان المجرمين فى ضلال وسعر)

تعليل لما قبله مع الاشعار بالحكم بأن الهزم والادبار فى الدنيا والعقاب فى الاخرة على من اتّصف بالاجرام مضافاً انه كائن فى ضلال عن موطن السعادة والهدى وهو الجنّة ونيران مسعرة أو فى جنون .

٤٨ - (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر)

تقرير لما سيلحق بهم من الاهانة والاذلال والعذاب الاليم ، وفى ختام الاية التفات على طريق الحكاية لما يقال لهم بعد الاهانة والعذاب والاذلال من جانب الله تعالى تشديداً للعذاب .

٤٩ - (انا كل شيء خلقناه بقدر)

مستأنف بيانيٌّ سيق لبيان التعليل لما فى الايتين السابقتين من عذاب المجرمين واذلالهم يوم القيامة واذاقتهم عذاب النار كأنّه قيل : لماذا جوزى المجرمون بذلك ، فأجيب بقوله تعالى : « انا كل شيء خلقناه بقدر » ومن القدر ان المجرمين بعد إرسال الرسل اليهم ودعوتهم إلى الهدى والرشاد وتكذيبهم الانبياء أن يدخلوا النار ، ويذوقوا حرّها ، ويعذّبوا فيها فلا محيص لهم عنها بحسب الارادة الالهيّة لانه من القدر .

٥٠ - (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)

ذكر لمح البصر والاقرب منه لمجرد التقريب وإلاّ فنسبة إرادة الله تعالى الى مراده كنسبة الايجاد إلى الموجود فتشبيه الامر من حيث تحقّق متعلّقه بلمح بالبصر ، لا لافادة انّ زمان تأثيره قصير كزمان تحقّق اللمح بالبصر بل لافادة انّه لايحتاج فى تأثيره الى مضيّ زمان ، ولو كان قصيراً فانّ التشبيه باللمح بالبصر فى الكلام يكنّى به عن ذلك ، فأمره وهو ايجاده وارادة وجوده لا يحتاج فى تحققه إلى زمان ولامكان ولاحركة كيف لا ؟ ونفس الزمان والمكان والحركة إنّما تحقّقت بأمره جل وعلا .

والآية وإن كانت بحسب مؤدّاها فى نفسها تعطى حقيقة عامّة فى خلق

الاشياء، وانّ وجودها من حيث انّه فعل الله تعالى كلمح بالبصر وإن كان من حيث انّه وجود لشيء كذا تدريجيّاً حاصلاً شيئاً فشيئاً.

إلاّ انّها بحسب وقوعها في سياق ايعاد المشركين بعذاب يوم القيامة ناظرة إلى إتيان الساعة، وانّ أمراً واحداًمنه تعالى يكفي في قيام الساعة وتجديد الخلق بالبعث والنشور، فتكون متمّمة لما اقيم من الحجّة بقوله: «انّا كلّ شيء خلقناه بقدر».

فالمراد بكون الامر واحدة انه لايحتاج في مضيّه وتحقق متعلّقه إلى تعدد وتكرار بل أمر واحد بالقاء كلمة «كن» يتحقّق به المتعلّق المراد كلمح بالبصر من غير نأنّ ومهل حتى يحتاج الى الامر ثانياً وثالثاً وأكثر..

٥١- (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر)

تنبيه لهم بماكانوا هم عليه من غفلة وعماية عن الحق والهدى بعد وضوحهما كاضرا بهم من الامم السالفة على طريق التأكيد القسمىّ والالتفات، والمراد بالاية والآيتين بعدها تأكيد الحجّة السابقة التى اقيمت على شمول العذاب لهم لامحالة.

٥٢- (وكل شيء فعلوه في الزبر)

تقرير لهم على طريق الالتفات انّ كل أعمالهم محصاة عليهم مكتوبة في صحائف الاعمال، وفى الاية من بيان كمال العلم والقدرة والتهديد بهم مالايخفى، وفى الالتفات ايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب.

٥٣- (وكل صغير وكبير مستطر)

تأكيد لما سبق وان تسئل: الوجه أن يقال: مستطران. تجيب: ان الافراد باعتبار «كل» ومن المحتمل أن يكون الافراد لرعاية النظم والفواصل.

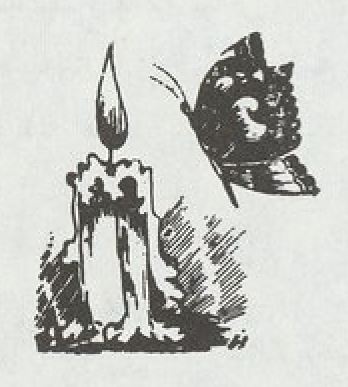
٥٤- (ان المتقين في جنات ونهر)

التنوين في «جنّات ونهر» للعظمة أى في جنات عظيمة الشأن بالغةالوصف

ونهر كذلك ، وإيثار الافراد فى « نهر » للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل ، وقيل فى جمع « جنّات » : حثّ إلى تحصيل أسباب تلك المنزلة والمكانة ليس ورائها منزلة ومكانة أعظم منها تجمع جميع السعادات كما يشير اليها قوله تعالى :

٥٥ ـ (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)

كناية عن تكريم الله تعالى الذى يناله المتّقون فى الجنّة .



الاعجاز

انّ هـذه السّورة ذات خصوصيّة فنيّة نثريّة، وفصولها مترابطة تـامّة الانسجام والتوازن، حيث ختمت جميع فواصلها بحرف الرّاء على صيغ الافراد..

وفيها من أنباء الغيب التى لها قدر كبير:

منها: قولـه تعالى حكايـة عما كان المشركون يتقاولون بـه بينهم: «أم يقولون نحن جميع منتصر»: ٤٤).

ولو كانوا هم غير متقاولين به لاعترضوا على النبىّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وكذّبوه.

ومنها: قوله تعالى: «سيهزم الجمع ويولّون الدّبر»: ٤٥).

انّ الاية مكيّة فى سورة مكيّة وفيها نباء بما لم يقع الاّ بعد سنين، ومـا كان المؤمنون يومئذ يتوقعون فى أىّ حال أن يهزم هذا الجمع الذى توعده الله تعالى بالهزيمة وتولية الادبار، ولم يكن للنبىّ الكريم صلى الله عليه وآله يؤمئذ جيش بل كان اتباعه مشرّدين فى الآفاق يلاقون العذاب من المشركين فى كلّ صوب.

حتى قال عمر بن الخطاب لمّا نزلت هـذه الاية: ما كنت أدرى من هـذا الجمع الذى سيهزم حتى كان يوم بدر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يلبس الدّرع ويقول: سيهزم الجمع فعلمنه تأويل الاية ثم استمرّ إنهزامهم بعد.

ولو لم يكن هذا الوعد من الله تعالى لم يعتمد النبىّ صلى الله عليه وآله به لامكان موته أو مغلوبيته قبل تحقق الوعد، ولكن لمّا كان من الله عزّوجل وقع ما وعده من غلبته على المشركين وهزيمتهم فى يوم بدر.

أخبر الله تعالى عن إنهزام جمع الكفار وتفرّقهم وقمع شوكتهم وقد وقـع

هذا يوم بدر حين ضرب أبو جهل فرسه وتقدم نحو الصف الاول قائلا : « نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه » .

فأباده الله جلّ وعلا وجمعه ، وأنار الحق ورفع مناره وأعلى كلمته ، فانهزم الكافرون وظفر المسلمون عليهم ، حينما لم يكن يتوهّم أحد بأن ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلا ـ ليس لهم عدّة ولا يصحبون غير فرس أو فرسين وسبعين بعيراً يتعاقبون عليها ـ يظفرون بجمع كبير تام العدّة وافر العدد وكيف يستفحل أمر اولئك النفر القليل على هذا العدد الكثير حتى تذهب شوكته كرماد اشتدّت به الريح لولا أمر الله جلّ وعلا وأحكام النبوّة وصدق النيّات ؟! .

وهذا دليل من دلائل النبوّة ومعجزة من اعجاز السّورة .

ومن اعجاز السورة : ما في قوله تعالى : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » : ١٧ ـ ٢٢ ـ ٣٢ ـ ٤٠) .

وذلك انّ القرآن الكريم يجعل من مألوفات البشر وحوادثهم المكرورة قضايا كونيّة كبرى يكشف فيها عن النواميس الالهيّة في الوجود ، وينشىء بها عقيدة ضخمة شاملة ، وتصوّراً كاملا لهذا الوجود وتجلّي طريقه في مخاطبة الفطرة البشرية ، وفي التلطف إلى النفوس في بساطة ويسر يتناول الدلائل الايمانيّة ، وأكبر الحقائق في صورها القريبة الميسورة لكل انسان .

ويجعل منها منهجاً للنظر والتفكير ، وحياة للارواح والقلوب ، ويقظة في المشاعر والحواس : يقظة لظواهر هذا الوجود التي تطالع الناس صباحاً ومساء ، وهم غافلون عنها ، ويقظة لانفسهم وما يجرى من العجائب والخوارق فيها .

وان القرآن الكريم لايكل الناس إلى الحوادث الفذة الخارقة والمعجزات الخاصّة المعدودة ، ولايكلّفهم أن يبحثوا عن الخوارق والمعجزات والايات والدلائل بعيداً عن أنفسهم ولا عن مألوف حياتهم ولا عن الظواهر الكونيّة القريبة منهم المعروفة لهم .

وان القرآن الكريم لايبعد لهم فلسفات معقّدة أومشكلات عقليّة عويصة

أو تجارب علميّة لا يملكها الكل أحد .. لكي ينشيء في نفوسهم عقيدة وتصوراً للكون والحياة قائماً على هذه العقيدة ، بل يوجّه الانسان أن ينظروا إلى أنفسهم من صنع الله تعالى وأن ينظروا إلى ظواهر الكون حوالهم من إبداع قدرته جلّ وعلا والمعجزة كامنة في كلّ ما تبدعه يده وهذا القرآن قرآنه ..

ومن ثمّ يأخذهم الى هذه المعجزات الكامنة فيهم والمبثوثة في الكون من حولهم يأخذهم إلى هذه الخوارق في المألوفة لهم التي يرونها ولايحسّون حقيقة الاعجاز فيها لانهم لطول ألفتهم لها غفلوا عن مواضع الاعجاز فيها يأخذهم إليها ليفتح عيونهم عليها ، فتطلع على السّرّ الهائل المكنون فيها :

سر القدرة المبدعة سر الوحدانيّة المفردة سر العلم والحكمة وسر الناموس الازلى الذى يعمل فى كيانهم هم أنفسهم كما يعمل فى الكون من حولهم والذى يحمل دلائل الايمان وبراهين العقيدة ، فيبثها فى كيانهم أو يوقظها فى فطرتهم بتعبير أدق ، فيعرض عليهم آيات القدرة المبدعة فى خلقهم هم أنفسهم وفى زرعهم الدى تزاوله أيديهم ، وفى الماء الذى يشربون منه ، وفى النار التى يوقدونها ، وفى ألبستهم يلبسونها ، وفى أطعمة يأكلونها ، وغير ذلك مما يقع تحت أبصارهم من مألوفات حياتهم ..

ويصور لهم لحظة النهايه : نهاية الحياة على هذه الارض وبدء الحياة فى العالم الاخر وأحوال الانسان فى تلك الحياة الابدية ، ثم يوجّه الانسان إلى السّماء وما فيها من طلوع الشمس وغروبها والقمر والنجوم ودورانها والليل والنهار واختلافهما.

وان طريقة القرآن الكريم فى مخاطبة الفطرة البشريّة نفسها تدلّ على مصدره انّه المصدر الذى صدر منه الكون .

وان طريقة القرآن الكريم هى طريقة بناء الكون حيث ان الكون وما فيه معجزة تدل على مبدعها والذرّة الصغيرة والخلية الوحيدة بذاتها معجزة تدل على مبدعها كالكون على عظمه .

انّ القرآن الكريم تمامه معجزة تدل على مبدعها ومصدرها هو الذى

مصدر الكون ومبدعه وكل خطاب وآية وجملة من هذا القرآن آية معجزة تدل على مبدعها ومصدر الذى هو مصدر الكون ومبدعه كالكون والذرّة .

ففى كل آية وخطاب وجملة أعظم الاسرار الربانيّة وأضخم الحقائق الكونية وليست هذه الطريقة طريقة البشرية ، فان البشر إذا خاض فى هذه المجالات لا يلتفت إلى مواد الاوليّة لما يبحث عنه حتى يبيّنها ، واذا التفت إليها فلن تتناول يدها بهذا اليسر وبهذه البساطة ، بل يحاول وضع المسئلة فى قالب فلسفى تجريدى معقّد لا يصلح إلاّ لخطاب طبقة خاصّة من الناس ..

وأمّا طريقة القرآن الكريم فيبيّن المواد الاوّلية لكل شيء ويبنى العقيدة على مبدع هذه المواد بيسر وسهولة ووضوح يفهمه كل الناس : « ولقد يسّرنا القرآن للذّكر فهل من مدّكر » .

وبهذا اليسر والسهولة يعرض القرآن قصة النشأة الاولى والنشأة الاخرى وبهذا اليسر والسهولة يبين أنباء الامم السالفة : سعدائهم واشقيائهم ، وبهذا اليسر والوضوح يبين طريق الهدى وسبيل الضلالة . .

وبهذه السهولة يقف الفطرة أمام المنطق الذى تعرفه ، ولا تملك أن تجادل فيه لانه مأخوذ من بديهياتها هى ومن مشاهدات البشر فى حياتهم القريبة بلا تعقيد ولا تجريد ولا فلسفة تكد الاذهان ، ولا تبلغ إلى الوجدان انّ هذه الطريقة : طريقة الله تعالى طريقة مبدع الكون طريقة خالق الانسان طريقة منزل القرآن .

ومن اعجاز السورة ما وصفته من بدء الطوفان وانتهاءه فمن تأمّل فيه يراها فى أعلى منزلة من الفصاحة والبيان ويشهد بحق على أنّ القرآن وحى الهى فوق مستوى البشر فقال : « كذّبت قبلهم قوم نوح ـ إلى قوله ـ جزاء لمن كان كفر » : ٩ ـ ١٤) .

ما أروع هذه الصورة التى رسمتها السورة للطوفان مطر من السماء ولكن ليس كالمطر بل ماء غزير يحدث السيول الجارفة ، والارض ينبع منها الماء ولكن ليس من مكان واحد أو أمكنة متفرقة بل الارض كلها تتفجّر عيوناً .

فلو قالت السورة : وفجّرنا عيون الارض لم تعط المعنى المراد ، وهو انّ الارض كلّها صارت عيوناً ، ثم هاهو ماء الارض وماء السّماء يلتقيان ليحصل من جراء ذلك الطوفان العظيم ووسط هذا الطوفان تسيرالسفينة بمن فيها من المؤمنين بأمان الله تعالى ورعايته .

فتأمّل أيها القارىء الخبير اسلوب هذه الايات وما تحمله من ايقاع خاص وكيف يتحدر الكلام فيها بسهولة لفظ وعذوبة سبك ، وتأمّل اطراد الفاصلة في آخر الايات على نسق معين ، مما تعطى السورة قوّة في التعبير ، وتأثيراً في النفوس البشريّة .



« التكرار »

انّ البحث فى المقام فى امور :

الاول : إشارة إلى صيغ خمس عشرة لغة ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء فى بحث اللغة ـ الصّيغ التى جاءت فى هذه السّورة وفى غيرها من السّور القرآنية :

١ ـ جاءت كلمة (السّاعة) فى القرآن الكريم نحو : ٤٩ مرّة :

٢ ـ » » (السّحر) » » » : ٦٣ مرّة :

٣ ـ » » (الجدث) » » » ثلاث مرات: ١ ـ يس: ٥١)

٢ ـ القمر: ٧) ٣ ـ المعارج : ٤٣) .

٤ ـ » » (الجراد) » » » مرتين : ١ ـ القمر: ٧)

٢ ـ الاعراف : ١٣٣) .

٥ ـ » » (الهطع) » » » ثلاث مرات: ١ ـ القمر: ٨)

٢ ـ ابراهيم : ٤٣) ٣ ـ المعارج : ٣٦) .

٦ ـ » » (الهمر) » » » مرة واحدة : القمر ١١).

٧ ـ » » (الدسر) » » » » » : ١٣).

٨ ـ » » (القعر) » » » » » : ٢٠).

٩ ـ » » (الاشر) » » » مرتين : القمر: ٢٥ ـ ٢٦).

١٠ ـ » » (الهشيم) » » » مرتين: ١ ـ القمر: ٣١).

٢ ـ الكهف: ٤٥).

١١ ـ » » (الحظر) » » » مرتين: ١ ـ القمر: ٣١) .

٢ ـ الاسراء : ٢٠) .

١٢ ـ كلمة (الحصب) على صيغها فيه نحو : خمس مرات : القمر:
٣٤) ٢ـ الملك : ١٧) ٣ـ العنكبوت : ٤٠) ٤ ـ الانبياء : ٩٨) ٥ـ الاسراء : ٦٨).
١٣ ـ » » (الهزم) » » نحو ثلاث مرات : ١ـ القمر:
٤٥) ٢ ـ ص : ١١) ٣ ـ البقرة : ٢٥١) .
١٤ ـ » » (الدهى) فيه مرّة واحدة : القمر : ٤٦) .
١٥ ـ » » (اللمح) فيه مرتين : ١ ـ القمر : ٥٠) ٢ ـ النحل : ٧٧) .

الامر الثاني : كلام فى تكرار قوله تعالى : « فكيف كان عذابى ونذر » فى هذه السّورة أربع مرّات على ترتيب آى : ١٦ ـ ١٨ ـ ٢١ ـ ٣٠) .

وذلك انّ التدبّر فى البيان القصصى يلهمنا انّ للتكرار فوائد تقتضيه :

منها ـ : أن يجدّد هؤلاء المشركون المكذّبون عند إستماع كلّ نبأ من أنباء الاولين إدّكاراً وإتّعاظاً وأن يستأنفوا تنبّهاً واستيقاظاً اذا سمعوا الحثّ على ذلك والبعث إليه لئلا يغلبهم السّهو ولا تستولى عليهم الغفلة ، وان يقرع لهم العصامرّات ، ويقعقع لهم الشّن تارات ، ولتكون العبر حاضرة للقلوب ، مصورة للاذهان مذكورة غير منسيّة فى كلّ آن .

منها ـ : ان داعيّة هذا التكرار هو التعقيب على هذه الاحداث باشارة إلى مواقع نقمة الله تعالى وما أخذ به المكذّبين برسله من بلاء .

منها ـ : انّ القصص القرآنية لم ترد لذاتها وانّما للعظة والتذكير واللازمة التى تكررت عقب كل مقطع وهى : « فكيف كان عذابى ونذر» تزيد ذلك توكيداً .

منها ـ : انّ فى التكرار تعظيماً لشأن ما كرّر وهذه سنّة فى بليغ الكلام فى باب النصح والارشاد ، وباب التهديد والوعيد ، وهذا كثير فى كلام العرب اذا ارادوا العناية بما فيه من هامّ الامور .

منها ـ : انّ فى التكرار تهويلا للعذاب والنّذر وتعجيباً من أمرهما بعد بيانهما فليس تكراراً واقعاً .

والقول بأنّ الاوّل لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لماسيحيق بهم فى الاخرة

يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي .

الامر الثالث : إشارة إلى نكتتين في تقديم العذاب على النذر مع انه لاعذاب قبل النذر لقوله تعالى : « وما أهلكنا من قرية إلاّ لها منذرون » الشعراء : ٢٠٨) وقوله : « وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً » الاسراء : ١٥) :

أحدهما - : انّ تقديم العذاب على النذر أوقع في التحذير وأبلغ في التخويف .

ثانيهما - : مراعاة للفواصل ولذلك حذفت ياء التكلّم وحده .

الامر الرابع : كلام في تكرار قوله تعالى : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » في هذه السورة أربع مرّات أيضاً على الترتيب الآتي : ١٧-٢٢-٣٢ - ٤٠) .

وله فوائد تقتضيه أيضاً - وقد علم بعضها في الامر الثاني :

منها : ان الجملة القسميّة وردت في أواخر أربع قصص : قصة نوح عليه السلام وعاد وثمود ولوط عليه السلام تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى : « ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النّذر » : ٤ - ٥) .

وتنبيهاً على أنّ كل قصّة منها مستقلّة بإيجاب الادّكار كافية في الازدجار فهذا التعقيب على القصص الاربع هو دعوة المشركين إلى أن يتدبّروا في هذه الايات التي بين أيديهم من كتاب الله تعالى ، فانّها تكشف للناظر فيها أو المستمع اليها - في يسر وعن قرب - الدلائل الواضحة الهادية إلى الحق . . ولكن هل من مدّكر من هؤلاء المكذبين المعاندين ؟ ستكشف الايام عن جواب هذا السّؤال .

والامر الخامس : في سرّ عدم مجيىء هذه التعقيب والتعقيب في قصّة فرعون وقد كان المتوقّع بعد ذكر فرعون وما أخذه الله به من نكال أن يجيىء هذان التعقيبان :

وذلك على نسق النّظم الذى جائت عليه الايات التى سبقت الحديث عن فرعون بالحديث عن قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط ، ولكن جاء قوله تعالى : « اكفّاركم خير من اولئكم » .

ليصل مشركي قريش بفرعون ويجعلهم هذا التعقيب المباشر لقصّته إمتداداً له ، وليجعل منهم ومنه كياناً واحداً وكأنّهم هم المكذّبون بآيات الله كلّها الوارثون لفرعون في ضلاله وطغيانه و كبره ..

وانّ القرآن الكريم يقرن في مناسبات كثيرة بين مشركي قريش وبين فرعون .. إذ كانوا أقرب الناس شبهاً به في التعامي والتشامخ والتصامّ عن كلمة الحق والتعامي عن آيات الله جلّ وعلا ، حتّى أنّهم لبأخذون المكان الذي كان من المتوقّع أن يأخذه قوله تعالى : « فكيف كان عذابي ونذر » .

الامر السادس : إن تسئل : انّ الله تعالى قال في هذه السورة : « ولقد انذرهم بطشتنا » : ٣٦) وقال في سورة (البروج) : « ان بطش ربّك لشديد » : ١٢) من غير التاء .

تجيب : انّ آية البروج واردة لبيان بطشه تعالى فاذا كان جنسه شديداً فكيف الكبرى منه وأمّا هذه الاية ، فانّها تخص لوطاً عليه السلام فقد ذكر لهم البطشة الكبرى لئلا يكون مقصراً في التبليغ .

الامر السابع : إن تسئل : ان الله تعالى قال في هذه السورة : « فطمسنا أعينهم » ٣٧) وقال في سورة (يس) : «ولو نشاء لطمسنا على أعينهم» : ٦٦) فما الفرق؟

تجيب : أن المراد من الطمس الحجب عن الادراك فما جعل هنا على بصرهم شيء غيرانّهم دخلوا ولم يروا هناك شيئاً فكانوا كالمطموسين وفي سورة (يس) أراد انّه لوشاء لجعل على بصرهم غشاوة أي الزق احد الجفنين بالاخر فيكون على العين جلدة فيكون قد طمس عليها .

الامر الثامن : جاءت في هذه السورة خمس قصص من القصص الامم الماضية من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون على ما اقتضاه غرض السّورة كمّاً وكيفاً وإجمالاً وتفصيلاً .

ورأى هؤلاء المكذّبون السابقون عاقبة الكفر والتكذيب والطغيان فكيف مشركوا مكّة ومكذّبوها ؟

﴿ التناسب ﴾

انّ البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السّورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ : التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة الطارق ففيها توجيه الانسان إلى نفسه ومراقبتها بأنّ عليها حافظاً يحفظ فعالها في الحياة الدنيا فستحاسب عليها يوم القيامة : « ان كلّ نفس لمّا عليها حافظ » : ٤) .

واستدلال على صدق البعث والحساب بنفس الانسان بأنّه من كان قادراً على خلق الانسان من ماء دافق فهوقادر على رجعه للحساب والجزاء : « فلينظر الانسان مم خلق ـ انه على رجعه لقادر » : ٥ ـ ٨) .

مع الاشارة إلى بعض خصائص يوم البعث من انكشاف الاسرار فيه والى بعض أحوال المبعوثين المكذبين من عدم ناصر ينصرهم : « يوم تبلى السّرائر ـ وما هو بالهزل » : ٩ ـ ١٤) .

وفي ختامها إلى مواقف الكيد والمناواة التي يقفها الكفّار من النبي صلى الله عليه وآله بالتعطيل والأذى والاعراض : « انهم يكيدون كيداً ـ أمهلهم رويداً » : ١٥ ـ ١٧) .

فجائت سورة القمر أشدّ مترابطة أوّلها بختام سورة الطارق وآخرها بأوّلها إذ بدئت بذكر كيد الكفّار في آية شق القمر التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إقتراح منهم ورميهم له بالسحر وإعراضهم عنها وتكذيبهم به صلى الله عليه وآله وبها .

وختمت بأن كل اعمالهم محصاة عليهم مكتوبة في صحائف الاعمال : «و كل شيء فعلوه في الزبر و كل صغير و كبير مستطر » : ٥٢ ـ ٥٣) وبأن العاقبة للمتقين .

وبين البدء والختم إنذار وتخويف وحملة على الكفّار ومن سلك مسلكهم وتذكير لهم بأمثالهم المكذّبين من الامم الماضية الهالكة في الحياة الدّنيا وأحوالهم يوم البعث فليسواهم خيراً منهم .

وأما الثانية : فمناسبة هذه السورة لسورة النجم فبوجوه :

١ ـ ان توالي هاتين السّورتين حسن التناسق للتناسب في التسمية لما بين النجم والقمر من الملابسة وحسن التناسق بين أوّلهما ، إذ بدأ أحدهما بالنّجم والاخر بالقمر .

٢ ـ ان في هذه السورة تفصيلا لبعض ما اجمل في السورة السابقة من أحوال الامم الماضية وهلاكهم إذ قال : « أم لم ينبأ بما في صحف موسى ـ فغشيها ماغشى» النجم : ٣٦ ـ ٥٤) .

وهذه السورة بعد تلك كسورة الاعراف بعد سورة الانعام و كسورة الشعراء بعد سورة الفرقان و كسورة الصافّات بعد سورة يس في الاجمال بعده التفصيل .

٣ ـ مشاكلة آخر السورة السّابقة ـ إذ فيه : « أزفت الآزفة » : ٥٧) .

منذراً بقرب السّاعة ـ لاوّل هذه السّورة إذ قال : « اقتربت الساعة » مخبراً عن اقترابها ، وبهذا تلاقي ختام السابقة ببدء اللاحقة على موضوع واحد وهو وقوع يوم القيامة واقترابه ، ففي ختام السّابقة تقرير لهذه الحقيقة وفي بدء اللاحقة تأكيد لها .

واما الثالثة : فلما أخبر الله جل وعلا باقتراب السّاعة وأرى المشركين ما اقترحوا على نبيّه الكريم ﷺ من إنشقاق القمر ذكر انّهم كلّما رأوا علامة من علائم النبوّة اعرضوا و كذّبوا بها وقالوا : ان هذا إلاّ سحر يؤثر ، وذلك لاتّباعهم الاهواء وإطلاقهم عنان النفس ، وحتم هذه القطعة الاولى من القطعات المترابطة

بأن امرهم سينتهى بعد حين ، وسيستقر أمرك .

واما ذكر اقتراب الساعة مع إنشقاق القمر فلان إنشقاقه من علامة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله ونبوته وزمانه من اشراط اقتراب الساعة إذ لا نبى بعده ثم أعقب ذلك بأن أنباء الامم السابقة وهلاكهم بسبب تكذيبهم برسلهم كافية لهم لو يتفكرون ولكن أنى تغنى الايات والنذر عن الذين تصاموا على الكفر والعناد ؟

ومن هنا أمر رسوله صلى الله عليه وآله بالاعراض عنهم إلى أن يخرجوا من قبورهم أذلاء ناكسى الرؤس مسرعين إلى إجابة الداعي ويروا فزع يوم كانوا هم يكذبون به .

فأشار إلى انباء خمس أمم من الامم السابقين المكذبين برسلهم ، وما جاؤا بهم وتحتوى تلك الانباء الماضية تسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله من ناحية وتذكيراً وإنذاراً للكفار من ناحية اخرى .

فكأنه قيل للنبى صلى الله عليه وآله : لا تأس أيها الرسول على ما فرط من مشركى مكة ولا تبتئس بما كانوا يفعلون .

وقيل لمشركى مكة ومن إليهم : انكم لستم ببدع فى الامم فى الاعراض والتكذيب بالرسول ، وبما جاء بكم إذ كذب امم كثيرة رسولهم ونعتوهم بالجنون والكذب والسحر وتحدوه ، وهم كانوا أشد منكم عتواً واستكباراً .

ومن الامم الطاغية الهالكة قوم أغرقناهم بالطوفان ، وهم قوم نوح عليه السلام وقوم أهلكناهم بالريح الصرصر وهم عاد من قوم هود عليه السلام وقوم دمرناهم بالرجفة وهم ثمود من قوم صالح عليه السلام وقوم أرسلنا عليهم حاصباً وهم قوم لوط عليه السلام وقوم أخذناهم أخذ عزيز مقتدر وهم قوم فرعون وأحزابه الشيطانية المدلسة .

وانكم أيها الكافرون لستم بخير منهم فلو لم تنيبوا إلينا فسيحل بهم من العذاب مثل ما حل بمن قبلكم وسينتهى أمركم بعد حين ويستقر أمر نبينا صلى الله عليه وآله فان العاقبة للمتقين ، فتدبر واغتنم .

وفى الخاتمة : ان الله تعالى لما بين سوء حال الكفرة فى الدنيا وأسوأها فى الاخرة ذكر حسن حال المتقين ليتكافأ الترهيب والترغيب فبين مالهم من حسن الحال بطريق الاجمال .

الناسخ والمنسوخ

والمحكم والمتشابه

قيل : قوله تعالى : « فتولّ عنهم » القمر : ٦) منسوخ بآية السّيف وهي قوله تعالى : « فاقتلوا المشركين . . » الاية التوبة : ٥) .

أقول : ان آية القمر بصدد تسلية النبي صلى الله عليه وآله وتأييسه من ايمان فئة كانوا يتّخذون الأحجار آلهة لهم ويستبعدون عن كون البشر رسولاً من الله تعالى . فأنّى هذا من النسخ ؟

وأمّا التشابه فلم أجد كلاماً يدل عليه فآيات السّورة محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق فى الاقوال ﴾

١ - (اقتربت الساعة وانشق القمر)

فى إقتراب السّاعة أقوال : ١ - قيل : السّاعة القيامة وسمّيت بها لوقوع الاهوال والامور العظام فيها مقدار ساعة من ساعات الدنيا .

وقيل : لان الانسان يسعى فيها فى الحياة الدنيا لانّ كل انسان اذا ولد يسعى إليها علم بذلك أم لا ، وقيل : لانّ الساعة جزء من أجزاءِ الزمان ولماكانت القيامة آخر جزء من ساعات الدنيا سمّيت بالساعة ، وقيل : للاشارة إلى سرعة الحساب فيها للمؤمنين إذ قال تعالى : « انّ الله سريع الحساب » كما ورد بأنّ المؤمنين يحاسبون يوم القيامة مابين صلاة الظهر والعصر من الوقت وإن طال حساب المجرمين فيها لا للعجز بل لتفضيحهم وطول العقاب .

٢ - قيل : السّاعة : هى ساعة تقوم فيها القيامة ليست من ساعات الدنيا ولا من ساعات الاخرة .

٣ - قيل : الساعة : هى حين الموت إلى أن تقوم القيامة الكبرى ، فالساعة هى القيامة الصغرى .

٤ - قيل : السّاعة هى خروج القائم عليه السلام .

أقول : وعلى الاول أكثر المحققين .

وفى إنشقاق القمر ايضاً أقوال : ١ - عن إبن عبّاس وإبن مسعود وإبن عمر ومجاهد وقتاده والضحاك وحذيفة وأنس بن مالك ومسروق وجبير بن مطعم : أى إنفصل بعض القمر عن بعض فصار فرقتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة قبل

هجرته إلى المدينة إثر سؤال المشركين وكان إنشقاق القمر من معجزاته صلى الله عليه وآله النيّرة لاثبات الرسالة .

٢ - عن الحسن وعطاء والبلخى : أى ينشق بعد قبل يوم القيامة لأنّ إنشقاق القمر من علائم السّاعة .

٣ - قيل : ينشق يوم القيامه ، وفى التعبير بالماضى عن المستقبل لتحقق الوقوع وحتميته .

٤ - قيل : أى إنكشف القمر عن الظلمة عند طلوعه .

٥ - قيل : إنشقاق القمر كناية عن ظهور الامر ووضوح الحق .

٦ - قال بعض المتجددين : أى إنفصل القمر من الارض بأنّ القمر قطعة من الارض كما انّ الارض قطعة من الشمس .

أقول : وهذا مردود بقوله تعالى : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » وذلك لأنّه لم ينقل عن احد انّه قال للقمر بانفصاله عن الارض : هو سحر مستمر مع انّ انفصال القمر عن الارض إشتقاق لا الانشقاق والاية الكريمة تذكر الانشقاق الذى لايطلق إلاّ على تقطع الشىء فى نفسه قطعتين دون إنفصاله من شىء بعد ماكان جزء منه .

ومثله فى الرّدّ والسّقوط غير الاول من الاقوال فان ظاهر السياق وخاصّة قوله تعالى : « وإن يروا آية » - الخ حيث ان الآية تشمل هذه المعجزة التى أجراها الله تعالى بيد رسوله صلى الله عليه وآله حين سئله عنها المشركون بمكة قبل الهجرة ، وماورد من الروايات المتواترة والشهرة واتفاق الأمة الاسلاميّة من زمن النزول إلى يومنا هذا كلّها اوضح دليل على وقوع انشقاق القمر ، وكان إحدى معجزات رسولنا محمد صلى الله عليه وآله لاثبات رسالته حين اقترحوا عليه فعند وقوعه اعرضوا وقالوا : سحر مستمر .

ومن المعلوم : انّ يوم القيامة يوم يظهر فيه الحقائق ، ويلجؤن فيه إلى المعرفة ولا معنى حينئذ لقولهم فى آية ظاهراً : انها سحر مستمر فليس إلاّ انّها

آية قد وقعت للدلالة على الحق والصدق وتأتّى لهم أن يرموها عناداً بأنها سحر .

٢ - (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)

فى « سحر مستمرّ » أقوال :

١ - عن قتادة ومجاهد وأنس والفراء والكسائى وأبى عبيدة والنحاس : أى سحر ذاهب لا بقاء له من مرّ الشيء واستمرّ اذا ذهب وزال فلايبقى كانوا يقولون ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا .

٢ - عن الضحاك وأبى العالية وقتادة ايضاً : أى محكم موثق قوىّ شديد وهو من المرّة وهى القوّة يقال : استمرّ مريره فوق جميع السّحور ويعلو كلها ، وعن الاخفش قال : هو مأخوذ من امرار الحبل وهو شدّة فتله ، واستمرّ الشيء إذا قوى واستحكم .

٣ - قيل : معناه مرّ من المرارة ، يقال : أمرّ الشيء : صار مرّاً ، واستمرّ : إذا اشتدّ مرارته أى هذا مستبشع عندنا مرّ على مذاقنا ولهواتنا لانقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر .

٤ - عن الربيع : أى مستمرّ نافذ ، قيل : سحر بعد سحر مداوماً يسحرنا به على مرّ الايام ، فهو من الاستمرار .

٥ - قيل : أى دائم مطرد .

٦ - عن يمان : أى ماض .

٧ - عن أبى عبيدة أيضاً : أى باطل .

٨ - قيل : أى متصل يشبه بعضه بعضاً ويلتقى لاحقه مع سابقه فاستمرّت أفعال محمد صلى الله عليه وآله على هذا الوجه فلا يأتى بشيء له حقيقة بل الجميع تخيّلات .

٩ - قيل : قد مرّ من الارض إلى السّماء .

أقول : وعلى الثانى والرابع والثامن أكثر المحققين لتقارب المعنى وتنكير « آية » فى سياق الشرط تفيد العموم . فالمعنى : وكل آية يشاهدونها يقولون فيها : انها سحر بعد سحر .

٣ - (وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل امر مستقر)

في متعلّق التكذيب أقوال :

١ - قيل : أى وكذّبوا بالاية التي شاهدوها وهى إنشقاق القمر .

٢ - قيل : أى وكذّبوا بالنبى صلى الله عليه وآله وما اوتى به من الايات منها انشقاق القمر، فتركوا حججه وقالوا : هو ساحر يسحرنا وكاهن يقول عن النجوم وهكذا . واتبعوا آراءهم الفاسدة في أنّ انشقاق القمر خسوف عرض له فليس بانشقاق وكذلك كل آية .

٣ - قيل : أى كذّبوا محمداً صلى الله عليه وآله بما اخبرهم باقتراب السّاعة .

أقول : سياق العموم يؤيّد الثاني .

وفي قوله تعالى : « وكل امر مستقرّ » اقوال :

١ - عن قتادة : أى يستقرّ بكل عامل عمله فالخير مستقر بأهله في الجنّة والشرّ مستقرّ بأهله في النار فكل أمر من خير أو شرّ مستقر قراره ، ومنتهاه نهايته ، فالخير والشر مستقرّان بأهلهما .

٢ - قيل : كل أمر مستقرّ في امّ الكتاب كائن .

٣ - قيل: أى إقترب إستقرار الامور يوم القيامة على أن الجملة عطف على الساعة.

٤ - قيل : كل امر من إعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بها وقولهم انّها سحر واتباعهم الاهواء مستقر محفوظ لدينا نجازى بها .

٥ - قيل : أى لكل امر لابد وان تكون غاية يستقر عليها ، فكذلك امر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يكون له غاية يتبيّن عندها انه حق او باطل ، فسيظهر لهم غايته ، ويستقر عندها حاله صلى الله عليه وآله ، فليس امره بذاهب بل كل امر من اموره مستقر مستمر ثابت بانتهائه إلى غاية يعرف منها حقيقته وحقّيّته ويتبيّن عندها علو شأنه .

٦ - قيل : إنّ لكل امر منهم ومنه صلى الله عليه وآله مستقراً يستقرّ إمّا على الخذلان والشقاء وإمّا على النصرة والسعادة فى الدنيا والاخرة فكل امر مستقر على سنن الحق يثبت والباطل يزهق .

٧ ـ قيل : أى لكل أمر ذو إستقرار ـ على قراءة فتح القاف ـ .

٨ ـ قيل : أى لكل امر ذو موضع استقرار وزمانه على قراءة السابق ، فالمستقر : مصدر ميمى" وإسما زمان ومكان .

٩ ـ قيل : أى كل امر مستقر" فى علم الله تعالى لا يخفى عليه منهم شىء كقوله تعالى فى الحديث : « لا يخفى على" منهم شىء » .

١٠ ـ قيل : أى لكل امر مستقر بأهل الايمان وصالح العمل الجنة وبأهل الشر" والكفر والفساد النار .

١١ ـ قيل : أى لكل امر مستقر بأهل الخير الخيرفى الدنيا والاخرة وبأهل الشر" الشر" فى الدنيا والاخرة .

١٢ ـ قيل : أى لكل امر مستقر فيستقرقول المصدقين حتى يعرفوا حقيقة الثواب ويستقر تكذيب حتى يروا ثمرة تكذيبهم من العذاب .

١٣ ـ عن الكلبى : أى لكل امر حقيقة ما كان منه فى الدنيا ، فسيظهر وما كان منه فى الاخرة ، فسيعرف .

أقول: وعلى الخامس أكثر المحققين .

٤ ـ (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر)

فى الانباء أقوال :

١ ـ قيل : أى ابناء القرون الخالية واخبار الامم الدارجة .

٢ ـ قيل : أى انباء الاخرة .

٣ ـ قيل : أى ما ورد فى هذه السورة خمس قصص من قصص الانبياء واممهم وما ظهر بيد النبى ﷺ وانباء يوم القيامة .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السّياق .

٥ ـ (حكمة بالغة فما تغنى النذر)

فى الحكمة البالغة أقوال :

١ ـ قيل : أى ماجاء الكفّار من انباء الامم الخالية حكمة تامّة كاملة .

٢ ـ قيل هذه الساعة المقتربة والاية التى أجراها الله تعالى بيد نبيّه حكمة بالغة .

٣ ـ قيل : اريد بها العموم .

أقول: والاخير هو الموافق بعموم السّياق .

٦ ـ (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر)

فى قوله تعالى : « فتولّ عنهم » اقوال :

١ ـ قيل : أى أعرض عنهم فلا تجادلهم ولكن واذ كرهم يوم يدع الداع ـ الخ.

٢ ـ قيل : أى فتولّ عنهم فانّ لهم يوم يدع الداع على حذف الفاء وماعلمت فيه من جواب الامر .

٣ ـ قيل : أى أعرض عنهم يوم القيامة ، ولا تسئل عنهم وعن أحوالهم ، فانهم يدعون إلى شى نكر ، وينالهم عذاب شديد ، وهو كما تقول : لا تسئل عمّا جرى على فلان إذا اخبرته بأمر عظيم .

٤ ـ قيل : أى تولّ عنهم يا محمّد فقد أقمت الحجة وأبصرهم يوم يدعو الداعى.

٥ ـ قيل : أى فأعرض أيها الرسول عن هؤلاء المشركين إلى يوم يدع الداع.

٦ ـ قيل : « اعرض عنهم » وهو تمام الكلام ، ثم قال : « يوم يدع » وعامل الظرف قوله : « يخرجون » .

أقول: انّ الاول والرابع ـ لتقاربهما فى المعنى ـ هما المؤيّدان بآيات كريمة آتية والاخير غير بعيد .

وفى الداعى اقوال :

١ ـ عن مقاتل : انّ الداعى هو اسرافيل عليه السلام وهو نافخ النفخة الثانية فى الصور فيدعو الناس إلى الحشر والبعث قائماً على صخرة بيت المقدس .

٢ ـ قيل : الداعى هو الله تعالى لقوله : « يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده» الاسراء ٥٢) .

٣ ـ قيل : الداعى هو جبرئيل عليه السلام يدعو الناس إلى البعث والحساب.

٤ - قيل : الداعي هو الذي يدعو المشركين والمجرمين إلى النار لقوله تعالى : « يوم يدعون إلى نار جهنّم دعّاً » الطور : ١٣) وقوله تعالى : « اولئك يدعون إلى النار » البقرة : ٢٢١).

اقول : إن الثاني هو الظاهر .

٨ - (مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر)

في « مهطعين » أقوال :

١ - عن أبي عبيدة : أي مسرعين .

٢ - عن الضحاك : أي مقبلين .

٣ - عن قتادة : أي عامدين .

٤ - عن إبن عباس : أي ناظرين .

٥ - عن عكرمة : أي فاتحين آذانهم إلى الصوت والهتاف .

أقول : والمعاني متقارب باعتبارات .

٩ - (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)

في التكذيبين أقوال :

١ - اريد بالتّكذيب الاول : التكذيب المطلق ، وهو تكذيبهم بالرسل ، وبالثاني التكذيب بنوح عليه السلام خاصة لقوله تعالى : « كذبت قوم نوح المرسلين » الشعراء : ١٠٥) .

فالمعنى : كذّبت قوم نوح المرسلين فترتب عليه تكذيبهم لنوح عليه السلام .

٢ - عكس الاول .

٣ - قيل : انّ التكذيب الاول إشارة إلى كونه تكذيباً إثر تكذيب بطول زمان دعوته فلما انقرض قرن منهم مكذّب جاء بعدهم قرن آخر مكذّب .

٤ - اريد بالتكذيب الاول قصد التكذيب وبالثاني اظهاره .

٥ - قيل: ان التكذيب الاول منزّل منزلة اللازم أي فعلت التكذيب، فقوله تعالى : « فكذّبوا عبدنا » تفسيرلقوله تعالى : « كذبت قبلهم قوم نوح » فعلى الاخير

في التعبير عن نوح بالعبد تجليل لمقامه وتعظيم لامره، وإشارة إلى أنّ تكذيبهم له يرجع إلى الله تعالى لانه عبد لايملك شيئاً ومأمور من جانبه وماله، فهو لله تعالى وانهم لم يكتفوا بمجرد التكذيب، بل نسبوه الى الجنون.

أقول: إنّ الاخير هو الانسب بظاهر السّياق وإن كان الاول غير بعيد.

١٢ - (وفجرنا الارض عيوناً فالتقى الماء على امر قد قدر)

في قوله تعالى: «فالتقى الماء على امر قد قدر» اقوال:

١ - عن مقاتل وإبن قتيبة: أي فالتقى ماء السماء وماء الارض على مقدار لم يزد أحدهما على الاخر فكان ماء السماء والارض سواء.

٢ - عن قتادة: أي كان الطوفان أمراً قد قضاه الله في اللوح المحفوظ، أي قدر لهم إذ كفروا أن يغرقوا.

٣ - قيل: كانت الاقوات قبل الاجساد وكان القدر قبل البلاء، فقد قدر من قبل هلاك قوم نوح عليه السلام.

٤ - قيل: اريد بأمر قد قدر الصفة التي قدّرها الله تعالى لهذا الطوفان.

أقول: ان الاخير هو الاوجه.

١٣ - (وحملناه على ذات الواح ودسر)

في «ذات ألواح ودسر» أقوال:

١ - عن قتادة وإبن عباس وإبن زيد: الالواح: معاريض السفينة والدسر: المسمار الذي تشدّ به السفينة.

٢ - عن الحسن: الدسر: صدر السفينة يدسر بها الماء.

٣ - عن مجاهد: الدسر: اضلاع السفينة.

٤ - عن إبن عباس: الدسر: كلكل السفينة.

٥ - عن مجاهد أيضاً: ألواح السفينة ودسرها: عوارضها.

٦ - عن الضحاك: الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها.

٧ - قيل: الالواح: هي الخشبة التي تتركب بها السفينة بمسمار.

أقول : انّ الاخير هو الظاهر .

١٤ ـ (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر)

فى قوله تعالى : « تجرى باعيننا » أقوال :

١ ـ عن سفيان : اى بأمرنا .

٢ ـ قيل : اى بحفظ منّا و كلاءة ومنه قول الناس للمودّع : عين الله عليك اى حفظه و كلائه .

٣ ـ قيل : اى بمرأى منّا .

٤ ـ قيل : اى بوحينا .

٥ ـ قيل : أى بالاعين النابعة من الارض .

٦ ـ قيل : أى بأعين أوليائنا من الملائكة الموكّلين بحفظها و كل ما خلق الله تعالى يمكن أن يضاف إليه .

٧ ـ قيل : أى تجرى بأوليائنا .

أقول : انّ الثانى والثالث ـ لتقارب المعنى ـ هما الظاهران .

وفى قوله تعالى : « جزاء لمن كان كفر » أقوال :

١ ـ أى جعلنا ذلك ثواباً وجزاء لنوح عليه السلام على صبره على أذى قومه وهو المكفور به ، فالمراد بمن فى « لمن » هو نوح عليه السلام .

٢ ـ عن مجاهد : قال : « لمن » كناية عن الله تعالى والمراد بالجزاء العقاب أى عقاباً للكفر قوم نوح عليه السلام بالله تعالى ، فكان الغرق جزاء وعقاباً لمن كفر بالله تعالى من قوم نوح عليه السلام .

٣ ـ عن إبن زيد : أى جزاء لمن كان كفر نعم الله تعالى و كفر بأياديه وآلائه و كتبه ورسله .

أقول : على الاوّل أكثر المحققين وهو الاظهر .

١٥ ـ (ولقد تركناها آية فهل من مدكر)

فى الاية اقوال :

١ ـ قيل : أي تركنا هذه الفعلة من إهلاك الكافرين ونجاة المؤمنين عبرة لمن يعتبر بها وعظة لمن يتعظ بها ، فلا يسلك مسلك الهالكين ، فيصيبه مثل ما أصابهم من العذاب والدمار .

٢ ـ عن قتادة : انّ الله تعالى أبقى سفينة نوح عليه‌السلام على الجودى حتّى أدركها أوائل هذه الامّة عبرة وعظة .

فالضمير راجع إلى السفينة ، وهي آية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها ، فلا يكذّبون الرسل ، ولازم هذا المعنى بقاءالسفينة إلىحين نزول هذه الايات علامة دالّة على واقعة الطوفان مذكّرة لها .

٣ ـ قيل : الضمير راجع إلى صنعة السفينة لانّ نوحاً عليه‌السلام اوّل من صنعها فبقيت صنعته .

٤ ـ قيل : انّ بعض قطعات اخشاب السفينة كانت باقية وجدت فى بعض قلل جبل آراراط وهو الجودى .

أقول : انّ الثانى هو الظاهر المؤيد بآية كريمة وللاول تأييد ، فلا منافات بينهما .

١٧ ـ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

فى تيسير القرآن الكريم أقوال :

١ـ عن قتادة : اى سهّلنا القرآن للحفظ واعنّا عليه من أراد حفظه ، فهل من طالب لحفظه فيعان عليه ؟

فالمراد بالتيسير تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته .

٢ ـ عن مجاهد : اى ولقد هيّأناه للذكر ، من يسّر ناقته للسفر إذا رحلها ويسّر فرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه .

٣ ـ قيل : إنّ المراد بالتيسير التسهيل فى القراءة والتلاوة ، وعن سعيد بن جبير انه قال : اى ولقد سهلناه للحفظ والقراءة حتى يقرا كلّه ظاهراً وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كلّه ظاهراً إلاّ القرآن .

٤ ـ قيل : اى أنزل الله تعالى القرآن على نحو يسهل فهم مقاصده للعامى والخاصى والافهام البسيطة والمتعمقة كل حسب فهمه .

٥ ـ قيل : اى انزل الله تعالى القرآن وحقائقه عالية ومقاصده مرتفعة عن افق الافهام العادية إلى مرحلة التكليم العربى تناله عامة الافهام .

قال تعالى : « انا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون » الزخرف : ٣) .

وعن إبن عباس انه قال : لولا ان الله يسّره على لسان الادميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلّم بكلام الله عز وجل .

أقول: ان الاخير هو المؤيد .

وفى قوله تعالى : « فهل من مدّكر » أقوال :

١ ـ أى أن يتذكّر بصفاته تعالى .

٢ ـ أى أن يتذكّر بأسمائه جل وعلا .

٣ ـ اى أن يتذكّر بأفعاله سبحانه .

٤ ـ اى أن يتذكّر بما أوردناه من القصص فى هذه السورة .

٥ ـ أن يتذكر بما جاء فى القرآن الكريم .

أقول: إنّ الاخير عام يشمل للجميع المتقدم وغيرها وهو الظاهر .

١٩ ـ (انا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر)

فى قوله :« صرصراً » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس وقتادة والضحّاك وإبن زيد وسفيان : شديدة البرد .

٢ ـ قيل : اى شديدة الصوت .

٣ ـ قيل : اى الشديدة الهبوب .

أقول: لا منافاة بين المعانى فكل واحد وصف للريح .

وفى قوله : « نحس » اقوال :

١ ـ عن إبن عباس انه قال : كان ذلك فى يوم كانواهم يتشامون به .

٢ ـ عن الزجاج اى فى يوم أربعاء ، وعن إبن عباس ايضاً : كان آخر اربعاء

فى أشهر أفنى صغيرهم و كبيرهم .

٣ ـ عن قتادة وإبن زيد : النحس : الشؤم والشر.

٤ ـ عن إبن عباس والضحاك : قالا : يوم نحس أى أيام شداد .

أقول: والمعانى متقارب .

وفى قوله : « مستمر » اقوال :

١ ـ عن قتادة : اى إستمر بهم العذاب إلى نار جهنم .

٢ ـ قيل : أى دائم الشوم إستمر عليهم بنحوسه .

٣ ـ قيل : إستمر عليهم فيه العذاب إلى الهلاك أى إستمر عليهم النحس حتى أهلكهم .

٤ ـ عن الضحاك : اى كان مراً عليهم فالمستمر : الشديد المرارة .

٥ ـ قيل : اى استمر عليهم النحس جميعاً على صغيرهم و كبيرهم حتى لم يبق منهم نسمة .

اقول: الثالث هو الاظهر .

٢٠ ـ (تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر)

فيها اقوال :

١ ـ عن مجاهد : اى كانت الريح تقلعهم من الارض فترمى بهم على رؤسهم فتندق أعناقهم وتبين رؤسهم عن أجسادهم .

فالمعنى تقلعهم الريح من مواضعهم وتحت اقدامهم إقتلاع النخلة من أصلها كأنهم اصول نخل منقلع عن مغارسه فيتساقطون على الارض امواتاً وهم جثث طوال و كأنهم اصول نخل بلا فروع لها ، إذا كانت الريح تقطع رؤسهم فتبقى أجسادهم بلا رؤوس .

و كأنهم كانوا ذوى جثث عظام طوال كالنخل ، وكانوا يعملون أرجلهم فى الارض قاصدين بذلك مقاومة الريح فجعلتهم الريح كأنهم خشب يابسة لشدة بردها .

٢ ـ قيل : أى تنزع الناس من البيوت .

٣ ـ قيل : اى تنزع الرّيح النّاس فتركهم كأنّهم اعجاز نخل منقعر على الحذف .

٤ ـ قيل : انهم حفروا حفراً ودخلوها ، فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم وتبقى تلك الحفر كأنها اصول نخل هلك ما كان فيها ، فتبقى مواضعها منقعرة .

٥ ـ عن الحسن : أى تنزع الريح أرواح الناس .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

٢٣ ـ (كذبت ثمود بالنذر)

فى النذر أقوال :

١ ـ قيل : النذرجمع نذير بمعنى الانذار ، فالمعنى : كذّبت ثمود بالانذارات التى أنذرهم نبيّهم صالح عليه السلام .

٢ ـ قيل : اى كذّبوا بالايات التى هى النذر .

٣ ـ قيل : النذر مصدر بمعنى الانذار فالمعنى : كذبت ثمود .

٤ ـ قيل : جمع نذير بمعنى المنذر فالمعنى : كذّبت ثمود بالمنذرين من الانبياء والرسل كما قال تعالى : « كذبت ثمود المرسلين » الشعراء : ١٤١) .

وذلك لأنّ تكذيبهم بالواحد منهم تكذيب منهم بالجميع لانّ رسالتهم واحدة لا إختلاف فيها ، أوكانوا هم يكذّبون نبيّاً بعد نبى فكذّبوا رسلا وانبياء عليهم السلام .

أقول: والاخير هوالمؤيد بسياق القصّة التى جائت بمواضع فى القرآن الكريم .

٢٤ ـ (فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا اذاً لفى ضلال وسعر)

فى الواحد قولان :

أحدهما ـ : قيل : اريد به الواحد العددى أى أبشراً من نوعنا وهو شخص واحد . ثانيهما ـ قيل : اريد به الواحد النوعى ، فالمعنى : هو واحد منا اى هو مثلنا ومن نوعنا .

أقول: وعلى الاول اكثر المحققين .

وفي قوله : « وسعر » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس وقتادة والفرّاء : السعر : العذاب .

٢ ـ عن مجاهد : اى بعد عن الحق .

٣ ـ عن إبن عباس : اى في جنون من قولهم : ناقة مسعورة اى كأنها من شدّة نشاطها مجنونة .

٤ ـ عن السّدى : اى في إحتراق واتقاد .

٥ ـ عن قتادة أيضاً : السعر : العناء .

أقول: ان الثالث هو الانسب بظاهر السّياق .

٢٦ ـ (سيعلمون غداً من الكذاب الاشر)

في « غداً » أقوال :

١ ـ قيل : « غداً » بمعناها حقيقة بأن حلّ بهم العذاب بعد يوم التكذيب .

٢ ـ قيل : « غداً » اى يوم القيامة على أن السّين في « سيعلمون » على تحقيق ذلك بنزول العذاب والهلاك والدمار في الحياة الدنيا و « غداً » يدل على تحقيق ذلك يوم القيامة .

٣ ـ قيل : الغد وقت نزول العذاب في الحياة الدنيا اى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر أصالح عليه السلام أم من كذّبه والموعود هو يوم العذاب والهلاك على عادة الناس في قولهم للعواقب : انّ مع اليوم غدا .

أقول : إنّ الثّاني هو الاوجه .

٢٨ ـ (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)

فيها أقوال :

١ ـ قيل : أى أخبرهم يا صالح انّ الماء مقسوم بين ثمود والناقة ، فلهم يوم ولها يوم ، فكلّ من القوم والناقة شرب يحضره صاحبه في نوبته ، فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم .

قيل : جعلت القسمة على هذا الوجه لمنع الضرر لانّ حيوان القوم كانت تنفر

منها ولا ترد الماء وهى عليه ، فصعب ذلك عليهم .

٢ ـ عن مجاهد : ان ثموداً كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة ويشربون منه واذا حضرت حضروا اللبن وتركوا الماء لها .

٣ ـ قيل : إذا غابت الناقة حضروا الماء ، واذا جائت حضروا اللبن ، فالمعنى: كل شرب من الماء واللبن كان حاضراً إذا جاؤا مشرباً ، فثمود يحضرون الماء يوم غبّها ، فيشربون منه ويحضرون اللبن يوم وردها ، فيحتلبون .

أقول: انّ الاوّل هو الاظهر .

٣١ ـ (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)

فى الصيحة قولان :

أحدهما ـ عن عطاء : هى صيحة جبرئيل عليه السلام .

ثانيهما ـ قيل : هى صيحة العذاب .

أقول: ان الثانى هو الظاهر من غير تناف بين القولين .

وفى قوله تعالى : « كهشيم المحتظر » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس وقتادة : أى كهشيم المحترق كالنظام النخرة المحترقة .

٢ ـ قيل : الهشيم : يابس الشجر الذى فيه شوك ذلك الهشيم والمحتظر : حظيرة الراعى للغنم فتيبس للشوك التى تحظر به حول المواشى من السّباع .

٣ ـ قيل : هشيم الخيمة : هو ما تكسر من خشبها والمحتظر: التراب الذى يتناثر من الحائط .

٤ ـ قيل : الهشيم : هو الورق الذى يتناثر من خشب الحطب تأكله الغنم .

٥ ـ قيل : أى كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشّتاء .

٦ ـ قيل : أى كالشجر اليابس الّذى يتّخذه من يعمل الحظيرة .

٧ ـ عن إبن عباس قال : المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك ، فما سقط من ذلك وداسته الغنم ، فهو الهشيم .

وعنه أيضاً : الهشيم : فتات السنبلة والتبن .

٨ ـ عن سعيد بن جبير : هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح .

٩ ـ عن سفيان الثورى : هو ما تناثر من الحظيرة إذا ضربتها بالعصا .

١٠ ـ عن مجاهد : أى هشيم الخيمة وهو ما تكسر من خشبها .

أقول : انّ الثانى هو الاوفق بالمعنى اللغوى .

٣٦ ـ (ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر)

فى البطشة قولان :

أحدهما ـ قيل : البطشة هى التى وقعت عليهم فى الحياة الدنيا يشير اليها قوله تعالى : « انا أرسلنا عليهم حاصباً » .

ثانيهما ـ قيل : البطشة التى تقع عليهم فى الاخرة لقوله تعالى : « يوم نبطش البطشة الكبرى » الدخان : ١٦) .

أقول : ولكل وجه ، ولكنّ الاوجه هو التّعميم .

٣٧ ـ (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر)

فى قوله تعالى : « فطمسنا أعينهم » أقوال :

١ ـ عن إبن عباس : الطمس : المنع عن الادراك .

٢ ـ عن مجاهد : ضربهم جبرئيل عليه السلام بجناحه فعموا .

٣ ـ قيل : ان الله تعالى أعماهم مع صحة أبصارهم ، فلم يروهم ، فقالوا : لقد رأيناهم حين دخلوا البيت ، فأين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم .

٤ ـ قيل : صارت أعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شقّ كما تطمس الريح الاعلام بما تسفى على العين من التراب .

أقول : إنّ الثانى هو المروىّ .

وفى قوله تعالى : « فذوقوا عذابى ونذر » أقوال :

١ ـ أى فيقال لهم يوم القيامة : ذوقوا عذابى ونذر .

٢ ـ أى فاذقتهم عذابى الذى انذرهم به لوط .

٣ ـ أى قال لهم جبرئيل حين طمس أعينهم : ذوقوا عذابى ونذر بلسان جبرئيل عليه السلام .

٤ ـ أى قلت لهم حين طمست أعينهم: ذوقوا عذابى ونذرعلى السنة الملائكة .

أقول : والاخير هو الظاهر مع التقارب بينه وبين الثالث معنى .

٣٨ ـ (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر)

فى « عذاب مستقر » أقوال :

١ ـ قيل : أى عذاب دائم حتى افضى بهم إلى الهلاك والدمار .

٢ ـ قيل : ان المراد باستقرار العذاب حلوله بهم وعدم تخلفه عنهم .

٣ ـ قيل : أى استقر عليهم العذاب إلى يوم القيامة .

٤ ـ قيل : أى استقرعليهم العذاب فيصل بهذا العذاب عذاب الاخرة بالنار .

٥ ـ قيل : العذاب المستقر : هو العذاب الثابت الذى لامدفع له ، فما زال ملحاً عليهم حتى اخمدهم وبلغ غايته فى هلاكهم ودمارهم .

أقول : ان الرابع هو الانسب بسياق العموم .

٤١ ـ (ولقد جاء آل فرعون النذر)

فى النذر اقوال :

١ ـ قيل : النذر واحدها نذير بمعنى الانذار ، وهى الايات التسع التى انذرهم بها موسى عليه السلام أى تالله لقد توالت عليهم الانذارات .

٢ ـ قيل : النذر جمع نذير ، بمعنى المنذر والمراد منها : موسى وهارون على سبيل إطلاق الجمع على الاثنين .

٣ ـ قيل : النذر : مصدر بمعنى الانذار وقد جاءاتباع فرعون وقومه انذارنا بالعقوبة لكفرهم بنا وتكذيبهم برسولنا موسى عليه السلام .

٤ ـ قيل : النذر هىالايات التسع وغيرها منالايات التىاتاها موسىإياهم.

٥ ـ النذر : الرسلمن يوسفعليه السلام الىموسى عليه السلام من انبياء بنىاسرائيل.

أقول : ان الاوّل هو الانسب بسياق العموم المؤيد بالآية التالية وإن كان الرابع غير بعيد .

٤٢ - (اكفاركم خيرمن اولئكم أم لكم براءة فى الزبر)

فى الخطاب اقوال :

١ - خطاب لمشركى مكّة الّذين يكذّبون بالنبى صلى الله عليه وآله وما جاءهم به .

٢ - خطاب لجميع كفّار أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ - خطاب لجميع الامة من الكافر والمسلم .

أقول : انّ الخطاب وإن كان لكفار قريش ولكنه شامل لجميع الكفّار . وفى الخيرية اقوال :

١ - قيل : اريد بالخيريّة خيريّة فى زينة الدنيا وزخارف حياتها كالمال والبنين .

٢ - قيل : انّ المراد بها خيريّة من جهة الاخلاق العامّة فى مجتمعهم كالسخاء والشجاعة والشفقة على الضعفاء .

٣ - قيل : اريد بها من جهة أقلّيّة كفرهم وعنادهم من تلك الامم الكفرة ، فتكونوا خيراً من اولئكم لقلّة كفرهم وعنادكم منهم بالنسبة إلى الحق وأهله .

٤ - قيل : اريد بها خيريّة من جهة العدد والعدد ومن جهة القوّة والبطش.

أقول: انّ الاخير هو الانسب بسياق العموم.

وفى قوله تعالى : « فى الزّبر » قولان :

١ - قيل : أى فى الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام بالسّلامة من العقوبة ، فجاء فيها انّ من كفرمنكم و كذب فهو آمن من عذاب الله وعقابه ، فآمنتم بتلك البراءة النازلة ، فاستيقنتم انه لن يصيبكم ما اصابهم من قبل .

٢ - عن إبن عباس انه قال : أى ام لكم براءة من العذاب فى اللوح المحفوظ.

أقول: وعلى الاوّل اكثر المحققين .

٤٦ ـ **(بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)**

فى قوله تعالى : « أمر » اقوال :

١ ـ قيل : هو من المرارة فالمعنى : اشدّ مرارة من الهزيمة والقتل والاسر فى الحياة الدّنيا .

٢ ـ قيل : هو من المرور ، وهو بمعنى النفوذ ، أى اكثر مروراً وأدوم فى إستمرار البلاء .

٣ ـ قيل : هو من المرّة بمعنى الشدّة .

اقول: ولكلّ وجه وعلى الاول اكثر المفسّرين .

٤٧ ـ **(ان المجرمين فى ضلال وسعر)**

فى قوله تعالى : « فى ضلال » قولان :

احدهما ـ قيل : أى فى ذهاب عن الصواب وبعد عن الحق وعماية عن الهدى فى الحياة الدنيا .

ثانيهما ـ قيل : أى فى ضلال عن موطن السّعادة وهو الجنة يوم القيامة .

اقول: انّ الاخير هو المؤيد بظاهر السياق فانه بصدد بيان احوال المجرمين يوم القيامة ، وخاصّة الاية التالية : « يوم يسحبون فى النّار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر »

٤٩ ـ **(انا كل شىء خلقناه بقدر)**

فى القدر اقوال :

١ ـ قيل : أى بمقدار، كقوله تعالى : « و كل شىء عنده بمقدار » معلوم عنده جلّ وعلا فى ذات الشىء وصفاته ومن الاعراض والجواهر .

فالمعنى : خلقنا كل شىء مقداراً محكماً مرتباً بحسب ما اقتضته الحكمة الالهية فيعلم الاشياء مقاديرها واحوالها وازمانها قبل ايجادها ثم اوجدها على ما سبق فى علمه ملتبساً بقدر معين إقتضته الحكمة التى يدور عليها امر التكوين .

٢ ـ قيل : اى بتقدير ، كقوله تعالى : « فقدرنا فنعم القادرون » فالمعنى :

انّ الله تعالى لم يخلق شيئاً من غير تقدير ،وانه سبحانه ليس كالرامى بلا هدف .

٣ _ عن إبن عباس قال : اى خلق الله تعالى الخلق كلّهم بقدر ، وخلق لهم الخير والشر بقدر ، فخير الخير السّعادة وشرّ الشرّ الشّقاء ، نعم الخيرالسعادة وبئس الشرّ الشّقاء .

٤ _ قيل : أى بقدر ما يقال مع القضاء ، يقال : كان ذلك بقضاء الله وقدرته وانّ القضاء ما فى العلم والقدرة ما فى الارادة ، فالمعنى : خلقناه بقدرة وإرادة .

٥ _ قيل : أى مقداراً مكتوباً فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه ، فالمعنى : خلقنا كل شىء بقدر مقدر وقضاء محتوم فى اللوح المحفوظ .

٦ _ عن إبن عباس أيضاً قال : أى جعلنا لكل شىء شكلا يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل والاتان للحمار وثياب الرجال للرجال وثياب النساء للنساء .

٧ _ قيل : أى جعلنا لكل شىء وقتاً محدوداً وأجلا معلوماً .

٨ _ عن الجبائى قال : أى خلقنا كل شىء بمقدار توجبه الحكمة ولم نخلقه جزافاً ولا عبثاً ، وخلقنا الجنّة والنّار على قدر الاستحقاق ، وكلّ شىء فى الدنيا والآخرة خلقناه بمقدار معلوم .

٩ _ عن الحسن قال : أى خلقنا كل شىء على قدر معلوم ، فخلقنا اللسان للكلام ، واليد للبطش ، والرجل للمشى ، والعين للنظر ، والاذن للسماع ، والمعدة للطعام ، ولو زاد أو نقص عما قدّرناه لما تمّ الغرض .

أقول : انّ الاوّل هو المؤيد بآيات كريمة وروايات آتية مع تقارب أكثر الاقوال فى المعنى فتدبّر .

٥٠ _ (وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر)

فى الامر أقوال :

١ _ قيل : اريد بالامر الامر التشريعى مما يقابل النّهى التشريعى .

٢ _ قيل : اريد بالامر الامر التكوينى بارادة وجود الشىء ، وعن الجبائى قال : معنا الاية : وما أمرنا إذا أردنا أن نكوّن شيئاً إلاّ مرّة واحدة لم نحتج فيه

إلى أمرثان بل انّما نقول له : كن فيكون من غير إبطاء ولا تأخير كسرعةالبصر في الرؤية .

٣ ـ عن إبن عباس والكلبي : أي وما أمرنا بمجيء السّاعة في السرعة إلاّ كطرف البصر .

٤ ـ قيل : أي قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر .

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسّرين ، وهو المؤيّد بظاهر السّياق .

وفي موصوف « واحدة » أقوال :

١ ـ قيل : اىكلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى : « كن » .

٢ ـ قيل : اى فعلة واحدة وهي الايجاد .

٣ ـ قيل : اى مرّة واحدة .

أقول: والاوّل هو الظّاهر.

٥١ ـ (ولقد أهلكنا اشياعكم فهل من مدكر)

في الاشياع اقوال :

١ ـ قيل : اى اشباهكم وأمثالكم ونظائرهم في الكفر وتكذيب الانبياء والعصيان كما قصصناه من الامم الماضية .

٢ ـ قيل أي اتباعكم ومن على طريقتكم .

٣ ـ قيل : أي أعوانكم وأنصاركم .

أقول : وعلى الاوّل جمهور المفسّرين .

٥٢ ـ (وكل شيء فعلوه في الزبر)

في الزّبر أقوال :

١ ـ عن الجبائي قال : أي في الكتب التي كتبها الحفظة .

٢ ـ قيل : أي في اللوح المحفوظ :

٣ ـ قيل : أي في امّ الكتاب .

اقول : وعلى الاول اكثر المفسّرين .

٥٣ - (وكل صغير وكبير مستطر)

في الاية قولان :

احدهما - عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك : أى كل ما قدّموه من الاعمال صغيرها وكبيرها مكتوب في صحائفها .

ثانيهما - قيل : أى كل صغير وكبير من الارزاق والاجال والموت والحياة وما إليها مكتوب فى اللوح المحفوظ .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسّرين .

٥٤ - (ان المتقين فى جنات ونهر)

فى « نهر » اقوال :

١ - قيل : اريد به الجنس فوضع فى موضع الانهار لوقوعه على القليل والكثير .

٢ - قيل : النهر بمعنى السّعة والضياء ومنه النهار لضيائه .

٣ - قيل : « نهر » بالتحريك جمع نهر بسكون الهاء .

٤ - قيل : وحّد النهر لفظاً ومعناه الجمع وافراده لرعاية الفواصل ، والنهر هو المجرى الواسع من مجارى الماء .

اقول : وعلى الاول اكثر المفسّرين .

٥٥ - (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)

فى المقعد اقوال :

١ - قيل : اى فى مكان مرضى من الجنّة .

٢ - قيل : المقعد هو المكث والخلود دائماً فى الجنّة .

٣ - قيل : اى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنّة .

٤ - قيل : المقعد موضع فى الجنّات له مزيد فضل ومزيّة على سائر المواضع فى الجنّات .

اقول : وعلى الاوّل والاخير أكثر المحقّقين .

وفى « صدق » اقوال :

١ ـ قيل : اريدبالصدق صدق المتقين فى إيمانهم وعملهم اضيف إليه المقعد لملابسة مّا بينهما .

٢ ـ اريد بالصدق مقام المتقين ، ومالهم فيه من الصدق الذى لا يشوبه كذب فلهم حضور لا غيبة معه وقرب لا بعد معه ونعمة لا نقمة معها وسرور لا غمّ معه وبقاء لا فناء معه .

٣ ـ قيل : اريد بالصدق : صدق هذا الخبر من حيث انّه تبشير ووعد جميل للمتقين على سبيل المقابلة بين وصف عاقبة المجرمين وعاقبة المتقين حيث أوعد المجرمين بالعذاب والضلال وقدر ذلك بأنه من القدر الذى لن يتخلّف ووعد المتقين بالثواب والحضور عند ربّهم المليك المقتدر وقرّر ذلك بأنه صدق لا كذب فيه .

أقول: ولكلّ وجه والاخير أوجه .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ ـ (اقتربت الساعة وانشق القمر)

ومن ظهور بعثة نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله، وعدم الفصل بين النبوة والساعة بنبوّة اخرى اقتربت الساعة، كما اشار رسول الله صلى الله عليه وآله بسبّابتيه صلى الله عليه وآله بعدم الفصل بينهما باصبع آخر، فكما يقرب منهما بالاخر، فانضما فكذلك نبوة محمد صلى الله عليه وآله والسّاعة.

وما ورد : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطب أصحابه ذات يوم وقد كادت الشمس أن تغرب فلم يبق منها الاسفّ يسير فقال : « والذى نفسى بيده مابقى من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه » وما كان الاصحاب يرون الشمس إلا يسيراً.

وقال صلى الله عليه وآله : « بعثت أنا والسّاعة هكذا» يشير باصبعيه : السبابة والوسطى.

قال الله تعالى : « اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ـ واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنّا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين » الانبياء : ١ ـ ٩٧) وما جاء فى الاقوال من انّ المراد بالساعة هى خروج القائم عليه السلام فمن باب التأويل ببيان اشراطها.

« وانشقّ القمر » إنفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين على عهد النبى الكريم صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة إثر سؤال المشركين واقتراحهم عليه، وكان انشقاق القمر إحدى معجزاته صلى الله عليه وآله النيّرة لاثبات الرسالة.

٢ ـ (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)

أى وإن يشاهد هؤلاء المشركون كل آية تدل على صدق محمد رسول الله صلى الله عليه وآله بما جاء إليهم وحقيّته من ربهم يعرضوا عنها وعن التأمل فيها والايمان بها، ويقولوا

تكذيباً بها : هذا سحر سحرنا به محمد ﷺ على مرّ الايام ومظهر من مظاهر السحر المتكررة المستمرّة .

وهذا هو دأبهم في جميع مايرون من معجزات أرضيّة وسماويّة ، فينكرونها ولا يتركون تلك العادة لتصاممهم على الكفر والعناد .

قال الله تعالى : « وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين » الانعام : ٤)

وقال : « واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلاّ سحر مبين » الصافات : ١٤ ـ ١٥)

وقال : «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانّا به كافرون » الزخرف : ٣٠) .

وقال : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » الاعراف : ١٣٢)

وقال : « وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا »الاعراف: ١٤٦).

٣ ـ (وكذبوا واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر)

وكذّب هؤلاء المشركون بالنبي الكريم ﷺ وما أتى بهم من الايات ومنها انشقاق القمر واتبعوا ما تهوى انفسهم من غير اتّكاء إلى أصل وبرهان في اعراضهم وقولهم وتكذيبهم ، والحال انّ لكل أمر مستقرّ سيستقرّ في مستقرّه فيعلم انّه حق أم باطل وصدق أو كذب ، فسيعلمون أنّ النبي ﷺ صادق أم كاذب على الحقّ أو لا .

قال الله تعالى : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتّبع هواه بغير هدى من الله » القصص : ٥٠) .

وقال : « وإنّ كثيراً ليضلّون بأهواءهم بغير علم » الانعام : ١١٩) .

وقوله تعالى: « وكل أمر مستقر » في قوله تعالى : « لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون » الانعام : ٦٧) وقوله تعالى : « ولتعلمنّ نبأه بعد حين » ص : ٨٨) .

٤ - (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر)

أقسم انّه جاء هؤلاء الكفار بعض أخبار الامم السالفة - الذين كانوا من تكذيب رسل الله تعالى و كتبهم السّماوية على مثل الذى هم عليه فأحلّ الله بهم من عقوباته - ما فيه زجر يزجرهم وردع يردعهم عماهم عليه من الاعراض والتكذيب واتباعهم الاهواء لو قبلوا الزجر والردع .

٥ - (حكمة بالغة مما تغن النذر)

ما جاءهم من الانباء حكمة بالغة في الهداية والارشاد إلى طريق الحق للذين يعقلون - وذلك لانّ الحكمة البالغة هى الحكمة التامة الكاملة التى لا نقص فيها من حيث نفسها ، ومن حيث اثرها - فما تغن النذر لطلاقة العنان الذين يتبعون اهواءهم ، فلا ينتفعون بهذه النذر ، ولا يستيقظون بها من غفلتهم ، فيحلّ بهم مثل ما حلّ بالذين خلوا من قبلهم .

قال الله تعالى : « وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون إلاّ مثل ايّام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انّى معكم من المنتظرين » يونس : ١٠١ - ١٠٢) .

٦ - (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شىء نكر)

فأعرض ايّها الرسول عن هؤلاء المكذبين ولا تجادلهم ، فانهم قد بلغوا حداً فى الكفر والعناد لا يقنعون معهما بحجة ولا برهان واذكرهم يوم يدعوهم الله تعالى إلى شىء فظيع تنكره نفوسهم إذ لا عهد لهم بمثله ، وهو يوم البعث والحساب لما فيه من اهوال ، فينكرونها إستعظاماً لها .

قال الله تعالى : « فلذلك فادع واستقم كما امرت » الشورى : ١٥) .

وقال : « يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الاّ همساً - وعنت الوجوه للحىّ القيوم وقد خاب من حمل ظلما » طه : ١٠٨ - ١١١)

٧ - (خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر)

الخشوع فى البصر: الخضوع فى ذلّة وهوان وامّا نسبة الخشوع إلى العين دون سائر الاعضاء فلان الخشوع أمر قلبى تظهر آثاره على الجوارح وأسرع ظهورها هو فى العين لشدّة الربط بين العين والقلب من سائر الاعضاء كما يظهر اثر الحزن والسرور والحياء من العين ومن هنا نسب الخشوع الى العين لظهور آثار الذّلّة والهوان من العين اشد من غيرها والمعنى انّ هؤلاء المكذبين يخرجون من قبورهم أذلاء تظهر آثارها من أبصارهم لما يرون من اهوال البعث والنشور وهم كالجراد فى انتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب إجابة للداعى.

قال الله تعالى: «يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الّذى كانوا يوعدون» المعارج: ٤٣ - ٤٤).

قيل: للمكذبين يومئذ حالتان فى وقتين مختلفين:

أحدهما - عند خروجهم من القبور، فيخرجون فزعين لا يهتدون أين يتوجهون، فيدخلون بعضهم فى بعض، فهم حينئذ كالفراش المبثوت بعضه فى بعض لا جهة له يقصدها.

ثانيهما - فاذا سمعوا المنادى قصدوه، فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد له جهة تقصدها، وقد جاء فى امثال العرب: جاء القوم كالجراد لا يبقى ولا يذر يضرب فى اشتداد الامر واستئصال القوم.

٧ - (مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر)

أى حال كون المكذبين مسرعين فى ذل وخوف إلى من هتف به مادّى أعناقهم إلى الداعى مطيعين مستجيبين دعوته، وهم يقولون يومئذ لما ينالهم فيه من الفزع والاهوال: هذا يوم صعب شديد.

وأمّا المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون.

قال الله تعالى : « فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » المدثر : ٨ ـ ١٠) .

وقال : « الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلا لقد أضلّنى عن الذكر بعد اذ جائنى وكان الشيطان للانسان خذولا » الفرقان : ٢٦ ـ ٢٨) .

وقال : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الاّ من شاء الله و كل اتوه داخرين ـ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٧ ـ ٨٩) .

٩ ـ (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)

كذّبت قبل مشركى مكة قوم نوح ، فكذّبوا عبدنا نوحاً تكذيباً بعد تكذيب قرناً بعد قرن بما ارسل إليهم ، ولم يقتصروا على مجرّد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون ، وقالوا : انّه مجنون لا يتكلم من طريق العقل وليس كلامه وحياً سماوياً ، وزجرعن التبليغ والدعوة بأنواع الايذاء والتخويف والسب والوعيد بالقتل ، فقوبل بشدة ومنع بشدة جدّاً قال الله تعالى : « فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا الاّ بشر مثلكم يريد أن يتفضّل عليكم ولو شاء الله لا نزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاوّلين إن هو الاّ رجل به جنّة فتربّصوا به حتى حين » المؤمنون : ٢٤ ـ ٢٥) .

وقال : « قالوا لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين » الشعراء : ١١٦) .

١٠ ـ (فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر)

بعد أن بذل نوح عليه السلام غاية جهده فى سبيل هداية قومه ، وبعد أن ضاقت فى وجهه كل السّبل لاصلاحهم ، ولم تؤثّر كلماته عليه السلام فى نفوسهم ، بل ردّوا عليه فى عناد لجأ عند ئذ إلى ربّه يشكو قومه ، فدعا عليهم ، وقال : ربّ انّى مغلوب غلبنى هؤلاء الكفار بالقهر والتحكم والتكذيب لا بالحجّة والبرهان ،

فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم نصرة لدينك ونبيك .

قال الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : « قال رب انصرنى بما كذبون » المؤمنون : ٢٦) .

وقال: « وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديّاراً » نوح : ٢٦).

١١ ـ (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر)

فاستجبنا دعاء نبينا نوح عليه السلام وأمرناه باتخاذ السفينة ، وفتحنا ابواب السماء فأرسلنا مطراً غزيراً وأصببناه بشدة وتتابع لم تعهده الارض ولا من أهلها من قبل.

١٢ ـ (وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر)

وامرنا الارض بأن تنفجر منها المياه من جميع ارجائها ، أو اوحينا إلى الارض ان تخرج ماءها ، فتفجرت بالعيون أو جعلنا الارض كلها عيوناً متفجرة ، عباراتنا شتى وحسنك واحد ـ فالتقى الماءان : ماء السماء بانصباب متتابع ، وماء الارض بتفجير متوال ، حسب ما قدر الله تعالى من غير زيادة ولا نقيصة ولا عجل ولا مهل ليحصل من جراء ذلك الطوفان العظيم الذى قدره الله تعالى لهلاك الكافرين بدعوة نبيه نوح عليه السلام .

١٣ ـ (وحملناه على ذات الواح ودسر)

وحملنا نوحاً عليه السلام على سفينة ذات خشب تركب بعضها ببعض بالمسامير فنجيناه ومن آمن به من الطوفان .

وذلك لان نوحاً عليه السلام لما اتم صنع السفينة وظهرت علامات بدء العذاب وهى صب الماء متوالياً من السماء وتفجره من الارض امر الله تعالى نوحاً عليه السلام ان يجمع من كل صنف من الاحياء والحيوانات زوجين : ذكراً وانثى ليحملهما معه فى السفينة لاجل ان تبقى بعد غرق سائر الحيوانات فتتناسل ويبقى نوعها على الارض ، وان يحمل معه فى السفينة من آمن بالله واليوم الاخر من اهله وقومه .

قال الله تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل

زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل » هود : ٤٠) .

١٤ - (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر)

تجرى السفينة على الماء المحيط بالارض بمراقبتنا وتوجيهنا وبحفظنا وحراستنا وان جريان السفينة كذلك لنجاة أهلها من الطوفان ليكون جزاء لنوح عليه السلام الذى كان كفر به قومه .

قال الله تعالى : « فأنجيناه والذين معه برحمة منّا » الاعراف : ٧٢) .

وقال : « ونجّيناه وأهله من الكرب العظيم ـ انّا كذلك نجزى المحسنين » الصافات : ٧٦ ـ ٨٠) .

١٥ - (ولقد تركناها آية فهل من مدكر)

وأقسم لقد أبقينا تلك السفينة التى نجّينا بها نوحاً عليه السلام ، والّذين آمنوا به ، وجعلناها آية يعتبر بها من له لبّ ، فيتذكر بوحدانية الله تعالى و كمال قدرته وانّ دعوة انبياءه حق ، وانّ اخذ الله جل وعلا أليم شديد ، فينتهى عن أن يسلك مسلكهم فى الكفر والطغيان ، فيصيبه مثل ما أصابهم من الهلاك والدمار .

قال الله تعالى : فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » العنكبوت : ١٥) .

وقال : « فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثمّ أغرقنا بعد الباقين إنّ فى ذلك لآية » الشعراء : ١١٩ ـ ١٢١) .

١٦ - (فكيف كان عذابى ونذر)

فكيف كان عذابى لهؤلاء الذين كفروا برسولى نوح عليه السلام ، وكذّبوه وتمادوا فى الغىّ والضّلال ، وكيف كان إنذارى إيّاهم ، فانظروا واعتبروا ، قال تعالى : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » آل عمران : ١٣٨) .

١٧ - (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

وأقسم لقد سهّلنا هذا القرآن لأن يتذكّر به النّاس فيذكروا الله وشؤونه وشحناه بأنواع المواعظ والعبر ، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد والبشارة والانذار ، فهل من متذكّر أن يتذكّر به ، فيؤمن بالله تعالى ، ويدين بما يدعوه اليه هذا القرآن من دين الحقّ وصالح العمل .

قال الله جل وعلا : « فانّما يسّرناه بلسانك لعلّهم يتذكّرون » الدخان: ٥٨).

وقال : « فانّما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين وتنذر به قوماً لدّاً » مريم : ٩٧) .

١٨ - (كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر)

كانت مساكن عاد في أرض الاحقاف ، وهي تقع في شمال حضرموت وشمال الربع الخالي ، وفي شرقها عمان وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم ، وكانت عاد يعبدون الاوثان من دون الله تعالى ضاهوا في عبادتها قوم نوح حين عبدوا ودّاً وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا .

فبعث الله تعالى نبيّه هوداً عليه السلام إليهم ليحذرهم بأس الله ، ويضرب لهم امثل بقوم نوح ويذكرهم بنعم الله تعالى عليهم فكذّبوه وسفهوه وتجاهلوا الحجج الناصعة والبراهين القاطعة التي أقامها على صدقه وقالوا : « ياهود ما جئتنا ببيّنة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » هود : ٥٣) .

وقال : « فكذّبوه فأهلكناهم » الشعراء : ١٣٩) .

وترقوا في تكذيبه واتّهموه في عقله ، فقالوا : « انّا لنراك في سفاهة » الاعراف : ٦٦) .

فانظروا معشر قريش كيف كان عذابي وعقابي لهم على كفرهم بالله تعالى وتكذيبهم رسوله هوداً عليه السلام وتسفيههم إيّاه وإنذاري من سلك سبيلهم وتمادى في الغيّ والضلال بحلول مثل ذلك العقاب به .

١٩ - (انا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر)

انّا ارسلنا على قوم هود ريحاً شديدة البرد والهبوب والصوت العاتية في يوم نحس مستمر يوماً بعد يوم لا يرجى فيها خير لهم ولا نجاة إلى ان هلكوا ، وذلك لان قوم هود عليه السلام لما عتوا على ربّهم وعصوا رسوله و كذّبوه وجحدوا واتّبعوا امر كلّ جبّار عنيد ، فلم تبق فائدة في إنذارهم احلّ الله تعالى بهم نقمته في الحياة الدنيا بأن امسك عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان كلّما نزل بهم الجهد ذكرهم هود عليه السلام بدعوته ، وانّه لا ينجيهم من البلاء سوى الاستماع له والعمل بنصائحه ، فكان ذلك يزيدهم عتوّاً إلى ان ارسل الله جلّ وعلا عليهم الريح العقيم، سلّطها عليهم سبع ليال وثمانية ايّام حسوماً .

« وامّا عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوماً » الحاقة : ٦ و٧) .

٢٠ - (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر)

كانت الريح تقلعهم من مواضعهم إقتلاع النخلة من اصولها وهم جثث طوال لشدّة هبوبها ، وتبين رؤسهم من أجسادهم لشدّة بردها ، فيتساقطون على الارض أمواتاً ، فتبقى اجسادهم بلا رؤس كأصول النخل بلا فروع لها .

قال تعالى : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء إلاّ جعلته كالرميم » الذاريات : ٤١ و٤٢) .

فاذا كان قوم عاد كذلك وهم يقولون : « من أشدّ منّا قوة » فصلت : ١٥) .
فكيف هؤلاء المشركون ومن سلك سبيلهم .

٢٣ - (كذبت ثمود بالنذر)

كانت ثمود تسكن بين الحجاز والشام إلى وادى القرى ومدائن صالح ظاهرة إلى اليوم : وكانوا يعبدون الاصنام ، ويطيعون المستبدّين الذين يفسدون في الارض ويدّعون الاصلاح وليسوا مصلحين لانّ الاصلاح يفوت عليهم المنافع التي يجرّونها

لانفسهم فأرسل الله تعالى إليهم نبيّه صالحاً عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد والاخلاص وطاعة الله تعالى وترك عبادة الاصنام والشرك وترك طاعة الطغاة والفجّار المسرفين فكذّبوه وأبوا أن يستجيبوا له في دعوته .

وانّهم لم يكتفوا بالتكذيب والانكار بل نسبوه إلى السّحر والجنون .

قال الله تعالى : « كذّبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انّي لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون ـ ولاتطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا إنّما انت من المسحرين » الشعراء : ١٤١ ـ ١٥٣) .

وقال : « وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى » فصّلت : ١٧) .

وقال : « كذّبت ثمود بطغواها » الشمس : ١١) .

٢٤ ـ (فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا اذاً لفي ضلال وسعر)

لم يؤمن الثموديون بما نصحهم به صالح عليه السلام ولم يسيروا في طريق الحق كما أرشدهم ، بل راحوا يتّهمونه بالهذيان ، فقالوا : أبشراً من نوعنا وهو شخص واحد لا عدّة ولا عدد ولا ثروة وغنى تجعله علينا زعيماً نتبعه ، فلو اتّبعناه ونحن جماعة كثيرون لكنّا إذاً لفي خطأ وذهاب عن الصواب وبعد عن الحق وفي جنون ، إذ لا تتبع الجماعة فرداً وهذا بمعزل من مقتضى العقل .

وذلك انّ ثموداً قد اعتادوا على اتّباع الملوك الجبابرة والعظماء المستبدين والثراة الفجرة وكان صالح عليه السلام يدعوهم إلى طاعة الله جل وعلا وطاعة نفسه هي طاعة الله تعالى بعينها ، ويرفضهم عن طاعة هؤلاء ذوي الاذناب .

٢٥ ـ (ءالقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)

ءانزل الوحي على صالح واختصّ هو بالرسالة من بين آل ثمود وفيهم من هو اكثر مالا وعدداً وأحسن حالا ليس كما يدعيه بل هو كاذب لا يبالي ما يقول يريد أن يتعاظم علينا بادّعائه النبوة من غير استحاق .

٢٦ ـ (سيعلمون غداً من الكذاب الاشر)

انّ من دأب الملوك الجبابرة وأحزابهم الشيطانيّة واكثر الفجّار أن ينسبوا

عيوبهم إلى أهل الحق ورجال الدين إفتراءً وعلى ذلك كانت ثمود إذ نسبوا أعمالهم غير العقلانيّة وضلالتهم وكذبهم وتجبّرهم الى نبي الله صالح عليه السلام فقال الله تعالى: سيعلم هؤلاء المفترون يوم الهلاك والدّمار ويوم القيامة من الكذّاب المتعظّم المتجبّر رسولنا صالح عليه السلام أم هم ؟

٢٧ - (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر)

طلبت ثمود من صالح عليه السلام أن يخرج ناقة من الهضبة تدلّ على انه رسول الله حقاً ، قال الله تعالى : إنا مخرجوا الناقة من صخرة على غير مألوف ، حسبما سئلوا نبيّنا صالحاً عليه السلام عنها لتكون آية لهم وحجة على صدقه في إدّعائه النبوة وامتحاناً لهم ، أيؤمنون بالله ورسوله ، ويطيعون الله ورسوله ويأتمرون بما أمروا به ، وينتهون عمّا نهوا عنه ، أم يكفرون بالله ويكذّبون برسوله وآياته ولكنهم كذّبوه وفعلوا ما فعلوه .

وقال لنبيّه صالح عليه السلام : فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصبر على أذاهم .

قال تعالى : « وإلى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جائتكم بيّنة من ربّكم هذه ناقة الله لكم آية » الاعراف : ٧٣) .

وقال : « فاتّقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا ـ فأت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » الشعراء : ١٥٠ ـ ١٥٥) .

وقال : « فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها فكذّبوه » الشمس : ١٣و١٤) .

٢٨ - (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)

لمّا أتاهم بالنّاقة التي خلقها الله تعالى على طريق الاعجاز ، وأمرهم ان لا يمسّوها بسوء ، فلا تعذب ولا تطرد ولا تركب ولا تذبح ، جعل الله تعالى للناقة شرباً في يوم معلوم ولثمود شرباً في يوم غيره ، فقال : واخبر قومك ثموداً ياصالح انّ الماء مقسوم بينهم والنّاقة فلهم يوم ولها يوم يحضره صاحبه في نوبته ، فالناقة تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم .

٢٩ - (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)

انّ الله تعالى أوعد ثموداً بالعذاب ان اعتدوا على الناقة بسوء، وأخبرهم بأنْ سلامتهم مقرونة بسلامتها، «ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب عظيم» الشعراء، ١٥٦).

فمكثت الناقة بينهم زمناً تأكل من نبات الارض - وقيل: لا تأكل - وترد الماء يوماً وتصدّ عنه يوماً آخر، ولا ريب انّ قيامها على هذه الحال قد استمال اليه كثيراً من قوم صالح، إذ رأوا فيها آية على صدق نبوّته فأفزع هذا الامر طبقة الاشراف والمترفين فخافوا على دولتهم ان تبيد وعلى سلطانهم أن يزول، فبيّتوا فى أنفسهم شرّاً نحو النّاقة، ووقفوا من صالح ومن آمن معه موقف العداوة والخصام، وكان الاشراف المتكبّرون يلومون المؤمنين على إيمانهم.

ولم يطق الاشراف إحتمال هؤلاء المؤمنين، ولا وجود النّاقة بينهم ولعلّها أكانت ضخمة الجسم، فأرهبت أنعامهم ولعلّها حالت بينهم وبين الماء حين إشتداد الحاجة اليه، ولعلّهم أفزعهم أن يكثر المؤمنون بسبب هذه النّاقة، ولعلّ هذا كله دفعهم إلى قتلها، بالرغم من تحذير نبيّهم بالعذاب، وتوعّده إيّاهم بالهلاك ان مسّوها بسوء ولكنّهم أقدموا على عقر النّاقة غير مبالين بما أوعدهم الله تعالى به.

فنادوا عاقر النّاقة - وهو قدار بن سالف أشقاهم - ليعقرها حضّاً منهم له على ذلك، فاجترأ على هذا الامر العظيم فأقدم بالعقر وأحدثه بها.

٣١ - (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)

لمّا عقروا النّاقة طلبوا من صالح أن يعجّل لهم العذاب الذى كان يهددهم به ليثبت لهم انّه رسول الله: «فعقروا النّاقة وعتوا عن أمر ربّهم وقالوا يا صالح إئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين» الاعراف: ٧٧).

أمام هذا التحدّى لأمر الله أخبرهم صالح عليه السلام بأنّ عذاب الله واقع بهم بعد ثلاثة أيّام: «فقال تمتّعوا فى داركم ثلاثة أيّام ذلك وعد غير مكذوب» هود: ٦٥).

وكان فى ثمود تسعة رجال هم أشدّ النّاس كفراً وفساداً فى الارض فأتمروا فيما بينهم على قتل صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وأقسموا بالله على مباغتته وأهله وقتلهم سرّاً فاذا جاء أنصاره وأقرباؤه ليبحثوا عن قتله ويطالبوا بدمه أنكروا تهمة الجريمة مؤكّدين لهم القول بأنّهم لم يشهدوا قتله ولم يشتركوا فيه .

وخطط هؤلاء مؤامراتهم للفتك بصالح وأهله ، والله من ورائهم قد أراد النجاة لنبيّه وأهله والهلاك والدمار لهؤلاء المتآمرين من حيث لا يحتسبون ولايشعرون « وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيّتنّه وأهله ثم لنقولنّ لوليّه ما شهدنا مهلك أهله وانّا لصادقون ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انّا دمّرناهم وقومهم أجمعين » النمل : ٤٨ ـ ٥١) .

إنّا أرسلنا عليهم صيحة العذاب صيحة واحدة ، فصاروا موتى جاثمين ملقى بعضهم فوق بعض كالخشب الّذى يكسر فى الطّرق والشوارع ، فبادوا وهلكوا ولم تبق منهم باقية

وقدكان هلاك ثمود بالصاعقة لقوله تعالى : «فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون» الذّاريات : ٤٤) .

وقوله : فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » فصلت : ١٧)

وقد عبّر القرآن الكريم عن الصاعقة تارة بالصيحة وتارة اخرى بالرجفة وثالثة بالطاغية إذ قال : « فأخذتهم الصيحة مصبحين » الحجر : ٨٣) .

وقال : فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين » الاعراف : ٧٨) .

وقال : « فأمّا ثمود فأهلكوا بالطاغية » الحاقة : ٥) .

وذلك لأنّ الصاعة تحدث صوتاً عظيماً ، فذلك المراد بتسميتها بالصيحة ، وقد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلزال ترجف الأفئدة من وقعها ، وقد تكون فى مكان ويطغى تأثيرها حتى يصل إلى مكان آخر .

فما وصفه القرآن الكريم للصاعقة بتعابير شتّى هو تعبير دقيق يصف آثارها

وعواملها ومظاهرها .

٣٣ - (كذبت قوم لوط بالنذر)

نزل لوط النبى عليه السلام بقعة الاردن التى تقوم عليها مدينتنا سدوم وعمورة وضواحيهما . وأقام بمدينة سدوم ، وكان أهلها من أفجر الناس وأكفرهم وأسوأهم طوية وسلوكاً يقطعون الطرق للسلب ، ويأتون فى ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه ، وقد ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم اليها أحد من بنى آدم ، وهى اللواط فأرسل الله تعالى نبيّه لوطاً بالرسالة الالهية لهدايتهم وتحذيرهم سوء أفعالهم . . .

كذّبت قومه بما أنذرهم به وهدّدوه قائلين إن لم تكف عن ذلك فسنخرجك من بلادنا « قالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين » الشعراء : ١٦٧) .

وكانوا يتمرّدون ويستكبرون ويقولون للوط: « إئتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين » العنكبوت : ٢٩) .

٣٤ - (انا أرسلنا عليهم حاصباً الا آل لوط نجيناهم بسحر)

انّا أرسلنا على قوم لوط سحاباً ترميهم ، وتمطرهم بحجارة من سجّيل منضود إلا من آمن بالله تعالى وبرسوله نجّيناهم بوقت سحر .

ان القرآن الكريم يذكر العذاب الشديد الذى أصاب من كفر بالله تعالى وكذّب برسوله وارتكب هذه الفاحشة ، وذلك لتحذر الامم خطرها وتتوقّى شرها فسدوم تلك القرية الّتى انتشرت فيها هذه الفاحشة ، يبيّن القرآن ما أصابها من عقاب :

« فلمّا جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود مسوّمة عند ربّك وما هى من الظالمين ببعيد » هود : ٨٢ و ٨٣) .

٣٥ - (نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر)

نجّينا لوطاً والمؤمنين معه ليكون نعمة من عندنا نخصّهم بها ، ومثل ذلك الجزاء العجيب نجزى من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة وصالح العمل قال : « ربّ نجّنى وأهلى مما يعملون فنجّيناه وأهله أجمعين إلا عجوزاً فى الغابرين ثم دمّرنا

الآخرين » الشعراء : ١٦٩ - ١٧٢) .

٣٦ - (ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر)

وأقسم لقد انذر لوط قومه ، وخوّفهم عقوبتنا في الحياة الدنيا وأخذنا ايّاهم بالعذاب الشديد في الاخرة ، فشكّوا فيما أنذرهم به الرسول ولم يصدّقوه وجادلوا في انذاره وتخويفه .

٣٧ - (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر)

وأقسم طلب قوم لوط منه أن يسلّم اليهم أضيافه ، وهم الملائكة ، فأمرنا جبرئيل عليه السلام أن يضربهم ، فعموا ، فقلنالهم بألسنة الملائكة : ذوقوا عذابي ونذر: عذاب طمس الاعين وانذار ما بعده على سوء أفعالكم .

وذلك لأنّ الملائكة لما جائوا لوطاً عليه السلام في صورة شباب مرد حسان محنة من الله تعالى لقومه بعثت اليهم امرأته العجوز السوء ، فأعلمتهم باضيافه فانتشر بينهم نبأ نزول الاضياف ، فأسرعوا إلى بيته وتجمهروا حوله ، فأغلق لوط عليه السلام عليهم الباب ، فجعلوا يعالجونه ليكسروه وهو يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ، وهم يبتغون الفاحشة من ضيوفه وهو يقول لهم : هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم بدلاً من اقتراف الفاحشة مع ضيوفي ولم يرض القوم ، وخاصّة رؤسائهم بكلام لوط بل أجابوه : انك لتعلم اننا ليس لنا في الزواج من بناتك أية رغبة وانك - دون ريب - تعلم ما نريد .

فلمّا اشتدّ بينهم الصراع ، وأبوا إلا الدخول ، تمنّى لوط أن يكون بينهم رجل عاقل ، يهتدى إلى الحق ، ويرعوى عن الباطل ، فيساعده على ردّ القوم عن غيّهم ، ولم يجده من بينهم ، فكاشف لوط ضيوفه بالخطر المحدق بهم ، وقال لهم : لو انّ وجودكم معي يزيدني قوّة استطيع بها أن أقاوم هؤلاء الناس لفعلت دفاعاً عنكم ، ولو ان عندى من الانصار والاقارب جماعة اقوياء الجأ إليهم لاستعنت بهم على حمايتكم ولكن لا حيلة لي بمقاومتهم للدفاع عنكم .

قال الله تعالى : « ولما جاءت رسلنا لوطاً سيىء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا

يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السّيّئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن ّ أطهر لكم فاتقوا الله ولاتخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ّ وانّك لتعلم ما نريد قال لو ان ّ لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد » هود : ٧٧ ـ ٨٠) .

ولمّا اشتد ّ الهرج أمام بيته عليه السلام ، ولم يفلح لوط في اقناع قومه بالعدول عمّا أرادوه عندئذ ضربتهم الملائكة بالعمى بعد أن اوشكوا أن ينالوا بغيتهم المحرمة ، فتبد ّد شملهم فجعل بعضهم يجول في بعض ولا يرون شيئاً ويقولون : أين ضيوفك ؟ ورجعوا من حيث أتوا أذلا ّء خاسئين .

٣٨ ـ (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر)

وأقسم لقد نزل بقوم لوط العذاب وقت الصبح ، فاستقر فيهم حتى يفضي بهم إلى عذاب الآخرة بالنار .

وذلك لأن ّ الملائكة لما طمسوا أعين قوم لوط بأمرالله تعالى بحيث ماكانوا يستطيعون النجاة ، وخلصوا لوطاً من شر ّ قومه ، فقالوا له : لن يستطيعوا أن يؤذوك في نفسك ولا أن يفضحوك فينا ، كشفوا عن حقيقتهم للوط وأخبروه عن سبب مجيئهم وهو إهلاك قومه ، وقالوا له : فسر أنت وأهلك ليلاً واخرج بهم من هذه القرية ، ولا يلتفت أحدكم خلفه لكي لايرى هول العذاب فيصاب منه بشر ّ .

أما امرأتك التي خانتك فلا تكن من الخارجين معك ، إذلابد أن يصيبها ما قد ّر أن يصيب القوم من الهلاك ، وان ّ موعد هلاكهم هو الصبح ، وهوموعد قريب .

ولمّا حل ّ العذاب الذي قد ّره الله تعالى على قوم لوط لكفرهم وتكذيبهم وعملهم الفاحش جعل عالي القرية التي كان يعيش بها قوم لوط سافلها وأمطر عليهم في اثناء ذلك حجارة من طين متحجّر صلب كانت تنهال عليهم متتابعة منتظمة تعذيباً من الله تعالى لهم وعذاب الله جل وعلا ليس ببعيد عن الكافرين المكذّبين الظالمين .

قال تعالى : « قالوا يا لوط إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك

بقطع من الليل ولايلتفت منكم أحد إلاّ امرأتك انه مصيبها ما أصابهم انّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلماجاء أمرنا جعلنا عاليهاسافلها وأمطرنا عليهاحجارة من سجّيل منضودمسوّمةعند ربّك وماهي من الظالمين ببعيد » هود : ٨١ ـ ٨٣) .

٤١ ـ (ولقد جاء آل فرعون النذر)

وتالله لقد جاء فرعون وقومه وهم القبط آيات بيّنات آية بعد آية .

٤٢ ـ (كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)

لمّا رأى فرعون وقومه الايات ـ وهي المعجزات ـ التي أتاهم موسى عليه السلام الدالّة على التوحيد والنبوّة ، كذّبوهافتمادوا في كفرهم وأصرّوا في عنادهم ، فعاقبناهم بكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم برسوله وما جاء بهم عقوبة شديدة لايغلب مقتدر على مايشاء غير عاجز ولا ضعيف فيما يريد .

قال تعالى: « فلمّا جاءهم موسى بآياتنابيّنات قالوا ماهذا إلاّ سحر مفترى » القصص : ٣٦) .

وقال : «فلما جاءتهم آياتنامبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » النمل : ١٣ و ١٤) .

وقال : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلّهم يذّكّرون ـ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ـ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » الاعراف : ١٣٠ ـ ١٣٦) .

٤٣ ـ (أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر)

ليس كفّاركم خيراً من كفّار من تقدّم من الامم الذين أهلكهم الله تعالى بكفرهم بالله تعالى وتكذيبهم برسله وآياته ، وهم كانوا أكثر جنداً وأعظم جثماً وأشدّ قوّة وأكثر أموالاً وآلة ومكانة منكم وأنتم في الكفر معهم مشتركون بل

شرٌ منهم مكاناً وأسوأ حالاً بل وليس لكم براءة من العذاب والعقاب في الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ، فلم يجيء فيها انَّ من كفر منكم و كذَّب فهو آمن من عذاب الله تعالى ، فكيف تكفرون بالله وتكذّبون بما جائكم به محمّد رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : « أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبيّنات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثمّ كان عاقبة الذين أساؤا السوآى إن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن » الروم : ٩و١٠) .

وقال : « أهم خيرأم قوم تبّع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين» الدخان : ٣٨) .

٤٤ ـ (أم يقولون نحن جميع منتصر)

بل هم يقولون : نحن جماعة لاتطاق لكثرة عددنا وشدة قوتنا ، نحن واثقون بشوكتنا ، نحن قوم مجتمعون متّحدون ننتقم ممن أرادنا بسوء وينصر بعضنا بعضاً فلا ننهزم ، ونحن قوم أمرنا بالشورى بيننا ، نعم يحسن المجتمع إذا كان صالحاً ، وتحسن الجماعة إذا كانت معها يد الله لا يد الشيطان .

نعم يحسن المجلس بالشورى إذا كان لأهله شرف وكانوا هم أهل صلاح لا العكس ، يحسن المجلس بالشورى إذا كان لاحقاق الحق لا لهضم الحقوق ، يحسن المجلس بالشورى إذا كان لنشر الفضيلة وكان على أساس العدل لا العكس وبالجملة يحسن المجلس بالشورى إذا كان أهله حزب الله لا حزب الشيطان وإلا فهم مغلوبون خاسرون وإن كثر جمعهم .

٤٥ ـ (سيهزم الجمع ويولون الدبر)

سيهزم جمع كفار مكة ويتفرّق شملهم ويغلبون حين يلتقي جيشهم وجيش المؤمنين ، ويولّون الادبار ويفرّون ولا يجدون لهم وليّاً ولا نصيراً .

قال الله تعالى : « ولوقاتلكم الذين كفروا لولّوا الادبار ثم لا يجدون وليّاً

ولا نصيراً سنّة الله التى قد خلت من قبل » الفتح : ٢٢ و٢٣) .

وقال الله تعالى: « كتب الله لاغلبن ّأنا ورسلى ان الله قوى ّعزيز» المجادلة: ٢١).

٤٦ ـ (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

ليس الانهزام والقتل والاسر وما لحقهم يوم بدر وبعده هى تمام عقوبتهم فى كفرهم وتكذيبهم ، بل الساعة التى أشرنا إلى نبأها هى موعدهم والساعة أدهى من كل داهية ـ وهى الامر الفظيع الذى لايهتدى للخلاص منه ـ وأمر ّ من كل مر ّ.

قال تعالى : «وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة أشد ّ وابقى » طه : ١٢٧) .

وقال : « كذّب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل ّ مثل لعلّهم يتذكّرون » الزمر : ٢٥ ـ ٢٧) .

وقال : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى اشد ّ العذاب » البقرة : ٨٥) .

٤٧ ـ (ان المجرمين فى ضلال وسعر)

ان ّ المجرمين يوم القيامة فى ضلال عن وجه النّجاة وطريق الجنّة وفى نيران مسعرة .

والاية فى معنى قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فان ّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب ّ لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى » طه : ١٢٤ ـ ١٢٦) .

وقوله : « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الاخرة أعمى وأضل ّ سبيلاً » الاسراء : ٧٢) .

وقوله : « واذا الجحيم سعّرت » التكوير : ١٢) .

وقوله : « انّه من يأت ربّه مجرماً فان ّ له جهنّم لايموت فيها ولايحيى » طه : ٧٤) .

٤٨ ـ (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر)

يوم يجرّون إلى النار ليعذبوا بها أوبين النار على وجوههم للاهانة والاذلال ويقال لهم إيلاماً وتعنيفاً : ذوقوا ماتصيبكم جهنّم بحرّها وعذابها جزاء وفاقاً لتكذيبهم بنبىّ الله وما جاء به .

وذلك لانّ النّار إذا اصابتهم بحرّها ولحقتهم بايلامها فكأنّها تمسّهم مسّاً بذلك كما يمسّ الانسان ما يؤذيه ويؤلمه .

قال الله تعالى : « ولو ترى إذ يتوفّى الّذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق » الانفال : ٥٠) .

وقال : « وقيل لهم ذوقوا عذاب النّار الذى كنتم به تكذّبون » السجدة : ٢٠).

٤٩ ـ (انا كل شى خلقناه بقدر)

القدر هو هندسة الشيء وحدّ وجوده ، فكل شيء محدود لايتخطّى حدّه فى مسير وجوده ، وقد تكرّر ذكره فى القرآن الكريم فيما تكلّم فى أمر الخليقة إذقال : « وإن من شيء إلاّ عندناخزائنه وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم » الحجر: ٢١).

وانّ القدر يشمل للعرض والطّول وسائر الحدود والخصوصيّات الطبيعيّة الجسمانيّة والروحانيّة العقلانية والادراكات والشعور ، كما يظهران المراد بكل شيء فى قوله تعالى : « وخلق كلّ شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٣) .

وقوله : « الّذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠) .

وقوله : « و كلّ شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨) .

وقوله : « وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها » فصّلت : ١٠) .

وقوله : « انّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكلّ شيء قدراً » الطلاق : ٣) .

الاشياء الواقعة فى عالمنا المشهود من الطبيعيّات الواقعة تحت الخلق والتركيب ، وفى عالم الغيب من الارواح والعقول والشّعور ، وما إليها وفى عالم الاخرة من الجنّة والنار ، وما فيهما على اختلاف الوجود ، والاحوال باختلاف العلل والشرائط ، فكلّ مقلوب بقالب من داخل وخارج تعيّن له من العرض

والطول والشكل والهيئة وسائر الاحوال والافعال بما يناسبه على مقتضى الحكمة البالغة والنظام الشامل ، وبحسب السنن التى وضعها فى الخليقة .

٥٠ـ (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)

وما أمرنا للشيء إذا أردنا ان نكوّنه إلاّ كلمة واحدة وهى « كن » ، فيكون بلا مراجعة فيها ولا مرادة فيوجد كسرعة اللمح بالبصر لا يبطىء ولا يتأخّر كقوله تعالى : « انما امره إذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون » يس : ٨٢) .

وقوله : « إنّما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون » النحل: ٤٠).

وهذا تمثيل لسرعة نفاد مشيّئة الله تعالى فى ابجاد الخلق ، فلا يحتاج امره فى مضيّه وتحقق متعلّقه إلى تردّد اوتكرر بل امره واحد بالقاء كلمة « كن » يتحقق به متعلّقه « كلمح البصر » من غير تأنّ ومهل حتى يحتاج إلى الامر ثانياً وثالثاً .

٥١ـ (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر)

ولقد أهلكنا امثالكم ونظائركم ـ يا معشر قريش ومن اليكم ـ فى الكفر وتكذيب الانبياء والعصيان من الامم الماضية ، وليس ما أنذرناكم به من الهلاك والدمار فى الحياة الدنيا وعذاب النار فى الاخرة مجرّد خبر أخبرناكم به ولاقول ألقيناه إليكم بل تلك أمثالكم من الامم الخالية قد أهلكناهم فى الحياة الدنيا ، وسيلقون عذاب النار فى الاخرة .

فهل من متذكّر يتذكّر ويتّعظ بما ذكرناه من الامور لئلا يقع به ما وقع بهم من الهلاك والدّمار والعذاب .

قال الله تعالى : « ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجائتهم رسلهم بالبيّنات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون » يونس : ١٣ ـ ١٤) .

وقال : «ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرّفنا الايات لعلّهم يرجعون» الاحقاف : ٢٧) .

٥٢ ـ (وكل شيىء فعلوه فى الزبر)

وكلّ شيء فعله أمثالكم فى الكفر والطغيان الذين مضوا من قبلكم ثابت فى دواوين الحفظة الكتبة ، وهى صحائف أعمالهم ، ولستم أنتم معشر قريش ومن إليكم بخارجين من ذلك ، فكل شيء تفعلونه ، فتدسّون به أنفسكم من الكفر والمعاصى ، وتدنّسونها من الارجاس والآثام ، فهو ثابت فى صحائف أعمالكم ، فستحاسبون بها غداً .

قال الله تعالى : « وانّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار : ١٠ ـ ١٢) .

وقال : « وترى كل امّة جاثية كل امّة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون » الجاثية : ٢٨) .

٥٣ ـ (وكل صغير وكبير مستطر)

وكل صغير من الاعمال وكبير منها مكتوب فى صحائفها فليحذر الانسان ما هو عليه قادم من الحساب العسير على الجليل والحقير .

قال الله تعالى: « ولا تعملون من عمل إلا كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرّة فى الارض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ فى كتاب مبين » يونس : ٦١) .

وقال : « ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيره إلا أحصيها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحداً » الكهف : ٤٩) .

٥٤ ـ (ان المتقين فى جنات ونهر)

انّ الذين اتقوا الله جلّ وعلا ، فأطاعوه وأدّوا فرائضه وأخلصوا له العمل سرّاً وعلانية ، واجتنبوا من الكفر والمعاصى ، هم فى جنات عظيمة شأنها بالغة وصفها ، وفى أنهار من الماء واللبن والخمر والعسل .

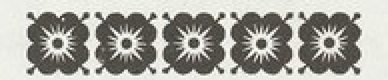
قال الله تعالى : « مثل الجنّة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وانهار من خمر لذّة للشاربين وانهار من عسل مصفّى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربّهم » محمد ﷺ : ١٥) .

٥٥ - (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)

فى مكان مرضى من الجنّات له مزيّة على سائر المواضع والامكنة فيها مقرّبين عند مالك الملك الذى يقدر على مايشاء ، فأىّ منزلة ومكانة أعظم وأكرم من تلك المنزلة ، إذ لايكتنه كنه عظمتها واقتدارها ، و «عند» ههنا عنديّة القربة والزلفى والمكانة والكرامة والرتبة والمنزلة .

قال الله تعالى : « لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزولاً من عند الله وما عند الله خير للابرار » آل عمران : ١٩٨) .

وقال : « وبشّر الذين آمنوا انّ لهم قدم صدق عند ربّهم » يونس : ٢) .



﴿ جملة المعاني ﴾

٤٨٤٧ ـ (اقتربت الساعة وانشق القمر)

دنا يوم القيامة ، وانفصل بعض القمر عن بعض ، فصار فرقتين .

٤٨٤٨ ـ (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)

وإن يشاهد هؤلاء المشركون كل آية تدل على صحة نبوة محمد رسول الله الاعظم ﷺ ، يعرضوا عن التأمل فيها ، ويقولوا تكذيباً بها : هذا سحر سحرنا به محمّد ﷺ على مرّ الايام .

٤٨٤٩ ـ (وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل امر مستقر)

وكذّب هؤلاء المشركون بالنبيّ الكريم ﷺ وما جاء بهم ، واتبعوا ما تهوى أنفسهم حالكون كل أمر سيستقر فى قراره ، فيعلم صدقه وكذبه .

٤٨٥٠ ـ (ولقد جائهم من الانباء ما فيه مزدجر)

أقسم بالله جلّ وعلا انه جاء هؤلاء المكذبين بعض أخبار الامم الماضية ما فيه زجر يزجرهم عن إعراضهم وتكذيبهم واتباعهم الاهواء لو ازدجروا .

٤٨٥١ ـ (حكمة بالغة فما تغن النذر)

وفى الاخبار حكمة تبلغ فى الهداية والارشاد إلى طريق الحق لمن يعقل وأمّا الذين يتّبعون أهواءهم فما تغنيهم النذر لانهم لاينتفعون بها .

٤٨٥٢ ـ (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر)

فأعرض أيّها النبيّ ﷺ عن هؤلاء المكذبين ولا تجادلهم الاّ بالّتى هى أحسن ، واذكرهم يوم يدعوهم الله جلّ وعلا إلى شيء فظيع تنكره نفوسهم .

٤٨٥٣ ـ (خشعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر)

حالكون المكذّبين ترى آثار الذّلّة من أبصارهم يخرجون من قبورهم ، حالكونهم كالجراد في إنتشارهم وسعيهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي .

٤٨٥٤ ـ (مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر)

حالكون المكذّبين مسرعين ـ في خوف ـ إلى هاتفهم مادّين أعناقهم إلى داعيهم مستجبين دعوته ، وهم يقولون يومئذ لما ينالهم فيه من الفزع والاهوال : هذا يوم صعب شديد .

٤٨٥٥ ـ (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر)

ليس تكذيب مشركي مكّة برسولنا محمّد صلى الله عليه وآله بيدع بل كذّبت قبلهم قوم نوح ، فكذّبوا عبدنا نوحاً عليه السلام تكذيباً بعد تكذيب ، ولم يقتصروا على ذلك بل نسبوه إلى الجنون ، وقالوا : انه مجنون وازدجر في سبيل الدعوة جدّاً .

٤٨٥٦ ـ (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر)

بعد أن بذل نوح عليه السلام غاية جهده في سبيل دعوة قومه إلى الله تعالى ، ولم يهتدوا بل زاد طغيانهم لجأ عندئذ إلى ربّه يشكو قومه ، فدعا عليهم ، وقال : ربّ انّي مغلوب غلبني هؤلاء المكذّبون بالقهر لا بالحجّة ، فانتقم منهم بعدلك .

٤٨٥٧ ـ (ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر)

فاستجبنادعاء نبيّنانوح عليه السلام ، وأمرناه باتخاذ السفينة ، وفتحناابواب السّماء وأنزلنا من السّماءِ ماء بتتابع لم تعهده الارض ولا اهلها من قبل .

٤٨٥٨ ـ (وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر)

وأمرنا الارض بأن تتفجّر منها المياه من جميع ارجائها ، فتفجّرت بالعيون فالتقى ماء السماءِ بماءِ الارض حسب ما قدّر الله تعالى من غير زيادة ولا نقيصة .

٤٨٥٩ ـ (وحملناه على ذات الواح ودسر)

وحملنا نوحاً عليه السلام على سفينة ذات خشب تركّب بعضها ببعض بالمسامير

فنجّيناه ، ومن آمن به من الطوفان .

٤٨٦٠ ـ (تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر)

تجرى السفينة على الماءِ المحيط بالارض بمراقبتنا جزاء لنوح عليه السلام الذى كان كفر به قومه .

٤٨٦١ ـ (ولقد تركناها آية فهل من مدكر)

وأقسم لقد أبقينا تلك السفينة ، وجعلناها آية يعتبر بها من له لبّ ، فهل من متذكّر يتذكّر .

٤٨٦٢ ـ (فكيف كان عذابى ونذر)

فكيف كان عذابى للمكذّبين بنوح عليه السلام وإنذارى إيّاهم ، فاعتبروا يا اولى الابصار .

٤٨٦٣ ـ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

وأقسم انّا سهّلنا هذا القرآن لان يتذكّر به الناس ، فهل من متذكر .

٤٨٦٤ ـ (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر)

ومن الأمم الذين كذّبوا الانبياء عليهم السّلام عاد ، فكذّبوا نبيّهم هوداً عليه السلام ، فأخذهم بالهلاك والدّمار ، فانظروا معشر قريش كيف كان عذابى لهم وإنذارى من سلك سبيلهم فاعتبروا .

٤٨٦٥ ـ (انا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى يوم نحس مستمر)

انّا ارسلنا على قوم هود ريحاً شديدة البرد والهبوب وعاتية الصوت فى يوم نحس مستمر يوماً بعد يوم لايرجى فيها خير لهم ولانجاة إلى ان هلكوا .

٤٨٦٦ ـ (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر)

كانت الريح تقلعهم من مواضعهم اقتلاع النخلة من اصولها وهم جثث طوال لشدّة هبوبها ، وتبين رؤسهم من أجسادهم لشدّة بردها .

٤٨٦٧ ـ (فكيف كان عذابى ونذر)

فانظروا معشر قريش كيف كان عذابى لهم وانذارى من سلك سبيلهم فاعتبروا .

٤٨٦٨ ـ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

وقد مرّ معناها آنفاً .

٤٨٦٩ ـ (كذبت ثمود بالنذر)

ومن الأمم المكذّبين ثمود وهم قوم صالح عليه السلام كذّبوا بما أنذرهم به .

٤٨٧٠ ـ (فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا اذاً لفى ضلال وسعر)

فقال قوم صالح عليه السلام : أبشراً من نوعنا وهو شخص واحد من غير عدد وثروة جعل علينا زعيماً نتبعه ، فلو اتّبعناه ـ ونحن جماعة كثيرون ـ لكنّا إذاً لفى خطاء وجنون .

٤٨٧١ ـ (ءالقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)

ءانزل الوحى على صالح عليه السلام واختصّ بالرسالة من بين آل ثمود بل هو كذّاب لايبالى مايقول يريد أن يتعاظم علينا بذلك .

٤٨٧٢ ـ (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر)

سيعلم هؤلاء المفترون يوم الهلاك والعذاب من الكذّاب المتجبّر .

٤٨٧٣ ـ (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر)

انّا مخرجوا النّاقة من صخرة صمّاء على غير مألوف حسبما سئلوا نبيّنا صالحاً عليه السلام عنها لتكون آية لهم ، فانتظرهم واصبر على أذاهم .

٤٨٧٤ ـ (ونبئهم ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر)

وأخبر قومك ثموداً انّ الماء مقسوم بينهم وبين النّاقة ، فلهم يوم ولها يوم يحضره صاحبه فى نوبته .

٤٨٧٥ ـ (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)

فنادى قوم صالح عليه السلام عاقر النّاقة ، فحضّوه على عقرها ، فأجترأ عليه وأحدثه بها .

٤٨٧٦ - (فكيف كان عذابى ونذر)

فانظروا معشر قريش كيف كان عذابى لهم وانذارى مـن سلك مسلكهم ، فاعتبروا .

٤٨٧٧ - (انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر)

انّا أرسلنا على ثمود صيحة العذاب والهلاك والدمار صيحة واحدة ، فصاروا موتى جاثمين ملقى بعضهم فوق بعض كالخشب المكسورة فى الشوارع .

٤٨٧٨ - (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

أقسم بالله جل وعلا انّا سهّلنا هذا القرآن لان يتذكّر به النّاس ، فهل من متذكّر .

٤٨٧٩ - (كذبت قوم لوط بالنذر)

ومن الامم المكذبين قوم لوط إذ كذّبوا نبيّهم لوطاً عليه السلام بما أنذرهم به .

٤٨٨٠ - (انا أرسلنا عليهم حاصباً الا آل لوط نجيناهم بسحر)

انّا أرسلنا على قوم لوط سحاباً تمطرهم بحجارة من سجّيل منضود إلاّ من آمن بالله ورسوله نجّيناهم بوقت سحر .

٤٨٨١ - (نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر)

نجّينا لوطاً عليه السلام والمؤمنين به ليكون نعمة عليهم من عندنا ، نخصّهم بها ومثل ذلك الجزاء نجزى من شكر نعمتنا بالايمان وصالح العمل .

٤٨٨٢ - (ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر)

أقسم بالله انّ لوطاً عليه السلام أنذر قومه ، وخوّفهم عقوبتنا بالهلاك والدمار فى النار وبنار جهنّم فى الاخرة ، فجادلوا فى إنذاره وتخويفه .

٤٨٨٣ - (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر)

أقسم بالله جلّ وعلا انّ قوم لوط عليه السلام طلبوا منـه أن يسلم إليهم أضيافه ، فأعمينا اعينهم وقلنا لهم : فذوقوا عذابى ونذرى .

٤٨٨٤ - (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر)

اقسم بالله انّ العذاب نزل بقوم لوط وقت الصباح ، فاستقرّ فيهم حتى افضى بهم إلى عذاب النار .

٤٨٨٥ - (فذوقوا عذابي ونذر)

وقلنا لهم : فذوقوا عذابي ونذري .

٤٨٨٦ - (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

وقد مرّ معناها مراراً .

٤٨٨٧ - (ولقد جاء آل فرعون النذر)

أقسم بالله تعالى قدجاء فرعون وقومه آيات بيّنات .

٤٨٨٨ - (كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)

لمّا رأى فرعون وقومه الايات كذّبوابها ، فعاقبناهم بتكذيبهم عقوبة شديد لا يغلب مقتدر على ما يشاء .

٤٨٨٩ - (أكفار كم خير من اولئكم ام لكم براءة فى الزبر)

أكفّار كم معشر قريش خير من كفّار من تقدّم من الأمم المكذّبين أم لكم براءة من العذاب ، فجائت فى الكتب السّماويّة .

٤٨٩٠ - (أم يقولون نحن جميع منتصر)

بل هم يقولون : نحن جماعة ينصر بعضنا بعضاً ، فلا ننهزم .

٤٨٩١ - (سيهزم الجمع ويولون الدبر)

سيهزم جمع كفّار مكة ويتفرّق شملهم ، ويغلبون حين يلتقى جيشهم بجيش المؤمنين ، ويختارون سبيل الفرار .

٤٨٩٢ - (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

ليس الانهزام تمام عقوبتهم فى تكذيبهم بل السّاعة التى أشرنا إلى نبأها هى موعدهم والسّاعة هى أدهى من كل داهية وأمر من كلّ مر .

٤٨٩٣ ـ (ان المجرمين فى ضلال وسعر)

انّ المجرمين يوم القيامة فى ضلال عن طريق الجنّة وفى نيران مسعّرة .

٤٨٩٤ ـ (يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر)

يوم يجرّون فى النار على وجوههم ويقال لهم : ذوقوا ما تصيبكم جهنم بحرّها .

٤٨٩٥ ـ (انا كل شىء خلقناه بقدر)

انّا خلقنا كل شىء على حدّ لا يتخطّاه .

٤٨٩٦ ـ (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)

وما أمرنا لشىء إذا أردنا تكوينه إلا كلمة واحدة وهى « كن » فيكون فيوجد كسرعة اللمح بالبصر بلا إبطاء وتأخير .

٤٨٩٧ ـ (ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر)

أقسم بالله جلّ وعلا انّا اهلكنا أمثالكم معشر قريش فى الكفر ، فهل من متذكّر يتذكّر .

٤٨٩٨ ـ (وكل شىء فعلوه فى الزبر)

وكل شىء فعله المكذّبون ثابت فى صحائف أعمالهم .

٤٨٩٩ ـ (وكل صغير وكبير مستطر)

وكلّ صغير من الاعمال وكبيرها مكتوب فى صحائفها .

٤٩٠٠ ـ (ان المتقين فى جنات ونهر)

انّ الذين اتّقوا الله هم فى جنّات وأنهار .

٤٩٠١ ـ (فى مقعد صدق عند مليك مقتدر)

فى مكان مرضىّ من الجنّات له مزيد فضل على سائر المواضع ، وهم مقرّبون عند مالك الملك الذى يقدر على ما يشاء .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : « إقتربت السّاعة » قال : إقتربت القيامة ، فلا يكون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ القيامة : وقد انقضت النبوّة والرسالة .

وقوله : « وانشقّ القمر » فانّ قريشاً سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يريهم آية ، فدعا الله ، فانشقّ القمر نصفين ، حتى نظروا إليه ثمّ التأم فقالوا : هذا سحر مستمرّ ، أي صحيح .

وفي الدر المنثور : عن أنس قال : سئل أهل مكّة النبي صلى الله عليه وآله آية فانشقّ القمر بمكّة فرقتين فنزلت : « إقتربت السّاعة وانشقّ القمر » إلى قوله : « سحر مستمرّ » أي ذاهب .

وفي روضة الكافي : باسناده عن ثوير بن أبي فاختة قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدث في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : حدّثني أبي انّه سمع أباه علي بن أبي طالب عليه السلام يحدّث الناس قال : إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى من حفرهم عزلاً بهما جرداً مرداً في صعيد واحد يسوقهم النّور ، وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر ، فيركب بعضهم بعضاً ، ويزدحمون دونها ، فيمنعون من المضي ، فتشتدّ أنفاسهم ويكثر عرقهم ، وتضيق بهم أمورهم ، ويشتدّ ضجيجهم ، وترفع أصواتهم قال :

وهو أوّل هول من أهوال يوم القيامة ، قال : فيشرف الجبّار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة ، فيأمر ملكاً من الملائكة ، فينادي فيهم يا معشر الخلائق ! انصتوا واسمعوا منادي الجبّار ، قال : فيسمع آخرهم كما

يسمع اوّلهم ، قال : فتنكر أصواتهم عند ذلك ، وتخشع أبصارهم ، وتضطرب فرائصهم ، وتفزع قلوبهم ، ويرفعون رؤسهم إلى ناحية الصوت : « مهطعين الى الدّاع » قال : فعند ذلك يقول الكافر : هذا يوم عسر . الحديث .

قوله عليه السلام : « عزلاً » بضم العين وسكون الزاء : جمع أعزل ، أى لاسلاح لهم ، و « بهماً » : ليس معهم شيء و « جرداً » : لا ثياب معهم ، و « مرداً » : ليس معهم لحية ، و « يسوقهم النّور » أى نور الايمان ، و « وتجمعهم الظلمة » لعل ذلك يشير إلى قوله تعالى : « يوم ترى المؤمنين والمومنات يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم ـ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل إرجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » الحديد : ١٢ ـ ١٣) .

وقوله عليه السلام : « فيشرف الجبّار تبارك وتعالى » كناية عن توجهه إلى محاسبتهم فالاشراف فى حقّه سبحانه مجاز وفى الملائكة حقيقة .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « كذّبت قبلهم قوم نوح فكذّبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر » قال : أى آذوه وأرادوا رجمه .

وفيه : باسناده عن اسمعيل الجعفى عن أبى جعفر عليه السلام قال : لبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية ، فلمّا أبوا وعتوا قال : « ربّ انّى مغلوب فانتصر » .

وقوله : « بماء منهمر » قال : صبّ بلا قطر .

وفى الاحتجاج : فيما سئل إبن الكواء عنه الامام على عليه السلام قال : أخبرنى يا أمير المومنين عن المجرّة التى تكون فى السّماء ؟

قال : هى شرج فى السّماء وأمان لاهل الارض من الغرق ، ومنه غرق الله قوم نوح بماء منهمر .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « ففتحنا أبواب السّماء بماء منهمر » قال : صبّ بلا قطر وقوله : « وفجّرنا الارض عيوناً فالتقى الماء » قال : ماء السماء

وماء الارض « على الامر قد قدر وحملناه » يعنى نوحاً « على ذات ألواح ودسر » قال : الالواح السفينة ، والدّسر : المسامير .

وقيل : الدسر ضرب من الحشيش تسدّ به السّفينة .

وفي ذيل اللئالي : للسيوطي الشافعي بالاسناد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال : لما اراد الله ان يهلك قوم نوح اوحى إليه ان شقّ الواح السّاج ، فلما شقّها لم يدر ما يصنع بها ، فهبط جبرئيل ، فأراه هيئة السفينة تابوت فيه مأة الف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار ، فسمر بالمسامير كلها السفينة حتى بقيت خمسة مسامير فضرب بيده إلى مسمار منها فأشرق في يده وأضاء كما يضيء الكوكب الدّرّىّ في افق السماء ، فتحيّر من ذلك نوح ، فأنطق الله ذلك المسمار بلسان طلق ذلق ، فقال : على إسم خير الانبياء محمد بن عبد الله ، فهبط إليه جبرئيل ، فقال له جبرئيل : ما هذا المسمار الذى ما رأيت مثله ؟ فقال : هذا باسم خير الاوّلين والاخرين محمد بن عبدالله اسمره في أوّلها على جانب السفينة اليمنى .

وضرب بيده على مسمار ثان فأشرق وأنار ، فقال نوح : ما هذا المسمار ؟ قال : مسمار أخيه وابن عمّه على بن أبيطالب ، فأسمره على جانب السفينة اليسار في أولها ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثالث . فزهر وأشرق وأنار ، فقال : هذا مسمار فاطمة ، فأسمره في جانب مسمار أبيها ثم ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار ، فقال : هذا مسمار الحسن فأسمره إلى جانب مسمار ابيه .

ثم ضرب بيده إلى مسمار خامس فأشرق وانار وبكى ، فقال : يا جبرئيل ما هذه النداوة ؟ قال : هذا مسمار الحسين بن على سيد الشهداء فأسمره إلى جانب مسمار أخيه ثم قال النبي صلى الله عليه وآله : « وحملناه على ذات ألواح ودسر » وقال النبي صلى الله عليه وآله : الالواح خشب السفينة ونحن الدّسر لولانا ما سارت السفينة بأهلها .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » أى يسّرنا لمن تذكر .

وفي روح المعاني: في قوله تعالى : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر » أخرج

إبن أبي حاتم عن إبن عباس : لولا أنّ الله يسّره على لسان الادميّين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلّم بكلام الله تعالى .

وفي روضة الكافي: باسناده عن أبي بصير قال : قال أبو جعفر عليه‌السلام : إذا أراد الله عزّ ذكره أن يعذّب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح التي يريد أن يعذبهم بها قال : فيأمرها الملك ، فتهيج كما يهيج الاسد المغضب قال : ولكل ريح منهم اسم ، أما تسمع قوله عزّ وجلّ : « كذّبت عاد فكيف كان عذابي ونذر انّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر » .

وفي رواية : عن جابر قال : لمّا نزلنا الحجر في مغزى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله تبوك قال : « ايّها النّاس لا تسئلوا في هذه الايات هؤلاء قوم صالح سئلوا نبيّهم أن يبعث الله لهم ناقة ، فبعث الله عزّ وجل إليهم الناقة ، فكانت ترد من ذلك الفجّ فتشرب ماءهم يوم وردها ، ويحلبون منها مثل الذى كانوا يشربون يوم غبّها » وهو معنى قوله تعالى : « ونبّئهم انّ الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر » .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى : « فنادوا صاحبهم » قال : قدار الذى عقر الناقة ، وقوله : « كهشيم » قال : الحشيش والنبات .

وفي الكافي : باسناده عن أبي يزيد عن أبي عبد الله عليه‌السلام ـ في حديث يذكر فيه قصّة قوم لوط ـ قال : فكابروه يعني لوطاً حتى دخلوا البيت ، فصاح به جبرئيل ، فقال : يا لوط دعهم ، فلّما دخلوا أهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت أعينهم ، وهو قول الله عزّ وجلّ : « فطمسنا على اعينهم » .

وفي كمال الدين : باسناده عن علي بن سالم عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : سئلته عن الرقى أتدفع من القدر شيئاً ؟ فقال : هي من القدر .

وفي المحاسن : باسناده عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : لا يكون إلّا ماشاء الله وأراد وقدّر وقضى قلت : فما معنى شاء ؟ قال : ابتدأ الفعل قلت: فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، قلت : فما معنى قدّر ؟ قال : تقدير الشيء من

طوله وعرضه قلت : فما معنى قضى ؟ قال : إذا قضى أمضاه ، فذلك الذى لا مردّ له .

وفيه : باسناده عن محمّد بن إسحق عن الرّضا عليه السلام فى خبر طويل -إلى أن قال- : أو تدرى ما قدر ؟ قال : لا ، قال : هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء الخبر .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن الحسين بن على عن أبيه عليهما السلام انه سئل عن قول الله : « انّا كل شيء خلقناه بقدر » فقال : يقول الله عزوجل : انّا كل شيء خلقناه لاهل النار بقدر اعمالهم .

وفيه : باسناده عن الصادق عن آبائه عن على عليه السلام قال : لكل امّة مجوس ومجوس هذه الأمّة الذين يقولون : لا قدر .

وفيه : باسناده عن على عليه السلام قال : ان ارواح القدريّة يعرضون على النار غدواً وعشياً حتى تقوم السّاعة ، فاذا قامت السّاعة عذبوا مع اهل النّار بأنواع العذاب ، فيقولون : ياربّنا عذبتنا خاصّة ، وتعذبنا عامّة ؟ فيرد عليهم : « ذوقوا مسّ سقر انّا كل شيء خلقناه بقدر » .

وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « وما امرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » قال : يقول : كن ، فيكون وقوله : « ولقد اهلكنا اشياعكم » قال : أى اتباعكم وعبدة الاصنام ، وقوله تعالى : « وكل شيء فعلوه فى الزبر » قال : أى مكتوب فى الكتب .

وفى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام :

ان لله عباداً فى الارض كأنّما رأوا أهل الجنّة فى جنّتهم وأهل النّار فى نارهم اليقين وأنواره لامعة على وجوههم قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياماً قليلة لراحة طويلة أما اللّيل فصافّون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون إلى الله سبحانه بأدعيتهم قد حلا فى أفواههم وحلا فى قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به قد أقسم الله على نفسه بجلال عزّته ليورثنهم المقام الاعلى فى مقعد صدق عنده وأما نهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء

كالقداح ينظر إليهم الناظر ، فيقول : مرضى وما بالقوم من مرض أو يقول : قد خولطوا ولعمرى لقد خالطهم أمر عظيم جليل .

وفي مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام ـ بعد ان ذكر التقوى ـ : وفيه جماع كلّ عبادة صالحة وبه وصل من وصل إلى الدرجات الاولى وبه عاش من عاش بالحياة الطيّبة والانس الدائم قال الله عزوجل : « انّ المتقين فى جنّات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

فى المناقب : للحافظ ابن مردويه عن جابر بن عبدالله قال : كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتذاكر اصحابه الجنّة ، فقال صلى الله عليه وآله : انّ اول اهل الجنة دخولا إليها على بن ابيطالب قال ابودجانة الانصارى يا رسول الله ! اخبرتنا انّ الجنّة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها امتك ؟ قال : بلى يا ابا دجانة اما علمت انّ لله لواء من نور وعموداً من ياقوت مكتوب على ذلك النور : « لا إله إلا الله محمد رسولى محمد خيرالبريّة صاحب اللواء امام القيامة وضرب بيده إلى على بن ابيطالب قال :

فسر رسول الله بذلك علياً فقال : الحمد لله الذى كرمنا وشرفنا بك فقال : له ابشر يا على ما من عبد ينتحل مودّتنا إلا بعثه الله معنا يوم القيامة ثمّ قرء رسول الله : « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

رواه درويش برهان الحنفى فى (بحر المناقب ص ١٥٨) وابن عيسى الاربلى فى (كشف الغمة ص ٩٥ ط طهران) .

وفى در بحر المناقب : للمحدّث محمد بن احمد الحنفى الموصلى عن جابر بن عبد الله الانصارى قال : بينما نحن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً فى مسجده بالمدينة ، فذكر بعض الصحابة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : انّ لله لواء من نور وعموده من زبرجد خلقه الله تعالى قبل أن يخلق السّماء بألفى عام مكتوب عليه لا إله إلا الله محمّد رسول الله آل محمد خير البشر وأنت يا على أمام القوم ، فعند ذلك قال على عليه السلام :

الحمد لله الذى هدانا واكرمنا بك وشرّفنا فقال ﷺ : أما علمت انّ من أحبّنا واتّخذ محبّتنا أسكنه الله تعالى ، وتلا هذه الاية : « فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

رواه المير محمد صالح الكشفى الترمذى الحنفى فى (مناقب مرتضوى ص ٤٨ ط بمبىء بمطبعة محمدى) .

والقندوزى الحنفى البلخى فى (ينابيع المودة ص ١٣٢ ط اسلامبول) ، والسيوطى الشافعى فى الدر المنثور .

وفى روح المعانى : فى قوله : « فى مقعد صدق » الاية . وقال جعفر الصادق رضى الله عنه : مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلاّ أهل الصدق .



﴿ بحث فقهي ﴾

في المجمع : في قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : « فدعا ربّه أنّي مغلوب فانتصر » قال : وفي هذا دلالة على وجوب الانقطاع إلى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من أهل الباطل .

واستدلّ بعض الفقهاء بقوله تعالى : « ونبّئهم انّ الماء قسمة بينهم كلّ شرب محتضر » : ٢٨) على جواز المهايأة على الماء وذلك لانهم جعلوا شرب الماء يوماً للناقة ويوماً لهم ، وقال : ان الاية تدل على انّ المهايأة قسمة المنافع لانّ الله تعالى قد سمّى ذلك قسمة وانّما هي مهايأة على الماء لا قسمة الاصل .

واستدل بعضهم بذلك على ثبوت شرائع من كان قبلنا من الانبياء عليهم السلام ما لم يثبت نسخها .



﴿ بحث مذهبي ﴾

في المجمع : في قوله تعالى : « خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث » القمر : ٧) قال : وفي هذه الاية دلالة على أنّ البعث انّما يكون لهذه البنية لانها الكائنة في الاجداث خلافاً لمن زعم انّ البعث يكون للارواح .

واختلف : في هلاك جميع من في الارض بطوفان نوح عليه السلام الاّ من نجى معه أو هلاك قومه فقط أو هلاك الذين أرسل إليهم خاصّة .

ولكل مذهب ، وقد ذهب أكثر المفسّرين الى الاول مستدلّين عليه بقوله جلّ وعلا : « وفجّرنا الارض عيوناً » القمر : ١٢) .

على ان الناس الذين كانوا في زمان نوح عليه السلام هلكوا جميعهم بالطوفان الاّ من نجى معه لمكان لفظ « الارض » يشمل كلّها .

وفي القصّة ايماء إلى أنّ الله عزّ وجل يوجد الاسباب لتحقيق ما يريد من المسبّبات بحسب السنن التي وضعها في الخليقة وإلا لكان قادراً على إماتتهم من غير تلك الاسباب كما ينصر رسله والمؤمنين بأسباب عديدة ...

قال الشاعر :

ومن لم يمت بالسّيف مات بغيره تعدّدت الاسباب والموت واحد

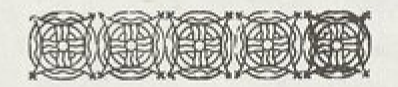
واستدل بعض المحققين بقوله تعالى : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩) على إثبات قدر الله جل وعلا السابق لخلقه وهو علمه بالاشياء قبل تكوينها و كتابته لها قبل تبرّمها وتحديدها بما لا تتجاوز عنه من جانبي الزيادة والنقيصه .

وان" الاية رد" على القدرية الذين ينكرون القدر ، ورد" على الذين يزعمون ان" الله تعالى لا يعلم بالاشياء قبل تكو"نها ، ويقولون : ان" كل" ما في الكون مستأنف لم يعلمه الله فيما مضى ، ولكنه سبحانه يعلمها بعد وقوعها لا غير .

ورد" على الذين يظنّون ان" تكثير النسل يوجب القحط في الاطعمة والاشربة والالبسة والامكنة وذلك لان" الله سبحانه لن يخلق ظرفاً بلا مظروف ولا العكس ولا يخلق حيواناً ولا انساناً بلا تحديد رزقهما في الحياة الدنيا ، وتحديد الرزق لهما كتحديد الهيئة والشكل والصورة والاحوال والميزات وما إليها لهما .

ورد" على من أنكر تحديد العمر للانسان إذ زعم انه لاحد" لعمر الانسان وقال : لو اعتدل الانسان في طعامه وشرابه وتنفّسه وما إليها لعاش عشر آلاف سنة كما عاش المعمّرون .

أقول: تلك الزعوم من وساوس الشيطان لا أساس لها ، وان طول العمر لطائفة لا يد"ل على عدم تحديده لغيرهم ولا على عدمه للمعمّرين وان" الاسراف في الطعام والشراب والجماع وما اليها يوجب تنقيص العمر عما حد"د به وهذا لا يد"ل على عدم تحديده فتدبّر واغتنم .



﴿ الساعة والسؤال عنها ﴾

قال الله تعالى : « اقتربت السّاعة ـ بل السّاعة موعدهم والسّاعة أدهى وأمرّ » القمر : ١ ـ ٤٦) .

السّاعة في الاصل : إسم لمقدار قليل من الزمان .

وهي عند المنجّمين : جزء من أربعة وعشرين جزء من الليل والنهار وهي ستّون دقيقة .

وفي عرف الشرع تطلق على يوم موت الخلق ، وعلى يوم قيام النّاس لمحاسبة أعمالهم في يوم الحساب ، وهو يوم القيامة والاخير هو المراد في المقام ، وهو الوقت الذي تقوم به القيامة يحدث فيها أمر عظيم ، ولقلّة الوقت الذي تقوم فيه القيامة سمّاها ساعة لقوله تعالى : « إن كانت إلاّ صيحة واحدة فاذاهم خامدون » يس : ٢٩) .

وقوله : « وما أمر السّاعة إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب » النحل : ٧٧) .

وانّ الساعة تطلق في القرآن الكريم منكّرة على السّاعة الزمانيّة ، ومعرفة باللام العهديّة على القيامة التي هي ساعة خراب هذا العالم ، وموت أهل الارض جمع الله تعالى بينهما في قوله : « ويوم تقوم السّاعة ـ ما لبثوا غير ساعة » الروم : ٥٥) .

وإطلاق السّاعة على القيامة باعتبار مبدأها ، والقيامة غايتها لانّ السّاعة هي الوقت الذي يموت فيه الاحياء في هذا العالم ويضطرب نظامه ، ويخرب بما يكون فيه من الاهوال يتلوا بعضها بعضاً ، فالسّاعة هي المبدأ ، والقيامة هي الغاية ،

والاوّل موت وهلاك والثاني بعث ونشور وجزاء ، والاوّل قيامة صغرى والثاني قيامة كبرى ولا يعلم احد وقتهما ، ولعل الحكمة في خفاء أمرهما لكونه أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية .

وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « بعثت أنا والسّاعة كهاتين ـ أشار بالسّبابة والوسطى » تنبيهاً إلى أنّه ليس بينه صلى الله عليه وآله وبين السّاعة نبي آخر، فعلم النبي صلى الله عليه وآله بقرب قيام السّاعة إجمالا لا العلم به تفصيلا ، قال الله تعالى : « قل انّما علمها عند ربّي لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو » الاعراف : ١٨٧) .

وقال : « ومايدريك لعل السّاعة قريب» الشورى : ١٧) .

وقال : « ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً » الاسراء : ٥١) .

وفي التعبير عن قرب السّاعة بلعلّ وعسى تنبيه على عدم إطّلاع الله تعالى لرسوله على وقتها تفصيلا وإن كان اطّلعه بقربها إجمالا .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « انّما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الامم من صلاة العصر إلى غروب الشّمس » .

فما يقال في عمر الدّنيا وما قيل في وقت السّاعة مردودان جدّاً .

وفي تفسير القمي : انّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر : نضر بن حارث ابن كلدة وعقبة بن أبي معيط وعاص بن وائل الى رث والي نجران ليتعلّموا من اليهود والنصارى مسائل يلقونها على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لهم علماء اليهود والنّصارى : سلوه عن مسائل ، فان أجابكم عنها ، فهو النّبي المنتظر الذى أخبرت به التوراة ، ثم تسئلوه عن مسئلة اخرى ، فان ادّعى علمها ، فهو كاذب لانّه لا يعلم علمها غير الله فقالوا :

وما هذه الثلاث مسائل ؟ قالوا : سلوه عن فتية كانوا في الزّمن الاول غابوا ثمّ ناموا ، كم مقدار ما ناموا إلى أن انتبهوا ؟ وكم كان عددهم ؟ ولمّا انتبهوا ما الّذى صنعوا وصنعه قومهم ؟ وكم لهم من حيث انتبهوا إلى يومنا هذا ؟ وما كانت قصّتهم ؟ وسلوه عن موسى بن عمران كيف كان حاله مع العالم حين اتّبعه وفارقه .

وسلوه عن طائف طاف الشّرق والغرب من مطلع الشمس إلى مغربها من

كان ؟ وكيف كان حاله ؟ ثمّ كتبوا لهم شرح حال الثلاث مسائل على ما عندهم في التوراه .

قالوا لهم : فما المسئلة الاخرى ؟ قال : سلوه عن قيام السّاعة .

فقدم الثلاثة نفر بالمسائل إلى قريش وهم قاطعون أن لاعلم لديه منهافمشت قريش إلى رسول الله ﷺ ، وهو في الحجر وعنده عمّه أبوطالب ، فقالوا : يا أبا طالب انّ أخيك محمّداً خالف قومه وسفّه أحلامهم ، وعاب آلهتهم وسبّها وأفسد الشّباب من رجالهم وفرّق جماعتهم ، وزعم أنّ اخبار السّماء تأتيه ، وقد جئنا بمسائل ، فان اخبرنا بها علمنا انّه صادق ، وان لم يخبرنا بها علمنا انّه كاذب فقال لهم أبوطالب : دونكم فسلوه عمّا بدالكم تجدوه مليّاً .

فقالوا : يا محمّد أخبرنا عن فئة كانوا في الزمان الاوّل ثم غابوا ثم ناموا وانتبهوا كم عددهم ؟ وكم ناموا ؟ وما كان خبرهم مع قومهم ؟ واخبرنا عن موسى ابن عمران والعالم الّذي اتّبعه كيف كانت قصّته معه ؟ وأخبرنا عن طائف طاف الشرق والغرب من مطلع الشّمس إلى مغربها ؟ وكيف كان خبره ؟ .

فقال لهم رسول الله ﷺ : إنّي لا اخبركم بشيء الاّ من عند ربّي وانّما انتظر الوحي يجيء ثمّ اخبركم بهذا غداً ولم يستثن انشاء الله ، فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتّى شكّ جماعة من أصحابه واغتمّ رسول الله ﷺ وفرحت قريش بذلك وأكثر المشركون القول فلمّا كان بعد أربعين صباحاً نزل عليه بسورة الكهف وفيها قصص ثلاث مسائل والمسئلة الاخرى ، فتلاها عليهم .

فلمّا سمعوا بصرهم ما سمعوه وقالوا : قد بيّنت فأحسنت إلاّ ان المسئلة المفردة ما فهمنا الجواب عنها ، فأنزل الله تعالى : « يسئلونك عن السّاعة أيّان مرساها قل انّما علمها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلاّ هوثقلت في السموات والارض لا يأتيك الاّ بغتة يسئلونك كأنّك حفيّ عنها ـ إلى قوله تعالى ـ ولكنّ اكثر الناس لا يعلمون » الاعراف : ١٨٧) .

وفي الدر المنثور : سئل رسول الله ﷺ عن السّاعة ـ فقال : لايعلمها

إلاّ الله ولا يجلّيها لوقتها الاّ هو ولكن سأخبر كم بمشاريطها وما بين يديها من الفتن والهرج ، فقال رجل : وما الهرج يا رسول الله ؟ قال بلسان الحبشة : القتل وان تجف قلوب النّاس ويلقى بينهم التناكر ، فلا يكاد أحد يعرف أحداً ، ويرفع ذو الحجا ويبقى رجراجة من النّاس لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً .

وفى تسمية القيامة بالسّاعة أقوال :

١ ـ سميت القيامة بالسّاعة لانّها آخر ساعة من ساعات الدّنيا أو لانها بغتة وبديهة كما تقول : فى ساعة لمن تستعجله .

٢ ـ سمّيت بها لانها ابتداء اوقات الاخرة وهى ابتداء تجديد السّاعات .

٣ ـ سمّيت بها لسعى الساعة إلى جانب الوقوع ومسافتها الانفاس وتوقّعها كل ساعة .

٤ ـ سميت بها لانها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم .

٥ ـ سمّيت بها لانّ جميع الخلائق تسعى يوم القيامة إلى موقف الحساب ، قال تعالى « خشّعاً أبصارهم يخرجون من الاجدات كأنّهم جراد منتشر مهطعين الى الدّاع » القمر : ٧ ـ ٨) .

وفى تفسير ابن العربى : قال : المراد بالسّاعة وقت ظهور القيامة الكبرى بوجود المهدىّ ، ولا يعلم وقتها إلاّ الله ، كما قال النبىّ ﷺ فى وقت خروج المهدى كذب الوقّاتون ، ثم قال : ولعمرى ما يعلمها عند وقوعها أيضاً إلاّ الله كما هى قبل وقوعها .

بحث روائي

في اشراط الساعة

وقد وردت روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في قرب الاسناد باسناده عن الامام على عليه السلام انّه قال : من أشراط السّاعة ان يقسوا القلوب ويحرف العلم ويرفع الاشرار ويوضع الاخيار .

٢ ـ في الكافي باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال النّبي صلى الله عليه وآله : من أشراط الساعة ان يفشو الفالج وموت الفجأة .

٣ ـ في تحف العقول عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من أشراط الساعة كثرة القرّاء وقلّة الفقهاء ، و كثرة الامراء ، وقلّة الامناء ، و كثرة المطر ، وقلّة النّبات .

٤ ـ في كمال الدين باسناده عن أبي الحصين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال : عند ايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر.

٥ ـ في رواية جاء اعرابي فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله متى السّاعة ؟ قال : إذا ضيّعت الامانة فانتظر الساعة ، قال : كيف اضاعتها ؟ قال : إذا وسّد الامر إلى غير أهله ، فانتظر السّاعة .

٦ ـ في نهج البلاغة قال الامام على عليه السلام : يأتي على الناس زمان لايقرّب فيه إلاّ الماحل ، ولا يظرّف فيه إلاّ الفاجر ، ولا يضعّف فيه إلاّ المنصف ، يعدّون الصدقة فيه غرماً وصلة الرّحم منّاً والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون السّلطان بمشورة الاماء وامارة الصّبيان وتدبير الخصيان .

قوله عليه السلام : « إلاّ الماحل » المحل : المكر والكيديقال محل به اذاسعى به إلى السّلطان ، فهو ماحل ومحول والمماحلة المماكرة والمكايدة .

وقوله عليه السلام : « ولا يظرّف فيه إلاّ الفاجر » لايعدّ الناس الانسان ظريفاً إلاّ إذا كان خليعاً ماجناً متظاهراً بالفسق .

وقوله عليه السلام : « ولا يضعّف فيه المنصف » أى إذا رأوا إنساناً عنده ورع وانصاف في معاملته الناس عدّوه ضعيفاً ونسبوه إلى الرّكة والرّخاوة وليس الشهم عندهم إلاّ الظّالم .

وقوله عليه السلام : « يعدّون الصّدقة غرماً » أى خسارة ويمنّون اذا وصلوا الرّحم ، واذا كانوا ذوى عبادة استطالوا بها على الناس وتبجّحوا بها وأعجبتهم أنفسهم واحتقروا غيرهم .

وقوله عليه السلام : « فعند ذلك ـ إلى آخر الفصل ـ وهو من باب الاخبار عن الغيوب وهى إحدى آياته والمعجزات المختصّ بها دون الصّحابة .

٦ ـ في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لاتقوم الساعة حتى تطّلع الشمس من المغرب فاذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلّهم وذلك حين لاينفع نفساً ايمانها ـ الخ .

٧ ـ في تفسير ابن كثير عن حذيفة بن اليمان والبراء بن عازب كنّا نتذاكر الساعه إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : ما تذاكرون؟ قلنا : نتذاكر الساعة قال : انّها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : الدّخان ودابة الارض وخسفاً بالمشرق وخسفاً بالمغرّب وخسفاً بجزيرة العرب والدّجال وطلوع الشمس من مغربها يأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وناراً تخرج من عدن .

وفي الميزان: قال : « انّ الانظار العلميّة اليوم لا تمنع تبدّل الحركة الارضيّة على خلاف ما هي عليه اليوم من الحركة الشرقيّة ، أو تبدّل القطبين بصيرورة الشمالي جنوبيّاً وبالعكس امّا تدريجاً كما يبيّنه الارصاد الفلكيّة ، أو دفعة لحادثة جوّية كلية هذا كلّه إن لم يكن الكلمة رمزاً أشير بها إلى سر من أسرار الحقائق » .

٨ - فى نهج البلاغة قال الامام على عليه السلام : « يأتى على الناس زمان لايبقى فيهم من القرآن إلاّ رسمه ومن الاسلام الاّ إسمه ، ومساجدهم يومئذ عامرة من البناء خراب من الهدى سكّانها ، وعمّارها شرّ أهل الارض ، منهم تخرج الفتنة واليهم تأوى الخطيئة يردّون من شذّ عنها فيها ، ويسوقون من تأخّر عنها إليها يقول الله سبحانه فبى حلفت لابعثنّ على اولئك فتنة أترك الحليم فيها حيران ، وقد فعل ونحن نستقبل الله عثرة الغفلة .

أقول: فى المقام بيان لاحوال أهل الضلال والفسق والرّياء من هذه الامّة إذ قال : « سكانها وعمارها » يعنى سكان المساجد وعمارها شرّ أهل الارض لانهم أهل ضلالة كمن يسكن المساجد الان ممن يعتقد التجسّم والتشبيه والصورة والنزول والاعضاء والجوارح ، ومن يقول بالقدر يضيف فعل الكفر والجهل والقبائح الى الله سبحانه ، فكل هؤلاء أهل فتنة يردّون من خرج منها اليها ، ويسوقون من لم يدخل فيها اليها أيضاً .

ثمّ قال حاكياً عن الله تعالى : انّه حلف بنفسه ليبعثن على اولئك فتنة يعنى استئصالا وسيفاً حاصداً يترك الحليم ، أى العاقل اللّبيب فيها حيران لا يعلم كيف وجه خلاصه .

ثمّ قال عليه السلام : وقد فعل .

ومن **المحتمل** أن يكون هذا الكلام فى إيّام خلافته لانها كانت ايام السيف المسلّط على اهل الضّلال من المسلمين ، وكذلك ما بعثه الله تعالى على بنى امية واتباعهم من سيوف بنى هاشم بعد انتقاله عليه السلام .

﴿ كلام فى اشراط الساعة ﴾

انّ الأشراط : جمع شرط وهى العلامات والأمارات الّتى تدلّ على قرب السّاعة واوّلها وهو أعظمها بعثة خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم بآخر هداية الوحى الالهى للناس أجمعين ، وآخرها عظيماً ظهور خاتم الاوصياء الحجّة بن الحسن العسكرى عليه السلام باقامة العدل بين الناس اجمعين .

وذلك لان بعثة محمد صلى الله عليه وآله قد كمل بها الدين لقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم » وبظهور خاتم الاوصياء يكمل المجتمع البشرى بالعمل ، وبكمال الدّين والاجتماع تكميل الحياة البشرية الروحيّة ويتلوها كمال الحياة البشريّة الماديّة وما بعد الكمال إلاّ الزّوال اذالبقاء محال لما سوى الله تعالى .

وفى الفترة ـ بين البعثة والظهور ـ علائم قد مرّ ذكر بعضها آنفاً كما انّ عند الظهور إلى قيام الساعة أمارات .

وفى رواية : عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذّابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمّ رب المال من يقبل صدقته وحتّى يتطاول النّاس فى البنيان .

وحتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتنى مكانه وحتّى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها النّاس آمنوا أجمعون فذلك حين « لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيراً » .

ولتقومن السّاعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه.

ولتقومن السّاعة وقد انصرف الرّجل بلبن لقحته فلا يطعمه .

ولتقومن السّاعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه .

ولتقومن السّاعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها .

وفى الحديث بيان أحد عشر شرطاً من اشراطها :

١ ـ ان المراد بالفئتين : فئة الامام الحق مولى الموحدين أمير المؤمنين على ابن أبيطالب عليه السلام وفئة معاوية الباغية عليها الهاوية .

٢ ـ من هؤلاء الدّجّالين فى المتأخّرين : الباب والبهاء لعنهما الله فانتهى إدعائهما إلى الالوهيّة ومسيح الهند القاديانى الدّجّال واتباعه لا يزالون يدعون النّبوّة .

٣ ـ حديث قبض العلم مفصّل ـ وفيه ـ : « انّ الله لا يقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم» وفى رواية : « لم يبق عالماً اتّخذ الناس رؤساء جهّالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا » والمراد علم الدين والهداية لا علوم الدّنيا والغواية .

٤ ـ فى رواية : « وبين يدى الساعة سنوات الزلزال » فيظهر منه انها تكثر قبيل السّاعة بسنوات قليلة عما يعهد النّاس فى كلّ زمان وإلا فهى دائماً كثيرة فى مجموع الارض وللساعة ونفسها زلزلة عظيمة تتقدّم الصّاخّة التى هى الطّامّة الكبرى كما قال الله عز وجل : « انّ زلزلة السّاعة شىء عظيم » الحج : ١) .

وقال : « إذا زلزلت الارض زلزالها » الزلزلة : ١) .

٥ ـ فى رواية : « لا تقوم السّاعة حتى يتقارب الزمان فتكون السّنة كشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاحتراق السّعفة » .

فى المراد باحتراق السعفة أقوال :

١ ـ قيل : اريد به استلذاذ العيش وضرة النعيم حتى لايشعر الناس بالزمان .

٢ ـ قيل : اريد به نزع البركة منه .

٣ ـ قيل : اريد به تقارب اهله فى قلّة الدين .

٤ ـ قيل : اريد به ما هو حاصل من تقارب المواصلات وقطع المسافات البعيدة فى الزّمن القصير برّاً وبحراً وجوّاً .

والأخير هو الأظهر والأليق بكونه إخباراً عن غيب لا مجال للرأى فيه ، ولا يعرف إلا بوحى من الله تعالى .

٥ ـ ظهور الفتن : الفتنة الدينيّة والدنيويّة لظهور الدّجّال وأتباعه .

٦ ـ كثرة القتل . . وهى ظاهرة فى يومنا هذا .

٧ ـ كثرة المال والثروة العامة فى العالم .

٨ ـ التطاول فى البنيان بحيث صارت الابنية تناطح السحاب لا يمكن الصعود اليها إلا بالمعارج والمصاعد الكهربائية مؤلفاً من عشرات من الطبقات التى لم يعهد مثل ذلك كما نشاهد اليوم .

٩ ـ تمنى الموت فى أوقات الضيق والبلاء عند معيشة الضنكاء .

١٠ ـ طلوع الشمس من مغربها وهو من أعظم أواخر الاشراط الكبرى بين يدى السّاعة .



انشقاق القمر

واتفاق الامة الاسلامية

وقد اتفقت الامّة المسلمة على وقوع انشقاق القمر بيد النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله باذن الله تعالى لاثبات الرسالة بما دلت عليه آيات قرآنيّة وروايات عديدة لا مراء فيها ولا يمنعه العقل السليم - وهناك شرذمة قليلة متخلّفة لا تعتنى - وأمّا اتّفاق العلماء: المفسرين والمحدّثين والفقهاء والمتكلّمين والحكماء والمؤرخين وغيرهم فنشير الى ما يسعه المقام..

١ - فى تفسير الطبرى في قوله تعالى: « وانشقّ القمر » قال: يقول جلّ ثناؤه: وانفلق القمر وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة وذلك انّ كفار أهل مكّة سئلوه آية فأراهم صلى الله عليه وآله انشقاق القمر آية حجّة على صدق قوله وحقيقة نبوّته فلما أراهم أعرضوا و كذبوا وقالوا هذا سحر مستمر سحرنا محمّد صلى الله عليه وآله، فقال الله جلّ ثناؤه: « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ ».

وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الاثار وقال به أهل التأويل ذكر الاثار المرويّة بذلك والاخبار عمن قاله من أهل التأويل.

ثمّ ذكر روايات كثيرة بأسانيد عديدة:

منها - عن انس بن مالك قال: انّ أهل مكّة سئلوا رسول الله صلى الله عليه وآله ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرّتين.

وفى رواية اخرى: فأراهم القمر شقّين حتى رأوا حراء بينهما.

ومنها ـ عن عبد الله بن عمر قال: انشق القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمنى حتى ذهبت منه فرقة خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا.

وفي رواية اخرى عنه فرقتين فكانت فرقة على الجبل وفرقة من ورائه فقال رسول الله ﷺ: اللّهمّ اشهد.

ومنها ـ قال عبدالله: خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم.

ومنها ـ قال ابن مسعود: قد انشقّ القمر.

ومنها ـ عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال: انشقّ القمر ونحن مع رسول الله ﷺ بمكّة

ومنها ـ عن ابن عبّاس انه قال في قوله تعالى: «وانشقّ القمر»: ذاك قد مضى كان قبل الهجرة انشق حتّى رأوا شقّيه.

ومنها ـ عن مجاهد في قوله: «وانشق القمر» قال: رأوه منشقّاً.

ومنها ـ عن الضحاك قال في قوله: «وانشق القمر» قال: قد مضى كان الشقّ على عهد رسول الله بمكّة فأعرض عنه المشركون، وقالوا سحر مستمرّ.

ومنها ـ عن ابراهيم قال: مضى إنشقاق القمر بمكّة.

ومنها ـ عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: نزلنا المدائن فكنّا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة ـ إلى أن قال ـ: ألا وان القمر قد إنشقّ.

٢ ـ في أحكام القرآن للجصّاص في قوله تعالى: «وانشقّ القمر» دلالة على صحة نبوّة النّبي ﷺ لأنّ الله لايقلب العادات بمثله إلاّ ليجعله دلالة على صحة نبوّة النبي ﷺ. وروى انشقاق القمر عشرة عن الصّحابة منهم عبد الله بن مسعود وابن عمر وانس وابن عبّاس وحذيفة وجبير بن مطعم في آخرين كرهت ذكر أسانيدها للاطالة.

فان قيل: معناه سينشقّ في المستقبل عند قيام السّاعة لانه لو كان قدانشقّ في زمان النّبي ﷺ لمّا خفي على أهل الآفاق، قيل له: هذا فاسد من وجهين:

أحدهما انّه خلاف ظاهر اللفظ وحقيقته .

والآخر انّه قد تواتر الخبر به عن الصّحابة ولم يدفعه منهم أحد .

وأمّا قوله انّه لو كان ذلك قد وقع لمّا خفى على أهل الآفاق فانّه جائز أن يستره الله عنهم بغيم أو يشغلهم عن رؤيته ببعض الامور لضرب من التّدبير ، ولئلاّ يدعيه بعض المتنبّئين فى الآفاق لنفسه ، فأظهره للحاضرين عند دعاء رسول الله ﷺ ايّاهم وإحتجاجه عليهم .

٣ ـ فى المجمع : وقد روى حديث إنشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وإبن عمر وإبن عباس وجبير بن مطعم وعبد الله بن عمر وعليه جماعة المفسرين إلاّ ما روى عن عثمان ابن عطاء عن أبيه انه قال : معناه وسينشقّ القمر وروى عن الحسن وأنكره أيضاً البلخى ، وهذا لا يصحّ ، لانّ المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه ، ولانّ اشتهاره بين الصّحابة يمنع من القول بخلافه .

ومن طعن فى ذلك بأنّه لو وقع انشقاق القمر فى عهد رسول الله ﷺ لما كان يخفى على أحد من أهل الاقطار ، فقوله باطل ، لانّه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجبه عن أكثرهم بغيم وما يجرى مجراه ولانّه قد وقع ذلك ليلا ، فيجوز أن يكون الناس كانوا نياماً ، فلم يعلموا بذلك على أنّ الناس ليس كلّهم يتأمّلون ما يحدث فى السّماء وفى الجوّ من آية وعلامة ، فيكون مثل انقضاض الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه .

وإنّما ذكر سبحانه إقتراب الساعة مع إنشقاق القمر لانّ إنشقاقه من علامة نبوّة نبيّنا ﷺ ونبوّته وزمانه من اشراط اقتراب السّاعة .

٤ ـ فى تفسير الفخر قال : المفسّرون بأسرهم على أنّ المراد انّ القمر حصل فيه الانشقاق ، ودلّت الاخبار على حدوث الانشقاق .

وفى الصّحاح خبر مشهور رواه جمع من الصّحابة قالوا : سئل رسول الله ﷺ انشقاق القمر معجزة فسئل ربّه فشقّه .

وقول بعض المفسّرين : المراد سينشق بعيد ولا معنى له لانّ من منع ذلك وهوالطبيعي يمنعه في الماضي والمستقبل ومن جوّزه لاحاجة إلى التأويل ، وانّما ذهب اليه ذلك الذاهب لانّ الانشقاق أمر هائل فلووقع لعمّ وجه الارض ، فكان ينبغي أن يبلغ حدّ التواتر .

فنقول : انّ النّبي صلى الله عليه وآله لمّا كان يتحدّى بالقرآن ، وكانوا يقولون : انا نأتي بأفصح مايكون من الكلام وعجزوا عنه ، وكان القرآن معجزة باقية إلى قيام السّاعة لا يتمسّك بمعجزة اخرى ، فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حدّ التواتر والقرآن أدلّ دليل وأقوى مثبت له وامكانه لا يشكّ فيه وقد أخبر عنه الصّادق فيجب اعتقاد وقوعه وحديث إمتناع الخرق والالتيام حديث اللئام .

٥ ـ قال القاضي في الشّفاء : أجمع المفسّرون وأهل السّنّة على وقوع الانشقاق .

٦ ـ في الجامع لاحكام القرآن قال : قد ثبت بنقل الاحاد العدول انّ القمر إنشق بمكّة وهو ظاهر التنزيل ، ولا يلزم أن يستوى الناس فيها ، لانّها كانت آية ليليّة ، وانّها كانت باستدعاء النّبي صلى الله عليه وآله من الله تعالى عند التّحدّى . وفيه : وعلى هذا الجمهور من العلماء .

٧ ـ في تفسير النيسابوري قال : هذا قول أكثر المفسّرين .

٨ ـ في تفسير الميزان قال في قوله تعالى : « وانشقّ القمر » : تشير الاية الى آية شق القمر التى أجراها الله تعالى على يد النبي صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة إثر سؤال المشركين من أهل مكة وقد استفاضت الروايات على ذلك واتّفق اهل الحديث والمفسّرون على قبولها ، كما قيل ولم يخالف فيه منهم إلا الحسن وعطاء والبلخي حيث قالوا : معنى قوله : « انشقّ القمر » سينشقّ القمرعند قيام السّاعة وانما عبّر بلفظ الماضي لتحقق الوقوع ، وهومزيّف مدفوع بدلالة الاية التالية : « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » فانّ سياقها أوضح شاهد على انّ

قوله : « آية » مطلق شامل لانشقاق القمر فعند وقوعه اعراضهم وقولهم : « سحر مستمر » .

ومن المعلوم ان يوم القيامة يوم يظهر فيه الحقائق ، ويلجأون فيه إلى المعرفة ولا معنى حينئذ لقولهم فى آية ظاهرة : انها سحر مستمر ، فليس إلا أنها آية قد وقعت للدلالة على الحق والصدق ، وتأتى لهم أن يرموها عناداً بأنها سحر .

٩ ـ فى المجمع : وقال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش : سحرنا محمد ، فقال الله سبحانه : « وإن يروا آية يعرضوا » عن التصديق والايمان بها . قال الزجاج : وفى هذا دلالة على ان ذلك قد كان ووقع .

وأقول : ولانه تعالى قد بين انه يكون آية على وجه الاعجاز وانما يحتاج إلى الاية المعجزة فى الدنيا ليستدل الناس بها على صحة النبوة ويعرف صدق الصادق ، لا فى حال انقطاع التكليف والوقت الذى يكون الناس فيه ملجئين إلى المعرفة ولانه سبحانه قال : « ويقولوا سحر مستمر » وفى وقت الالجاء لا يقولون للمعجز انه سحر .

أقول: ان القرآن الكريم ينطق بأن النبى صلى الله عليه وآله قد شق القمر آية ومعجزة بمكة من اقتراح الناس ، فطاوعه القمر وانشق ولكن الناس الحاضرين رأوا وقالوا : هذا سحر مستمر ، فيدل على ان القمر قد انشق لدلالة الفعل الماضى من باب المطاوعة « انشق » على الوقوع ، ويدل على انه كان من اقتراح ناس حاضرين : اتيان ضمير الجمع فى « يروا ـ ويعرضوا » بلا سبق لهم فى الذكر ويدل على ان الشق كان باشارة وأمر النبى الكريم صلى الله عليه وآله انشقاقها بعنوان الآية ، فان الآية انما تكون عند ادعاء النبى صلى الله عليه وآله .

وكذا لفظ الانشقاق ، فان المطاوعة ، انما تستعمل عند ايقاع الفعل ، فكأنه قال : شقه فانشق ويدل على كون ذلك بمكة : اتفاق المفسرين على نزول السورة بمكة مؤيداً بما ورد فى النزول وبسياقها .

فيصرح القرآن الكريم بأنه قد انشق القمر بمجمع من المشركين المعاندين بمكة ، فلو فرض انه لم يقع كانت الآية كذباً ، فكيف لم يعترضوا على النبي صلى الله عليه وآله والقرآن بأنّه كذب مع إصرارهم في تكذيبه .

١٠ ـ في تفسير روح المعاني عدّ ممّن روى عنه حديث انشقاق القمر من الصّحابة علياً عليه السلام .

ثم نقل عن السيّد الشريف في شرح المواقف وعن ابن السّبكي في شرح المختصر انّ الحديث متواتر لا يمترى في تواتره .

١١ ـ في تفسير النيشابوري قال : انّه سبحانه جعل انشقاق القمر آية من الايات لرسوله ولو كانت مجرد علامة القيامة لم يكن معجزة له كما لم يكن خروج دابّة الارض وطلوع الشمس من المغرب وغيرهما معجزات له . نعم كلّها مشتركة في نوع آخر من الاعجاز وهو الاخبار عن الغيوب .

١٢ ـ في التفسير الحديث قال : ان جمهور المفسّرين متّفقون على كون النّص القرآني يتضمّن وقوع الانشقاق فعلا كمعجزة ربّانية بالاضافة إلى الاحاديث العديدة القويّة الاسناد .

١٣ ـ قال القاضي عياض في (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) : « وأكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأن لو كان هذا لم يخف على أهل الارض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم ـ ان القمر قد انشق في عهد النّبي كمعجزة من معجزاته » .

أقول: وقد كان انشقاق القمر معجزة ، أظهرها الله تعالى على يد نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله اجابة لتحدّي مشركي مكة ، وهذا مما تسلّمه الامة المسلمة بلا إرتياب منهم وان الكتاب أوضح دليل وأكبر شاهد على ذلك ، ويدل عليه روايات مستفيضة متكاثرة رواها الشيعة الاماميّة الاثنى عشرية والعامّة وتسلّمها المحدثون فمن الواجب قبول ذلك .

وانشقاق كرة من الكرات الجوّية ممكن فى نفسه لا دليل على استحالته العقليّة ووقوع الحوادث الخارقة للعادة جائز ، وبها تؤيّد الرسالة كالقرآن المؤيد لرسالة النبى الكريم ﷺ ، و كتكلّم الحصى وشهادتها النبوّة لمحمد ﷺ ، وتكلّم الضبّ والناقة ، وغيرها من معجزات نبيّنا محمد ﷺ المؤيدة لرسالته و كآيات التسع من العصا واليد البيضاء ومائدة السماء وغيرها لموسى عليه السلام ، و كآيات إحياء الموتى واشفاء البرص والمرضى وإبصار العمى وغيرها لعيسى عليه السلام و كآية الناقة وغيرها لصالح عليه السلام وما إليها من معجزات الانبياء عليهم السلام المؤيدة لنبواتهم .

ولا يخفى انّ الاعجاز لا يخالف العلم بل لا ينال به علم البشر العادى لعجزه كعجزه عن ادراك العقل و كنه الروح وحقيقة القوة الجاذبة .



بحث روائي

في انشقاق القمر

وردت روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين في انشقاق القمر لا يسعها المقام فنشير إلى نبذة منها :

١ ـ في أمالي إبن الشيخ قدس سره باسناده عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال : إنشق القمر بمكة فلقتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اشهدوا اشهدوا بهذا .

٢ ـ في البرهان بالاسناد عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال : لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرسالة ودعا الناس إلى الله تعالى تحيرت قبائل قريش وقال بعضهم لبعض : ما ترون ما يأتينا من محمد كرة بعد كرة مما لا يقدر عليه السحرة والكهنة ، واجتمعوا على أن يسئلوه شق القمر في السماء وانزاله إلى الارض شعبتان ، فان القمر ما سمعنا في سائر النبيين احداً قدر عليه كما قدر على الشمس فانها ردت ليوشع بن نون وصي موسى عليه السلام ، وكان الناس يظنون انها لا تزد عن موضعها وأجمعوا أمرهم وجاؤا إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فقالوا يا محمد اجعل بيننا وبينك آية ان اتيت بها آمنا بك وصدقناك ؟

فقال لهم : سلوا فاني آتيكم بما تختارون فقالوا : الوعد بيننا وبينك سواد الليل وطلوع القمر وان تقف بين المشعرين ، فتسئل ربك الذي تقول : انه ارسلك رسولا أن يشق القمر شعبتين ، وينزل من السماء حتى ينقسم قسمين ، ويقع قسم

على المشعرين ، وقسم على الصّفا ، فقال رسول صلى الله عليه وآله : الله اكبر أنا وفيّ بالعهد فهل أنتم موفون بما قلتم انّكم تؤمنون بالله ورسوله ؟

قالوا : نعم يا محمد وتسامع الناس ثم تواعدوا سواد الليل (الى سواد الليل-خ) وأقبل الناس يهرعون إلى البيت وحوله حتى أقبل الليل واسود وطلع القمر وأناروا النبى صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين ومن آمن بالله ورسوله يصلّون خلف النّبى صلى الله عليه وآله ويطوفون بالبيت وأقبل أبولهب وأبوجهل وأبوسفيان على النّبى صلى الله عليه وآله ، فقالوا : الان يبطل سحرك وكهانتك وحيلتك هذا القمر اوف بوعدك ، فقال النّبى صلى الله عليه وآله : قم يا أبا الحسن ، فقف بجانب الصفا وهرول إلى المشعرين وناد نداء ظاهراً وقل فى ندائك :

اللهم رب البيت الحرام والبلد الحرام وزمزم والمقام ومرسل الرسول التهامى ثم اشر إلى القمر أن ينشقّ وينزل إلى الارض ، فيقع نصفه على الصفا ونصفه على المشعرين ، فقد سمعت سرّنا ونجوانا ، وأنت بكل شىء عليم قال : فتضاحك قريش فقالوا : انّ محمداً قد استشفع بعلىّ لانّه لم يبلغ الحلم ولا ذنب له ، وقال أبو لهب: لقد اشمتنى الله بك يابن أخى فى هذه الليلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اخس يا من تبّ الله يديه ولم ينفعه ماله وتبوّء مقعده من النار .

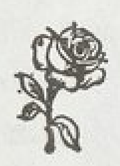
فقال أبو لهب : لأفضحنّك فى هذه الليلة بالقمر بشقّه وإنزاله إلى الارض وإلاّ الفت كلامك هذا وجعلته سورة وقلت : هذا أوحى إلىّ فى أبى لهب ، فقال النّبى صلى الله عليه وآله : امض يا على عليه السلام فيما أمرتك واستعذ بالله من الجاهلين ، وهرول على عليه السلام من الصّفا إلى المشعرين ونادى واسمع ودعا ، فما استتمّ كلامه حتى كادت الارض أن تسيخ باهلها والسّماء أن تقع على الارض ، فقالوا : يامحمد حيث اعجزك شقّ القمر ، أتيتنا بسحرك لتفتننا به ، فقال النبىّ صلى الله عليه وآله هان عليكم ما دعوت الله به ، فانّ السّماء والارض لا تهون عليهما ذلك ولا يطيقان اسماعه ، فقفوا بأماكنكم وانظروا الى القمر ، قال :

نعم ان القمر انشق نصفين : قسم وقع على الصّفا وقسم وقع على المشعرين

فأضائت دواخل مكّة وأوديتها وشعابها وصاح الناس من كل جانب آمنا بالله ورسوله وصاح المنافقون اهلكتنا بسحرك ، فافعل ما تشاء ، فلن نؤمن لك بما جئتنا به ثم رجع القمر إلى منزله من الفلك وأصبح يلوم بعضهم بعضاً ويقولون لكبرائهم والله لنؤمنن بمحمّد ولنقاتلنكم معه مؤمنين به ، فقد سقطت الحجّة وتبين الحق وأنزل الله عزّ وجل في ذلك اليوم سورة أبي لهب واتصلت به فقال : آه لمحمد نظير ما قلت له تأليفه هذا الكلام ، والله ان محمداً ليعاديني لكفري به وتكذيبي له فانه ليس من أولاد عبدالمطلب لما أتت امّه بتلك الفاحشة وحرفها أبونا عبدالمطلب على الصّفا وكان أشدّهم له جحداً الحارث والزبير وأبو لهب .

فحلف باللات والعزى انه من أبينا عبدالمطلب حتى الحقت عبدالله فمن أجل ذلك شعر والف هذا زعم انه سورة انزلها الله عليه في فوحق اللات والعزّى لو أتى محمد بما يملأ الافق في من مدح ما آمنت به وحسبي ان أباين محمداً من أهل بيته فيما جاء به ، ولو عذبني رب الكعبة بالنّار .

فآمن في ذلك اليوم ستمأة واثنى عشر رجلا ستر اكثرهم ايمانه و كتمه إلى أن هاجر رسول الله ، ومات أبو لهب على كفره ، وقتل أبو جهل ، وأسر أبو سفين ومعاوية وعتبة يوم الفتح والعباس وزيد بن الخطاب وعقيل بن أبي طالب ، وآمن كثير منهم تحت القتل ثمانون رجلا وكانوا طلقاء ولم ينفعهم ايمانهم وهم ينظرون .



﴿ تحقيق في حقيقة السحر ﴾

قال الله تعالى : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » القمر: ٢) .

واختلفت كلمات المفسّرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين والحكماء واللغويين فى حقيقة السحر إختلافاً كثيراً نشير إليها على تشتتها إجمالا متعقباً بما حققناه فيه كتاباً وسنّة :

١ ـ قال الشيخ قدس سره في التبيان : قيل فى معنى السحر اربعة أقوال : احدها أنّه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها يخيّل إلى المسحور أنّ لها حقيقة .

والثاني أنّه أخذ بالعين على وجه الحيلة .

والثالث أنّه قلب الحيوان من صورة إلى صورة وإنشاء الاجسام على وجه الاختراع ، فيمكن السّاحر أن يقلب الانسان حماراً وينشىء أجساماً

والرابع أنّه ضرب من خدمة الجن .

وأقرب الاقوال الاول لانّ كلّ شيء خرج عن العادة الجارية فانّه سحر لا يجوز أن يتأتى من السّاحر ومن جوّز شيئاً من هذا ، فقد كفر لانّه لايمكن مع ذلك العلم بصحّة المعجزات الدّالة على النبوات ، لانّه أجاز مثله على جهة الحيلة والسّحر .

٢ ـ وفي الخلاف قال : السّحر له حقيقة ويصحّ منه أن يعقد ويؤثّر ويسحر فيقتل ويمرض ويكوع الايدى ويفرّق بين الرجل وزوجته ويتّفق له أن يسحر بالعراق رجلا بخراسان ، فيقتله عند أكثر أهل العلم .

٣ - عن أبى جعفر الاستر آبادى قال : لا حقيقة له وانّما هو تخييل وشعبدة وبه قال المغربى من أهل الظاهر وهو الّذى يقوى فى نفسى ويدلّ عليه قوله تعالى : « فاذا حبالهم . . الاية » طه : ٦٦) .

وذلك انّ القوم جعلوا من الحبال كهيئات الحيّات وطلوا عليها الزيبق وأخذوا الموعد على وقت تطلع فيه الشّمس حتّى اذا وقعت على الزيبق تحرّك فخيّل لموسى عليه السلام أنّها حيّات ولم يكن لها حقيقة وكان هذا فى أشدّ وقت الحر فألقى موسى عصاه فأبطل عليهم السّحر فآمنوا به .

وأيضاً فان الواحد منّا لا يصحّ أن يفعل فى غيره وليس بينه وبينه اتّصال ولا اتصال بما يتصل بما يفعل فيه فكيف يفعل من هو ببغداد فيمن هو بالحجاز وأبعد منها ؟ ! ولا ينفى هذا قوله تعالى : « ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون النّاس السحر » البقرة ١٠٢) .

لأنّ ذلك لا نمنع منه وانّما الّذى منعنا منه ان يؤثّر السّاحر الّذى يدّعونه فأمّا أن يفعلوا ما يتخيّل عنه أشياء فلا نمنع منه .

٤ - قال العلامة رضوان الله تعالى عليه في التحرير : السّحر عقد ورمى كلام يتكلّم به أو يكتبه او يعمل شيئاً يؤثّر فى بدن المسحور اوقلبه او عقله من غير مباشرة وقد يحصل به القتل والمرض والتفريق بين الرجل والمرأة وبغض أحدهما لصاحبه ومحبّة إحد الشّخصين للآخر ، وهل له حقيقة أم لا ؟ فيه نظر .

٥ - قال الرّاغب فى المفردات : السّحر يقال على معان : الاوّل الخداع وتخييلات لاحقيقة لها نحوما يفعله المشعبذ بصرف الابصار عمّا يفعله لخفّة يد وما يفعله النّمام بقول مزخرف عائق للأسماع وعلى ذلك قوله تعالى : « سحروا أعين النّاس واسترهبوهم » وبهذا النّظر سمّوا موسى عليه السلام ساحراً ، فقالوا : « ياايّها السّاحر » والثّانى استجلاب معاونة الشّيطان بضرب من التّقرب إليه كقوله تعالى : « هل أنبّئكم على من تنزّل الشّياطين تنزّل على كلّ أفّاك أثيم »

والثّالث ما يذهب إليه الأغتام وهو اسم لفعل يزعمون أنّه من قوّته يغيّر

الصّور والطبائع ، فيجعل الانسان حماراً ولاحقيقة لذلك عند المحصّلين ، وقد تصوّر من السّحر تارة حسنه ، فقيل : انّ من البيان لسحراً وتارة دقّة فعله حتى قالت الاطباء الطبيعيّة ساحرة ، وسمّوا الغذاء سحراً من حيث انّه يدقّ ويلطف تأثيره ،قال تعالى : « بل نحن قوم مسحورون » أى مصروفون عن معرفتنا بالسّحر وقيل : سمّى السحر سحراً لانّه صرف جهته .

٦ ـ قال بعض المفسّرين : السّحر حيل صناعيّة يتوصّل إليها بالاكتساب غير أنّها لدقّتها لايتوصّل إليها إلاّ آحاد النّاس ومادّتها الوقوف على خواصّ الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وإبهامات بغير ثبوت ، فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون : « وجاؤا بسحر عظيم » معأنّ حبالهم وعصيّهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصيّاً .

ثمّ قال : والحقّ أنّ لبعض أصناف السّحر تأثيراً فى القلوب كالحبّ والبغض وإلقاء الخير والشّرّ فى الأبدان بالألم والسّقم وانّما المنكر انّ الجماد ينقلب حيواناً وعكسه بسحر السّاحر ، ونحو ذلك .

٧ ـ فى شرح المقاصد قال : السّحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجرى فيها التعلّم والتلمذ وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة وبأنّه لايكون بحسب اقتراح المعترض وبأنّه يختصّ ببعض الأزمنة أو الأمكنة أو الشّرائط ، وبأنّه قد يتصدّى لمعارضته ، ويبذل الجهد فى الاتيان بمثله ، وبأنّ صاحبه ربّما يعلن بالفسق ، ويتّصف بالرّجس فى الظّاهر والباطن والخزى فى الدّنيا والآخرة إلى غيرذلك من وجوه المفارقة وهو عندأهل الحقّ جائز عقلا ثابت سمعاً و كذلك الاصابة بالعين .

٨ ـ فى تفسير الفخر قال : لفظ السّحر فى عرف الشّرع مختصّ بكلّ أمر مخفى سببه ويتخيّل علىغيرحقيقة ويجرى مجرى التمويه والخداع قالالله تعالى : « يخيل اليه من سحرهم انّها تسعى » واذا اطلق ذمّ فاعله وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح فاعله ، ويحمد كقوله ﷺ : « انّ من البيان لسحراً » أى بعض البيان

سحر ، لان صاحبه يوضع الشيء المشكل بحسن بيانه ، فيستميل القلوب كما تستمال بالسّحر .

٩ ـ في المجمع : قال : « السحر والكهانة والحيلة نظائر » وقال صاحب العين : السحر عمل يقرّب إلى الشياطين ومن السحر الاخذة التي تأخذ العين حتى تظنّ أن الامر كما ترى وليس الامر كما ترى .

فالسحر عمل خفيّ لخفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقلبه عن جنسه في الظاهر ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة ألا ترى الى قوله تعالى : « يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى » .

١٠ ـ في تفسير البيضاوى : قال : المراد بالسحر مايستعان في تحصيله بالتقرّب إلى الشيطان مما لا يستقلّ به الانسان وذلك لا يستتبّ الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فانّ التّناسب شرط في التّضام والتّعاون وبهذا يميّز الساحر عن النبي والولي وأما ما يتعجّب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الالات والادوية أو يراه صاحب خفّة اليد فغير مذموم وتسميته سحراً على التجوّز أو لما فيه من الدقّة لانّ في الاصل لما خفي سببه .

١١ ـ في تفسير النيسابورى : قال : السحر في اللغة عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفي سببه ، ومنه السّاحر العالم وسحره خدعه ، والسحر الرئة .

وفي الشرع مختصّ بكلّ امر يختفي سببه ويتخيّل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع وقد يستعمل مقيّداً فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال ﷺ : انّ من البيان لسحراً .

١٢ ـ في المصباح : اختلف في قوله : « انّ من البيان لسحراً ومن الشعر لحكمة » في أنه مدح أو ذمّ ، فمعناه على الذّم انه يصرف بيانه قلوب السّامعين إلى قبول قوله ولو باطلا ويتكلف بزيادة ما لا يعنى ويخلط بالتلبيس ويذهب بغير الحق وعلى المدح انّه يختار الالفاظ ويحسن الكلام ويمكن أن يكون رداً على من زعم ان الشعر كله مذموم والبيان كله حسن ، فقيل : ان بعض البيان كالسحر

فى البطلان ، وبعض الشعر كالحكمة فى الحقيقة .

قيل : والحق ان الكلام ذو وجهين يختلف بحسب المقاصد .

سمّى ﷺ بعض البيان سحراً لان صاحبه يوضح الشىء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عباراته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن يسخط تارة فيقول أسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول احسن ما يعلم .

١٣ ـ عن الازهرى قال : السّحر لطف الحيلة فى إظهار اعجوبة توهّم المعجزة وانه صرف الشىء عن حقيقته إلى غيره ، والساحر انما يكفر بادّعاء المعجزة لانه لا يمكن مع ذلك علم النبوّة ، وأصل السّحر خفاء الامر ومنه خيط السّحارة لخفاء الامر فيها ، ومنه السحر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته ، ومنه الارض المسحورة اذا سحرها المطر ، فقطع نباتها من اصوله بقلب الارض ظهر البطن ، فشبّه سحر الساحر بذلك بتخييله إلى من سحره أنه يرى الشىء بخلاف ما هو به .

وقيل : هو تصوير الباطل بصورة الحق .

١٤ ـ قال بعض المفسرين : « السحر قدرة على الايحاء والتأثر اما فى الحواس والافكار واما فى الاشياء والاجسام ولا مانع أن يكون وسيلة للتفريق بين المرء وزوجه وبين الصديق وصديقه فالانفعالات نتيجة للتأثرات وإن كانت الوسائل والاثار والاسباب والنتائج لا تقع كلّها إلا وفق مشيّة الله « وما هم بضارّين من أحد إلا باذن الله » .



بحث روائي

في حقيقة السحر

في الاحتجاج: فيما احتجّ به الصادق عليه السلام على الزنديق إذ قال: فاخبرني عن السّحر ما أصله؟ وكيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجائبه وما يفعل؟

قال: انّ السحر على وجوه شتى:

وجه منها: بمنزلة الطب كما أن الاطبّاء وضعوا لكلّ داء دواء فكذلك علم السحر احتالوا لكل صحة آفة ولكل عافية عاهة ولكل معنى حيلة.

ونوع آخر منه: خطفة وسرعة ومخاريق وخفّة.

ونوع آخر: ما يأخذ أولياء الشياطين عنهم.

قال: فمن أين علم الشياطين السحر؟

قال: من حيث عرف الاطبّاء الطب بعضه تجربة وبعضه علاج قال: فما تقول في الملكين: هاروت وماروت؟ ويقول النّاس بأنّهما يعلّمان الناس السحر؟

قال: انهما موضع ابتلاء وموقع فتنة تسبيحهما: اليوم لو فعل الانسان كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولو يعالج بكذا وكذا لكان كذا اصناف السّحر، فيتعلّمون منهما ما يخرج عنهما، فيقولان لهم: انّما نحن فتنة، فلا تأخذوا عنّا ما يضرّكم ولا ينفعكم.

قال: أفيقدر السّاحر أن يجعل الانسان بسحره في صورة الكلب أو الحمار أو غير ذلك؟

قال : هوأعجز من ذلك وأضعف من أن يغيّر خلق الله ان من أبطل ما ركبه الله وصوّره وغيّره ، فهو شريك الله في خلقه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، لو قدر الساحر على ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم والافة والامراض ولنفى البياض عن رأسه والفقر عن ساحته وان من أكبر السّحر النميمة يفرق بها بين المتحابّين ويجلب العداوة على المتصافين ، ويسفك بها الدّماء ويهدم بها الدّور ، ويكشف بها الستور والنمّام أشر من وطى الارض بقدم فاقرب أقاويل السّحر من الصّواب انه بمنزلة الطبّ ان السّاحر عالج الرجل فامتنع من مجامعة النساء ، فجاء الطبيب ، فعالجه بغير ذلك العلاج فأبرىء .

وفي البحار : بالاسناد عن زرارة قال : قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : إنّ السّحرة لم يسلّطوا على شيء الاّ العين .

وفيه : بالاسناد عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام - في حديث - قال : والسّحر حقّ وما سلّط السحر إلاّ على العين والفرج الخبر .

أقول: ومن التحقيق انّ للسّحر حقيقة وانّ العقل لا ينكر ذلك سواء كان نطق السّاحر بكلام ملفّق وتركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ، ونظير ذلك ما يقع من حذّاق الاطبّاء من مزج بعض العقاقر ببعض حتّى ينقلب الضّار منها بمفرده ، فيصير بالتركيب نافعاً .

وان السّحر حيل صناعيّة يتوصّل اليها بالاكتساب غير انّها لدقتها لا يتوصل إليها إلاّ آحاد الناس ، ومادّتها الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاته واكثرها تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت ، فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون : « قال القوا فلمّا القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم » الاعراف : ١١٦) .

مع أنّ حبالهم وعصيّهم لم تخرج عن كونها حبالا وعصياً وان لبعض انواع السحر تأثيراً في القلوب كالحبّ والبغض وإلقاء الخير والشرّ في الابدان بالالم والسقم وانما المنكر أنّ الجماد ينقلب حيواناً وعكسه بسحر الساحر ونحو ذلك .

وان الاية والروايتين الاخيرتين ليست نصاً فى منع الزيادة لان السحر له أثر في نفسه لقوله تعالى: « وماهم بضارّين به من احد الاّ باذن الله » البقرة : ١٠٢) .

أى بارادته وقدرته لانّه إن شاء أحدث عند ذلك وإن شاء لم يحدث فمنعهم بالجبر و القهر أولم يؤثّر عملهم .

ومن السّحر ما لا حقيقة له أشار اليه بقوله تعالى : « قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيّهم يخيّل إليه من سحرهم انّها تسعى » طه : ٦٦) .

أى فلما القى السّحرة ما عندهم من السّحر احتالوا فى تحريك العصى والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق ، حتى تحرّكت بحرارة الشمس وغيرذلك من الحيل وأنواع التمويه والتلبيس وخيّل الى النّاس أنّها تتحرّك الحيّة .

وانّما سحروا أعين النّاس لأنّهم أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته وخفى ذلك عليهم لبعده عنهم لأنّهم لم يخلّوا النّاس يدخلون فيما بينهم .

وفى هذا دلالة على أنّ هذا النوع من السحر لاحقيقة له ، لانه لوصارت حيّات حقيقة لم يقل الله سبحانه : « سحروا أعين الناس » بل كان يقول : « فلما ألقوا صارت حيّات » .

ومعنى الجامع للسّحر انه أعمال غريبة من التلبيس والحيل تخفى حقيقتها على النّاس من ليس بأهله لجهلهم بأسبابها ، فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق إسم السّحر عليه ، ومن ثمّ كان الأقوام الجاهلون يعدّون آيات الرسل الكونيّة التى يؤيّدهم الله تعالى بها من قبيل السّحر ويجعلون هذا مانعاً من دلالتها على صدقهم وتأييد الله تعالى لهم .

فظهر من الايات والأثار انّ للسّحر تأثيراً مافى بعض الأشخاص والابدان كاحداث حبّ أو بغض أوهمّ أوفرح وأمّا تأثيره فى إحياء شخص أوقلب حقيقة إلى اخرى كجعل الانسان بهيمة فلامراء فى نفيهما فانّهما من المعجزات و كذا فى كلّ ما يكون من هذا القبيل كابراء الأكمه والأبرص وإسقاط يد بغير جارحة أو وصل يد مقطوع أوإجراء الماء الكثير من بين الأصابع او من حجر صغيروما اليها .

وعن الشيخ بهاء الدين قدّس سرّه قال : « لو كان خروج الماء من بين اصابع النبي صلى الله عليه وآله مع قبض يده وضمّ أصابعه إلى كفّه كان يحتمل السحر وأما مع بسط الأصابع وتفريجها ، فلا يحتمل السحر ، وذلك واضح عند من له دربة في صناعة السحر .

وان معجزات الأنبياء عليهم السلام لاتقع على وجه تكون فيه شبهة لأحد إلاّ أن يقول معاند بلسانه ماليس في قلبه فانّ الساحر ربما يخيّل ويظهر قطرات من الماء من بين أصابعه أو كفّه أو من حجر صغير وأما أن يجري أنهار كبيرة بمحض ضرب العصا أو يروّى كثيراً من الناس والدّواب بما يجري من بين أصابعه بلامعاناة عمل أو استعانة بآلة فهذا مما يعرف كلّ عاقل أنه لايكون من السحر و كذا إذا دعا على أحد فمات أو مرض من ساعته فانّ مثل هذا لايكون سحراً بديهة .

وأما جهة تأثير السحر فما كان من قبيل التخييلات والشعبدة فأسبابها ظاهرة عند العاملين بها تفصيلاً وعند غيرهم إجمالا كما مرّ في سحر سحرة فرعون واستعانتهم بالزئبق او إرائتهم أشياء بسرعة اليد لاحقيقة لها .

وأما حدوث الحبّ والبغض والهمّ وأمثالها ، فالظاهر أن الله تعالى جعل لها تأثيراً وحرّمها كما أومأنا اليه وهذا مما لاينكره العقل ويحتمل أن يكون للشياطين أيضاً مدخلاً في ذلك ويقلّ أو يبطل تأثيرها بالتوكل والدّعاء والآيات والتعويذات .

ولذا كان شيوع السحر والكهانة وأمثالهما في الفترات بين الرّسل وخفاء آثار النبوة واستيلاء الشّياطين اكثر ، وتضعف وتخفى تلك الأمور عند نشر آثار الأنبياء وسطوع أنوارهم كأمثال تلك الأزمنة ، فانه ليس من دار ولابيت الاّ وفيه مصاحف كثيرة ، و كتب جمّة من الأدعية والأحاديث وليس من أحد الاّ ومعه مصحف أوعوذة أوسورة شريفة وقلوبهم وصدورهم مشحونة بذلك ، فلذا لانرى منها أثراً بيّناً في تلك البلاد إلاّ نادراً في البلهاء والضعفاء والمنهمكين في المعاصي وقد نسمع ظهور بعض آثارها في أقاصي البلاد لظهور آثار الكفر ، وندور أنوار

الايمان فيها كأقاضى بلاد الهند والصين والترك .

وأما تأثير السحر فى النبى والامام صلوات الله عليهما فالظاهر عدم وقوعه وإن لم يقم برهان على إمتناعه إذا لم ينته إلى حد يخل بغرض البعثة كالتخبيط والتخليط ، فانه إذا كان الله سبحانه أقدر الكفار لمصالح التكليف على حبس الأنبياء والاوصياء عليهم السلام وضربهم وجرحهم وقتلهم بأشنع الوجوه ، فأى إستحالة على أن يقدروا على فعل يؤثر فيهم هماً ومرضاً ؟

لكن لما عرفت أن السحر يندفع بالعوذ والآيات والتوكل وهم عليهم السلام معادن جميع ذلك فتأثير السحر فيهم مستبعد .

والأخبار الواردة فى ذلك اكثرها عامية اوضعيفة ومعارضة بمثلها فيشكل التعويل عليها فى اثبات مثل ذلك .

واما مايذكر من بلاد الترك انهم يعملون ما يحدث به السحب والأمطار فتأثير اعمال مثل هؤلاء الكفرة فى الآثار العلوية وما بهنظام العالم مما يأبى عنه العقول السليمة والأفهام القويمة ولم يثبت عندنا بخبر من يوثق بقوله » إنتهى كلامه.



كلام فى الفرق

بين المعجزة والكرامة والسحر

وقد اختلف كلمات العلماء فى المقام سنشير إليها إجمالا .

والتحقيق : ان الفرق بين السحر والمعجزة انّ السّحر هو صرف العين عن إدراك الشيء ، ففيه تصرّف فى الحواس الانسانى لا فى الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه السلام حيّة تسعى فلا فيها تصرّف فى الحواس حتى يرى شيئاً على خلاف ما هو عليه كما فى السحر، قال تعالى : « فلمّا القوا » حبالهم وعصيّهم « سحروا » صرفوا « اعين الناس » عن إدراك الحقيقة بما فعلوه من التمويه والتخييل .

فالمعجزة على حقيقتها وباطنها كظاهرها (كالمؤمن) والسّحر ظاهره غير واقعه (كالمنافق) وكلّما تأمل فى المعجزة ازددت بصيرة فى صحتها ولو جهد الخلق كلّهم على مضاهاتها ومقابلتها بأمثالها ظهر عجزهم ، وأما السّحر فانّما ضرب من الحيلة والتلطّف لاظهار امور لا حقيقة لها ويظهر خلافها بعد ويبطل السّحر .

وانّ المعجزة تحدث عند طلبها بلا آلاف وأدوات ومرور زمان يمكن فيه تلك الاعمال بخلاف السحر، فانه لايحصل الابعد استعمال تلك الامور ومرورزمان .

وقد أكّد فرعون للسّحرة أجراً على حرفتهم من السّحر ووعدهم مع الاجر القربى منه زيادة فى الاغراء وتشجيعاً على بذل غاية الجهد فى إبطال ما آتاه موسى عليه السلام غفلة انّ الموقف ليس موقف الاحتراق والبراعة والتضليل والتمويه والتلبيس انما هو موقف المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة القاهرة التى

لا يقف لها السّاحرون ولا المتجبّرون فقد اطمأنّ السّحرة بذلك واستعدّوا أنفسهم للحلبة فيتوجهون الى موسى عليه السلام بالتّحدى « قالوا ياموسى اماان تلقى » .

ولكنّهم لم يستنتجوا على ما فى قلوبهم وانّما قلّب قلوبهم « والقى السّحرة ساجدين قالوا آمنّا بربّ العالمين ربّ موسى وهارون » فظهرت صولة الحقّ فى الضمائر وانكشف نور الحق فى المشاعر وأبرزت لمسة الحقّ فى القلوب المهيّأة لتلقى النور لانّهم أعلم الناس بحقيقة فنّهم وأعرف الناس بالّذى جاء به موسى عليه السلام ان كان من السّحروعمل البشر أم من القدرة التى وراء مقدور السحر والبشر وانّ العالم فى فنّه هو أكثر الناس استعداداً للتسليم بالحقيقة فيه حين تتكشف له لانّه أقرب إدراكاً لهذه الحقيقة ممن لا يعرفون فى هذا الفنّ الا الشذوذ من الناس كأبى جهل وأبى سفيان وأبى لهب وأضرابهم الذين يرون المعجزات فلا يؤمنون .

ومن هنا تحوّل السّحرة من التحدّى السافر إلى التسليم المطلق الذى يجدون برهانه فى أنفسهم عن يقين ولكن الطواغيت المتجبّرين لايدركون كيف يتسرّب النّور الى القلوب ولا يعرفون كيف تمازجها بشاشة الايمان ولا يعلمون كيف تلمسها حرارة اليقين ، فهم لطول ما استعبدوا الناس يظنّون انهم يملكون تصريف الارواح وتقليب القلوب وهى بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلّبها كيف يشاء .

وانّ الفرق عند الفلاسفة والحكماء الالهيين بين المعجزة والسّحر : إن المعجزة قوّة إلهيّة تبعث فى النفس ذلك التأثير ، فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك السّحر انّما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوّته النفسانيّة وبامداد الشياطين فى بعض الاحوال فبينهما الفرق فى المفعوليّة والحقيقة والذات فى نفس الامر .

وانّما نستدّل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهى وجود المعجزة لصاحب الخير وفى مقاصد الخير وللنفوس المتمحّضة للخير والتحدّى بها على دعوى النبوّة والسّحرانّما يوجد لصاحب الشرّ وفى أفعال الشرّ فى الغالب من التفريق

بين الزوجين وضرر الاعداء امثال ذلك للنفوس المتمحّضة للشرّ .

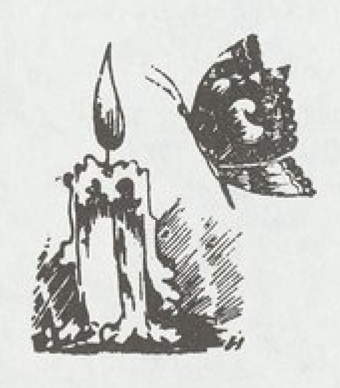
وقد يوجد لاصحاب الكرامات تأثير في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر وانّما هو بالامداد الالهي لان طريقتهم ونحلتهم من آثار النبوة وتوابعها ولهم في المدد الالهي حظّ على قدر حالهم وايمانهم وتمسّكهم بكلمة الله تعالى واذا اقتدر أحد منهم على افعال الشر فلا يأتيها لانه متقيد فيما يأتيه ويذره بالامر الالهي ، فما يقع لهم فيه الاذن لا يأتونه بوجه ومن أتاه منهم ، فقد عدل طريق الحق وربّما سلب حاله مالم يكن معصوماً .

ولمّا كانت المعجزة بامداد روح الله جلّ وعلا والقوى الالهيّة ، فلذلك لا يعارضها شيء من السحر وانظر شان سحرة فرعون مع موسى عليه السلام في معجزة العصا كيف تلقف ما كانوا يأفكون وذهب سحرهم واضمحل كأن لم يكن وإن السحر لايثبت مع اسم الله وذكره وقد نقل المؤرخون ان (زركش كاويان) وهي راية كسرى كان فيها الوفق المئيني العددي منسوجاً بالذهب في أوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الراية يوم قتل رستم بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام اهل فارس وشتاتهم وهو فيما تزعم أهل الطلسمات والاوفاق مخصوص بالغلب في الحروب وانّ الراية التي يكون فيها أو معها لا تنهزم أصلا الا ان هذه عارضها المدد الالهي من ايمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وتمسكهم بكلمة الله ، فانحل معها كل عقد سحري ولم يثبت وبطل ما كانوا يعلمون .

وعن بعض المتكلمين قال : انّ الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة ان السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتمّ للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل انما تقع غالباً اتفاقاً ، وأما المعجزة فتمتاز من الكرامة بالتحدّي .

وعن بعض المحدثين قال : ثبت الاجماع على أن السحر لا يظهر إلاّ عن فاسق والكرامة لاتظهر عن فاسق فمن يقع منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنباً للموبقات فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلاّ فهو سحر ، لانه ينشأ عن أحد أنواعه كاعانة الشياطين .

وفى شرح المقاصد قال : السحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجرى فيها التعلّم والتلمذ ، وبهذين الاعتبارين يفارق المعجزة والكرامة وبأنه لا يكون بحسب اقتراح المعترض وبأنه يختص ببعض الازمنة أو الامكنة أو الشراط وبأنه قد يتصدّى لمعارضته ويبذل الجهد فى الاتيان بمثله وبأن صاحبه ربما يعلن بالفسق ويتصف بالرجس فى الظاهر والباطن والخزى فى الدنيا والاخرة الى غير ذلك من وجوه المفارقة وهو عند أهل الحق جائز عقلا ثابت سمعاً و كذلك الاصابة بالعين .



كلام فى انواع السحر

وطوائف الساحرين

السحر فى الاصل هو البيان والكشف عن حقيقة الشيء واظهاره بسرعة العمل وإحكامه، ومنه الاخبار بما يكون قبل وجوده والاستدلال بعلم النجوم وموجبات أحكام الفلك و كذلك الكهانة والزجر والفال فان كل ذلك أبما يوصل اليه ويقدر عليه بعلم النجوم وموجبات الاحكام الفلكية والقضايا السماوية .

وانّ السحر على أنواع :

منهـا ـ : قلب العيان فترى الاشياء مقلوبة ، غير ما هى عليه .

ومنها ـ : ما يعمل من الخيال والحكايات والتمثيلات .

« « : الدّك وهو كبس التراب وتسويته وهو ضرب من الشعبذة .

« « : الشعبذة .

« « : البخورات المنتنة التى تجلب الصرع والبله والحيرة وما شاكل ذلك .

« « : سحر عملى .

« « : سحر علمى .

« « : سحر حق .

« « : سحر باطل .

« « : سحر رميت به الانبياء عليهم السلام .

« « : سحر وسمت به الحكماء .

ومنها ـ : سحر تختص بعلمه النّساء كالنفث في العقد ونحوذلك ، وانّ العرب تقول : اذا أرادت السرعة في البيان وإقامة الدليل والبرهان : سحر في فلان بكلامه ! وإذا كشف الغطاء وأزال الشبهة يقول العلماء : أتى بسحر عظيم سحر به العقول ومن ذلك قول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في رجل مدح صاحباً له ، فصدق ثم ذمه ، فصدق في مقام واحد : « إن من الشعر لحكمة وان من البيان لسحراً » .

كذلك لما رأت الامم الماضية والقرون الخاليّة من الانبياء ما رأت من المعجزات الباهرات والايات الظاهرات والبيان اللائح والدليل الواضح سمّوهم سحرة ووسموا به الحكماء لمّا رأوهم يخبرون بالكائنات ، فيتكلّمون بالانذارات والبشارات بمايكون في العالم من السرور والخيرات ونزول البركات والنّعمات ، فنسبوهم إلى الكهانة لما عميت عليهم الانباء ولم يعرفوا النبوة والانبياء عليهم السلام .

وزعموا أن لهم أصحاباً من الجن يأتونهم بأخبار السّماء فيعلمون بذلك ما كان وما يكون وقد ذكر الله تعالى في كتابه حكاية عن هذه الطائفة ما رميت به الانبياء من السحر مثل ما قال فرعون لما جاء موسى عليه السلام بالمعجزات لقومه لما رأى من موسى وهارون : « انّ هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما » .

عنى بذلك أن موسى عليه السلام انما يعمل ما يعمله بتخيّل وتحيل وشعبذة لا حقيقة لقوله ولا صحة لعمله مثل ما أشار عليه هامانه وسوّل له شيطانه بقوله : « وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم » يعني كل مشعبذ وممخرق ومنمّق لقوله وملفّق لعلمه وما كان من قصّته وتسليم السحرة الى موسى وهارون عليهما السلام وما كان منهم ورجوعهم عما كانوا عليه نادمين وتبريهم ممّا كانوا يعملون ، وقولهم : « آمنّا برب موسى وهارون » .

ومثل ما قالت الجاهلية المشركون في نبينا محمد صلى الله عليه وآله انه ساحر كذاب قال الله تعالى : « وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » وكلّ نطق وأتى بالمعجزات وأظهر الايات التي عليه هذا الاسم عند الامم الطاغيّة والاحزاب الباغية

تكذيباً للانبياء عليهم السلام ودفعهم الحق وإنكاره بالباطل من القول وإدخال الشكوك والشبه على المستضعفين من الرجال والنساء ليصدوهم عن سبيل الله وطريق الاخرة وليسحروا عقولهم بالباطل وليحولوا بينهم وبين الفوز والنجاة وهم شياطين المشركين ورؤساء المنافقين في الجاهلية والاسلام وهم في كل عصر وزمان يصدون عن دين الله تعالى ما قدروا عليه . ان السحرة على طوائف :

منهم : الكلدانيون وهم الذين كانوا في قديم الدهر ، وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ، ويستحدثون الخوارق بواسطه تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية وهم الذين **بعث** الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق : فرقة منهم يزعمون أن الأفلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الأفلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلاً ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الأوثان وفرقة اثبتوا للأفلاك والكواكب فاعلاً مختاراً لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها .

ومنها : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير إلى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل .

ومنها : سحر من يستعين بالأرواح الأرضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن .

ومنها : التخييلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة وهي اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والأحجار واطلاق السحر عليها بطريق التجوز ، ومن هذا النوع علم جر الأثقال .

ومنها : تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وان الجن ينقادون له في اكثر الأمور فاذا اتفق أن كان السامع ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في قلبه نوع من الرعب وحينئذ تضعف القوى الحساسة ، فيتمكن الساحر من أن يفعل فيه ماشاء .

ومنها : السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة .

﴿ السحر فى طوال الأعصار ﴾

انّ السحر صنعة تتلقّى بالتعليم والتمرين ، فيمكن لكلّ أحد أن يكون ساحراً اذا اتيح له من يعلمه السحر .

وكان السحر فنّاً من فنون قدماء المصريين يتعلّمونه فى مدارسهم العاليّة مع سائر علوم الكون كما كان ذلك عند اقرانهم من البابليين والهنود وغيرهم ولايزال يؤثر عن الوثنيّين منهم اعمال سحريّة غريبة اهتدى علماء الانكليز وغيرهم من الافرنج إلى تعليل بعضها او كشف حقيقته ولايزالون يجهلون تعليل بعض .

ومن المعلوم فى التّاريخ حديثاً وقديماً : انّ السحر لايروج إلاّ بين الجاهلين وله المكانة المهيبة المخيفة بين أعرق القبائل فى الهمجيّة ولا قيمة له فى بلاد يوجد فيها العلم والفضل والمعرفة ، بل يسمى اهله بأسماء اخرى كالمشعوذين والمحتالين والدّجالين .

وكانت انواع السحر عندهم ثلاثة :

الاول : ما يعمل بالاسباب الطبيعيّة من خواص المادة المعروفة للعامل المجهولة عند من يسحرهم بها ومنها الزيبق الذى قيل : إن سحرة فرعون وضعوه فى حبالهم وعصيّهم حتى لو شاء علماء الطبيعة والكيمياء فى هذا العصر أن يجعلوا أنفسهم سجرة فى بلاد اواسط افريقية الهمجيّة وامثالها من البلاد الجاهلة التى يروج فيها السحر العتيق لأروهم من عجائب الكهرباء وغيرها يقبلونه من غير تأمل.

وقد اجتمع السحرة من بعض تلك البلاد على بعض السياح الغربيّين ليرهبوهم بسحرهم وكانوا فى مكان بارد والفصل شتاء ، فأخذ بعض هؤلاء السيّاح قطعة من

الجليد وجعلها بشكل عدسي بقدر ما يرى من قرص الشمس وقال لهم : انّني أعلم منكم بالسحر وانّني اقدر به أن أجعل في يدي شمساً كشمس السّماء ثمّ وجه عدسيته إلى الشمس عند بزوغها واكتمال ضوئها فصارت بانعكاس النور فيها كالشمس لم يستطع السّحرة أن يثبتوا نظرهم إليها ، فخضعوا له ولمن معه و كفوا شرّهم عنهم خوفاً منهم .

الثاني : الشعوذة الّتي مدار البراعة فيها على خفّة اليدين في إخفاء بعض الاشياء واظهار بعض وإراءة بعضها بغير صورها وغير ذلك مما هو معروف بين أهلها ولا يسمّى هذا النوع بالسحر إلا بالتجوّز .

الثالث : ما مداره على تأثير الانفس ذوات الارادة القويّة في الانفس الضعيفة ذات الامزجة العصبيّة القابلة للاوهام والانفعالات التي تسمى في عرف علماء هذا العصر بالهستيرية .

وانّ اصحاب هذا النوع يستعينون على أعمالهم بأرواح الشياطين ومنهم الذين يكتبون الاوراق والطلسمات للحبّ والبغض وغيرذلك ومن هذا النّوع ما استحدث أخيراً من التنويم المغناطيسي .

وفي بعض التفاسير : انّ رجلا من الجند خرج ببعض نواحي الشّام متصيداً ومعه كلب له وغلام فرأى ثعلباً ، فأغرى به الكلب ، فدخل الثعلب ثقباً في تلّ هناك ودخل الكلب خلفه ، فلم يخرج فأمر الغلام أن يدخل ، فدخل وانتظره صاحبه ، فلم يخرج ، فوقف متهيّئاً للدخول ، فمرّ به رجل ، فأخبره بشأن الثعلب والكلب والغلام وان واحداً منهم لم يخرج وانه متأهب للدخول ، فأخذ الرّجل بيده فأدخله إلى هناك فمضيا إلى سرب طويل حتّى افضى بهما إلى بيت قد فتح له ضوء من موضع ينزل إليه بمرقاتين فوقف به على المرقاة الاولى حتى أضاء البيت حيناً .

ثمّ قال له : انظر فنظر فاذا الكلب والرجل والثعلب قتلى وإذاً في صدر البيت رجل واقف مقنع في الحديد وفي يده سيف ، فقال له الرّجل : أترى هذا

لو دخل اليه هذا المدخل ألف رجل لقتلهم كلّهم ، فقال : وكيف ؟ قال : لانّه قد رتب وهندم على هيئة متى وضع الانسان رجله على المرقاة الثانية للنزول تقدم الرّجل المعمول في الصدر ، فضربه بالسيف الذى فى يده فايّاك أن تنزل إليه ، فقال : فكيف الحيلة فى هذا ؟ قال : ينبغى أن تحفرمن خلفه سردابًا يفضى بك إليه فان وصلت إليه من تلك الناحية لم يتحرّك ، فاستأجر الجندى اجرَاء وصناعاً حتّى حضروا سرداباً من خلف التّل ، فأفضوا إليه ، فلم يتحرّك واذا رجل معمول من صفر أو غيره قد ألبس السّلاح وأعطى السّيف ، فقلعه ورأى باباً آخر فى ذلك البيت ، ففتحه فاذا هو قبر لبعض الملوك ميت على سرير هناك .

ويشبه بذلك عمل الشيخ بهاء الدين بحمّام ومنارة وغيرهما باصبهان وبيت صنم بهند خربه السلطان محمود الغزنوى .



﴿ الاسلام وتعليم السحر ﴾

انّ الدّين الاسلامي ينهى عن السحر والعمل به ويعدّه من المعاصي الكبيرة فتعليم السحر كفر بنصّ قوله تعالى: « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر » البقرة: ١٠٢).

نزل السحر منزلة الكفر.

فالعمل بالسحر وإضرار الناس بسببه معصية كبيرة إذ قال: « فلا تكفر » البقرة: ١٠٢).

أي أنت بعد تعلّم أسرار السحر لا تسحر ولا تعمل به فان العمل به على حدّ الكفر.

وإنّ الاسلام ينهى اطلاقا عن اتّباع الخيال وكلّ خرافة مبدؤها الخيال والظنون ولذلك يعبّر عن السحر بالخيال بقوله جلّ وعلا: « فاذا حبالهم وعصيّهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ».

وان الدين الاسلامي حرّم إحضار الارواح وإحضار الجن والاعتماد على هذه الوسائل الخيالية على ان هذه الأمور الخيالية التي لا يدعها دليل قطعي علمي قد أشرت الى حدّ ما في توجيه أوربا نحو الاعتقاد الى ما بعد الموت وخلود الرّوح توجيهاً ناقصاً لا يرتضيه العقل المجرّد عن الوساوس الشيطانيّة.

وأما معرفة السحر وتعلّمه وتعليمه لخواصّ الناس احقاقا للحقّ وابطالاً لما يدعونه السحرة من الاعجاز والقدرة السماويّة والسّيطرة الالهيّة لا بأس به بل هو ما انزل الله لتحقيقه ملكين فمن فعل ذلك فقد شرك الملكين في نيّتهما وعملهما وله مثوبة ذلك أشار اليه بقوله تعالى: « ولو إنّهم آمنوا واتّقوا لمثوبة من عند الله

خير لوكانوا يعلمون » البقرة : ١٠٣) .

وأما تعاطى السحر لغيرذلك من الأغراض فهو كفر بالله العظيم يمنعه الاسلام إذ قال تعالى : « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاق » أى من طلب السحر متاعاً ليصرفه فى حاجةنفسه فيفرق مثلا بين‌عدوّه وزوجه أوليصرفه لحاجة غيره فيبيعه منه بثمن وقال : « ولبئس ماشروا به انفسهم » أى انّهم بفعلهم السحرقد عرضوا انفسهم للبيع بثمن قليل ، وقد كانت غالياًثمنها الجنّة لكنّهم لايعلمون « ولو أنهم آمنوا » أى لم يكفروا أى لم يسحروا بل لم يشتروا السحر « واتّقوا » من الله وعذابه « لمثوبة من عند الله » تنالهم فى حلّهم السحر وتكذيب السحرة اقتداء بما فعل الملكان النازلان « خير » لهم « لو كانوا يعلمون » .

ولا فرق بين السحر والطلسمات فى المنع فان الافعال انّما أباح لناالشارع منها ما يهمّنا فى ديننا الذى فيه صلاح آخرتنا ودنيانا ، وما لا يهمنا فى شيء منهما فهو عبث وان لم يكن فيه فساد العقيدة الايمانية بردّ الامور الى غير الله تعالى فانّ من حسن اسلام المرء تركه مما لايعنيه .

وفى المقام كلام للفقهاء رضوان الله تعالى عليهم :

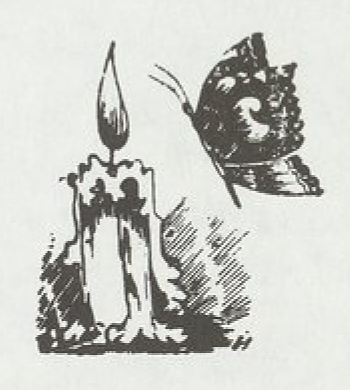
قال الشهيد قدس سرّه فى الدروس : تحرم الكهانة والسّحر بالكلام والكتابة والرّقية والدخنة بعقاقير الكواكب وتصفية النفس والتصوير والعقد والنفث والاقسام والعزائم بما لا يفهم معناه ويضر بالغير فعله ومن السحر الاستخدام للملائكة والجن‌واستنزال الشياطين‌فى كشف الغائب‌وعلاج المصاب‌ومنه‌الاستحضار بتلبيس الروح ببدن منفعل كالصبى والمرأة و كشف الغائب عن لسانه .

ومنه النير نجات وهى إظهار غرائب خواص الامتزاجات وأسرار النيرين وتلحق به الطلسمات وهى تمزيج القوى العاليّة الفاعلة بالقوى السّافلة المنفعلة ليحدث عنها فعل غريب فعمل هذا كلّه والتكسّب به حرام .

وقال الشهيد الثانى رضوان الله تعالى عليه : فتعلّم ذلك وأشباهه وعمله

وتعليمه كلّه حـرام والتكسب بـه سحت ويقتل مستحلّه ولـو تعلمه ليتوقّى به أو ليدفـع بـه المتنبىء بالسحر فالظاهر جوازه وربّما وجب على الكفاية كما هـو خيرة الدروس.

وقال الانصارى رحمة الله تعالى عليه فـى المكاسب: السّحر حرام فـى الجملة بلا خلاف بل هو ضرورى.



﴿ أحوال الساحرين ﴾

ورد في المقام روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

١ ـ في قرب الاسناد باسناده عن الامام علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ساحر المسلمين يقتل وساحر الكفار لا يقتل ، فقيل : يا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يقتل ساحر الكفّار ؟ قال : لانّ الشرك أعظم من السّحر ، لانّ الشرك والسحر طيران مقرونان .

٢ ـ وفيه باسناده عن الامام الحسين بن علي عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال : أقبلت امرأة إلى رسول صلى الله عليه وآله ، فقالت يا رسول الله : انّ لي زوجاً به عليّ غلظة وانّي صنعت شيئاً لاعطفه عليّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اف لك كفرت دينك لعنتك الملائكة الاخيار ، لعنتك ملائكة السماء ، لعنتك ملائكة الارض ، فصامت نهارها وقامت ليلها ولبست المسوخ ثمّ حلقت رأسها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : ان حلق الرأس لا يقبل منها .

٣ ـ وفيه باسناده عن عيسى بن سفعي وكان ساحراً تأتيه الناس ، فيأخذ على ذلك الاجر قال : فحججت ، فلقيت أبا عبدالله عليه السلام بمنى ، فقلت له : جعلت فداك أنا رجل كانت صناعتي السحر وكنت اخذ عليه الاجر وكان معاشي وقد حججت وقد منّ الله عليّ بلقاءك وقد تبت الى الله تبارك وتعالى ، فهل لي في شيء منه مخرج قال : نعم حلّ ولا تعقد .

٤ ـ في الكافي باسناده عن زيد الشحام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الساحر يضرب بالسّيف ضربة واحدة على امّ رأسه .

٥ ـ في قرب الاسناد باسناده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ان علياً عليه السلام قال: من تعلّم شيئاً من السحر قليلا أو كثيراً فقد كفر وكان آخر عهده بربّه وحده أن يقتل إلاّ أن يتوب.

٦ ـ في الخصال باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة لا يدخلون الجنّة مدمن الخمر ومدمن سحر وقاطع رحم، ومن مات مدمن خمر سقاه الله عزوجل من نهر الغوطة، قيل: وما نهر الغوطة؟ قال. نهر يجرى من فرج المومسات يؤذى اهل النّار ريحهن.

٧ ـ وفيه باسناده عن نصر بن قابوس قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول المنجّم ملعون والكاهن ملعون والساحر ملعون والمغنيّة ملعونة ومن آواها وأكل كسبها ملعون.

وقال عليه السلام: المنجّم كالكاهن كالساحر، والساحر كافر والكافر في النّار.

٨ ـ في السّرائر باسناده عن الهيثم بن واقد قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: إن عندنا بالجزيرة رجلا ربّما أخبر من يأتيه يسئله عن الشّيء يسرف أو شبه ذلك فنسئله؟ فقال. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مشى الى ساحر أو كاهن أو كذّاب يصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله من كتاب.

تمت سورة القمر والحمد لله في الاخرة والاولى

وصلى الله على محمد وآله النجباء

فهرس ما جاء فى تفسير سورة النجم

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول : فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثاني :

في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة النجم وفيها اربع بصائر :

البصيرة الاولى : وفيها سبعة عشر أمراً :

البصيرة الثانية : وفيها امور أربعة :

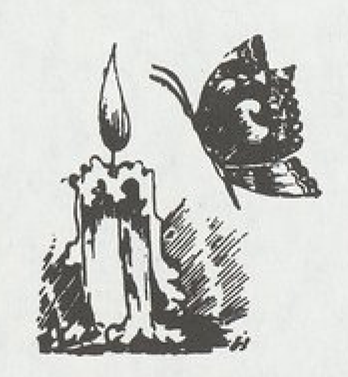
البصيرة الثالثة: وفيها أمر واحد:

البصيرة الرابعة: وفيها ثلاثة امور:

فهرس ما جاء فى تفسير سورة القمر

يدور البحث حولها على فصلين

الاول : فى عناوين تفسير السّورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



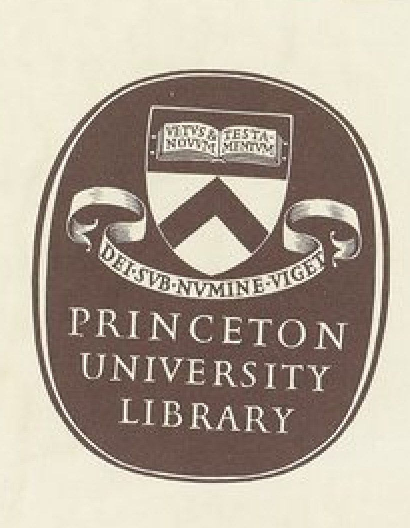
الفصل الثاني:

في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة القمر وفيها ثلاث بصائر :

البصيرة الاولى: وفيها ثلاثة امور :

البصيرة الثانية: وفيها أمران :

البصيرة الثالثة : وفيها سبعة امور :


VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

